

بدأ صدورها في 2012م

الرقم الدولي: 2321-7928

مجلة الهند

مجلة فصلية محكمة

المجلد: 13 العدد: 1

يناير-مارس 2024م

مدير التحرير

د. أرنك زيب الأعظمي

المشارك في التحرير

د. هيفاء شاكري

نائب مدير التحرير

د. محمد معتصم الأعظمي

تصدر عن

مولانا آزاد آئيديل إيجوكيشنال ترست

بولفور، بنغال الغربية

المراسلات المتعلقة بالاشتراك في الطباعة والنشر توجه إلى:

عنوان البريد:

مولانا آزاد آئيديل إيجوكيشنال ترست، بولفور، بنغال الغربية رقم البريد: 731235

الهيئة الاستشارية

د. مثنى حارث الضاري (العراق)	د. سناء شعلان (الأردن)
د. صالح البلوشي (عمان)	السيد محمد دأنش الأعظمي (البحرين)

هيئة التحكيم

د. بشري زيدان (مصر)	د. حسن يشو (قطر)
د. عامر خليل الجراح (تركيا)	د. محمد فضل الله شريف (الهند)

هيئة التحرير

د. أورنك زيب الأعظمي (مدير التحرير)	د. هيفاء شاكري (المشارك في التحرير)
د. محمد معتصم الأعظمي (نائب مدير التحرير)	د. محمد شفاء الرحمن المديني (عضو)

عنوان البريد الإلكتروني:

(1) aurang11zeb@yahoo.co.in

(2) azebazmi@gmail.com

موقع المجلة: www.azazmi.com

الاشتراك السنوي:

1000 روبية (للطلاب) 1500 روبية (للأساتذة والمكاتب)

قواعد النشر في المجلة

بالنسبة للبحوث التي ترسل للنشر في المجلة، يرجى مراعاة القواعد الآتية:

1. تقبل المجلة نشر البحوث باللغة العربية، إذا توافرت فيها الشروط التالية:
 - أ. أن يتسم البحث بالأصالة والابتكار، والجدة العلمية والمنهجية، وسلامة الاتجاه.
 - ب. أن يلتزم بالمنهج والأدوات والوسائل العلمية والمعتبرة في مجاله.
 - ج. أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.
 - د. أن يتسم بالسلامة اللغوية.
 - هـ. الأفضل أن يتناول البحث موضوعاً جديداً ذا صلة بالعلوم العربية والإسلامية ومساهمة الهند في مختلف العلوم والفنون والآداب وما إليها.
 2. ألا يزيد البحث عن خمسين صفحة، والرجاء من الباحثين استخدام (Amiri) على حجم 11.5.
 3. ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قدّم لأي جهة أخرى من أجل النشر.
 4. يرفق بالبحث ملخص له في حدود صفحة.
 5. أن يقر صاحب البحث بأن بحثه عمل أصيل له.
 6. تخضع البحوث إلى تحكيم لجان علمية أكاديمية متخصصة وفق المعايير المعتبرة.
 7. تحتفظ المجلة بحقوقها في حذف أو إعادة صياغة بعض الكلمات والعبارات التي لا تناسب مع أسلوبها في النشر.
- تعبر المقالات المنشورة عن آراء كاتبها واجتهاداتهم الشخصية.

في هذا العدد

الصفحة

7	- د. أورنك زيب الأعظمي	الافتتاحية
		مقالات وبحوث:
11	- الشيخ أمين أحسن الإصلاحي ترجمة: د. أورنك زيب الأعظمي	تفسير تدبر القرآن (25)
23	- ذ. يوسف عكراش	التنازع الدلالي والتداخل المفاهيمي بين أصول التفسير وقواعده ومصادره
36	- السيد محمد سليمان أشرف البهاري ترجمة: د. ضياء القمر آدم علي التيمي	المبين (6)
45	- د. أورنك زيب الأعظمي	دلالة الشعر إلى قواعد نحوية بديعة
88	- الشيخ ماهر القادري ترجمة: د. عظمت الله	الدر اليتيم (5)
95	- راشد حسن المباركفوري	إسهامات دائرة المعارف العثمانية بجيدراآباد، الهند في نشر تراث علوم الحديث والمشايخ والأثبات
185	- د. أورنك زيب الأعظمي	معنى وبلاغة "مِثْقَالُ ذَرَّةٍ"
196	- د. موسى بن محمد آل هجاد الزهراني	علي بن عبد العالي الكركي ودوره في تطوير ولاية الفقيه وتطبيقها في الدولة الصفوية

243	- د. خالد البورقادي	المقاربة المنهجية مدخل لتحقيق مقصد الوظيفية في تدريس العلوم الشرعية
281	- عبد الغفار المدهولي ترجمة: د. هيفاء شاكري	الجامعة المالية الإسلامية (14)
300	- سيد سليمان الندوي - د. محمد معتمد الأعظمي	رجال تأثرت بهم
308	- د. محمد فضل الله شريف	منهج تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها عند الدكتور ف. عبد الرحيم في ضوء كتابه: دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها
335	- د. سعيد أحمد حياة المشرفي	التجربة الشعرية عند الإمام ابن أبي زيد القيرواني (مالك الصغير)
		أدب المراسلات:
387	- د. هيفاء شاكري	بين فلسفين، هندي وروسي
		استعراض كتاب:
402	- د. غياث الإسلام الصديقي	مدرسة العلوم بعلي كره، تاريخها وأثرها في المجتمع
		نافذة على التاريخ:
412	جمع وتقديم: د. محمد شفاء الرحمن المديني	مقالات الأستاذ بدر الدين الحافظ

		الندوات والمؤتمرات:
430	د. محمد أجمل	المؤتمر الدولي حول: "تعليم اللغة العربية - لغبر الناطقين بها: آفاق، رؤى وتطلعات بين الواقع والمأمول"
		قصائد ومنظومات:
452	- العلامة فيض الحسن السهارنفوري	التقريظ على تفسير "فتح البيان في مقاصد القرآن" للنواب صديق حسن خان البوفالي

الافتتاحية

أعزائي القراء،

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسرنا كثيراً أن نقدم إليكم العدد الأول للمجلد الثالث عشر، وبهذا العدد دخلت المجلة سنّها الثالثة عشر ولو أنّ مجلّتنا فتيةٌ دون المجلات العربية في الهند ولكنها قطعت شوطاً بعيد المدى والتأثير فكتبنا عنها المقالات والبحوث وحتى أجري عليها بحث علمي على مستوى الدكتوراه فنشكر الله سبحانه على أنه أعلى ذكر مجلّتنا ووفّقنا بها لخدمة لغة أنزل بها كتابه الخاتم.

أعزائي القراء،

الموت حق لا محيص عنه وإذا جاء فلا يستأخر عنه ولا يستقدم ولكن إذا مات عالم من العلماء فيؤثر موته على دنيا العلم والفن كانت تحيى بحياته وتمتع بأفضاله. ومن أمثال هؤلاء الأعلام الأستاذ بدر الدين الحافظ الذي توفي يوم الأربعاء 3 يناير 2024م تاركاً وراءه تراثاً علمياً جليلاً باللغة الأردوية لغة محلية ثرية بالإسلام وعلومه، وكذا توفي إثره يوم الأربعاء 31 من يناير 2024م أستاذ العربية وآدابها في حيدرآباد الدكتور معين الدين الأعظمي الذي طور اللغة العربية وأعلى ذكرها في حيدرآباد وضواحيها تاركاً وراءه كتابين جليلين عن النحو العربي والترجمة. تحدثنا عن الشخصية الأولى في هذا العدد وذكرنا نماذج أسلوبه العربي وسنتناول الشخصية الثانية في العدد القادم إن شاء الله تعالى.

هذا، والعدد بين أيديكم يحتوي على 14 بحثاً، واستعراضاً لكتاب جديد وتقريراً لندوة دولية، وتقريراً على تفسير "فتح البيان في مقاصد القرآن" للنواب صديق حسن خان

البوفالي، كتبه العلامة فيض الحسن السهارنفوري.

فالمقالة الأولى هي الحلقة الـ 25 للترجمة العربية لتفسير "تدبر قرآن" وتقدم تفسيراً للآيات (144-155) من سورة آل عمران، والمقالة الثانية تناقش التنازع الدلالي والتداخل المفاهيمي بين أصول التفسير وقواعده ومصادره بينما تقدم المقالة الثالثة الحلقة السادسة للترجمة العربية للكتاب "المبين" للسيد محمد سليمان أشرف البهاري. وأما المقالة الرابعة فتعرض للباحثين قواعد نحوية بديعة وتلك مستخرجة من الشعر العربي الكلاسيكي إذ المقالة الخامسة هي الحلقة الخامسة للترجمة العربية للكتاب "درّ تيم" للشيخ ماهر القادري. وضمننا إليه مقالة سادسة تكشف القناع عن إسهامات دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد في نشر علوم الحديث وما والاها، وتشرح المقالة السابعة كلمة عربية جاءت في القرآن والحديث ألا وهي "مثقال ذرة" فشرحنا معناها وحاولنا بيان بلاغتها. والمقالة الثامنة تشيد بدور علي بن عبد العالي الكركي في تطوير ولاية الفقيه وتطبيقها في الدولة الصفوية كما أنّ المقالة التاسعة تناقش المقاربة المنهجية كمدخل لتحقيق مقصد الوظيفية في تدريس العلوم الشرعية. وأما المقالة العاشرة فهي الحلقة الرابعة عشر للترجمة العربية للكتاب عبد الغفار المدهولي عن تاريخ الجامعة المليّة الإسلامية، وتتبعها المقالة الحادية عشرة التي تفصح عن شخصيات أثرت في بناء وتربية علامة هندي ألا وهو السيد سليمان الندوي صاحب كتاب "علاقات الهند بالعرب". وناقش الدكتور فضل الله في المقالة الثانية عشرة منهج تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها عند الدكتور ف. عبد الرحيم وذلك في ضوء كتابه "دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها"، وتتبعها مقالة الدكتور سعيد أحمد حياة المُشرّفي عن شعر الإمام ابن أبي زيد القيرواني (مالك الصغير) وثبت أنّ الشعر عند العلماء لم يسقط عن درجته وليس بأقلّ من شعر الآخرين قيمة. وأما المقالة الرابعة عشر الأخيرة فهي عن أدب المراسلات حيث قامت الدكتورة هيفاء شاكري بتحليل الرسائل بين غاندي وتولستوي.

أتبعنا هذه البحوث العلمية مقالات الأستاذ بدر الدين الحافظ كفاضة على التاريخ، واستعراضاً لكتاب الدكتور محمد شفاء الرحمن المدني، وتقريراً لمؤتمر دولي عُقد في رحاب جامعة جواهر لال نهرو بنيودلهي. وينتهي هذا العدد على تقرير طامع للعلامة فيض الحسن السهارنفوري على تفسير "فتح البيان في مقاصد القرآن" للنواب صديق حسن خان البوفالي.

وأخيراً نشكر كلَّ مَنْ ساهم في هذا العدد من الباحثين والمترجمين وأعضاء هيئة التحرير، وكلَّ مَنْ كانت له جهود مضمينة في إخراج هذا العدد في صورته الحالية وتقديمه إليكم.

نسأل الله تعالى أن يجعله في ميزان حسناتنا يوم نلقاه.

د. أوردنك زيب الأعظمي

تفسير تدبر القرآن

(تفسير سورة آل عمران)

- الشيخ أمين أحسن الإصلاحي¹

ترجمة من الأردوية: د. أورك زيب الأعظمي²

﴿25﴾

33- تفسير الآيات (144-148)

وفي الآيات القادمة أولاً أزيل سوء التفاهم أنّ محمداً (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ما فوق البشر، إنه رسولٌ من رسل الله تعالى. إنه يموت كما ماتت الرسل جميعاً، ويمكن أن يقتله الأعداء ولكن دين الله سيبقى للأبد. فلا ينبغي أن تكون علاقة البشر بذلك الدين مبنية على أساس أنّ محمداً هو يخلد في هذه الدنيا. وقد مسّت الحاجة إلى إزالة سوء التفاهم هذا لأنّه إذا كان حاق وهم من هذا النوع بالقلوب فترت عزائمهم وأمكن استغلال المنافقين والأعداء هذا السوء في عدااء الإسلام. ولذا لما ظهرت لحظة من سوء التفاهم هذا قام القرآن بإزالته؛ فروي أنه لما انهزم المسلمون في غزوة أحد اشتهر أنّ النبيّ اختتم أيضاً قُتِلَ فجعل هذا الخبر المؤلم عزائم العديد من المسلمين فائرة وظنّوا أنه إذا قُتِلَ النبي فلا فائدة، ولو أنّ العقلاء منهم قد مكّنوا من الظروف بقولهم إنه إذا قُتِلَ النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فلتقاتل فنقتل أو نُقتل في هذا السبيل الذي قُتِلَ له النبي نفسه. ولكن على الرغم من هذا أنّ قد ظهر في المسلمين ضعف لزم أنّ يُزال بلسان القرآن ذاته لكيلا تنور مثل هذه الفتن في المستقبل.

¹ كاتب ومفسر هندي له مؤلفات عديدة ترجم البعض منها إلى العربية والإنجليزية
² مدير تحرير المجلة وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المليّة الإسلامية، نيودلهي، الهند

ثم جاء ذكر الأنبياء السابقين وأصحابهم الفدائيين كمثل أنهم جاهدوا في سبيل الله وأصيبوا بالشدائد فيه ولكنهم مع ذلك لم تفتّر عزائمهم فإن مسّكم الهزيمة أن أصاب رسولكم الأذى فلم تفتّر عزائمكم فلتسلخوا طريقهم لأنكم نهضتم لنفس المهمة التي نهضوا لها. اتلوا الآيات القادمة في ضوء هذا المدخل. قال تعالى:

"وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤١﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٤﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٥﴾".

34- تحقيق الكلمات وتوضيح الآيات

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤١﴾

العقب مؤخر القدم ومنه "انقلب على عقبيه" ارتدّ على عقبيه ورجع القهقري، والمراد به ترك الإسلام والرجوع إلى الجاهلية.

والمعنى أنه كما بُعثَ رسلٌ في الدنيا ثم فاتوا كذلك محمدٌ رسولٌ مبعوثٌ من الله وهو عسى أن يعاني مشاكل ومصائب عانى من أمثالها الآخرون من الرسل وكما مات السابقون منهم فكذلك هو يموت فلا تعني بعثته أنه لا يموت أو لا يُقتل أو لا يصيبه أذى وهزيمة فإن دخل أحدٌ في الإسلام بسوء التفاهم هذا ووقع في تشويش بعد واقعة أحد هذه وهو يريد أن يرجع إلى الجاهلية فله الخيار أن يرجع فلا يضر الله رجوعه

إليها بل سيضر نفسه في هذه الدنيا وفي تلك الآخرة. ومن لم يفرق بين الإسلام والجاهلية بعد أن مارسه ولم يقدروه فلا يعاب بهم الله فسيصيب فضل الله من شكر ربه بعد أن تمتع من نعمة الإسلام ولا يلحق إلى ذهنه الرجوع إلى الجاهلية.

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٥٠﴾

"كِتَابًا مُؤَجَّلًا" تركيب أشبه بتركيب "وَعَدَ اللَّهُ" أو "صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ". وقد أشير في هذه الآية إلى اثنين من ضعف الضعفاء من المسلمين والمنافقين، وهما:

الأول: أنهم لا يؤمنون بأن لكل مرئ كتاباً مؤجلاً لا يموت المرء حتى يحين ذلك الأجل كما لا يستأخر عنه ولو لثانية إذا جاء فيناسب المرء ألا يفرّ مما أوجبه الله عليه بل يؤديه عازماً عليه وناشطاً، وليؤمن عن الموت أنه مكتوب أجله كما تحدت طريقته.

والثاني: أنهم يقصرون مصالحهم الدنيوية على سعيهم الشخصي وتديبرهم ويخافون تخلفهم فيها إذا انهمكوا في شؤون الآخرة، والأمر خلاف ذلك. لا يعطي الله طالبي الدنيا منها إلا ما قَدَّرَ لهم وهم محرومون أجر الآخرة. وبالرغم من ذلك مَنْ طلب الآخرة فسيعطيهم الله ما قَدَّرَ له من الدنيا كما ينعم عليه من أفضال الآخرة فلا يصح ولا يناسب أن يترك الآخرة ويصبح حريصاً على الدنيا بل الأصح له أن يطلب الآخرة ويقتنع بما أعطاه الله في الدنيا، وقد تم توضيح هذه الحقيقة في الآية القادمة.

والقرينة تدلّ في "وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ" على أن الفعل (شَكَرَ) هنا في معناه التام والمراد بـ"الشَّاكِرِينَ" مَنْ يَقْدَرُ مَخْلَصاً نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي أَعْطَاهُ اللَّهُ فِي شَكْلِ هَدًى نِهَائِي وكامل. فقال إننا سنوفيه جزاء تقديره لهذا الهدى وأما الذين شهدوا هذا النور ثم لم يطلبوا سوى الظلمة فسنتركهم يهيمون في الظلام البعيد.

وَكَايِّنَ مَنْ نَبِيَ قَتَلَ مَعَهُ رَيْثُونٌ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاثُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٥١﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

وَأَسْرَفْنَا فِي أَمْرِنَا وَتَبَيَّنَتْ أَقْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٣٧﴾ فَتَأْتِلُهُمُ اللَّهُ تَوَابِ الدُّنْيَا وَحُسْنُ تَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٨﴾

تحدثنا فيما سبق عن كلمة الرِّيِّ والوهن، فلو أنَّ الوهن والضعف والاستكانة كلمات مترادفة للتعبير عن الضعف ولكن هناك فرق لطيف بين هذه الثلاث فالجبن الذي يلهه خوف الموت، وحبّ الدنيا هو الوهن، وما يلهه هذا الوهن من تعطل الإرادة والعمل هو الضعف، وما ينتج عنه هذا الضعف من الخضوع للعدو هو الاستكانة.

فالأية تعني: أن قد مضت في تاريخ البشر أمثلة لأنّ أنبياء الله جاهدوا ثم أعانهم فيه عباده الصالحون فأصيبوا بالشداد في هذا السبيل والهزائم ولكنها لم تؤثر فيهم سلباً إذ قُتِرَ همّهم وجبنوا أو أنّ يخضعوا للعدو بل استقاموا في هذا السبيل. والله يحبّ أمثال هؤلاء الناس.

هذا يشير إلى الحروب التي خاضها موسى وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء ولقد مضى ذكر حرب في زمن سموئيل في سورة البقرة والتي كانت أشبه بغزوة بدر، والهدف من هذه تنبيه مَنْ قُتِرَتْ عزيمتهم بهزيمة أحد على الواقع أنّ معاناة الرسول وصحابته من الحرب ليس بأمر بدیع كما أنّ مصابهم بالشدائد ليس بواقع جديد في التاريخ، إنّ هذه سنة الأنبياء وطريقة الله لا ابتلاء عباده فلا يفهم سوءاً أنه سيقطع هذه العقبة ويصل إلى الغاية بدون أن يمرّ هو وأصحابه بالامتحان فإنّ الله لا يحبّ سوى مَنْ يستقيم على هذا السبيل ولا كلّ مَنْ هبّ ودبّ وإلا فكيف يمكن التمييز بين الصادق والكاذب.

وتشير فقرة "وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا..." أنهم لما عانوا من الشدائد لم يقولوا كما يفعله الضعفاء من المسلمين والمنافقين ويخلقون شياً وشكوكاً خلاف الرسول، بل لم ينسبوا كلّ ما عُنُوا به من البلاء ورجعوا سببه إلى ضعفهم وعصيانهم واستغفروا ربهم فغفر لهم الربّ وأعطاهم الحكم في الدنيا كما أعدّ لهم أفضلًا في الآخرة سيتمتعون بها. وفي النهاية قال: إنّ هؤلاء هم الذين بلغوا درجة الإحسان، والله يحبّ مثل هؤلاء المحسنين.

35- تفسير الآيات (149-155)

وفي الآيات الآتية تناول تلك المساويء الخلقية التي أظهرتها غزوة أحد والهزيمة فيها فأخذها القرآن واحداً تلو الآخر ثم كشف عن باطنها ودل على طريقة إصلاحها وأشار إلى الأسرار التي تحويها تربية المسلمين بهذا البلاء وتطهيرهم. قال تعالى:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَكَصَبْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَّا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّن يَرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يَرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَتَابَكُمْ عَمَّا كُنْتُمْ لَٰكِنَ لَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾".

36- تحقيق الكلمات وتوضيح الآيات

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾

أراد الكفار واليهود بعد هزيمة المسلمين في أحد أن يزيلوا الآثار التي وقعت عليهم بعد فتح المسلمين في غزوة بدر فأحكموا تدبيراً وحاولوا أن يقنعوا المسلمين بإبطال بعثة

الرسول محمد وتمتعه بنصر الله والملائكة وإن كان كذلك فلم انهزموا في غزوة أحد فهزموا في غزوة بدر كما هزموا في غزوة أحد. هذا الفتح أو تلك الهزيمة يرجع فضلها إلى المكر في الحرب وأسبابها فعزوها إلى الله وملائكته واعتبار نفسه حقيقاً بنصر الله ليس سوى حلم لا تعبير له.

لقد علمت دعاية الكفار هذه عملها في المسلمين الذين كانوا ضعفاء ثم قواها المنافقون بوساوسهم فنبه الله المسلمين أنهم إن يتأثروا بما يقول الكفار فلا يلقونكم إلا في ظلمة الجاهلية تلك التي أخرجكم منها الله إلى نور الإسلام ويبدلون فوزكم بحرمانكم فليس هؤلاء الكفار أولياءكم وأخلاءكم ممن تالجأون إليهم حين شدائدكم وتستترشدهم، بل الله مولاكم وناصركم فالجأوا إليه واستنصروه فإنه خير المولى وخير النصير. ولقد مضى نفس المضمون في الآية السالفة: لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً....

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَبَشَئِشَ مَتَوًى الظَّالِمِينَ ﴿١٣١﴾

أي أننا تشجعوا عليه في هذه الأيام فهذا أثر مؤقت لا استقامة له فسيقتل الله عزيمتهم ويرعب قلوبهم بالإسلام وأتباعه وذلك أنهم أشركوا بألوهية الله ما لا سلطان له عقلاً ولا طبعاً، لا في نظام الفطرة ولا في صحف الوحي فلا تعين هذه الأوهام على الحقائق أولاً وثانياً قصرهم على هذه الآلهة الشتى قد بدد شملهم بحيث لا ينالون توحيد الخاطر الذي هو الأساس لكل عزيمة. والمراد بالظالمين في هذه الآية هم المشركون. ولقد ناقشنا تعبير الشرك بالظلم في موضع آخر ومن أوجهه أن الشرك في الواقع ظلم المرء على نفسه فلقد جعل الله الإنسان أشرف خلائقه وأفضل عليها، وهذا هو الشعور بهذا الشرف الذي يضمه فيه قوته وعظمته فإذا اعتبر المرء حاكماً ورازقاً من هو أسفل منه ويشعر في عبادته فهو كالبلاز الذي يقع أسير البغاث وهكذا لا يضيّع وصف كونه بازاً بل يكون أسفل وأحق من البغاث ذاته. وسنفصل عن هذا الأمر في تفسير السور المكية.

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّن بَعْدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مِمَّا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٩﴾

حَسَّ يَحْسُ: قتل الأعداء بحيث استأصلهم ودمرهم تماماً، وأما "بِإِذْنِهِ" فيعني أن هذا العمل العظيم ليس من تدبيرك وقوتك بل يرجع إلى قدرة الله ومرضاته.

وأما الفشل فيعني: الفتور والضعف. و"التنازع في الأمر" من "التنازع في الحديث" الذي يعني اختلاف الآراء في أمر واحد فالتنازع في الأمر بهذا السياق يعني اختلاف مواقف الناس في العمل بأمر الرسول.

و"مِمَّا تُحِبُّونَ" يشير إلى تمنّهم للفتح، ولقد فكّ القرآن هذا الإبهام في موضع آخر منه فجاء في سورة الصف: "وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ". (الآية: 13).

والآن يتمّ ترديد تلك الدعاية التي جعل الكفار والمنافقون يذيعون بها — أن المسلمين قد وقعوا عفواً في هذا الوهم بأن الله وملائكته يعينهم فإن كانوا هم الأنصار فأين غاب نصرهم هذا في غزوة أحد؟ ولقد أشرنا في الآية السابقة (149) أن هذه الدعاية قد أثرت في الضعفاء من المسلمين فنبه القرآن المسلمين على هذه الفتنة بأن وعد الله لنصر المسلمين قد تمّ في غزوة أحد إذ أبدتم الكفار في البداية في أحد حتى انهزموا وتقهقروا وكدم أن تنالوا الفتح ولكنكم فترتم قبل أن تبيدوهم تماماً وتجبروهم على الاستكانة فلقد أمر الرسول المسلمين الذين أوقفهم على جبل أحد بالآلات يتحوّلوا عنه بأية حال ولكنهم اختلفوا في العمل بأمر الرسول فرغب أغليبتهم في جمع الغنائم ظانين أن الفتح بأيديهم فتفرّقتم في حزين؛ حزبٌ رغب في الدنيا وآخر في الآخرة. ووجود الذين رغبوا عن أمر الرسول بالدنيا لا يحبه الله فاقتضت حكمته أن يمتنعكم لكي ينفصل عنكم مَنْ يطلب الدنيا فصرفكم عنهم وتحوّل الفتح إلى الهزيمة.

ومعنى ذلك أن وعد الله لنصر المسلمين مقيد بالشروط بأن يختاروا ما شاءوا ولا

يخذلهم الله بل هذا النصر مقيد بآلا يفترؤا في أداء الواجب ولا يختلفوا في العمل بالأمر ولا يعصوا الله ورسوله ولا يرغبوا عن الآخرة بالدنيا.

وعلى الرغم من إن وُجدَ فيهم شيء من هذا فلا يرسل عليهم الرب غضبه بل يبلوهم بأشياء تزيل فتورهم هذا ويكونوا حقيقين أكثر بنصر الله. وهذه أيضًا صورة من صور عفو الله وفضله ولذا أشار إليهما في نهاية الآية: "وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ".

ولنتذكر بالنسبة لغزوة أحد أن أصحاب السير والمغازي قد اتفقوا على أن المسلمين نجحوا في أول الأمر في هجومهم في هذه الغزوة، وكادوا أن يسيطروا على العدو ولكن الوحدة التي قد أمرت على الحفاظ على الجبل وأمرها الرسول بآلا تتحول عنها على آية حال قد خالفت أمر الرسول ونزلت منه واشتغلت في جمع الغنائم ولم يبق هنا سوى رجال معدودين فاعتنم هذه الفرصة كحلة من العدو وخالفت إلى المسلمين وهجمت عليهم. كان هذا الهجوم مفاجئًا وناجحًا إلى حدّ فقد المسلمون عقولهم. أشارت الآية إلى هذا الحدث في محتواها.

إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوِنَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجِكُمْ فَأَتَيْتُكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

الإصعاد يعني السمو إلى الأعلى ومن هنا "أصعد في العدو": فرّ المرء إلى شيء رافعاً رأسه. وأما الباء في "غَمًّا يَغْمِرُ" فالتلبس أي تبع غمّ الهزيمة غمّ آخر أراه إذاعة الكفار بنحبر قتل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونجد ذكره في كتب التاريخ والسير كما أنه يلبح من هذه الآية القرآنية إذ جاء أنكم قد تفرون بحيث لا ترون إلى وراءكم فتحدّوا ما الحقيقة ومن يذيعها حتى لم تلتفتوا إلى الرسول الذي كان يدعوكم من خلفكم إلى جانبه. ثم جاء "فَأَتَيْتُكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ" بالفاء التي تأتي لذكر النتيجة فيبدو من هذا بوضوح أن هذا الغمّ يكون متعلقًا بشخصية الرسول لينبها على ما قاموا به

من تحقير الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا بدّ لفهم نظام هذه الآية أن نلقي نظرة معادة على الآية السالفة فقد قال تعالى: ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ أي جعلكم منهزمين للأخطاء الفلانة ليبتليكم ثم بين أنه ابتلاكم لكيلا يعذبكم على خطيئاتكم بل يعفو عنكم وينعم عليكم ثم فصل هذا الابتلاء من إذ تُصْعِدُونَ إلى فَأَتْبَعَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ. ثم ذكر فائدة هذا الابتلاء في لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ التي يمكن أن يحصل عليها المؤمنون إذا أدوا حقّه.

ولا داعي لتبيين أنّ هذا الابتلاء ليس بعذاب الله بل هو رحمته فإنّ العذاب ينزل على الكفار إذ يُصاب بالابتلاء المؤمنون، والعذاب يهدف إلى تدمير الكفار بينما يهدف الابتلاء تطهير المؤمنين من الضعف العقلي والخلقي فالأول موت والثاني حياة. وهذه سنة الله أنّ لا يعذب القوم الذي يريد إحياءه عذاباً يعذب به المجرمون والعصاة بل يزيل خطيئاتهم بأنواع من الابتلاء والامتحان فلا يهلك القوم إلا أنه يخلو من صفات الحياة الأصلية.

وأما السؤال: أي شيء يوجد في غزوة أحد يبعدهم عن الغم؟ فلفهم هذا لا بدّ أولاً أن نتذكر أنّ المراد بالغم هنا ليس ذلك الغم العام الذي يصيب المرء إثر فوات فرصة أو إصابته بخسران بل المراد منه ذلك اليأس والهم الذي يقضي على عزيمته وحماسه فقد منع في الآية السالفة (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا) عن ذلك الحزن. فقد تواجدت أسباب عديدة لهذا اليأس والحزن كانت بحاجة ماسة إلى إزالتها. مثلاً أن كانت في المسلمين جماعة يفهمون سوء أنّ النبي لا بدّ أن يفوز هو وأصحابه في كلّ مهمة فالهزيمة عندهم هي تشكك كلّ دعاويها كما كانت بينهم جماعة وهموا أنّهم إذا كانوا هم مسلمين ونصروا الرسول فينبغي أن يكونوا مصونين عن عواقب خطيئاتهم وكذا كانت هناك شرذمة من الناس توكّلوا على تدابيرهم فلم يتضح لهم أنّ التدبير في هذه الدنيا لا يعمل بل العامل الحقيقي هو القدر. ووجدت فيهم جماعة من الناس أساءوا الظنّ بالله مثلما

فعلوا به في زمن الجاهلية، وستأتي إشارات إلى هذه الجماعات كلها في الآيات القادمة فالبديحي أنه إذا وُجِدَتْ في المسلمين هذه الأوهام والتفاهات السيئة فلا يمكن معها أن يواجهوا تلك الظروف والمشاكل التي كانت تصيبهم في كل خطوة، فزكت رحمة الرب تعالى بهذه الغزوة (غزوة أحد) عن العديد من الأوهام التي عسى أن تزلزل عزائمهم في الأوضاع الحرجة فالآيات التي تكشف عن هذه المضامين قد مضت بعض منها كما تأتي البعض منها ونكتفي هنا بآية من سورة الحديد تكشف عن جانب مهم فقال تعالى: "مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾".

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠٩﴾

الأمنة تعني الراحة والطمأنينة والنعاس بداية النوم أو النوم وهنا جاء النعاس بدلاً للأمنة فالنوم وسيلة للطمأنينة والراحة كما أنه شاهد على طمأنينة القلب وإخلاص العقل فمن يكون عقله حيراناً ومخه قلقاً يطير عنه النوم ويصعب على مثل هذا الرجل القيام بأي عمل بالعزم والاستقامة فيجب للجيش أن يجد فرصة المنام خلال القتال ويغتنمها فنظراً لأهمية النوم هذه عدم إتاحة جيش العدو فرصة المنام وهذا من فضل الله العظيم أنه إذا وجد جيش فرصة المنام التي يستفيدون منها فإن اغتنامها لا يقصر على الفوز بها بل معظمها يقصر على موهبة النائم العقلية والقلبية فن الأفضال التي منها الله على المؤمنين بشأن غزوة بدر في سورة الأنفال أنهم ناموا ملء جفونهم

بارحة القتال فأصبحوا مستعدين للقتال. وهنا قال في الآية التي نحن بصدد تفسيرها أن جماعة نامت ملء جفونها بينما كانت جماعة تخاف على نفسها، ولو أن العدو قد قتل ولكنهم ظنوا من خوفهم وجبنهم أن العدو قائم أمامهم.

وقد حذف المعطوف على "وَلَيَبْتَليَ اللَّهُ" وفي مثل هذا السياق لا يحذف المعطوف عليه بل ربما يحذف ما تذكر علة هذه الصيغ. ونجد مثاله في آية سورة الحديد التي أحلنا إليها فيما سبق فإن فكّ هذا المحذوف في ضوء السياق فتكون الجملة: إذا علمتم بتدميركم فلن تفلتوكم من الموت إذا قُدِّرَ لكم بل كنتم تُقتلون في تلك المصارع التي كتب الله فيها صرعكم ولكنّ هذا وقع بيد الرسول لكيلا يكون حسرة في قلوبكم ويظهر الضعف الذي يوجد في قلوبكم.

هذه الآية أيضاً عرض للأوضاع والظروف التي تبعها هزيمة غزوة أحد، والمراد من هذا العرض كما اتضح سالفاً إراءة أن وعد الله النبي وأصحابه بالنصر حق ولكن وجبت إزالة السيئات التي كانت موجودة في الجماعة فقال إن هناك جماعة من المسلمين بقيت بعد هزيمة أحد لم تشك إلى الرب ولا أساءت الظنّ به فقد بقيت على عزيمته فظنّ أن المشكلة التي أصابها نتيجة ضعفها بقيت راضية عن حكم الله فلم تفتر عزيمتها ولا ضعف إيمانها بل توكلت على الله ونامت ملء عينها في الليلة القادمة الذي هو دليل على شدة عزمها وقوة إيمانها ولكنه كانت هناك جماعة بقيت خائفة على نفسه فلم تزل تشكو إلى الله وتسيء الظنّ به مما لا يسوغ للمؤمنين بل هو من نوع أعمال الجاهلية. إنها ظنّت أن الرسول يستبدّ برأيه في قضاء الأمور فلا يعبأ بمشوراتها. فإن قبل رأيها وخيض في القتال كائنين داخل جدران المدينة فلم تقع هذه الحالة المؤسفة ولم تقتل هنا بتلك الذلة فردّ عليها قائلاً إن رأيكم هذا باطل فلو أقفلكم بيوتكم لأصابتكم الموت حيث قُدِّرَ لكم فإنّ الموت لا يدور كما ترون بل يعمل كما كُتِبَ له. وإذا كانت فيكم هذه المساوي فأراد الله أن تصيبكم ظروفٌ تُبدي ضعفكم

وتمتحن قلوبكم وتخرج نقصكم فإن الله عليم بأمراض القلوب وشفائها.
إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

مضى في تفسير الآية المئة بعد الثانية والعشرين أن بعض الضعفاء من المسلمين تأثروا
بعمليات المنافقين لاسيما ابن أبي المفتره للعزائم ولكن منهم من استراد بعده فوراً كما
أن البعض منهم ركبوا الضعف. فلو أن الله قد عفا عنهم لأن كلاً منهم قد شعر
بخطيئته فيما بعد ولكنه أوضح كذلك أنهم قد ضلّوا بالشيطان لبعض خطيئاتهم
الماضية. والسيئة تلد السيئة ويتأثر بتدابير الشيطان من بقي فيه أصل قديم للسيئة
فيلزم أنه إذا صدرت عن المرء خطيئة فلا يدعها ترسو في قلبه بل يستأصلها
بالاستغفار والتوبة النصوح وإلا فثقل هؤلاء الناس يسببون بلاء جماعات كبيرة، وقد
اتضح فيما سلف بالآيات القرآنية أن البلاء الذي أصيب به المسلمون في غزوة أحد
كانت نتيجة مثل هذه المناقص لبعض الجماعات.

التنازع الدلالي والتداخل المفاهيمي

بين أصول التفسير وقواعده ومصادره

- ذ. يوسف عكراش¹

تمهيد

لا ريب أنّ التدخل الحاصل في فهم مدلولات المفاهيم العلمية وتوظيفها، سواء كان بعلم أو بغير علم، فإنّ له تأثيراً بالغاً على مسار الدرس التفسيري وخاصة الشقّ التأسيسي منه، وقد لا يلحظ هذا التأثير في آنه بقدر ما يتجلى مع مرور الزمن عندما يصبح التداخل والتنازع متداولاً بكثرة كاثرة في الدراسات والأبحاث وغيرها من الأعمال العلمية المختلفة، الشيء الذي يجعل هذا الأخير- التداخل- يعرقل السير العادي للدرس التفسيري فضلاً عن تطويره وخدمته، بل يصعب تقويمه إذا ما استفحل بشكل مبالغ فيه كثيراً، لذا يجب تدارك هذا النمط الحاصل في المفاهيم العلمية ودلالاتها المركزية في الدرس التفسيري.

ولا شك أنّ تدارك ما يقع من تدخل وتنازع في حقيقة مفاهيم الدرس التفسيري لدى المهتمين به، مطلب علمي ضروري لا يتحقق إلا من خلال تحرير وبناء مفاهيم وتعريفات أكثر انضباطاً تكون محل إجماع وتراضٍ لهذه المصطلحات العلمية الدقيقة في مجالها بغية الرجوع لها والاحتكام إليها بل البناء عليها في مختلف القضايا والمسائل

¹ باحث في التفسير وعلوم القرآن، وأستاذ بالأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين بالمملكة المغربية، من كتبه المنشورة: مباحثات في الدرس التفسيري، الرؤية الاستشرافية للوحي القرآني نظرية النبوغ نموذجاً: دراسة تحليلية نقدية، كما له العديد من الأعمال الأخرى ضمن كتب جماعية ومجلات علمية محكمة محلية ودولية.

التي تعترض سبيل الطالب والباحث في الدرس التفسيري.

وما أرومه في هذه المقالة الوجيزة هو شد الانتباه ولفت النظر لنموذج واقعي للتداخل الدلالي الحاصل في أهم المفاهيم العلمية في الدرس التفسيري، بحيث تعتبر هذه الأخيرة من صميم المفاهيم المنهجية التي تحرر على طاولتها قضايا معرفية عدة، وقد وقفت على هذا التداخل في العديد من الأعمال العلمية المختلفة (مقالات، أبحاث، كتب، دروس أكاديمية...)، مع العلم أنّ هناك مفاهيم أخرى عدة يشوبها نفس الأمر- التداخل والتنازع- في عمليات الدرس والبحث والكتابة، وسأقوم بتتبعها تدريجياً مع مراعاة أهميتها ومكانتها في الدرس التفسيري وبدءاً بما هو بين أيدينا الآن من مفاهيم.

وهذه المفاهيم المقصودة من المناقشة في هذا الطرح هي: (أصول التفسير وقواعد التفسير ومصادر التفسير) حيث شهد لها بالكثرة الكثيرة في تداولها بين الباحثين، وشيوع التداخل فيما تحمله مع معانٍ ودلالات فضلاً عن توظيفها في عدة دراسات على وجه التنازع غير المنضبط، لتحرر في ضوئها قضايا ومسائل عدة يصعب الاستفادة منها أو البناء عليها في القابل من عمليات البحث.

أصول التفسير وقواعد التفسير ومصادر التفسير:

يعدّ كل من مفهوم أصول التفسير وقواعد التفسير ومصادر التفسير من المفاهيم المركزية والمسارات البحثية المهمة في الدرس التفسيري¹، والتي كثرت حولها الكتابات وتجاذبتها حركية التعريف التي تشهدها كل المفاهيم في مختلف المجالات، بحيث تنوّعت حدودها وموضوعاتها من مفسر لآخر، حتى أصبحت تارة تتداخل فيما بينها، وتارة تترادف، وأحياناً تتباين، الشيء الذي تخض عنه نوع من الاضطراب في استيعاب هذه المفاهيم لدى الناشئة من الباحثين، وصار هذا

¹ ينسب كل من الأصول والقواعد والمصادر إلى التفسير باعتباره معقد الدوران والمحور العام للاشتغال، لكن لكل مصطلح حده وموضعه في خارطة التفسير ووظيفيته المنوطة به والغاية المرجوة منه.

الاضطراب يشكّل مظهرًا من مظاهر الضبابية في الوقوف الحقيقي على ماهية كل من المفاهيم المذكورة- أصول التفسير وقواعد التفسير ومصادر التفسير-، وما أرومه في هذا الصدد هو إبراز جانب من أوجه التنازع المفاهيمي والتداخل الدلالي الذي طال هذه المصطلحات العلمية.

وبداية بأصول التفسير الذي شهد واقعه قديمًا وحديثًا خطأ وافرًا من الهم والاهتمام، الشيء الذي تخض عنه مجموعة من التعريفات التي تدل بالأساس على اتساع رقعة الاختلاف بين المعرفين له، مما نتج عنه تداخل من حيث الحدود التي سرعان ما أثرت في الوظائف والغايات فصار استعمال "أصول التفسير بمعنى مصادر التفسير، وأصول التفسير بمعنى قواعد التفسير، وأصول التفسير بمعنى الفوائد المعينة على الفهم".¹

ولا شك أنّ الترادف الحاصل في ضبط مفهوم أصول التفسير مع باقي المفاهيم المذكورة، أو بالأحرى التنازع بينها من حيث التعريف والتوظيف وبناء قضايا وتحرير مسائل على هذا الأمر كان نتيجة لعدم اعتبار أصول التفسير علم مستقل برزت ملامحه مبكرًا ويحتاج لتعريف اصطلاحى خاص به كباقى العلوم يرسم سياجه المعرفى ويميز موضوعاته، بالإضافة إلى أمر مهم ألا وهو عدم ضبط حيثية اشتغال أصول التفسير التي "تمثل في اكتناز الممارسة التفسيرية ذاتها للنص القرآني، وليس النص القرآني نفسه من جهة كيفية فهمه".²

ومنه فإنّ اعتبار أصول التفسير إطلاق على علمٍ برزت محاولات عديدة لتأسيسه،³ فقد

¹ علم أصول التفسير محاولة في البناء، مولاي عمر بن حماد، دار السلام، القاهرة، ط1، 1431هـ- 2010م، ص46.

² تأسيس علم أصول التفسير قديمًا وحديثًا قراءة في منهجية التأسيس مع طرح مقارنة لتأسيس العلم، محمود خليل الحامى، بحث على موقع مركز تفسير، ص66.

³ ينظر: التيسير في قواعد التفسير للكافيجي، والتجوير في علم التفسير للسيوطي، فصول في أصول التفسير لمساعد بن سليمان الطيار، وعلم أصول التفسير محاولة في البناء لمولاي عمر بن حماد.

ظهرت تعريفات عدة تتنازع دلالة هذا المصطلح فضلاً عن الوظيفة التي يمكن أن يؤديها، ومن هذه التعريفات على سبيل التمثيل ما نجده عند خالد عبد الرحمن العك في كتابه (أصول التفسير وقواعده)، حيث بين أن أصول التفسير "هو العلم الذي يبين المناهج التي انتهجها وسار عليها المفسرون الأوائل في استنباط الأسرار القرآنية، وتعرف الأحكام الشرعية من النصوص القرآنية التي تبني عليها، وتظهر المصالح التي قصد إليها القرآن الكريم، فعلم أصول التفسير على هذا هو مجموعة من القواعد والأصول التي تبن للمفسر استخراج أسرار هذا الكتاب الحكيم بحسب الطاقة البشرية، وتظهر منه مراتب العبرة من أنبائه، وتكشف مراتب الحجج والأدلة من آياته الكريمة، فعلى هذا تعين علوم التفسير على فهم معانيه وإدراك عبره وأسراره، وترسيم المناهج لتعرفها، وتضع القواعد والأصول ليسير المفسر على منهجها القويم في سيره أثناء تفسيره".¹

ومن تأمل هذا التعريف ألقاه قد حمل في ثناياه طرفاً من التداخل المفاهيمي المقصود بيانه، حيث جعل أصول التفسير مرادفاً لقواعده دون أدنى تفصيل أو بيان، كما شمل هذا التعريف بعض المسائل التي هي بمثابة ثمار لأصول التفسير كالمصالح والمقاصد، ولا يمكن إحقاقها في رسم حدّ علمي منضبط لمصطلح أصول التفسير، كما أشار أيضاً أن أصول التفسير تعين على فهم القرآن، والحقيقة أن أصول التفسير مسلك علمي خالص لضبط الممارسة التفسيرية وهي مرحلة تأتي قبل محطة فهم النص القرآني.

أما عند لطفي الصباغ في كتابه (بحوث في أصول التفسير)، فقد جعل "أصول التفسير يضع القواعد للتفسير، ويبيّن الطريقة المثلى في شرح كلام الله عزّ وجلّ".² ومن تأمل هذا التعريف وجده قد ضمّ أمرين، الأول قواعد التفسير التي جعلها المعروف- لطفي الصباغ- من صميم أصول التفسير، كما ضمنه أيضاً عبارة أخرى وهي

¹ أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، ط2، 1406هـ-1986م.

² بحوث في أصول التفسير، لطفي الصباغ، ط1، 1408هـ-1988م، ص 10.

قوله: "ويبين الطريقة المثل في شرح كلام الله عزّ وجلّ" ومن تأملها وجدها كلاماً عاماً يفتح الباب على مصراعيه للقول في التفسير، كما أنّ هذه العبارة تعتبر هي الغاية النهائية لعلم أصول التفسير، ومنه فلا يمكن الجمع بين غاية أصول التفسير وبين قواعد التفسير لرسم حد علمي لأصول التفسير.

أما عند الدكتور مولاي عمر بن حماد في كتابه (علم أصول التفسير محاولة في البناء)، فقد عرف أصول التفسير قائلاً: "هو علم يحدد مصادر التفسير لكاتب الله تعالى ويضع القواعد، ويحدد شروط المفسّر لبيان الطريقة المثل في التفسير وفق مقاصد المفسّر"،¹ ويلاحظ أنّ ما اشتمله هذا التعريف جاء قياساً على واقع مفهوم أصول الفقه، كما يظهر فيه الاكتناز المدقّق للممارسة التفسيرية كهاجس مركزي في تأسيس أصول التفسير وعقد محاور الاشتغال في هذا الفن في ضوء ركائز هذه الممارسة، حيث أدخل فيها ما ليس منها... كقواعد التفسير ومقاصد النص المفسر.²

أما عند محيي الدين الكافيحي في (كتاب التيسير في قواعد التفسير) فقد جعله أصول التفسير بأنه: "علم يبحث فيه عن أحوال كلام الله المجيد من حيث إنه يدلّ على المراد بحسب الطاقة البشرية"،³ وقريب من هذا التعريف ما قدّمه الدكتور مساعد الطيار في كتابه (فصول في أصول التفسير) حيث جعل أصول التفسير "هي الأسس والقواعد التي يعرف بها تفسير كلام الله، ويرجع إليها عند الاختلاف فيها. وتدور محور الدراسة في هذا العلم بين أمرين: كيف فُسّر القرآن، وكيف نفّس القرآن".⁴

¹ علم أصول التفسير محاولة في البناء، مولاي عمر بن حماد، ص 54.

² تأسيس علم أصول التفسير قديماً وحديثاً قراءة في منهجية التأسيس مع طرح مقارنة لتأسيس العلم، محمود خليل الحناي، ص 62.

³ التيسير في قواعد علم التفسير، محيي الدين الكافيحي، دراسة وتحقيق ناصر بن محمد المطرودي، دار القلم ودار الرفاعي، ط 1، 1410هـ/1990م، ص 150.

⁴ فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار، دار النشر الدولي، ط 1، 1419هـ-1993م، ص 11.

ومن التعاريف أيضاً ما ذكره صاحب كتاب (أصول التفسير ومناهجه)، أن أصول التفسير هي "القواعد والأسس التي يقوم عليها علم التفسير، وتشمل ما يتعلق بالمفسر من شروط وآداب، وما يتعلق بالتفسير من قواعد وطرق ومناهج وما إلى ذلك. وقيل: العلم الذي يتوصل به إلى الفهم الصحيح للقرآن ويكشف الطرق المنحرفة أو الضالة في تفسيره".¹

ومن التعاريف التي رسمت معالمها من خلال جزئية اشتغال أصول التفسير والمتمثلة في اكتناز الممارسة التفسيرية وهي جزئية أكثر وضوحاً وانضباطاً من غيرها، هو تعريف الدكتور محمود خليل اليماني الذي جعل أصول التفسير هو علم "يقوم على البحث في التفسير وموارده، وصناعة المفسر".²

وعموم القول في التداخل الحاصل على مستوى ماهية أصول التفسير يمكن تقسيمه إلى قسمين، القسم الأول: وهو التداخل الحاصل في ذات المفهوم الواحد بحث يقحم المعرف أموراً عدة تتنازع فيما بينها ولا تسعف في بناء مفهوم منسجم أكثر انضباطاً يمكن التحاكم إليه عند الحاجة، ومثله تعريف خالد عبد الرحمن العك، وتعريف لطفي الصباغ- كما تقدم-، أما القسم الثاني: ويشمل التداخل والتنازع الخارجي، أي: التنازع الحاصل في مفهوم معين إذا ما قرناه بمفهوم آخر حيث يصعب الجمع بينها، ومن ذلك على سبيل التمثيل تعريف الدكتور مساعد الطيار، وتعريف الدكتور محمود خليل اليماني، بالإضافة إلى تعريف محيي الدين الكافيجي.

وبعد هذه المحطة اليسيرة من التعريفات لأصول التفسير وبيان طرف من واقع

¹ أصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرحمن الرومي، ط3، 1438هـ-2017م، ص17.

² تأسيس علم أصول التفسير قديماً وحديثاً قراءة في منهجية التأسيس مع طرح مقارنة لتأسيس العلم، محمود خليل اليماني، بحث على موقع مركز تفسير، ص71.

أما مصادر التفسير فهي "المراجع الأولية التي يرجع إليها المفسر عند تفسيره لكتاب الله، وهذه المصادر هي: القرآن، والسنة، وأقوال الصحابة، وأقوال التابعين وتابعيهم، واللغة، والرأي والاجتهاد، وإنما قيل: مراجع أولية؛ لثلاث تدخل كتب التفسير"¹ وتجدر الإشارة بعد هذا التعريف بخصوص تسميتها؛ حيث تنوعت وتعددت، فذهب ابن تيمية في (مقدمة في أصول التفسير) إلى تسميتها طرق التفسير، وعليه درج مساعد الطيار في كتاب (فصول في أصول التفسير)، كما اختار الزركشي في (البرهان في علوم القرآن) تسميتها بمآخذ التفسير، كما سميت أيضاً بالاستمداد... وغيرها من التسميات التي ليس المقام هنا للتفصيل فيها وذكر اعتبارات اختيارها، أكثر مما نود إبراز أهم محطات التداخل الحاصلة بين أصول التفسير ومصادره.

وكما اختلفوا في تسميتها اختلفوا أيضاً في ترتيبها باعتبار أحسن مصادر التفسير، ومن ذلك على سبيل التمثيل حيث جعل ابن تيمية أحسنها تفسير القرآن بالقرآن، أما الزركشي فجعل السنة تعلق عرشها، كما اتسع الخلاف أيضاً في إدراج بعض المصادر ضمنها مثل جعل الإسرائيليات من مصادر التفسير، حيث يقول مولاي عمر حماد: "ترددت كثيراً في إدراج الإسرائيليات ضمن مصادر التفسير، مع كل الانتقادات التي وجهت لمن أدخلها في التفسير، حتى صار يمدح الكتاب من كتب التفسير بأنه خال من الإسرائيليات..."² وعوماً فيما يبدو أنّ الاختلاف حاصل على مستويات عدة في تحديد مصادر التفسير، ولا شك أنّ هذا الاختلاف في تحديد مصادر تفسير دون غيرها له أيضاً حظه في المساهمة في ضبابية هذا المفهوم وفي علاقته مع المفاهيم

¹ مصادر التفسير: تفسير القرآن بالقرآن، مساعد بن سليمان الطيار، مقالة على موقع الصفحة الرسمية

للكاتب من خلال الرابط الآتي: <https://cutt.us/OBIZb>

² علم أصول التفسير محاولة في البناء، مولاي عمر بن حماد، ص 117.

المتداخلة معه أو بالأحرى التي تتقاطع معه.

ومن خلال هذه التعريفات المنتخبة يظهر ابتداءً أنّ التنازع الدلالي والتداخل المفاهيمي بين كل من أصول التفسير وقواعده حاصل لا محالة في عدة تعريفات، إذ نجد عند خالد عبد الرحمن العك أنه جعل في تعريفه لقواعد التفسير بمعنى أصوله، حيث قسم كتابه الذي تقدم ذكره في ستة أقسام كلها معنونة بقواعد التفسير، فنجده يذكر في هذه الأقسام "قواعد التفسير في المنهج النقلي والعقلي، وقواعد التفسير في بيان دلالات النظم القرآني، وقواعد التفسير في حالة وضوح الألفاظ القرآنية وإبهامها ودلالاتها على الأحكام..."¹ وما دلّ على أنه أطلق القواعد ويريد بها الأصول، بل لا فرق عنده بينهما هو مناقشته ضمن هذه الأقسام التي وسماها بالقواعد قضايا مهمة من صميم أصول التفسير، ومن أبرزها مناهج المفسرين وضوابط توظيفها وشروط الاستفادة منها، مع مناقشة مسائل من صميم صناعة المفسر وتكوينه، وعليه فلا فرق عنده في إطلاق عبارة أصول التفسير أو قواعد التفسير.

في حين أنّ أصول التفسير لا يمكن حملها على أنها قواعد التفسير أو العكس، سواء من حيث ماهية المفهوم أو مجالات الاشتغال والوظائف بل حتى الغايات، فأصول التفسير أعم من القواعد، وهذا يتجلى من خلال المواضيع الدقيقة لكل مفهوم، فموضوع أصول التفسير هو العمليات التفسيرية من حيث هي وجعلها منضبطة ومحكومة بقوانين مع السعي لتطويرها والنهوض بها، في حين أنّ موضوع قواعد التفسير هو بيان مراد النص القرآني بشكل منضبط، فكلهما يسعى لتحقيق الضبط ونبذ التسبب، لكن الأصول تبقى أعم من خلال ما تقدم من التعريفات، فهي تشغل على العملية التفسيرية وقواعد التفسير من حيث الوضع والتوظيف ليظهر.

¹ ينظر: أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، ط2، 1406هـ-1986م.

أما عند لطفي الصباغ، والدكتور مولاي عمر بن حماد يلاحظ أنّ ما ضمته تعريفاتهما جاء قياساً على واقع مفهوم أصول الفقه، وذلك بجعل أصول التفسير يضع القواعد وكيفية الاستفادة منها من لدن المفسّر وحال المستفيد أي: ما يتعلق بشروط المفسر وآدابه، بالإضافة أنّ لطفي الصباغ أدرج في تعريفه إحدى الغايات النهائية لعلم أصول التفسير المتمثلة في فهم مراد الله التي هي بمثابة الثمرة الأخيرة للممارسة التفسيرية، وهذا الأخير- التعريف- لا يمكن أن ينتج لنا تعريفاً علمياً منضبطاً يمكن من خلاله إبراز المعالم الكبرى لبناء علم أصول التفسير على غرار العلوم التي استوت واشتد عودها.

أما عند الكافيحي فتجدر الإشارة أولاً أنّ الكافيحي لم يعبر بأصول التفسير بل عبر بعلم التفسير وهذا شأن العديد من المتقدمين، لكن "صنيعه داخل الكتاب يفهم منه أنه رام الحديث عن أصول التفسير من خلال محاولة النظر والتفكير لفكرة فهم كتاب الله"¹، أما من تأمل التعريف الذي أناطه بأصول التفسير قائلاً: "علم يبحث فيه عن أحوال كلام الله المجيد..." فنجدته تعريفاً عاماً يصعب من خلاله فهم الأصول التي تحكم الممارسة التفسيرية في حين أنّ الواقع العلمي لأصول التفسير أحوج ما يكون لتعريفات علمية منضبطة ومحرة بدقة يمكن البناء عليها دود أدنى حرج علمي.

أما عند الدكتور مساعد الطيار، والدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي فقد جعلوا أصول التفسير هي القواعد التي يتوصل بها إلى فهم مراد الله عزّ وجلّ، أي: علم أصول التفسير بمعنى القواعد، والأولى التفصيل والبيان فيما يقصد بقول: "الأسس والقواعد" هل هي قواعد التفسير المعهودة التي يكون من خلالها أصول التفسير مرادفاً للقواعد، أم هي قواعد جديدة تخص أصول التفسير دون غيره، والتي تجعله

¹ تأسيس علم أصول التفسير قديماً وحديثاً قراءة في منهجية التأسيس مع طرح مقارنة لتأسيس العلم، محمود خليل الحامدي، بحث على موقع مركز تفسير، ص 12.

غير مرادف لقواعد التفسير.¹

وما قيل في التنازع الحاصل بين أصول التفسير وقواعده يقال في أصول التفسير ومصادره حيث استعملت أصول التفسير بمعنى مصادر في كثير من الكتابات ومن ذلك ما نجده في كتاب (دراسات في أصول التفسير) لمحسن عبد الحميد، حيث عنوان كتابه بالوسم المذكور لكن في التمهيد المطول الذي صدر به كتابه وخصصه للحديث عن تطور تفسير القرآني الكريم خلال أربعة عشر قرناً، والذي بين من خلاله أنه سيسعى لمناقشة مصادر تفسير القرآن في ثلثي الكتاب مثل تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة وبأقوال الصحابة... مع القول في القضايا المتعلقة بكل مورد منها،² الشيء الذي يبرز معه استعمال أصول التفسير بمعنى مصادره وتقرير قضايا على ضوء هذا الترادف والتداخل، ونفس الشيء يقع في عدد من الأعمال العلمية وخاصة الأبحاث. خاتمة: وعموماً فإنّ ما تم الوقوف عليه في هذه المقالة هو بيان أنّ أصول التفسير

¹ تجدر الإشارة إلى بين الوقع العلمي العام للمفهومين، حيث يلقي كل متتبع ودارس لأصول التفسير وقواعده مدى حجم الاضطراب الذي يعاني منه كل من واقع الأصول والقواعد، بدءاً من المفهوم حيث لم يعرف كل من المفهومين تحريراً وبناءً منضبطاً تتخض عنه تعريفات تكون محل إجماع أهل هذا الشأن، وإذا غاب المفهوم غاب ما يبنى عليه، الشيء الذي صار معه لكل مفسّر ومؤلف نسق خاص يسير عليه في تحرير وبناء كل من أصول التفسير وقواعده مما يصعب الوقوف على خيط ناظم لكل الاتجاهات العلمية التي عنيت بهذا الطرح قديماً وحديثاً، بل صارت المفاهيم تتداخل فيما بينها وتستعمل دون أدنى تنبيه أو بيان ومن ذلك ما أشرت له في معرض بيان الفروق، أم من جهة القضايا التي يتناولها كل من أصول التفسير وقواعده وفقد اعترافاً أيضاً بنفس الضبابية والاضطراب، ومن ذلك على سبيل التمثيل وليس الحصر: غياب القوة المنهجية في الطروحات، أزمة التمثيل والتطبيق في معرض بيان الأصول التفسير وقواعده، طغيان النقل وقلة التحرير... للزيد حول هذا الشق ينظر: أصول التفسير في المؤلفات دراسة وصفية موازية المسماة بأصول التفسير، خليل محمود الجاني، محمود حمد السيد، باسل عمر المجادة، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط1، 1437هـ-2015م، التأليف المعاصر في قواعد التفسير دراسة نقدية لمنهجية الحكم بالقاعدية، محمد صالح محمد سليمان، خليل محمود الجاني، محمود حمد السيد، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط1، 1441هـ-2019م.

² ينظر: دراسات في أصول التفسير، محسن عبد الحميد، دار الثقافة، المغرب. د.ت.

وقواعد التفسير ومصادر التفسير لا تستقر على مفاهيم موحدة تكون محل إجماع أهل هذا الفن، بل يعاني الواقع العلمي لهذه المفاهيم تنازعاً دلاليًا وتداخلًا مفاهيميًا كبيراً جداً يصعب معه إيجاد خيط ناظم لهذه المفاهيم، ولا شك أنه إذا غاب المفهوم غاب ما يبنى عليه من قضايا ومسائل، الشيء الذي استنتجنا منه أن لكل مفسر ومؤلف نسقاً خاصاً ومسلكاً متفرداً يسير عليه في تحرير وبناء كل من مفاهيم أصول التفسير وقواعده ومصادره، فصارت المفاهيم تتداخل فيما بينها وتتنازع الدلالات وتستعمل بشكل واسع أو مضيق دون أدنى تنبيه أو بيان أو ضابط أو معيار موحد. وما تقدم فما هو إلا لشدّ الانتباه حول هذه المسألة التي تحتاج جهداً جهيداً من النظائر وأهل هذا الفن للخوض في بناء مفاهيم وتعريفات تكون محل إجماع وتراضٍ لهذه المصطلحات العلمية الدقيقة في مجالها من أجل تدارك هذا التدخل والمفاهيمي والتنازع الدلالي الذي يصير مع مرور الزمن إلى خلط مركب يصعب تداركه والتنبيه عليه. وإجمالاً للقول وتذكيراً بخلاصة المقال، فإنّ التداخل الحاصل في دلالات هذه المفاهيم يمكن رده إلى ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: ويشمل التداخل الحاصل في ذات المفهوم الواحد بحث يقحم المعرف أموراً عدة تتنازع فيما بينها بل أحياناً تتعارض ولا تسعف في بناء مفهوم منسجم أكثر انضباط يمكن التحاكم إليه عند الحاجة.

المستوى الثاني: ويشمل التداخل والتنازع الخارجي، أي: الحاصل في مفهوم معين إذا ما تمت مقارنته بمفهوم آخر حيث يصعب الجمع بينها أو إيجاد خيط ناظم لهما.

المستوى الثالث: ويشمل التداخل والتنازع بدائرة أوسع فيحصل هذا التداخل بين المفاهيم المتقاربة اللفظ والمتباينة المعنى كما هو الشأن بين أصول التفسير وقواعد التفسير ومصادر التفسير.

المصادر والمراجع

1. أصول التفسير وقواعده، خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، ط2، 1406هـ-1986م.
2. أصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرحمن الرومي، ط3، 1438هـ-2017م.
3. بحوث في أصول التفسير، لطفي الصباغ، ط1، 1408هـ-1988م.
4. أصول التفسير في المؤلفات دراسة وصفية موازية المسماة بأصول التفسير، خليل محمود اليماني، محمود حمد السيد، باسل عمر المجايدة، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط1، 1437هـ-2015م.
5. تأسيس علم أصول التفسير قديماً وحديثاً قراءة في منهجية التأسيس مع طرح مقارنة لتأسيس العلم، محمود خليل اليماني، بحث على موقع مركز تفسير.
6. التأليف المعاصر في قواعد التفسير دراسة نقدية لمنهجية الحكم بالقاعدية، محمد صالح محمد سليمان، خليل محمود اليماني، محمود حمد السيد، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ط1، 1441هـ-2019م.
7. التيسير في قواعد علم التفسير، محيي الدين الكافيحي، دراسة وتحقيق: ناصر بن محمد المطرودي، دار القلم ودار الرفاعي، ط1، 1410هـ-1990م.
8. دراسات في أصول التفسير، محسن عبد الحميد، دار الثقافة، المغرب، د.ت.
9. علم أصول التفسير محاولة في البناء، مولاي عمر بن حماد، دار السلام، القاهرة، ط1، 1431هـ-2010م.
10. فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار، دار النشر الدولي، ط1، 1419هـ-1993م.
11. مصادر التفسير: تفسير القرآن بالقرآن، مساعد بن سليمان الطيار، مقالة على موقع الصفحة الرسمية للكاتب من خلال الرابط الآتي: <https://cutt.us/OBIZb>

المبين

- السيد محمد سليمان أشرف البهاري¹

ترجمة من الأردوية: د. ضياء القمر آدم علي التيمي²

﴿6﴾

بقية الباب السادس

ثمَّ خذ كلمة (السراج)؛ فإنَّ مادتها (س ر ج)؛ فأَيُّ كلمة توافرت فيها حروف المادة هذه فلا بد من أنها تنبئ عن معنى الظهور والبروز بأيِّ وجه من الوجوه؛ نخذ- على سبيل المثال- الكلمات الآتية:

(سَرَج) هي الرحالة من جلودٍ ليس فيها خشب، يتخذ لركض الفرس؛ فكونها على ظهر الفرس ينبئ عن الظهور، وهو أظهر من أن يظهر.

سرج: الشيء الذي يدوم ويبقى على حاله.

سرجوج: الأحمق، والمحاذة، والأعمال؛ يظهر في كل منها معنى الإظهار.

سرجوجة: طبع الإنسان وشيمته؛ فإن ما في طبعه لا يبقى إلا ويظهر.

سرجت شعرها: هي مشطت شعرها وزينتها.

سرج وجهه: صار وجهه جميلاً ومتألئاً.

¹ الرئيس الأسبق لقسم العلوم الإسلامية بجامعة علي كره (الهند)

² أستاذ اللغة العربية وآدابها، بكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، بالجامعة المحمدية منصوره،

مالينغاون، مهاراشترا، الهند. 3333

سراج: المصباح.

ثم خذ كلمة (ملح) التي مادتها (م ل ح)؛ فإنّ الكلمات المشتقة من هذه المادة تحمل معنى الكثرة؛ منها:

ملحة: أمواج البحر.

أملح: أسود يختلطه أبيض.

ملح: الألم الخفيف في قوائم الفرس.

ملاح: الهواء الذي يسير السفينة.

ملح: معناه معروف.

يكثر استخدام المجرد والمزيد من هذه المادة أيضاً، مثل: الإملاح والتلميح والمخالحة والتلمح والاستملاح وغيرها. انظر صوراً مقلوبة لكل منها ومعانيها في الاشتقاق الكبير، تجد هناك الألفاظ والمعاني كليهما.

ثم القول (بأنّ العرب أخذت هذه الكلمات من العجم، ووضعت منها ألفاظاً متنوعة من الأسماء والأفعال وضعاً اشترك في جميعها معنى المادة الأصيل، وجرى فيها الاشتقاق، وجعل كلّ كلمة منها يبيدي ما لأجله وضعت) قول يشبه الهذيان.

الآن أنهي هذا البحث بعد أن دوّنت الأصول والضوابط، ووضح البحث بالأمثلة المختلفة. ومع ذلك إذا لم يقدر أحد على فهمه، فتقصيره لايؤول إلى البيان وإنما يؤول إلى القارئ والفاهم.

لا يستوي الأعمى والبصير: إنّ موضوع كتابي هذا ليس إلا أنّ اللغة العربية أقدم اللغات وأكملها، ولإظهار هذه الحقيقة تعرضت لبيان أنّ القواعد المحكمة التي وضعت لوضع الكلمات في اللغة العربية، وحدوث المعاني المختلفة؛ بسبب اختلاف الحركات

وانضمام الحروف الزوائد إلى الكلمة، ووفرة الألفاظ؛ بحيث لا يستطيع بشر استيعابها، ثم كمالها بأن تبقى ألفاظها حاملة للمعنى بعد أن تتعرض للتقليب، ثم التزامها بالقواعد التي في ضوئها يتعين الإعراب؛ أعني الفتح والكسر والضم، هذه كلها فضائل تثبت قدم اللغة العربية وكمالها في آن واحد.

إنّ ما يقال حيال قدم لغة وكمالها بالنظر إلى أشكالها ومبانيها لا يوجد هذا كله فقط في اللغة العربية، وإنما يوجد فيها أكثر من هذا؛ فإذا شهد نضجها وكمالها قدمها وعراقتها، فلم يساق الدليل على قدمها من الكتابات والأطالال؟

ولكن تقرر- ضمن هذا- أنّ اللغة العربية ليست مأخوذة من لغة أخرى؛ إذ لا تخلو لغة ماعداها من خلل ونقص، فلا تصاغ لغة ذات كمال من لغة ذات نقص، فلو ادعى أحد أنّ اللغة العربية مأخوذة من لغة أخرى فعليه أن يثبت أوصاف الكمال هذه في اللغة المأخوذة منها، مع العلم بأنّ المأخوذ منه لا بد أن يتوافر فيه من مزيد السمات والمزايا التي تميزه عن المأخوذ، ولكن لما ساوى إثبات هذا تصيير الليل نهاراً، فجرد القول بأنّ هذه الكلمة أو تلك من العربية جاءت متغيرة من لغة فلائية ليس إلا داءاً ذهنيّاً.

فإذا لم يمكن أن يقال ضجّات البكم خطابة فصيحة وبليغة فلن يؤتى بلغة أعجمية مكان اللغة العربية.

إنّا له لحافظون: إنه لمن الواقع أنّ العرب قبل ظهور الإسلام لم يشع فيهم تعليم ولا تعلم، ولم يعم فيهم اشتغال في تصنيف ولا في تأليف، ولم تكن هناك قواعد صرفية ولا نحوية في مجال صحة التكلم والتخاطب، ومع ذلك هم كانوا ينطقون بالعربية بكامل الصحة والكمال.

نعم، ولكن لما جاء الإسلام، وأنعم القرآن والأحاديث النبوية على لغة العرب حافظ على لغتهم إلى الأبد، فبدأت الأخطاء تقع في لغات محادثتهم، فبدأ وضع

القواعد وبدأت سلسلة الدراسة والتدريس، ومع هذا، ازدادت الأخطاء يوماً فيوماً. وبفضل القرآن الكريم والأحاديث النبوية، استغنت اللغة العربية التي تحمل مثل هذه الفضائل والمحاسن عن أهلها، وبقيت وتبقى مادام يبقى خدام علم الدين والشريعة في الدنيا- إن شاء الله تعالى.

ظلت اللغة العربية سليمة من نوائب الدهر وحوادثه كل السلامة؛ نزل القرآن الكريم بتلك اللغة، وأرشد خاتم النبيين بهذه اللغة. فلما نزل القرآن الكريم واكتمل تعليم النبي- صلى الله عليه وسلم- فلم تشعر بحاجة إلى محافظ ثالث؛ فكأن اللغة العربية أمانة تكفل بحفظها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فصارت محفوظة ومصونة من جميع العاهات.

فالآن لو تغيرت اللغة العربية، أو نُطقت بغيرها من الألفاظ والتعابير في أرض العرب أو تغيرت لغة أهل العرب تغيراً كاملاً فلا تتغير العربية، بل وإنها ستبقى في مكانها مصونة ومحفوظة.

لا أرى حاجة- هنا- إلى القول بأكثر من ذلك. كان المستشرقون يريدون أن يثبتوا أن اللغة العربية قد تعرضت لتغيير كثير في كل قرن، ليجعلوا هذا التغيير دليلاً على أن اللغة العربية لا تزال في حاجة إلى اكتمالها، ولم يكتمل بعد، ولكنهم لما عرفوا بفشلهم في مساعدتهم لم يجدوا سبيلاً سوى الاعتراف بأن هذه اللغة لم تنزل تنطق منذ آلاف سنين.

صرح البروفيسور وثنى في كتابه (دراسة اللغات)- بألفاظ جلية- أن اللغة العربية كانت تنطق بكامل قوتها وبلاغتها في أرض الحجاز في حين أن موسى- عليه السلام- كان يمر بأودية العرب مع بني إسرائيل؛ باحثاً عن الأرض الموعودة.

فلنخص جميع ما سبق من المناقشات أن ما قدمه المستشرقون- حتى الآن- من بحوث عن وجود اللغة، وتاريخها، وصياغتها، وارتقائها يمكن أن تكون ذات أهمية

تجاه اللغات الأعجمية، أما اللغة العربية فالنظر إلى هزازة أعلامهم فيها فإهانة للغة العربية وتقليل من شأنها، ودليل على قلة البصيرة والرؤية للناظرين إليها.

الهدف المنشود للمستشرقين: أول هتاف رفعه علماء الألسنة في أوروبا تدعيماً لما اختاروه من المسالك هو أنّ الإنسان تعلموا النطق من أصداء الكون، فهذه الدعوى وإن كانت مخالفة للعقل، إلا أنه كان وراءها هدف يهدفون إليه. ولذا غيّر المتأخرون عنوان البيان فقالوا: إنّ موهبة النطق في الإنسان طبيعية؛ فهم ليسوا بحاجة إلى أن يتعلموا درساً من أصوات الأكوان أو الحيوانات، إلا أن يقال إنّ ما نطقه الإنسان بموهبتهم- في بدو أمرهم- لم يكن ألفاظاً، وإنما هي حروف علة، ثم امتزجت هي بحروف صحيحة، فتكونت كلمة ذات حرفين، ثم جرت على الألسنة، وهكذا ازدادت أعداد الحروف الصحيحة حتى صارت تنطق بكلمات ذات أحرف خمسة، ولكن لم تتكون كلمة منها إلا وفيها حرف علة.

كان المتأخرون يريدون أن يوجهوا إلى الإنسان البكامة وعدم مقدرتهم على الكلام، حتى يحصل لهم المقصود، ولا يلزم منه إنكار قوة النطق الطبيعية التي هي بديهية. إنّ المتأخرين وإن كانوا- في الظاهر- أنكروا صياغة الألفاظ على أساس المحاكاة، ولكنهم باؤوا- في النهاية- بنتيجة تم ذكرها في الصفحات السابقة عند الحديث عن ازدهار اللغات.

الفرق بين ما رأى الفريقان أنّ المتقدمين لقد سعوا إلى تحقيق المصلحة الذاتية بغاية من التعصب لدرجة أنهم تجاهلوا حتى البدييات والمشاهدات، وأبدوا آراءهم دون اعتماد على أساس وضابط.

ولكن المتأخرين انتهزوا بساطة المبادئ والأسس وجعلوا هذا الكلام غير الأصلي أكثر مغالطة وتضليلاً. وأردت بالتأخرين ميكس مولر وسيس. ويبدو- في الظاهر- أنّ هذه الجهود العلمية التي تبذلها أوروبا كأنها خدمة عظيمة، ولكن إذا ألقينا نظرة

فاحصة على النتائج التي يريدون تحقيقها بقواعدهم غير المكتملة وبضوابطهم الوضعية، يتبدى لنا أنّ كل هذا الذكاء العلمي والذكاوة الجادة تبرز نفس النمط الذي تقوله الدول الأوروبية عندما تحتل الحصص الآسيوية وتهيمن عليها؛ فعندما أرادت الإمبراطورية الأوروبية غزو جزء من آسيا، كانت تقول دائماً بلهجة التعاطف إنّ الغرض وراء هذه الإغارة نشر الحضارة والثقافة وتعميم التّعليم، ولا تهدف حتى ولو ذرة من التفكير حول إقامة الحكومة والهيمنة.

ولكن ما هي الحقيقة وما هو الواقع؟ اسألوا أهل آسيا، واذهبوا إلى الأندلس وانظروا.

الحديث الحي يقول: الميت في القبر

ومنذ أن أصبح البحث عن اللغة هو مهنة العلماء الأوروبيين لم يظهر شيء آخر سوى أن أصبح الحديث عن خصائص وكمال اللغات الميتة أكثر ذكراً وأكثر شيوعاً. ولا مرأى في أنّ ضعف الميت وعيوبه بعد الموت يصرف النظر عنه، بل حتى أصغر فضله وأقلّ حسنه يصبح فضيلة عظيمة تجذب القلب وتستميله.

ثم إذا أقام علماء أوروبا اليوم الحداد على اللغات الميتة، أو نظموا مجلس عزاء، وتذكّروا أصغر صفاتها على أنها أكملها، فلا عجب في ذلك. بل العجب على الإيمان السعيد لأهل الشرق الذين يواصلون ترك جبهاتهم معتبرين فنههم حقيقة وواقعاً.

حتى لو بكيت على ميت أو حزنت عليه أو تذكّرت به بأحسن الكلمات ليس لدي أيّ اعتراض على ذلك، ولكن خنق الأحياء في هذا البؤس، وتدمير مزاياهم ليس ولاءً للهوتى ولا وفاء بهم، وإنما ذلك مما يتسبب للوحشة والقسوة تجاه الأحياء.

لقد ماتت اللغتان العبرية والسريانية منذ زمن طويل، لكن مدح الأوروبيين وراثتهما لهما قد أثرا تأثيراً كبيراً حتى يقال اليوم إنّ تعلم اللغة العربية لا يكتمل بدون معرفة بالعبرية والسريانية.

اللغة السنسكريتية التي تعتبر لغة ميتة- منذ فترة طويلة- يريد علماء أوروبا تجاهها اليوم أن يؤكدوا أنه لا توجد لغة في الدنيا أكثر اكتمالاً من اللغة السنسكريتية. وا عجباً أن جميع لغات العالم مأخوذة من اللغة السنسكريتية نفسها؟

إنّ أهل اللغة السنسكريتية سعداء، ببحث إنهم يرون أنّ لغتهم الدينية تحظى بالاعتراف من أوروبا، لكن في الواقع تتم إزالتها أيضاً من جبهتها تدريجياً.

هذه حقيقة لا شك فيها أنه لا شيء من الشرق يمكن أن يشرق بأيدي الغرب، إذا لم تصدق ذلك اليوم، فسوف تندم غداً.

حسناً، لا علاقة لي بتلك المناقشة، وقد سقت هذه الجمل القليلة أيضاً على سبيل المثال. ولا أريد إلا أن أقول إن ماكس مولر، المعروف كعالم لغوي عظيم حاول في الآونة الأخيرة تعريف لغة أجنبية أيضاً، وكان الغرض منه ما سبب معنى الكلمة؟، ولم حملت كلمة فلاينية معنى فلانيا؟ ولكن بعد أن سار بضع خطوات أخرى، أدرك أنه مهما علّم حيوان أو شخص آخرس، فإنه لا يستطيع أن يتكلم مثل الرجل.

ومن المثير للدهشة أن معرفة علماء أوروبا باللغة العربية وعلومها تعتبر عالية جداً، لدرجة أنه إذا لم تكن شهاداتهم العلمية مخنومة من ألمانيا أو إنجلترا، فلا يشك فيها في المؤسسات التعليمية في الهند. ثم ما السبب في أنّ أمثال هؤلاء يبحثون عن الفضائل في غير العربية ولا يبحثون عنها في العربية؛ مع أنّ هذه الفضائل موجودة في العربية؟! لأنّ منهم من يريد أن يقلب اللغات الأعجمية ويراهها ذوات معانٍ، ومنهم من يريد معرفة ما يحدث في اللغات الأعجمية من معانٍ، ودلالاتها على مفهوما. لكن ليس هناك أحد يبحث عن نفس الصفات في اللغة العربية، ولا أحد يقول بأنّ هذه الصفات موجودة في العربية أيضاً. وفي هذا المقام، أنا أرى حاجة ماسة إلى ترجمة بعض نصوص ماكس مولر حرفياً؛ فهو يقول:

"إنّ جميع الأشياء التي تعتبر لازمة للقواعد- إذا أزيلت- تعدّ مصطنعةً وصالحة للفهم

في الألفاظ، ومع ذلك، تظل هناك أشياء معينة ليست مقيدة بقواعد، ولا هي نتيجة لفن النحو، ولا هي مفهومة، نحن نسميها- حالياً- بالمادة والعنصر الجوهري.

خذ- على سبيل المثال- كلمة (historically)؛ فإذا حذفنا الجزء الأخير من الكلمة وهو لي (ly)، ثم علامة اسم الصفة الـ (al)، تبقى (Historic) التي تقال في اللاتينية (Historicus)، وهنا يمكننا أيضاً أن نزيل الجزء الأخير (cus)؛ فعلم أنّ (Historicus) مأخوذة من: (Historia) أو (Histor).

ثم إنّ (Historia) تكونت بعد إضافة (ia) إليها، ثم يتكون الاسم المجرد منها (Histor). إنّ كلمة (Histor) يونانية، وهي شكل مشوّه لكلمة (Istor). على كل حال فإنّ كلّاً من الوجهين مستعمل.

إنّ استخدام (spiritus lenis) مكان (Spiritus lenis) استخدام ينسب لجرد تأثير الهمزة. ثم تجزأ كلمة (Istor) إلى اس (Is) وتر (tor)، وتر (tor) صيغة المفرد لاسم الفاعل، وهي مأخوذة من: تر (Tar) مثل: داتار (Da-tor) في اللاتينية، و-Da Tar في السنسكريتية، وDo-ter في اليونانية، فالعنصر الجوهري فيها هو: اس (Is)، واس (s) في: اس Is مكان الدال (d)؛ إذ الدال (d) في اللغة اللاتينية إذا جاءت قبل التاء (t) تقلب سينا (s).

وهكذا يمكننا الوصول- في النهاية- إلى مادتها (id)، التي تقال في اليونانية (Oida) وفي السنسكريتية (vida)، وفي الإنجليزية (To wit) بمعنى العلم.

ولذا فإن كلمة (Histor) صار معناها (عالم) أو (واجد)، وصار معنى (Historia) العلم والمعرفة.

أما كلمة (vid) فلا يمكننا أن ننطلق وراءها، ولا يمكننا أن نقول: لماذا صار معنى (vid) الرؤية والحصول والعلم؟ فلو مرزجنا (vid) بـ vi الذي يحمل معنى (الفرقة)،

وجعلنا (vid) حاملة معنى التوزيع والتفريق والرؤية فلا يحصل لنا أكبر فائدة، صحيح أنّ معنى المطابقة هذا يتوافر في حرف الجر bin في اللغة العبرانية الذي يحمل معنى (الوسط) ومصدره bin الذي يحمل معنى العلم والمعرفة، ولكن هنا مرة أخرى يطرح نفس السؤال: كيف صار معنى bin الوسط؟

ولذلك لا يمكننا حل هذه المسألة عن طريق التحليل الاشتقاقي بأيّ حال من الأحوال. وبعد قراءة الكلام المذكور ودراسته كاملاً هل يستطيع أحد أن يخبرني: ما قاعدة حذف بعض أجزاء الكلمة؟ أو إلى أيّ قاعدة اشتقاقية اهتدينا؟ لو أخبرني لفهمت أنني لم أتمكن من الفهم بسبب تقصيري في الفهم. ولكنني سأظل أؤكد أنّ كل هذا الجهد قد تمّ بذله؛ ليطلع على السبب الذي لأجله دلّت الكلمة على معناها.

لا يدري أين وأين سير؟ سير في أودية اللاتينية والسنسكريتية والعبرانية، ولكن لم يُظفر بالعثور على أنه لم صار معنى العلم المعرفة؟

نعم، لقد عرفنا مما سبق أنّ المؤلف يلمّ بعدة لغات، وله قدرة تامة على أن ينقل كلمة واحدة بعد أن يمرّها بلغات مختلفة إلى مسارٍ واحد، ولكن الغرض الذي من أجله قام بهذه الرحلة لا يزال غير حاصل.

إنّ البروفيسور المذكور غاضب جداً على أن يثبت علماء الأوربا في القرن السابع عشر والثامن عشر قدم اللغة العبرانية ويجعلوها مصدراً لجميع لغات العالم.

ولذلك لا أجرؤ على القول بأنّ هناك طريقاً كان أقرب وأسهل منه للوصول إلى اللغة العربية، ولو وصّلت كلماتها إلى ما وصلوا الكلمات الأعجمية من الخصائص لكان الهدف ناجحاً؛ لأنّ كل كلمة في اللغة العربية تصرّح بوضوح مناسبتها للمعنى. وقد مضت على ذلك أمثلة كثيرة فيما أعلاه، ولكن الآن تُذكر تلك المناسبة بطريقة أكثر دقة وعمقاً.

دلالة الشعر إلى قواعد نحوية بديعة

- د. أوزنك زيب الأعظمي¹

علوم العربية تنقسم إلى قسمين بارزين؛ قسمٌ نضجٌ فلا يمكن أيّ إبداع فيه ولا تجديد، وقسمٌ يمكن فيه الإبداع والإنتاج والتجديد فن العلوم التي حكموا عن نضجها وعدم إمكانية الإبداع فيها قواعد اللغة العربية فقال العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى: "إنّ الشوكاني قسم العلوم الإسلامية إلى ثلاثة وهي: علم نضج واحترق، وعلم نضج وما احترق، وعلم ما نضج وما احترق" ثم قال: ويأتي في العلم الذي نضج واحترق علم النحو وعلم الحديث كما اعتقد، وليس فيه مجال للإضافة ولا مكان لكلمة (قيل وقال) في علم النحو".²

ولكن أجد، رغم هذا الحكم العام، محاولات التجديد والإبداع فقام الدكتور شوقي ضيف بتأليف كتاب "تجديد النحو" كما قام العلامة عبد الحميد الفراهي بتأليف كتاب "الدرّ النضيد في النحو الجديد" وفي زمننا قام العلامة الدكتور فاضل السامرائي بتأليف كتاب "تحقيقات نحوية"، وهذه إضافة إلى محاولات تسهيل النحو العربي التي ليست من غايي.

وسيراً على هذا الدرب التجديدي والتحقيقي بل والإبداعي درستُ الشعر العربي فيما درستُ، وفزتُ، والحمد لله على هذا، بقواعد نحوية جديدة لم يسبق إليها في كتاب نحوي قديم، وهي كما يلي:

1. مجيء الفعل بعد (إنّ) المشددة: جاء في كتب النحو أنّ (إنّ) المشددة تدخل

¹ مدير تحرير "مجلة الهند" وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المليية الإسلامية، نيو دلهي

² مجلة الهند، 61-60/3/7

على المبتدأ والخبر، والمبتدأ يكون اسماً. ثم سكتت هذه الكتب. ولكنني وجدتُ، حين تتبعي للشعر العربي، نماذج دخلت فيها (إنّ) على اسمها وهو فعلٌ لا اسمٌ فقال عدي بن عامر مثلاً:

وَإِنَّ بَنَا يُسْتَقْبَلُ الأَمْرُ مُقْبِلًا وَإِنْ نَحْنُ أَدِيرْنَا عَنِ الأَمْرِ أَدِيرًا¹
وقال حباب بن عمار السحيمي:

يَا نَصْرُ إِنَّكَ لَوْ أَبْصَرْتَ مَشْهَدَنَا أَيْقَنْتَ أَنَّ إِلَيْنَا يَنْتَهِي الكَرَمُ
قَوْمٌ كَرَامٌ يَرُونَ المَوْتَ مَكْرَمَةً إِذَا العَذَارَى بَدَا عَنْ سَوْقِهَا الخِدمُ²
وقال قراد بن العيَّار:

وَمَوْلَاكَ مَوْلَاكَ الَّذِي إِنَّ دَعْوَتَهُ أَجَابَكَ طَوْعًا وَالدَّمَاءُ تَصَبَّبُ
فَلَا تَخْذُلِ المَوْلَى وَإِنْ كَانَ ظَالِمًا فَإِنَّ بِهِ تَنَائِي الأُمُورِ وَتَرَأَبُ³
وقال كشاجم:

إِنَّ يُفَنِّ كَأْسُكَ أَكْيَاسِي فَإِنَّ بِهَا يَفُلُّ جَيْشُ هُمُومِي جَيْشُ أَفْرَاحِي⁴
وتؤيد هذه القاعدة نصوصٌ نثرية أيضاً فقال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "... فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشقّ تمرّة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة، فَإِنَّ بِهَا تُجْزَى الحَسَنَةُ عَشْرَ أمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٌ".⁵

وقال قيس بن زهير يوصي بني النمر بن قاسط: "... إِنَّ لَكُمْ عَلَيَّ حَقًّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ

¹ موسوعة شعراء العصر الجاهلي، ص 200

² موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 109

³ موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 259

⁴ ديوانه، ص 88

⁵ جمهرة خطب العرب، 55/1

أوصيكم، فأمركم بخصال وأنهاكم عن خصال؛ عليكم بالأناة فإن بها تُدرَكُ الحاجة وتُنال الفرصة¹.

وقال أيضاً: "... وعليكم بالوفاء فإن به يعيش الناس".²

وقال النعمان بن بشير: "فاتقوا الله عباد الله ولا تسارعوا إلى الفتنة والفرقة، فإن فيهما يهلك الرجال وتُسْفِكُ الدماء وتُغْصَبُ الأموال".³

فظهر من هذه الشواهد أنّ (إنّ) يمكن دخولها على الفعل أيضاً ولكن بشرط أن يتأخر عن الخبر، وشأنه في هذا شأن اسمه الذي يمكن أن يكون نكرة بشرط أن يتأخر عن الخبر.

2. دخول (من) على الفاعل: مما عمّ وشاع أنّ (من) تدخل على المفعول به ويشهد عليه الشعر العربي فقال تأبط شراً عن الشنفرى:

قضى نجه مستكثراً من جميله، مُقلّاً من الفحشاء، والعرض وافر⁴
وقال المنخل بن الحارث البشكري:

ولقد شربت من المدا مة بالصغير وبالكبير⁵
وقال النابغة الذبياني:

فداء ما تُقِلُّ النعلُ مني إلى أعلى الذؤابة للهمام⁶
ولكن ما سمعت أنّ (من) تدخل على الفاعل أيضاً. وأذكر لكم طرفاً من الشواهد

¹ جمهرة خطب العرب، 291/1

² جمهرة خطب العرب، 291/1

³ جمهرة خطب العرب، 30/2

⁴ ديوانه، ص 81

⁵ شرح ديوان الحماسة، 382/1

⁶ ديوانه، ص 65 وأساس البلاغة: قلل

دخلت فيها (من) على الفاعل فقال امرؤ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلٍ بسقط اللوى بين الدخول فغومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب¹ وشمأل¹
وقال امرؤ القيس أيضاً:

لقد كنتُ أسبي الغيدَ أمردَ ناشئاً ويسبيني منهن بالذلّ والمقل²
وقال أبو دهب الجمحي:

فما نام من راعٍ ولا ارتدّ سامرٌ من الحيّ حتى جاوزت بي يلبها³
وقال طفيل الغنوي:

نولّها الصريحَ إذا شتونا على علاتنا ونلي السمارا
رجاءً أنْ تؤدّيه إلينا من الأعداء غصباً واقتساراً⁴
وقال الفرزدق:

فما يهتدي بالعين من ناظرٍ بها، ولكنما تهدي العيونَ قلوبها⁵
وقال الفرزدق أيضاً:

وما منعنا دارها من قبيلةٍ إذا ما تميمٌ بالسيوف استظلت⁶

¹ ديوانه، ص 110

² ديوانه، ص 146، غيد: نساء حسان دلال، مقل: عيون.

³ ديوانه، ص 107

⁴ كتاب الأشباه والنظائر للخالدين، 361/2

⁵ ديوانه، ص 64

⁶ ديوانه، ص 106

وقال أبو ذؤيب الهذلي:

ألا زعمتُ أسماءُ أن لا أحبّها فقلت: بلى، لولا ينازعني شغلي
جزيتك ضعف الودّ لما شكيتني وما إن جراك الضعف من أحد قبلي¹

وقال كعب بن معدان الأشقري:

وما تجاوز باب الجسر من أحد وعضت الحرب أهل العصر فانجحروا²

وقال عبد الله بن معاوية:

ما نالني من غنى يوماً ولا عدمٌ إلا وقولي عليه الحمد لله³

وقال نافع بن الأسود:

ما كان يعدله في الناس من أحد ولا يوازيه في نعمى وإرصاد⁴

وقال مشمت بن عبده:

وما أنا بالساعي إلى أمّ عاصم لأضربها إني إذن لجهول
لك البيت إلا قينة تحبسنيها إذا حان من ضيف عليّ نزول⁵

وتؤيد هذه القاعدة نصوص ثرية فقال تعالى: "مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدِّثٍ إِلَّا
أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢٠﴾". (سورة الأنبياء)

وقال: "وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ

¹ ديوان الهذليين، 35-34/1

² مجلة المورد، 2/5/صيف 1976م، ص 93

³ موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 197

⁴ مجلة المورد، 1982/1/11، ص 112

⁵ موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 309

يَقُومُ عِبَادُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَرَزَقَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾.

(سورة العنكبوت)

وقال: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" ﴿٣٩﴾. (سورة النور)

وقال أيضاً: "مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَجِرُّونَ" ﴿٤٠﴾. (سورة المؤمنون)

وقال: "إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" ﴿٤١﴾. (سورة فاطر)

وجاء في نفس السورة: "أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا" ﴿٤٢﴾. (سورة فاطر)

"وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَرْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ" ﴿٤٣﴾. (سورة فاطر)

ومن هذا النوع دخولها على نائب الفاعل كما قال الشماخ بن خليف:

ذاق المنية آبائي فقد ذهبوا وقد أرى بعدهم أني ملاقيها
وما تَوَخَّرَ من نفسٍ وإنْ حرصتُ على الحياة إذا ما جاء داعيها¹

¹ موسوعة شعراء العصر الجاهلي، ص 160

وقال كثير:

ومن نشرها ما حُمِلَتْ من أمانةٍ ومن وأياها بالوعد ثم انتقاه¹
وأما قوله تعالى: "وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا
فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥١﴾". (سورة الأنعام) ف"من" في "وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ..." تتعلق
ب"ما" لا بالفعل.

ومثل هذا يقع في الفاعل وفي المفعول كما قال عامر بن خالد بن جعفر:

سءاك ما سرّك مني من خُلُقٍ دونك ما استسقيته فاحس وذق²
وقال مزاحم العقيلي:

خليلي، هل من حيلة تعلّمتها يقرب من ليلى إلينا احتيالها³
وقال أعشى همدان:

وما أحدثوا من نعمةٍ وعظيمةٍ من القول لم تصعد إلى الله مصعداً⁴
وليس هذا بل نجد (من) داخلة على غير هذا من الأشياء مثل: دخولها على خبر
كان وليس كما قال الراعي النميري يهجو عدي بن الرقاع العاملي:
لو كنت من أحدٍ يهجي هجوتكم يابن الرقاع ولكن لست من أحد⁵

¹ ديوانه، ص 97

² كتاب الوحشيات، ص 51

³ شعره، ص 122

⁴ ديوانه، ص 102

⁵ ديوانه (واضح الصمد: وص)، ص 101 ولسان العرب: رقع وديوان عدي بن الرقاع العاملي، ص 71

3. تكرر (ما): قرأنا في كتب النحو أنَّ (لا) عندما تدخل على الفعل الماضي مكرراً فيمكن تكرارها وكذا مجيء (لا) و(ما) مثلاً: قال الراعي النميري:

فلا حملتُ أنثى ولا آبَ غائبٌ ولا ولدتُ أنثى إذا ماتَ خالدٌ¹

وقال جنادة بن عامر الهذلي:

لعمرك ما وفي ابنُ أبي أنيسٍ ولا خام القتال ولا أضاعا²

قال ضرار بن ضبّة:

وما شكرتُ حُرثانُ نعمةَ ناعمٍ ولا أدركتُ من دمنّةٍ عند وائر³

وما قالوا أنَّ (ما) تتكرر على الفعل الماضي ولكن وجدتُ شواهدَ عديدة في الشعر العربي تؤيد ما ادّعي فقال أبو قيس بن صيفي:

لقد رأيتُ بني عمرو فما وهنوا عند اللقاء وما همّوا بتكذيب⁴

وقال الربيع بن زياد العبسي:

جنيّة حربي جناها فما تُفَرِّجُ عنه وما أسلها⁵

وقال الراعي النميري:

أزرى بأموالنا قومٌ أمرتهم بالعدل فينا فما أبَقُوا وما قصدوا⁶

¹ ديوانه (وص)، ص 97

² موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 104

³ قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب، ص 73

⁴ ديوانه، ص 70

⁵ شرح ديوان الحماسة، 1/187

⁶ ديوانه (وص)، ص 89

وقال جنادة بن عامر الهذلي:

لعمرك ما وني ابن أبي أنيسٍ وما خام القتال وما أضاعا¹

وقال حسّان بن ثابت الأنصاري:

أعطوا نبيّ الهدى والبرّ طاعتهم فما ونا نصرهم عنه وما نزعوا²

وقال سنان بن الفعل الطائي:

وقبلك ربّ خصمٍ قد تمالوا عليّ فما هلعتُ وما دعوتُ³

وقال حسّان بن ثابت الأنصاري:

فما منع العيرُ الضروطُ ذماره وما منعتُ مخزاةً والدها هندُ⁴

وقال سويد بن كراع العكلي:

لا يُبعد الله من يعطي الجزيل ومن يحبو الخليل وما أكدي وما صلدا⁵

وقال جرير:

وما زادني بعدُ المدى نقضَ مرّةٍ وما رقّ عظمي للضروس العواجم⁶

وقال جرير أيضاً:

وما شكرتُ تيمٌ لقومٍ كرامةً وما غضبتُ تيمٌ على من يهينها⁷

¹ ديوان الهذليين، 30/3

² شرح ديوانه، ص 204

³ شرح ديوان الحماسة، 416/1

⁴ شرح ديوانه، ص 135

⁵ عشرة شعراء مقلّون، ص 91

⁶ ديوانه، ص 457

⁷ ديوانه، ص 483

وقال سلامة بن عامر القشيري:

فما طعمت عيناى نوماً للذة وما زالتا من ذكره تكفان¹

وقال ابن ميادة:

إني وإن قال أقوامٌ مديحهم فأحسنوه وما حابوا وما كذبوا²

وقال القطامي:

ولقد نزلتُ بها فما أحمديها عند المبيت وما ذممتُ قراها³

وقال سويد بن كراع العكلي:

لا يبعد الله مَنْ يعطي الجزيلَ وَمَنْ يحبو الخليلَ وما أكدي وما صلدا⁴

وحتى أجدها تتكرر مع الحال فقال امرؤ القيس:

تلك المنايا فما يُيقنَ من أحدٍ يكفتنَ حمقى وما يُيقنَ أكياسا⁵

وقال زهير بن أبي سلمى:

وقد كنتُ من سلمى سنين ثمانياً على صيرٍ أمرٍ ما يمرّ وما يحلو⁶

وقال الشاعر:

ألا يا قتلُ، قد خلقتُ الجديدُ، وحبك ما يُحشّ وما يبيد⁷

¹ شعر الخوارج، ص 186

² شعره، ص 60

³ ديوانه، ص 118

⁴ مجلة المورد، 1979/1/8، ص 152

⁵ ديوانه، ص 84

⁶ ديوانه، ص 83

⁷ لسان العرب: مح

بل وهي تتكرر مع الاسم فقال الكميت الأسدي:

فما لي إلا آل أحمد شيعه¹ وما لي إلا مشعب الحق مشعب¹

وقال الأعشى الكبير:

أرقت وما هذا السهاد المورق وما بي من سقم وما بي معشق²

وقال ذو الإصبع العدواني:

عني إليك فما أُمي براعية³ ترعى المخاض، وما رأيي بمغبون³

وقال سراقه البارق:

فما أنا في طول الحياة براغب وما أنا إذ بانوا لدهر بواق

فما أنا بالواني ولا عاجز القوى ولا نزق يخشى أذاتي مرافقي

ولا لاطم وجه ابن عمي سفاهة⁴ ولا أنا بالعوراء يوماً بناطق، ديوانه⁴

وقال المخبل السعدي:

وما للعظام الراجفات من البلى دواء⁵ وما للركبتين طبيب⁵

وقال مفروق بن عمرو الشيباني يرثي إخته قيساً والدعاء وبشراً الذين قتلوا في غزوة بارق:

أبكي على الدعاء في كل شتوة، ولهفي على قيس، زمام الفوارس

فما أنا، من ريب الزمان، بجبأ⁶ وما أنا، من سيب الإله، بآيس⁶

¹ ديوانه، ص 517

² ديوانه، 461/2

³ ديوان المفضليات، ص 260

⁴ ص 55-56

⁵ المخبل السعدي حياته وما تبقى من شعره، ص 123

⁶ لسان العرب: سيب

4. دخول "الباء" على خبر "كان" وأخواتها: قرأتُ في كتب النحو أنَّ "الباء" تدخل على خبر "ليس" أو "ما" التي تدلّ على "ليس" كما أنها تأتي على "لا" عند تكرارها مع "ليس" أو "ما" وكذا أنها تحذف بعد "لا" جارة الخبر حين التكرار. وكذا أشاروا أنها أيضاً تدخل على النواسخ ولكنهم لم يستدلوا إلا على "كان" المنفية فعده البعض عاماً بينما الأغلبية عدّوه من الشواذ فقال ابن مالك:

وبعدما وليس جرّ البا الخبر وبعد لا ونفي كان قد يُجرّ¹
فاستعمال "قد" في "قد يجرّ" يدلّ على أنّ ابن مالك عدّه من النوادر.²

وقال الحسن بن قاسم المرادي: "وقد وردت زيادتها في خبر "لا" أخت "ليس" كقول سواد بن قارب:

كُن لي شفيعاً، يوم لا ذو شفاعةٍ بمُغنٍ فتيلًا، عن سواد بن قارب
وفي خبر فعل ناسخ منفي، كقول الشاعر:

وإنْ مُدَّتْ الأيدي إلى الزاد لم أكنْ بأعجلِهم إذ أشجعُ القوم أعجل
وظاهر كلام بعضهم أنّ هذا يجوز القياس عليه".³

ولعل السبب في عدم استشهادهم على النواسخ الأخرى مثل "أصبح" هو: أنهم لم يعثروا على شاهد في الشعر العربي على النواسخ الأخرى غير "كان". ولكنيّ عندما

¹ شرح الكافية الشافية لابن مالك الطائي، 436/1

² وقال السيوطي: "وقد تزداد (الباء) بعد نفي فعل ناسخ ولا، ومنع قياسهما ابن عصفور"، جمع الهوامع، 125/2 وقال أيضاً: "وقد تزداد الباء في خبر فعل ناسخ منفي نحو: لم أكن بقاءم" ثم ذكر بيت الشنفرى، جمع الهوامع، 127/2، وقال فاضل السامرائي: "تدخل الباء الزائدة على أخبار ليس، وما، ولا، وكان المنفية، لتأكيد النفي". معاني النحو، 260/1

³ الجني الداني، ص 54 وكذا انظر: شرح الكافية الشافية لابن مالك الطائي، 436/1، وتوضيح المقاصد والمسالك، 508-510، والمقاصد النحوية، 652/2-654

كنت أتصفح دواوين الشعراء وجدت بضعة من الشعراء أدخلوا "الباء" على خبر "كان" وأخواتها بما فيها "أصبح" حينما جعلوها منفية بـ"ما" أو بـ"لم". فقال مهلهل بن ربيعة خال امرئ القيس:

يا أيها الجاني على قومه ما لم يكن كان له بالخليق
جناية لم يدر ما كنهها¹ جانٍ ولم يصبح² لها بالمطيق
كقاذفٍ يوماً بأجرامه في هوة ليس لها من طريق
من شاء ولّى النفس في مهمه ضنكٍ ولكن من له بالمضيق
إنّ ركوبَ البحر ما لم يكن ذا مصدرٍ من تهلكاتٍ³ الغريق⁴
فأدخل المهلهل "الباء" على خبري "كان" و"أصبح" كما رأينا في عجز البيت الأولين
"ما لم يكن كان له بالخليق" و"جانٍ ولم يصبح لها بالمطيق".

وقال الفند الزماني:

ليس من جرب يوماً حربنا كان للعودة فيها بالحقيق⁵
وقال الشنفرى:

وإنّ مُدَّتِ الأيدي إلى الزاد لم أكنّ بأعجلهم إذ أشجعُ القوم أعجل⁶
ف"لم أكنّ بأعجلهم" أي ليس بأعجلهم.

¹ ويروى: "جناية ليس لها بالخليق". ديوانه، ص 53

² ويروى ولم يضح ---". (ديوانه، ص 53).

³ ويروى: من مهلكات ---". (ديوانه، ص 53).

⁴ جمهرة أشعار العرب، ص 458-459 وديوانه، ص 53

⁵ عشرة شعراء مقلّون، ص 17

⁶ ديوانه، ص 59، شرح ابن عقيل، 310/1، والدرر اللوامع، 101/1، وشرح شواهد المغني، 899/2

وقال عبيد بن الأبرص:

يا صاح، مهلاً، أقلّ العذلَ يا صاح ولا تكوننّ لي باللائم¹ اللاحى

وقال زيد الخيل:

لا تذيلوه فإني لم أكن يا بني الصيدا لمهري بالمذيل²

وقال الحطيئة:

فإلا يكن مالي بآتٍ فإني سيأتي ثنائي زيدا بن مهلهل³

وقال الفرزدق:

ومن آل عتاب الرديف ولم يكن لهم عند أبواب الملوك بشاهد⁴

وقال العباس بن الأحنف:

ما كنتُ، أيامَ كنتش راضيةً عني، بذاك الرضا بمغتبط⁵

وقال الشاعر:

إذا أنت لا يثنيك إلا شفاعةٌ فلا خيرَ في ودٍ يكون بشافع⁶

فأدخل كل من الفند والشنفري وعبيد وزيد الخيل والحطيئة واليشكري والفرزدق والعباس "الباء" على خبر "كان" في "ولا تكوننّ باللائم"، "فإلا يكن مالي بآتٍ"، "ما

¹ ديوانه، ص 42، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، 296/1 واللاحى: اللائم

² ديوانه، ص 94

³ الأغاني، 191/17، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، 296/1 وفي ديوانه (ص 167):

إن لا يكن مالٌ يُثابُ فإنه

⁴ ديوانه، ص 150

⁵ ديوانه، ص 168

⁶ شرح ديوان الحماسة للهرزوقي، ص 217

كنت بمعيب" و"لم أك بمجيب" وما كنت بمغتبط".

وكذا قال الرماح بن ميادة (ت 149هـ):

وإني لزوار لمن لا يزورني إذا لم يكن في ودّه بمريب¹
تقرب لي دار الحبيب وإن نأت وما دار من أبغضته بقريب
فلا تطلبنّ القرب، والبعد بعدما إلى غير نياتٍ وغير قلوب²
فالرماح أيضاً أدخل "الباء" على خبر "كان" في عجز البيت الأول "إذا لم يكن في ودّه بمريب".

وملخص القول أنّ الشواهد العربية التي نقلتها تثبت أنّ كبار شعراء الجاهلية والإسلام (مهلهل والشنفري وعبيد بن الأبرص وزيد الخليل والحطيئة وعبيدة الشكري والفرزدق والرماح) قد أدخلوا "الباء" على خبر "كان" وأخواتها إذا جاءت منفية بـ"ما" أو "لم"، وعلى هذا فيمكننا أن نعتبره أصلاً من أصول النحو العربي لا من النوادر والشواذ كما ظنّه بعض النحاة.

5. وقوع الحال عن المجرور: أشكل على النحويين وقوع الحال عن المجرور فأخطأوا فيه،³ ولكنه شائع في كلام العرب والقرآن الكريم فقال علقمة الفحل: وما أنت أم ما ذكرها ربعيةً تحلّ بأير أو بأكاف شرب⁴ فـ"ربعيةً" حال عن الضمير المجرور في "ذكرها".

وقال النابغة الذبياني:

عهدتُ بها حياً كراماً، فبدلتُ خناطيلَ آجالِ النعام الجوافل⁵

¹ وهذا البيت أيضاً معزوّ لابن الحاج، محاضرات الأدباء، ص 259

² شعره، ص 86

³ أساليب القرآن، ص 41

⁴ ديوانه، ص 20

⁵ ديوانه، ص 127

ف"حيًا كرامًا" حال عن الضمير المجرور في "بها".

وقال عنتره بن شداد العبسي:

ولولا يدُ نالته منّا لأصبحتُ سباعٌ تهادى شلوّه غير مُسند¹

ف"غير مُسند" حال عن الضمير المجرور في "شلوّه".

وقال زهير بن أبي سلمى:

تسمع للجن عازفين بها تضبح، من رهبة، ثعالبا²

ف"عازفين" حال عن المجرور في "للجن".

وقال الشاعر الجاهلي عوف بن عطية:

فإذا قمرتُ اللحمَ لم أنظر به نيتًا كما هو ماؤه، شرق الغد³

قال الشارح: "نيتًا" حال عن الضمير في "به".

وقال عمرو بن كلثوم:

ولو غيري يجيء به أسيرًا لنال به رغبة ذخر دهر⁴

ف"أسيرًا" حال عن الضمير المجرور في "به".

وقال عمرو بن كلثوم أيضًا:

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مُصفدين⁵

¹ ديوانه، ص 67

² ديوانه، ص 28

³ ديوان الأصمعيات، ص 170

⁴ ديوانه، ص 47

⁵ جمهرة أشعار العرب، ص 292

ف"مصفدينا" حال عن المجرور في "بالمملوك".

وقال الشاعر الجاهلي أبو جندل الطائي:

حتى وقيتُ بها دهماً معقّلة كالقار أردفه من خلفه قار¹

ف"دهماً" حال عن الضمير المجرور في "بها".

وقال الشاعر الجاهلي يزيد:

فللهوتُ خير للفتى من قعوده عديماً ومن مولى تدبّ عقاربه²

ف"عديماً" حال عن الضمير المجرور في "من قعوده".

وقال النمر بن تولب العكلي:

فأحبّلتها رجلٌ نابهُ فجاءتُ به رجلاً مُحكماً³

ف"رجلاً مُحكماً" حال عن الضمير المجرور في "به".

وقال الأعشى الكبير يعدّد صفات الفتى:

يرى البخلَ مُراً والعطاءَ كأنما يلذّ به عذباً من الماء بارداً⁴

ف"عذباً من الماء بارداً" حال عن الضمير المجرور في "به".

وقال عبد الشارق بن عبد العزى:

شددنا شدة فقتلتُ منهم ثلاثة فتية وقتلتُ قينا

وشدّوا شدة أخرى فجروا بأرجل مثلهم ورموا جونا

¹ شرح ديوان الحماسة، 107/1

² شرح ديوان الحماسة، 115/1

³ ديوانه، ص 121، محكم: حكيم

⁴ ديوانه، 227/1

وكان أخي جونٌ ذا حفاظٍ وكان القتل للفتيان زينا
فآبوا بالرماح مكسراتٍ وأبنا بالسيوف قد انحنينا¹
ف"مكسراتٍ" حال عن المجرور في "الرماح".

وقال بعض بني عبد شمس:

بجاءت به سبطُ البنان كأنما عمامته بين الرجال لواء²
ف"سبطُ البنان" حال عن الضمير المجرور في "به".

وقال أشجع بن عمرو السُلي:

فأصبح في لحدٍ من الأرض ميتاً وكانت به حياً تضيق الصحاح³
ف"حياً" حال عن المجرور في "به".

وقال نهار بن توسعة:

وليأتينَّ عليك يومٌ مرةً يُبكي عليك مقنعا لا تسمع⁴
ف"مقنعا" حال عن المجرور في "عليك".

وقال جرير:

كأنَّ في الخلدِ قرنَ الشمسِ طالعةٌ لما دنا من جِمارِ الناسِ تحصيب⁵
ف"طالعة" حال عن "الشمس".

¹ شرح ديوان الحماسة، 172/1

² شرح ديوان الحماسة، 94/1

³ شرح ديوان الحماسة، 550/1

⁴ شرح ديوان الحماسة، 605/1

⁵ ديوانه، ص 33

وقال مُحَرِّز بن المُكْعَبِر الضبي:

وجئتم بها مدمومةً عنزيّة تكاد من اللوم المبين تطلع¹
ف"مدمومة" حال عن الضمير المجرور في "بها".

وقال المتنخل الهذلي:

فأبنا بالسيوف مُفْلَلَاتٍ بهنّ لفائفُ الشعر السباط²
ف"مُفْلَلَاتٍ" حال عن المجرور في "بالسيوف".
وقالت خولة بنت الأزور الكندية، إسلامية:
فلو أني لحقتُ به قتيلاً لهان عليّ إذ هو غيرُ هُون³
ف"قتيلاً" حال عن المجرور في "به".

وقال العجاج:

فداخلون جنةً بهيجا وشاربون عسلاً مزيجا
بماء مُزِنٍ بارداً مثلوجاً وصارخون ضجةً ضجوجاً⁴
ف"بارداً مثلوجاً" حال عن المجرور في "بماء مُزِنٍ".

وقال الرماح ابن ميادة:

عليك بها معنيّة ذات بردة شكيرُ أعالي رأسها متطاير⁵

¹ قصائد جاهلية نادرة، ص 197

² جمهرة أشعار العرب، ص 483

³ شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص 173

⁴ ديوانه، 10/2

⁵ ديوانه، ص 126

ف"معنيّة ذات برده" حال عن المجرور في "بها".

وقال إبراهيم بن هرمة القرشي:

كلون الحصان الأنبطِ البطن قائماً تمايل عنه الجلّ واللون أشقر¹

ف"قائماً" حال عن "الحصان".

وشواهد أخرى لا أريد ذكرها مخافة الإملال.

ويؤيد هذه القاعدة القرآن الكريم فقال الله تعالى: "ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (سورة النحل) ف"حَنِيفًا" حال عن "مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ".

وقال: "وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعْتِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَأَذْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٌ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (سورة الحج) ف"صَوَافٌ" حال من الضمير في "عَلَيْهَا".

وقال: "يَقُومَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ" (سورة غافر)

ف"ظَاهِرِينَ" حال عن الضمير المجرور في "لَكُمْ".

وقال: "مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَلِيمًا تَهْجُرُونَ" (سورة المؤمنون) ف"سَلِيمًا" حال عن الضمير المجرور في "بِهِ".

وقال: "الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَبِيرًا" (سورة الفرقان) ف"خَبِيرًا" حال عن الضمير المجرور في "بِهِ".

وقال: "إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ" (سورة الشعراء) ف"خَاضِعِينَ" حال عن الضمير في "أَعْنَاقُهُمْ".

¹ شعره، ص 123، جل: غطاء الفرس

وقال: "فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيَّنَّتْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرَى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ" (سورة القصص) ف"بَيَّنَّتْ" حال عن المجرور "آيَاتِ" في "بَيَّنَّتِنَا".

وقال: "وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ" (سورة الصافات) ف"نَبِيًّا" حال عن المجرور في "إِسْحَاقَ".

وقال: "يَوْمَ تَشْقَى الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ" (سورة ق) ف"سِرَاعًا" حال عن الضمير المجرور في "عَنْهُمْ".

6. تأنيث ما عمّ مذكراً أو تذكير ما عمّ مؤنثاً: وفي التراث العربي المكتوب كتبٌ ورسائلٌ تذكرُ أسماءً وتؤنثُ أخرى ولكن هناك أسماء يمكن أن يكون حكمهم فيها غير صائب فأذكر مثلاً لكلمة "العراق" فقد عمّ فيه أنه مذكر وحتى نفر به العراقيون على مَنْ بلادهم مؤنثة ولكن وجدتُ في الشعر العربي شواهد تؤنثُ العراق أيضاً فقال عنترة بن شدّاد العبسي:

وَحَقِّكَ لَا زَالَ ظَهْرُ الْجَوَادِ مَقِيلِي وَسِيفِي وَدُرْعِي وَسَادِي
إِلَى أَنْ أَدُوسَ بِلَادَ الْعِرَاقِ وَأُفْنِي حَوَاضِرَهَا وَالبُوَادِي¹
فالضمير في (حواضرها) راجع إلى العراق كما يمكن رجوعه إلى ال(بلاد).

وقال الحارث بن حلزة اليشكري:

وَقَيْسٌ تَدَارِكُ بَكَرَ الْعِرَاقِ وَتَغْلِبُ مِنْ شَرِّهَا الْأَعْظَمُ
وَأَصْلَحُ مَا أَفْسَدُوا بَيْنَهُمْ وَذَلِكَ فَعُلُ الْفَتَى الْأَكْرَمِ²

¹ شرح ديوانه، ص 67

² ديوانه، ص 58

فالضمير في (شرّها) راجع إلى العراق.

وقالت الخرنق ترثي عمرو بن بشر:

أَلَا هَلَكَ الْمَلُوكُ وَعَبْدُ عَمْرُو وَخُلَيْتِ الْعِرَاقُ لِمَنْ بَغَاها
فَكَمْ مِنْ وَالِدٍ لَكَ يَا بَنَ بَشْرٍ تَأْزُرُ بِالْمُكَارِمِ وَارْتَدَاها¹
فالشطر الثاني للبيت الأول (وخلّيت العراق لمن بغاها) أدلّ على هذه الدعوى.

وقال مروان بن أبي حفصة يرثي معن بن زائدة الشيباني:

وَعُطِّلَتِ الثَّغُورُ لَفَقْدِ مَعْنٍ وَقَدْ يُرَوِّي بِهَا الْأَسَلَ النَّهْلَا
وَأَظْلَمَتِ الْعِرَاقُ وَأَوْرَثَتْهَا مَصِيبَتُهُ الْمُجَلَّةُ اخْتِلَالَا
وِظَلَّ الشَّامُ يَرْجِفُ جَانِبَاهُ لِرُكْنِ الْعِزِّ حِينَ وَهَى فَالَا²
فالشطر الأول للبيت الثاني (وأظلمت العراق وأورثتها) أيضًا يصرح بأن
العراق مؤنثة.

و"قال أبو بكر الهذلي وكتب رجل من أهل العراق حيث سار علي بن أبي طالب إلى
معاوية بيتين:

أَبْلَغُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَنَ أَخَا الْعِرَاقِ، إِذَا أَتَيْتَا
أَنَّ الْعِرَاقَ وَأَهْلَهَا عُنُقُوكَ إِلَيْكَ، فَهَيْتَ هَيْتَا³

¹ ديوانها، ص 53

² ديوانه، ص 79

³ تاريخ الأمم والرسل والملوك، 72/3 ولكن استدللّ به معظم كتاب التذكير والتأنيث فضبطوا
"وأهله"، أنظر: السجستاني، ص 203 والأنباري، 35/2 والبيت أيضًا في لسان العرب (عنق).
وفيه "أتينا... هيتا". وفي كلّ هذه المصادر ذكر البيت بدون نسبة. عنق إليك: أقبلوا إليك.

فالضمير في (أهلها) راجع إلى العراق لا غير.

وقال الفرزدق:

أما العراق فقد أعطتك طاعتها، وعاد يعمرُ منها كلَّ تخريب
أرضٍ رميتَ إليها، وهي فاسدةٌ، بصارمٍ من سيوف الله مشبوب¹
فالضميران في "أعطت" و"طاعتها" راجعان إلى العراق.

وقال بكر بن النطاح:

فيا حبّذا برُّ العراق وبحرها وما يُجتنى فيه من الثمرات
كفى حزناً ما تحمل الأرض دونها لنا من ذرا الأجلال والفلوات²
فالشطران الأولان لكلا البيتين (فيا حبّذا برُّ العراق وبحرها) و(كفى حزناً ما تحمل
الأرض دونها) يشيران إلى تأنيث العراق.

وقال صفي الدين الحلي:

أنستُ بمقدمك العراق وأهلها واستوحشتُ لك حرزٌ والجوسقُ
فالناس تستسقي الغمامَ ومنّ بها يدعو الإلهَ بأنه لا يغرق³
وقال الشاعر:

طوبى لمن يستبدلُ الطودَ بالقرى، ورسلًا يقطّين العراق وفومها⁴
فالضمير في "فومها" راجع إلى العراق.

¹ ديوانه، ص 25

² شعره، ص 9

³ ديوانه، ص 174

⁴ لسان العرب: طيب، الرسل: اللبن، اليقطّين: القرع والفوم: خبز وحنطة ويقال: هو الثوم.

وتؤيد هذه القاعدة نصوص نثرية تالية:

1. فجاء في الحديث: "مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دَرَهْمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنَعَتِ الشَّامُ مُدِّيَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتِ مِصْرُ إِدْرَبَهَا، وَعُدَّتْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ".¹
2. وجاء في مكان آخر من لسان العرب رواية الحديث كما يلي: "مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دَرَهْمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنَعَتِ مِصْرُ إِدْرَبَهَا، وَعُدَّتْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ".²
3. وجاء في حديث كعب: "لَمَّا أَرَادَ عُمَرُ الْخُرُوجَ إِلَى الْعِرَاقِ قَالَ لَهُ: وَبِهَا الدَّاءُ الْعَضَالُ".³
4. وكتب أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى مَذْعُورِ بْنِ عَدِيِّ الْعِجْلِيِّ فَقَالَ: "فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ، وَفَهَمْتُ مَا ذَكَرْتَ، وَأَنْتَ كَمَا وَصَفْتَ بِهِ نَفْسَكَ، وَعَشِيرَتُكَ نَعَمَ الْعَشِيرَةُ؛ وَقَدْ رَأَيْتُ لَكَ أَنْ تَنْضَمَّ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَتَكُونَ مَعَهُ، وَتَقِيمَ مَا أَقَامَ بِالْعِرَاقِ، وَتَشْخَصَ مَعَهُ إِذَا شَخَصَ مِنْهَا".⁴
5. وكتب أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "سِرُّ إِلَى الْعِرَاقِ حَتَّى تَدْخُلَهَا، وَابْدَأْ بِفَرْجِ الْهِنْدِ، وَتَأَلَّفْ أَهْلَ فَارَسَ، وَمَنْ كَانَ فِي مَلِكِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ".⁵
6. وكتب أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عِيَاضِ بْنِ غَنْمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "سِرُّ حَتَّى تَأْتِيَ

¹ لسان العرب: بدأ، وقال ابن الأثير: "هذا الحديث من معجزات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه أخبر بما لم يكن وهو في علم الله كائن نخرج لفظه على لفظ الماضي ودل به على رضاه من عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بما وظفه على الكفرة من الجزية في الأمصار". نفس المصدر.

² لسان العرب: ردب

³ لسان العرب: عضل

⁴ ديوان أبي بكر الصديق وجمهرة خطبه ووصاياه ورسائله، ص 324

⁵ ديوان أبي بكر الصديق وجمهرة خطبه ووصاياه ورسائله، ص 326

المُصَيِّحُ فابداً بها، ثم ادخلُ العراقَ من أعلاها، وعارقُ حتى تلقى خالداً، وأذنا لمن شاء بالرجوع، ولا تستفتحا بمتكاره".¹

7. وجاء في لسان العرب قول الحرابي في شرح حديث حذيفة (ظعن بهم أبو بكر ظعنة رغبة ثم ظعن بهم عمر كذلك):

"هو إن شاء الله تسيير أبي بكر الناس إلى الشام وفتحها إيّاها بهم، وتسيير عمر إيّاهم إلى العراق وفتحها بهم".²

8. وقال ابن منظور في لسانه: "ومنه حديث عمرو بن معديكرب: سأله عمر عن سعد بن أبي وقاص، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: أعرابيٌّ في جَبوته، نبطيٌّ في جَبوته؛ أراد أنه في جباية الخراج وعمارة الأرضين كالنبط حذقاً بها ومهارةً فيها لأنهم كانوا سَكَنَ العراق وأربابها".³

9. وكذا نجد ذكره مؤثراً في كتابات المؤرخين والمفسرين فجاء في البداية والنهاية لابن كثير (774هـ): "قال حياكم الله ممن أنتم قلنا من أهل العراق فقال بأبي العراق وأهلها أنشدوني أو أنشدكم قال المبرد بل أنشدنا أنت فأنشأ يقول ...".⁴

وأذكر مثلاً آخر من كلمة "الضحى" التي اختلفت في تأنيثها وتذكيرها للغويون والمعجميون، ولكن أجد كلام العرب يخدمها مؤنثاً ومذكراً معاً فقال الخطيئة:

وإن آنت وقعاً من السوط عارضتُ بي الجوز حتى تستقيم ضحى الغد⁵

¹ ديوان أبي بكر الصديق وجمهرة خطبه ووصاياه ورسائله، ص 327

² لسان العرب: رغب

³ لسان العرب: نبط

⁴ البداية والنهاية، 80/11 وكذا في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، 11/6

⁵ ديوانه، ص 69

وقال ذو الرمة يصف الثور:

وكلُّ أَحَمَّ المقلتين كأنه أخو الإنس من طولِ الخلاء المغفل
يصرفُ للأصوات جيداً كأنه إذا برقت فيه الضحى صفحُ مُنصل¹

وقال ابن مقبل:

سرحَ الفنيق إذا ترفعتِ الضحى هدجَ الثفال بحمله المشتاق²

وقال الفرزدق:

تبينَ خليلي هل ترى من طعائنٍ لميةً أمثالِ النخيل المخارف
تواضعُ حتى يأتي الآلُ دونها مراراً وتزهاها الضحى بالأصاف³

وقال جرير:

ولم أنس يوماً بالعقيق تخاليلت ضحاه وطابت بالعشي أصائله⁴

وقال مزاحم العقيلي:

الله يعلم ما تركت "منبهاً" وملّ الوقوف المبريات العوارف⁵

وقال مزاحم أيضاً:

نزلتُ بمفضى سيلِ حرسين والضحى يسيل بأطراف المخارم آله⁶

فاستخدمها الخطيئة وذو الرمة وابن مقبل والفرزدق وجرير ومزاحم العقيلي مؤثراً

¹ ديوانه، ص 195

² ديوانه، ص 167

³ ديوانه، ص 374

⁴ ديوانه، ص 385

⁵ شعره، ص 104

⁶ شعره، ص 122

بينما استخدمها عنتر بن شدّاد وأبو الطمّحان القيني والحادرة ومروان بن أبي حفصة والحكمّ الحضري والشعراء الآخرون مذكراً فقال عنتر بن شدّاد العبسي:

وسريتُ في وعث الظلام أقودهم حتى رأيتُ الشمس زال ضحاها¹
وقال أبو الطمّحان القيني:

وقفتُ بها حتى تعالى لي الضحى أسأله ما إن يبين لسائل²
وقال الحارّدة:

إذا ما أظلّته عوالي رماحنا تدلّ به نهدُ الجرازة
وقفتُ بها حتى تعالى لي الضحى لأخبر عنها، إني لسؤل³
وقال مروان بن أبي حفصة:

نفى عن خراسان العدو كما نفى ضحى الصبح جلاب الدجى فتعرّدا⁴
وقال نصيب بن رباح:

لعلك باكٍ إن تغنّت حمامةٌ يُميد بها غصنٌ من الريح مائل
من الورق يدعوها إلى شجوها الضحى فتبكي وتبكي حين تدنو الإصائل⁵
وقال الحكمّ الحضري:

فلما استقت طارت، وقد تلّع الضحى بِشربٍ قرته في زهيدٍ مُحبّ

¹ شرح ديوانه، ص 207

² قصائد جاهلية نادرة، ص 212

³ ديوانه، ص 355

⁴ ديوانه، ص 31

⁵ شعره، ص 116

فَكَرَّتْ فَأَمَّتْ حَيْثُ جَاءَتْ كَأَنَّهَا دَلَاةٌ هَوَتْ مِنْ كَفِّ سَاقٍ وَمُكْرَبٍ¹
وقال كثير عزة:

أَضَرَّتْ بِهَا الْأَنْوَاءُ وَالرَّيْحُ وَالنَّدَى وَغَيَّرَ مَغْنَاهَا الضَّحَى وَالْأَصَائِلُ²
وقال القطامي:

فَقُلْ لِبَنِي مَرْوَانَ لَا تَجْعَلْنَهُ كَأَخْرَ يَمْتَدُّ الضَّحَى وَهُوَ نَائِمٌ³
وقال الفضل بن العباس بن عتبة:

جَزَعَنْ غَرَانَا بَعْدَمَا مَتَعَ الضَّحَى عَلَى كُلِّ مَوَّارٍ الْمَلَاطُ مَدْرَبٌ⁴
وقال آخر:

فَإِنَّكَ وَالتَّائِبِينَ عُرُوةَ بَعْدَمَا دَعَاكَ، وَأَيْدِينَا إِلَيْهِ شَوَارِعُ
لِكُلِّ رَجُلٍ الْحَادِي، وَقَدْ تَلَعَ الضَّحَى، وَطَيْرُ الْمَنَايَا فَوْقَهُنَّ أَوَاقِعُ⁵
وقال شاعر آخر:

كَأَنَّهُمْ فِي الْآلِ إِذْ تَلَعَ الضَّحَى سَفُنٌ تَعُومُ قَدْ الْبَسَتْ أَجْلَالًا⁶
وجاء في حديث ابن عباس: "أَنَّهُ كَانَ يُفْتِي النَّاسَ حَتَّى إِذَا مَتَعَ الضَّحَى وَسَمَّ"⁷.
7. صلوات مجهولة للأفعال العربية: وأختم هذا المقال بذكر صلوات مجهولة وهي أيضاً من

¹ ديوان الأصمعيات، ص 32، هوت: سقطت.

² ديوانه، ص 276

³ ديوانه، ص 131

⁴ معجم البلدان، 191/4

⁵ لسان العرب: وقع

⁶ أساس البلاغة: تلَعَ

⁷ لسان العرب: متع

مباحث النحو فأجد أنّ المعاجم إما تُغفل صلوات للأفعال العربية أو تفوتها لقلة ممارسة أربابها لكلام العرب فأذكر فيما يلي مثلاً من صلة لفعل "حَلَّ يَحُلُّ" لم يذكرها معجمي قديم ولا حديث. فالفعل (حَلَّ يَحُلُّ) يتعدّى بخمسة أحرف جرّ وهي: إلى والباء وعلى وعن وفي. ذكرت المعاجم ثلاثاً منها وهي (الباء وعلى وفي) بينما فاتها ذكر الاثنتين وهما (إلى وعن). ولكن نجد شواهد على هذين الحرفين أيضاً فقال زهير بن أبي سلمى يمدح بني سنان:

فالناس فوجان، في معرفه، شرعٌ ففهم صادر، أو قاربٌ يردُّ
رحبُ الفناء لو أنّ الناس كلهم حلّوا إليه، إلى أن ينقضي الأبد
ما زال في سيبه سَجَلٌ يعمهم ما دام في الأرض، من أوتادها، وتد¹
وقال لبيد بن أبي ربيعة العامري:

وجارته إذا حلّت إليه لها نفلٌ وحظٌّ في السنام
فإنّ تتعدّد فُكْرمة حصانٍ وإنّ تظعن فُحْسنة الكلام²
وقال الأبيّرد بن المُعَدَّر الرباحي:

وإنّ جارة حلّت إليه وفي بها فبانّت ولم تُهتِكْ لجارته سترُ
عفيفٌ عن السوات ما التبست به صليبٌ فما يُلقى بعودٍ له كسر³
وقال المخبل السعدي:

نقلنا له أثمانه في بيوتنا وحلّت إلينا يوم حلّت رواحله⁴
ف"حلّ إليه" يعني هنا "أوى إليه ولجأ".

¹ ديوانه، ص 44

² ديوانه، ص 201

³ شعراء أمويون، ص 284

⁴ عشرة شعراء مقلّون، ص 68

وقالت الخنساء، و"حل إليه" هنا يعني "جاء" و"وصل":

إذا ما الضيقُ حلَّ إلى ذراه تلقاه بوجهٍ غيرِ بسرٍ¹

وأما "حلَّ عنه" فيعني: "انكشف عنه، وزال" فقالت صفية بنت ثعلبة الشيبانية:

المجدُّ والشرفُ الجسمَ الأرفعُ لصفيةٍ في قومها يتوقعُ

ذاتِ الحجابِ لغيرِ يومِ كريمةٍ ولدى الهياجِ يحلُّ عنها البرقعُ

نطقاءُ لا لوصالٍ حلَّ نطقها لا، بل فصاحتها العوالي تسمع²

وقال آخر:

مررنا بلفتٍ والثريا كأنها قلائدُ درِّ حلَّ عنها خضابها³

ومنه "نزل عنه" فقال عنتره بن شداد العبسي:

نزلتُ عن الجوادِ وسُقتُ جيشاً بسيفي مثلَ سوقي للنياق⁴

وأذكر مثلاً من الفعل (تَعَوَّدَ) الذي لم يجيء ذكر صلتيه في المعاجم العربية الكبرى

فالتعَوَّدُ يعني: اعتاد كما قال أبو الأسود الدؤلي:

تعوَّدْتُ مَسَّ الضَّرِّ حتَّى ألفتُهُ وأسلمني طولُ البلاءِ إلى الصبر⁵

ويأتي متعدياً بنفسه كما قال القطامي:

فلما بدا حرمانه الضيفَ لم يكن عليّ مناخُ سوءِ ضربةٍ لازبٍ

¹ ديوانها، ص 44

² شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص 24

³ تاج العروس: لفت

⁴ شرح ديوانه، ص 108

⁵ ديوانه، ص 340

فَقَمْتُ إِلَى مُهْرَبَةٍ قَدْ تَعَوَّدَتْ يداها ورجلاها خيبَ المواكب¹
وقال الشاعر:

تَعَوَّدَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ، إِنِّي رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَأْفُ مَا اسْتَعَادَ²
ومنه عوده إياه كما قال عنتر بن شداد العبسي:

وخيَلٍ عَوَّدَتْ خَوْضَ الْمَنَايَا تُشَيِّبُ مَفْرَقَ الْوَلَدِ³ الْوَلِيدِ⁴
وقال الأعشى الكبير:

عَوَّدَتْ كَنَدَةً عَادَةً فَاصْبِرْ لَهَا وَاغْفِرْ لَهَا لَهَا وَرَوَّ سَجَالَهَا
وَكُنْ لَهَا جَمَلًا ذُلُولًا ظَهْرُهُ وَاحْمِلْ وَكُنْتَ مُعَاوِدًا تَحْمِلُهَا⁴
وأورد الشعراء العرب صلتين له وهما الباء وعلى فقال عبيد بن الأبرص:

سَقَيْنَا امْرَأَ الْقَيْسِ بْنِ جَحْرٍ حَارِثَ كَوْوَسِ الشَّجَا حَتَّى تَعُوْدَ بِالْقَهْرِ⁵
وقال سويد بن كراع العكلي:

كَذَاكَ تَعُوْدُنَا عَلَى مَا يَنْوَبُنَا وَلِلْحَقِّ فِينَا سَنَةٌ وَمَحَارِمُ⁶
ونفس الصلتين تأتينان للتفعيل منه كما قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

فَأَجَبْتُهَا: إِنَّ الْحَبَّ مُعَوَّدٌ بِلِقَاءِ مَنْ يَهْوَى، وَإِنْ خَافَ الْعَدَى⁷

¹ ديوانه، ص 48

² لسان العرب: عود

³ شرح ديوانه، ص 65

⁴ ديوانه، 1/158

⁵ ديوانه، ص 62

⁶ مجلة المورد، 8/157

⁷ ديوانه، ص 19

وقال زهير بن أبي سلمى:

وَعَوَّدَ قَوْمَهُ هَرَمٌ عَلَيْهِ وَمِنْ عَادَاتِهِ الْخَلْقُ الْكَرِيمُ
كَمَا قَدْ كَانَ عَوَّدَهُمْ أَبُوهُ إِذَا أَزْمَتَهُمْ يَوْمًا أَزُومُ¹

وحكى أنّ تينك الصلتين توجدان للكلمة (عادة) كما قال النابغة الذبياني:

لَهْنٌ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَاهَا إِذَا عُرِضَ الْخَطِيُّ فَوْقَ الْكَوَاثِبِ
عَلَى عَارِفَاتٍ لِلطَّعَانِ، عَوَابِسٍ بَهْنٌ كُلُّوْمٌ بَيْنَ دَامٍ وَجَالِبٍ²
وَأَرَى لِهَاتَيْنِ الصَّلَتَيْنِ أَسْرَارًا فَنِّ مَعَانِي (على) الرُّكُوبِ عَلَى إِمَامٍ (طريق) أَوْ السَّيْرِ
عَلَى عَادَةٍ أَوْ الْقِيَامِ عَلَيْهِ لِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ كَمَا قَالَ الْمُرَارِ بْنِ سَعِيدٍ الْفَقْعَسِيِّ:

أَمْضِي عَلَى سَنَةٍ مِنْ وَالِدِي سَلَفْتُ وَفِي أَرْوَمَتِهِ مَا يَنْبِت الْعُودُ³
وقال حاتم الطائي:

لَنَا أَجَلٌ إِمَّا تَنَاهَى إِمَامُهُ فَحَنَ عَلَى آثَارِهِ تَتَوَرَّدُ⁴
وقال النابغة الذبياني:

أَبُوهُ قَبْلَهُ وَأَبُو أَبِيهِ بَنُوا مَجْدَ الْحَيَاةِ عَلَى إِمَامٍ⁵
وقال الحطيئة:

أَلَا أُبَلِّغُ بَنِي عَوْفِ بْنِ كَعْبٍ فَهَلْ قَوْمٌ عَلَى خُلُقٍ، سِوَاءِ⁶

¹ ديوانه، ص 120

² ديوانه، ص 31

³ مجلة المورد، 162/2/2

⁴ ديوانه، ص 104

⁵ ديوانه، ص 67

⁶ ديوانه، ص 31

وقال النابغة الذبياني:

لا يخفضُ الرزَّ عن أرضٍ ألمَّ بها؛ ولا يضلُّ على مصباحه، الساري¹
وقالت ليلي الأخيلية:

وقد علم الجوعُ الذي بات ساريًا على الضيف والجيران أنك قاتله²
وأما الباء فهي شائعة لكل عادة كما قال سعد بن ناشب:
وما بي على مَنْ لَان لي من فظاظه ولكنني فظُّ أبيَّ على القسر³
فالباء في (بي) للفظاظه وهي عادة.

ومنه قول عوف بن عطية بن الخرج التيمي:

وما بي، فاعلموه، من خشوع إلى أحد، وما أزهى بكبر⁴
وقول الأعشى الكبير:

أرقتُ وما هذا السهاد المورق وما بي من سقم وما بي معشَق⁵
وقول نهشل بن حري:

إذا نهشلُ ثابتٌ إليَّ فما بنا إلى أحدٍ إلا إلى الله من فقر⁶
وقد تحذف الصلة كما قال أبو جلدة اليشكري:

تعودُ ألاَّ يجهلَ الدهرُ عندها وأنَّ ييذلَ المعروفُ في العسر واليسر⁷

¹ ديوانه، ص 125

² ديوانها، ص 97

³ شرح ديوان الحماسة، 460/1

⁴ ديوان المفضليات، ص 326

⁵ ديوانه، ص 461/2

⁶ عشرة شعراء مقلون، ص 118

⁷ مجلة المورد، 98/3/13

وقد مضى في مقالتي عن صلات الأفعال ذكر صلات لم يذكرها المعجميون وهي شائع استعمالها في كلام العرب. فأرجو من القراء مراجعة مقالتي المنشورة على شبكة الألوكة أو في مجلة الهند ومجلة التلهيد وغيرها من المواقع والمجلات التي تنشر مقالتي عن صلات الأفعال. وقد قام بجمع العديد منها نائب مدير تحرير "مجلة الهند" الدكتور محمد معتصم الأعظمي في كتاب سماه "خير المقال في صلات الأفعال".

وخلاصة القول إنَّ ما عرضتُ على القراء من أصول نحوية هي محاولة مني متواضعة رجاء أن ينهض منهم باحثٌ فيعيد النظر في الشعر العربي والنصوص النثرية أيضاً فيأتي الناس بأصول نحوية أخرى لم توفق أن تُذكر في كتب النحو.

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. أساس البلاغة لأبي القاسم الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م
3. أساليب القرآن للمعلم عبد الحميد الفراهي، الدائرة الحميدية ومكتبها، مدرسة الإصلاح، سرائير، أعظم كره، الهند، ط1، 1389هـ
4. أسلوب التضمن وأثره في التفسير للدكتور زيد عمر عبد الله، د.ت.
5. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك للإمام أبي عبد الله جمال الدين ابن هشام الأنصاري المصري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ت.
6. تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1965م
7. تاريخ الأمم والرسول والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ
8. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك لابن أم قاسم المرادي، شرح وتحقيق: الأستاذ عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2001م
9. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: محمد علي البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
10. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة لأحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط1، 1933م
11. الجنى الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: الدكتور نجر

- الدين قباوه ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992م
12. خير المقال في صلات الأفعال للدكتور أوزنك زيب الأعظمي، جمع وترتيب: د. محمد معتصم الأعظمي، مركزي بليكيشنز، نيو دلهي، يناير، 2022م
13. الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع لأحمد بن الأمين الشنقيطي، وضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م
14. ديوان ابن مُقْبِل، تحقيق: د. عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، 1995م
15. ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة: أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار ومكتبة الهلال، ط2، 1998م
16. ديوان أبي بكر الصديق وجمهرة خطبه ووصاياه ورسائله، صنعة: الدكتور محمد شفيق البيطار، مطبوعات مجمع اللغة السعودية، الجمهورية اليمنية، صنعاء، ط1، 2020م
17. ديوان أبي دهب الجمحي، تحقيق: عبد العظيم عبد المحسن، مطبعة القضاء في النجف الأشرف، ط1، 1972م
18. ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت (الأوسي الجاهلي)، دراسة وجمع وتحقيق: د. حسن محمد باجوده، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1391هـ
19. ديوان أعشى همدان، تحقيق: د. حسن عيسى أبو ياسين، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1983م
20. ديوان الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ط3
21. ديوان الأعشى الكبير بشرح محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، إدارة البحوث والدراسات الثقافية، الدوحة، قطر، 2010م
22. ديوان الحارث بن حلزة بشرح الدكتور إميل بدیع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، 1991م

23. ديوان الحطيئة، دراسة وتبويب: د. مفيد محمد قبيحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م
24. ديوان الخرتق أخت طرفة بن العبد، شرح وتحقيق: يُسري عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م
25. ديوان الخنساء، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، 2004م
26. ديوان الراعي النميري، شرح: د. واضح الصمد، دار الجليل، بيروت، ط1، 1995م
27. ديوان الرماح ابن ميادة، جمع وتحقيق: د. حنا جميل حداد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1982م
28. ديوان الشريف الرضي، شرح وتعليق: د. محمود مصطفى حلاوي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1999م
29. ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996م
30. ديوان العباس بن الأحنف، شرح وتحقيق: عاتكة الخزرجي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1954م
31. ديوان العجاج، تحقيق: د. عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، 1971م
32. ديوان الفرزدق، شرح الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م
33. ديوان القطامي، تحقيق: إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1960م
34. ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م
35. ديوان المفضليات للمفضل الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط6

36. ديوان النابغة الذبياني بشرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م
37. ديوان النمر بن تولب العُكلي، شاعر مخضرم، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط1، 2000م
38. ديوان الهذيلين، الجمهورية العربية المتحدة، الثقافة والإرشاد القومي، طبعة دار الكتب، بيروت، 1996م
39. ديوان امرئ القيس، ضبطه وصحّحه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م
40. ديوان تأبط شراً وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علي ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1984م
41. ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986م
42. ديوان حاتم الطائي، شرح: أبي صالح يحيى بن مدرك الطائي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1994م
43. ديوان حسان بن ثابت، شرح وتقديم: الأستاذ عبدأهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994م
44. ديوان ذي الإصبع العدواني، جمع وتحقيق: عبد الوهاب محمد علي العدواني ومحمد نائف الدُّيبي، مطبعة الجمهور، الموصل، 1973م
45. ديوان ذي الرمة، تقديم وشرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م
46. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتقديم: الأستاذ علي حسن فاعور، دار التب العلمية، بيروت، ط: 1، 1988م
47. ديوان سراقفة البارقي الأصغر، تحقيق وشرح: حسين نصّار، مطبعة لجنة التأليف

- والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1947م
48. ديوان شعر الحادرة، تحقيق وتعليق: د. ناصر الدين الأسد، مجلة معهد المخطوطات العربية، 2/15
49. ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت، د.ت.
50. ديوان عبيد بن الأبرص، بشرح: أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1994م
51. ديوان عدي بن الرقاع العاملي، جمع وشرح ودراسة: د. حسن محمد نور الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م
52. ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.
53. ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1991م
54. ديوان كُثَيَّر عَزَّة، جمع وشرح: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971م
55. ديوان كشاجم، د.ت.
56. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، د.ت.
57. ديوان ليل الأخيلى، جمع وتحقيق: خليل إبراهيم العطية وجليل العطية، دار الجمهورية، بغداد، 1967م
58. ديوان مروان بن أبي حفصة، جمع وتحقيق وتقديم: د. حسين عطوان، دار المعارف، ط3، 1982م
59. الراعي النميري: شعر الراعي النميري وأخباره، جمع وتقديم وتعليق: ناصر الحاني، دمشق، 1964م
60. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، جمع وترتيب: بشير يموت، المطبعة الوطنية، ط1، 1934م

61. شرح ابن عقيل لقاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، دار مصر للطباعة، القاهرة، ط20، 1980م
62. شرح الكافية الشافية للعلامة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي، تحقيق: الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، ط1، 1982م
63. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م
64. شرح ديوان الحماسة، كتب حواشيه: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م
65. شرح ديوان عنتر بن شداد العبسي، للعلامة التبريزي، دار الكتاب العربي، ط1، 1992م
66. شرح شواهد المغني للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، لجنة التراث العربي، د.ت.
67. شعر إبراهيم بن هرمة القرشي، تحقيق: محمد نفاع وحسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1869م
68. شعر أبي زيد الطائي، جمع وتحقيق: د. نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، 1967م
69. شعر الخوارج، جمع وتحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1974م
70. شعر الفند الزماني للدكتور حاتم الضامن، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1986م
71. شعر بكر بن النطاح، صنعة: الأستاذ حاتم صالح الضامن، مطبعة المعارف، بغداد، 1975م
72. شعر سعد بن ناشب، تقديم وجمع وتحقيق: حامد كساب عياط، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد: 89 للعام 2015م

73. شعر مزاحم العقيلي، تحقيق: الدكتور توري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن، د.ت.
74. شعر نصيب بن رباح، جمع وتقديم: داود سلّوم، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1967م
75. شعراء أمويون، د. نوري حمودي القيسي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1985م
76. عشرة شعراء مقلّون، صناعة: أ.د. حاتم صالح الضامن، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، العراق، 1990م
77. علقمة الفحل، شرح ديوان علقمة الفحل للسيد أحمد صقر، المطبعة المحمودية، القاهرة، ط1، 1935م
78. قصائد جاهلية نادرة، د. يحيى الجبوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1988م
79. قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب من أشعار العرب لمحمد بن المبارك البغدادي، د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، ط1، 1983م
80. كتاب الأشباه والنظائر للخالدين، تحقيق: د. السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.
81. كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: د. إحسان عباس، د. إبراهيم السعافين والأستاذ بكر عباس، دار صادر، بيروت، ط3، 2008م
82. كتاب المذكر والمؤنث للإمام أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، المطبعة العلمية، حلب، 1345هـ
83. كتاب الوحشيات، أبو تمام الطائي، تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزيادة: محمود محمد شاكر، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1968م
84. لسان العرب لابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، د.ت.
85. مجلة التليذ الشهرية الصادرة عن وزارة التعليم لولاية جامو وكشمير، الهند

86. مجلة المورد الفصلية الصادرة عن وزارة الثقافة والإعلام، دار الجاحظ للنشر، العراق
87. مجلة الهند الفصلية الصادرة عن مولانا آزاد آئيديل إيجو كيشنال ترست، بولفور، بنغال الغربية
88. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني، تهذيب: إبراهيم زيدان، مكتبة الهلال، مصر، 1902م
89. المحجل السعدي حياته وما تبقي من شعره للدكتور حاتم صالح الضامن، د.ت.
90. المذكر والمؤنث لابن التستري الكاتب، تحقيق وتقديم وتعليق: د. أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1983م
91. المذكر والمؤنث لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق وتقديم وتعليق: د. رمضان عبد التواب، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط1، 1969م
92. المذكر والمؤنث لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق وتقديم: د. طارق نجم عبد الله، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1405هـ
93. المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة ورمضان عبد التواب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1519هـ
94. المذكر والمؤنث للسجستاني، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1418هـ
95. المزهري في علوم اللغة وأنواعها للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تصحيح وتحشية: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
96. معاني النحو للدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 200م
97. المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية لبدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني، تحقيق: أزد. علي محمد فخر وأ.د. أحمد محمد توفيق السوداني ود. عبد العزيز

- محمد فاخر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2010م
98. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دار صادر، بيروت، ط1، 1358هـ
99. موسوعة شعراء العصر الجاهلي لعبد عون الروضان، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2001م
100. موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، عبد عون الروضان، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2001م

الدرّ اليتيم (للشيخ ماهر اقادري)

﴿5﴾

ترجمة من الأردوية: د. عظمت الله¹

العمّ الشفوق

بعد وفاة عبد المطلب، احتضن عمّ محمد ابن أخيه اليتيم في كنف رعايته وكفالاته، وكانت قريش تقول إنّ أقرباء اليتامى لا يواسون اليتامى إلا رياءً أمام العالم. ومن يشعر بالألم الحقيقي، لكن أبا طالب خيب ظنونهم، وخيّبت الأحداث هذه التكهنات واحدة تلو الأخرى. وثبت أبو طالب صادقاً في مواساته. كأنّ في قلبه مكانة لمحمد من ذي قبل. ولم تُسح له فرصة للتعبير عن هذه العاطفة ما دام أبوه حياً. وسرعان أن توفي أبوه فنشط حبه لابن أخيه ولكفالاته ولمواساته نشاطاً قوياً.

وغسل أبو طالب غبار اليتيم عن وجه ابن أخيه بدموع من المحبة والشفقة، سلّاه بكل نوع من التسلية، ووفاه كلّ ما تيسر له من تأليف القلب والمواساة. وربّاه بشفقة وراحة أكثر مما اعتنى بأبنائه، ولم يكن يتحمّل العمّ المواسي ذرة من اضطراب الدرّ اليتيم لعبد الله، فإن أصيبت قدم محمد بشوكة شعر قلب أبي طالب بألمها. ونظراً إلى هذه الحالة، راح أهل مكة يقولون، أصحابنا! إنّ أبا طالب ابن عبد المطلب، آخر سيد قريش، لقد ثبت خلفاً ووريثاً صالحاً. كما نتوقع منه هذا النوع من المعاملة الشريفة، وإنّ محمداً ليس عنه غريباً، إنما هو من دم ولحم أبي طالب ——— ويا له من

¹ أستاذ مساعد، مركز الدراسات العربية الإفريقية، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي، الهند

طفل! إذ وقع عليه نظر الغير فلا يتلاطف معه فحسب بل يحترمه، وحقاً، إنّ أبا طالب ليجمعنّ لنفسه نصيباً وافراً من الخير والسعادة بخدمة هذا اليتيم.

كانت حياة العرب عادية وبسيطة، لم تكن تعرف التصنع بتاتاً. وكان أطفال الأسر ميسوري الحال، يرعون الأغنام والإبل في الغابات، وكانت الرعاية من أحبّ الأشغال لدى العرب أيضاً، وكذلك رعى محمد الأغنام في فيافي مكة، وكانت كل ورقة من أوراق شجر الطلح في مكة، تنطق بأنّ الذي يرعى الأغنام اليوم في هذه الأودية، سيرشد قافلة الإنسانية غداً. وإنّ راعي الغنم هذا هو راعي الإنسانية، وكل من ينضم إلى قافلته سيحظى بالفلاح، ومن يتخلى عن رفقته وجماعته سيكون نصيبه الضلال والشقاء.

ولم تكن العرب ملهً بالحضارات والثقافات أساساً. يقبلُ الأطفال أثر الآخرين بسبب الاحتكاكات والمجالسة والمصاحبة مع الناس، لذا قدّر الله بأن تنقضي أيام طفولة محمد في الغابة، ولم يطب لخالق الكون أن تتأثر سيرة محمد وسلوكه بظلال المجتمع تأثيراً ما، ورسمت يد الله نفسها نقوشاً على فطرة محمد، لأنّ الله جلّ وعلا لم يبعثه ليتعلم شيئاً من الدنيا بل ليعلمنّ الدنيا. وإنه كان آمياً ولكن كان متعلماً من عند الله، وكان الإله يربيّه بدون أيّ واسطة أو رابط وسيط، فكان من المقرر أن يصيبه الخير والنفع من ربّ العالمين مباشرة.

وأطفال كل قوم وبلد أشقياء ولعابون، وإنه كان طفلاً من أطفال أولئك العرب الجاهزين دوماً للسجال والقتال، فإذا دخلت إبل أحد في مرعى آخر، تسبّب هذا الأمر البسيط في خروج السيوف من أغمارها، فينبغي أن يكون أطفال هؤلاء الآباء من المجادلين والمقاتلين إلا أنّ طبيعة محمد تختلف تماماً عن الجميع، وإنّ أسلوب طبيعته منفرد عن الجميع، ولم يكن في هذا الظلام إلا هذا المصباح الوحيد، ولم تكن في هذه الغابة الشائكة إلا هذه الزهرة ذات مئات الوريقات. إذ كانت طبيعة محمد يثقلها اللعب مع الأطفال. وإذا تلفظ أحدُ بسوء فترك المكان ويذهب بعيداً. ولا

يطيب له حتى سماع الكلهات السيئة، وإذا فعل فعلاً قطف مع الرفاق الراعين، بعض العنبيّات ذاتية النمو وأكلها، حتى كان يهتم بالوقار والرزانة في هذا الأمر أيضاً. وبدأت الهمسات في أسر قريش، عن هذه الحياة الغريبة والفريدة التي يتحلّى بها محمد: أصحابنا! محمد هذا ابن عبد الله يتصف بصفات الملائكة، ولم نره مثل الأطفال الآخرين في جدال وشجار حاد.

يا فلان: أنت ستطرق إلى اشتباك وشجار، وأنا لم أر هذا الطفل البريء حتى ضاحكاً يقهقه، مجرد ابتسامة خافتة! وهو يمرّ بالأحياء غاضباً بصره ----- يا قريش! هذا الصبي سيصبح رجلاً عظيماً جداً، كما تنطق المؤشرات، تخبر، وتحدث! وليس من العجب أن تتألق بفضل، نجوم حظنا البدويين، إذاً فيحسد أهل مصر وإيران على عظمة العرب ومئاتهم.

قال عجز قرشي: أيها الأصحاب! لا يستطيع أن يتسابق شاب من أبنائها مع محمد في الرماية والفروسية، ولا تخطأ سهامه، وعندما يركب الخيل كأنه قد هزم فرسان نجد والحجاز في مسابقة أقامت سوق عكاظ وذو المجنة في ركوب الخيل.

قال رجل صاحب لحية طويلة وتلايبه مرقوعة بقطعة من ستار الكعبة: إني قد سمعت أحاديث أغرب من هذا. (ماذا؟ ما هذا؟ قال جميع أصحاب المجلس معاً بشوق وابتظار) كان ابني الصغير يقول، وصدّق حديثه أشعث ابن أخت عمارة أيضاً، بأنّ محمداً عندما يمرّ بأيّ شجر فإنّ أغصانه بدأت تخضع أمامه، ويخرج من الأحجار ما يشابه أصواتاً، كأن أحداً يسلم على أحد.

شابّ بشقاوة: أحاديثكم ممتعة جداً، هيّا نشرب قدحاً من الخمر، مما سيزيد المتعة ضعفين. على قول الشابّ، بدأت القهقهة تدوي في الفضاء، ولكن أصحاب الوقار والمثانة لم يعجبهم هذا المزاح، وإنهم تمنّوا، لو طال هذا الحديث أكثر لكان أفضل.

كان أبو طالب يمتحن التجارة، فيزور الشام مرة واحدة في السنة، ويعود منه بعد القضاء من وطرها، حيث يذهب بأموال مكة إلى سوق الشام، ومن هناك يعود بأشياء ضرورية لبيعها هنا. وكان هذا التبادل التجاري يرجع بمنافع تمكّنه من عيش الحياة إلى حدّ ما، ولكن العائلة كانت كبيرة. وكان جواداً وسخياً كذلك. فكان المطلوب كذلك من ابن عبد المطلب الرجل الغني وصاحب اليد البيضاء، على هذا المنوال. لذا لم يتبقّ له شيء بعد تلبية حاجات العائلة.

وعندما بدأ أبو طالب يزور الشام، كان محمد يزهو من سنّه على اثنتي عشرة سنة، وكان أبو طالب يحبّ ابن أخيه اليتيم حباً جمّاً، إلا أنه لم ير من المناسب أن يأخذه معه في هذا السفر. بما كان يُخيّل إليه أنّ السفر طويل وأنّ الغاية قاصية، ولا توجد في الطرق مناظر خضراء وأنهار، لتتسلّى بها قلوب الأطفال، بل تتخللها الصحراء القاحلة الجرداء، لا عمارة فيها ولا أثر لها على طول الأميال، ولا يوجد ماء على بعد أميال، وثمة وهم بأنّ السفر إلى الشام لم يناسب أباه عبد الله، لا قدر الله، إذ يحدث مع محمد حادث. وكان عبد الله السليم واليافع أيضاً توجه إلى الشام تاركاً وراءه عروسه الشابة ولكن لم تف به حياته في ديار الغربة، ولم يكن محمد قد بلغ سن المراهقة. وفي خضم هذه الصعوبات، لم يطب له أن يأخذ معه محمداً.

وعندما مشى أبو طالب ليخرج من البيت تعلّق به محمد، غلبت المحبة المصلحة، ولم يستطع العم الشفوق أن يتحمل كآبة ابن أخيه اليتيم، فأخذ معه المسافر الصغير، وغادرت هذه القافلة الصغيرة مكة متجهة نحو الشام. وظنّ أبو طالب بأن عليه أن يعتني بمحمد أثناء الطريق، ولكن محمد لم يكن يملك القدرة على تدبير أموره فحسب بل إنه ساعد عمّه في أشغال السفر، وذلك بغاية من النشاط والمسؤولية! فثبتت هذه المرافقة أكثر راحة لأبي طالب.

واضطرتّ القافلة لتمرّ عبر مختلف المنازل والأودية والممرات خلال هذا السفر، ففي

مكان رمل على رمل، وفي مكان طول الطرق الصخرية وسفوح الجبال، وفي جانب بساتين النخل والخضرة أيضاً، فيطلع الصبح في عين، ويأتي المساء في واحات! في محط ارتاحوا، وفي محط آخر عانوا الصعوبات، وكان هذا أول سفر خرج فيه، الدرّ اليتيم لعبد الله خارج حدود الحجاز، ويا لها من صعوبة المشوار وطوله، وفي السفر يصبح الأطفال أعباء على المرافقين ولكن ذكاء محمد لم يكن أقل من معجزة لرفقائه. كانت بصرى مدينة مشهورة في الشام وكانت هناك صومعة في قرية تقع بالقرب منها، حيث كان الناس حولها، يعتبرونها مقدسة ومباركة جداً، وكان في هذه الصومعة راهب يدعى بحيرا، كانت له مكانة خاصة وتقدس بالغ لدى النصارى، وكان هذا الراهب يعدّ من الأحبار.

إضافة إلى الإنجيل، كانت له نظرة عميقة على مضامين التوراة، وكان ينتظر ظهور النور وروح الحق نتيجة لقراءات في الصحف السماوية.

أقام أبو طالب مع إبله بالقرب من الصومعة، حيث كان العم وابن أخيه كلاهما جالسين على الأرض تحت ظل الشجرة، إذ وصل بحيرا أيضاً متجولاً، وبدأ يمعن النظر في وجه محمد، فظل يحدق فيه كأنه يطبق فيه من خلال نظراته، الآيات الناجمة من ذكريات حفظه.

وكان محمد صامتاً، فدنا منه بحيرا أكثر، وظهر في عينيه، لمعان الفرحة، كأن الحقيقة المنتظرة قد انكشفت له، وجلس على الأرض بتقدير، رغم كافة تقدسه الديني وشرف الرهبانية وانطلق قائلاً:

"أنا تدبرت وتفكرت في التوراة والإنجيل لسنوات طويلة وقرأت فيهما العلامات التي تنصّ على أنّ الروح الحق سيظهر، فإنّ كل هذه العلامات تتوافر في هذا الطفل البريء، وأنا أصدّقه قبل بعثة نبوته، ولست أعرف هل أكون حياً في ذلك الوقت أم لا.

لقد قدم المؤرخون المسيحيون هذه الحادثة في صورة مشوهة للغاية، بناء على عداوة التقليدي تجاه الإسلام، وأتوا بجمل التصريحات الكاذبة والأقوال الخاطئة، ولم تظهر الصورة الأصلية للإسلام أمام الأوروبيين بسبب هذه العصبية وسوء البصيرة التي لعب بها أصحاب التاريخ الغربي. إنهم اعتمدوا على كتب مؤرخيهم ولم يسعوا للخروج من هذا المستنقع القدر، مما نتج عنه أن اشتهرت الأحاديث والأقوال الكاذبة التي لا أساس لها. ولم يزل هذا السمّ متجذراً في عروق الغرب وشرئانه.

بعد بضعة أشهر، عاد أبو طالب مع رفيق السفر الصغير السنّ إلى مكة، وكان من البديهي فرح الأقرباء والأعزاء بعودتهما سالمين من هذا السفر الطويل والصعب، لقد انقضت على أبي طالب، عدة أيام في لقاء الناس وفي سرد أحوال السفر.

فيسأل أحد عن المستنقع الذي يقع على بعد ميلين أو ثلاثة من بدء حدود الشام، وهل ظلّ على حاله أو جفّ. إذ استفسر شخص، يا أبا طالب، لقد ضلّت إلي في وادي عريضة، فهل وقع نظرك عليه طائشاً، في مكان ما. وسأل أحدٌ سعر صوف الماعز، في حين بدأ آخر يسأل عن ظروف أسواق الشام. وقال شخص إذا ذهبت إلى الشام فهذه المرة أنا أرسل معك إبلاً يحمل غلات، وستباع الغلات بمساعيك وعنايتك بأسعار جيدة.

كان أبو طالب رجلاً حليماً وطاق الوجه، فيجيب على أحاديث الجميع، ولم يظهر عبوساً، ولو كان شخص آخر حاد الفطرة في مكانه لكان قد غضب.

في طرفة عين، كم يقطع الزمان من الطرق، لعل سرعة الوقت أسرع جرياً من سرعة الكهرباء. وما لبث أن طلع النهار حتى حان وقت الزوال، ونجأة، بزوال النهار، حان المساء بسواده وبضبابه وفي حضنه الليل، وبعد ذلك، هناك بياض السحر، وإطلالة الشمس إياباً وذهاباً حسب العادة اليومية.

في هذا العالم الذي هو عبارة عن طلوع وغروب وشمس وأظلال، يصبح الصبي شاباً، ويصير الشاب شيخاً، إذ يمكن القول إنّ مدة شهر واحد ليست قليلة، وذلك في حقيقة الأمر، بأنّ القرون من الزمن تنقضي دون جدوى، في ظل زائل من الضجيج. وكَم من عدد ضئيل من الناس يشعر بسرعة الوقت، وليس حصراً على ذلك، إنما يحتفل الوالدان بنمو أطفالهما، لما يرون أنّ أطفالهما ينمون، لكن في أمر الواقع أنّ كل لحظة ماضية من الحياة تقرب الإنسان من الموت. وإنّ هذا التنفس الذي هو سبب حياة، ليقود الحياة إلى الموت أيضاً. وإنّ الاحتفالات السعيدة التي تقام بمناسبة عيد الميلاد، أصلاً بمثابة ترحيب بالموت، ويغوص الإنسان في قاع الخدعة رغم كامل الوعي والمعرفة.

على كلّ حال، كيفما تسمّون هذا، سواء ظهور الحياة أو قرب الموت، إنّ قانون الفطرة يُصير الطفل شاباً، والشابّ شيخاً، وعليه يقوم نظام الكون.

إسهامات دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد، الهند

في نشر تراث علوم الحديث والمشيكات والأثبات

- راشد حسن المباركفوري¹

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد! لا يخفى على الباحثين والمطلعين على الجهود التي بُذِلَتْ في نشر التراث العلمي الأصيل في الهند بفضل الجامعات والدوائر العلمية والمؤسسات الأكاديمية والمكتبات المهتمة بالنشر والتوزيع على مرّ العصور وعبر القرون، فمن بين هذه المؤسسات والدوائر: "دائرة المعارف العثمانية" بحيدرآباد، الهند: التي لعبت دوراً بارزاً وبذلت جهداً ملموساً في إخراج النوادر والكنوز المجهولة ونشر المعارف والعلوم في مواضيع مختلفة عديدة، ولها تاريخٌ مُشرقٌ وآثارٌ حسنةٌ في هذا المضمار.

فنظراً إلى مكانتها العلمية العظيمة ودورها الملموس الواضح أُحِبِبْتُ إبراز جانب من جوانبها المتنوعة، وهو جهودها في نشر تراث علوم الحديث والأثبات والمشيكات. ولا شك أنّ كلّ ما طبعته الدائرة هو من المراجع المهمة والمصادر الموثوقة؛ اللهم إلا النزر اليسير من الكتب التي لا تتوافق مع المنهج العلمي الأصيل المعترف به لدى أهل الشأن.

وقسمتُ هذا البحث على ثلاثة أبواب كالتالي:

الباب الأول: نظرة عابرة على تاريخ الدائرة وجهودها وماثرها على مرّ العصور.
والباب الثاني: التعريف بتراث أصول الحديث والأثبات والمشيكات. (الذي قامت

¹ الأستاذ المساعد بالجامعة الإسلامية، فيض عام، مئو، الهند

بنشره دائرة المعارف العثمانية محققاً ومصححاً)

والباب الثالث: التعريف بكتب السنة ودواوينها وعلومها، وفيه فصلان:

الفصل الأول: نظرة على كتب السنة ودواوينها.

والفصل الثاني: نظرة على الكتب المتعلقة برجال الحديث والأسانيد والجرح والتعديل.

ومن ثمّ خاتمة القول.

الباب الأول:

نظرة عابرة على تاريخ الدائرة وجهودها على مرّ العصور

إنّ "دائرة المعارف العثمانية" بحيدرآباد، قد أسست سنة 1300هـ=1882م في مدينة حيدرآباد، (المعروف آنذاك بـ "الدكن": أي: الجنوب) الهند، تحت رعاية الدولة الآصفية القائمة في مدينة حيدرآباد، بتوجيهات من نخبة علماء العصر، وثلة أفاضل الزمن المتضلعين في مختلف العلوم وأصناف الفنون، والذين أدوا دوراً فعالاً في تأسيسها وتطويرها ودفع عجلتها إلى الأمام، هم كالتالي:

- السيّد الأستاذ عماد الملك حسين البلكرامي (ت: 1344هـ=1925م)¹.

¹ هو: السيد الفاضل حسين بن كرامة حسين الحسيني الواسطي البلكرامي الملقب بالنواب عماد الدولة، وعماد الملك: السيد حسين البلكرامي، من مشاهير زمنه وأفاضل عصره. اشتغل بالعلم من صغر سنّه، وقرأ العلوم العربية والإنجليزية، حتى نال شهادة الفضيلة بامتياز (عام: 1283هـ، تولّى التدريس في المدرسة الكلية بمدينة لكناؤ، مع إكبابه على مطالعة الكتب والأخذ والقراءة على أهل العلوم العربية، ولم يزل مجتهداً في ذلك حتى اشتهر فضله مع معرفة اللغتين: الإنجليزية والعربية، فاستقدمه نواب مختار الملك الوزير الكبير إلى حيدرآباد، وقرّبه إلى نفسه، ورقّاه درجة بعد درجة، سكرتيراً لصاحب الدكن، فناظر على المدارس، ولقّب بألقاب وهي: "علي يار خان بهادر مؤتمن جنك" و"عماد الدولة" و"عماد الملك"، وبعد التقاعد انتقل إلى لندن، وصار عضواً في مجلس وزير الهند، وبعد زمن يسير رجع إلى حيدرآباد وسكن بها، ولما وليّ الوزارة بحيدرآباد: يوسف علي بن لائق علي بن مختار الملك = جعله صاحب الدكن مشيراً للوزير، ثم اعتزل عنها بعد عامين، وأفرغ أوقاته لترجمة القرآن الكريم بالإنكليزية، ثم على مرّ الوقت ضعف بصره، وتدهورت صحته ولم يكمل منها إلا الجزء السادس عشر.

وتأسس هذه الدائرة قد حمل بين جوانحها من أول يومها مقاصد جليلة وأهدافاً سامية، وهي الحفاظ على التراث الإسلامي الأصيل ونشر أمهات العلوم وأنواع الفنون- بكلّ تحقيقٍ وتدقيقٍ وتصحيحٍ وتعليقٍ واهتمام- التي قد علق بها غبارُ الغفلة والإهمال حتى ذهبت إلى طيّ النسيان، فجاءت الدائرة وأخرجت تلك الكنوز العلمية والدُّرر النفيسة من الدفائن والمعادن من مختلف أقطار العالم التي كادت أن تُبيدها أيادي الزمان الغافلة القاسية، وقد حالها القدرُ وأخذ بيدها إلى أن تكلت بالنجاح العجيب الحائز على إعجاب أهل العلم والفضل في كلّ قطر من الأقطار، وفي كلّ مصر من الأمصار، مدُّوا إليها أيدي المساعدة والدَّعم، وأثنوا عليها ثناءً عاطراً، وبثُّوا إليها باقات الشكر والتقدير والتمجيد. هذا، وكلُّه ماثوثٌ في المجلات والصحف والجرائد والمقالات والكتابات التي تتحدث عن جهود الدائرة وطموحاتها وأعمالها وماثرها.

إنَّ الدائرة قد نمت وقامت على قدميها في زمنٍ ندر فيه وجودُ المؤسسات والدوائر

وكان أوجد زمانه في العلوم العقلية والتقليدية، شديد التعب، دائم الاشتغال بالتدريس والمذاكرة ومطالعة الكتب والتصنيف، شديد النكير على أهل البدع والأهواء، أسَّس المدرسة النظامية بحيدر آباد سنة (1293هـ)، وأسَّس مجعاً علمياً للتأليف والنشر، سمَّاه "إشاعة العلوم".

وكان مديد القامة، عريض ما بين المنكبين، صدعاً من الرجال، قوي البنية، أبيض اللون مشرباً بالحمرة، واسع العينين، كثَّ اللحية، وكان قليل التكلُّف في الطعام واللباس، مواظباً على الرياضة البدنية إلى آخر حياته، متورعاً في الأموال والمكاسب والوظيفة، حليماً متواضعاً، يعود المرضى ويحضر الجنائز، وكان صاحب معروف وبر، لا يدخر المال ولا يهتم به، عف اللسان، بعيداً عن الهجر والفحش، وكان يدرس الفتوحات المكية بعد المغرب إلى نصف الليل، وكان عظيم الاعتقاد في الشيخ محي الدين ابن عربي، وفي آخر حياته كان يقضي ليله في الاشتغال العلمي، وينام بعد صلاة الفجر إلى أن يتعالى النهار، وكان مشغولاً بجمع الكتب النادرة.

وله مصنفات كثيرة بالأردو والعربية، منها: إفادة الإفهام، كتاب العقل في الفلسفة القديمة والجديدة، حقيقة الفقه، أنوار أحمد في مولد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ومقاصد الإسلام (في أحد عشر جزءاً)، كلها في الأردوية.

توفي سلخ جمادى الآخرة سنة (1336هـ)، ودُفن في المدرسة النظامية التي أسَّسها. [انظر: نزهة الخواطر، 1197/8].

والمعاهد والمنظمات التي تعتني بنشر العلوم والفنون، وتهتم بإحياء التراث العلمي الهادف، وإخراج المخطوط النفيسة والنسخ الخطية القيمة النادرة في حلة تُسائر الركب العلمي المعاصر، وتسد الثغرات التي لا تزال تزداد على مرّ الأيام وكرّ الليالي. اللهم إلا عدة مؤسسات كانت تعمل في خصوص العناية بنفائس الكتب ونشرها وتوزيعها، مثل: المجلس الشرقي الأسوي بكونكاته،¹ وهي أول جمعية أنشئت في الهند لهذا الهدف السامي على سعي من "سيروليم" سنة 1784م، والجمعية الشرقية الأسوية لبنغال.² وغيرها من الجمعيات والدوائر التي لم تُلفِ موضعاً في أوراق التاريخ، ولا مكاناً في خواطر أصحاب الفكر العميق والرأي الحصيف.

نعم! قد وُجدت هناك جهودٌ فرديةٌ فاقتِ المؤسسات وسبقت المعاهد، رغم قلة إمكانياتها وضيق دوائرها، أمثال العلامة الأمير صديق حسن خان القنوجي (ت: 1307هـ=1890م) الذي نشر الكثير من كتب الحديث والسنة وعلومها ونفائس المخطوطات: نواذر النسخ القلبية المتواجدة في أنحاء العالم³ للعلماء المتقدمين

¹ مشرقى مجلس إيشاتك سوسائتي آف كلكتة.

² بنغال إيشاتك سوسائتي. انظر: مقاله تحفظ علوم قديمة (بالأردوية) للأستاذ محمد هاشم الندوي، شمس الإسلام بريس، 1355هـ، ص 43

³ قال الكافي عن الأمير صديق حسن خان القنوجي معترفاً بعلو مكانته بين أقرانه ومعاصريه، وما له من جهود تميزه عن غيره = في "فهرس الفهارس": "وبالجملة فهو من كبار من لهم اليد الطولى في إحياء كثير من كتب الحديث وعلومه بالهند وغيره، جزاه الله خيراً" [فهرس الفهارس، 1057/2].

= انظر لترجمته: مؤلفاته التالية (فإنه ذكر عن نفسه في مواضع من مؤلفاته، مثل: إبقاء المن بالقاء المحن (وهو في الحقيقة سيرة ذاتية موسّعة، حافلة بالفوائد التاريخية) والخطبة في ذكر الصحاح الستة (ص 262-270)، أبجد العلوم (ص 725 وما بعدها في ذكر علماء قنوج وبهوفال)، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول (ص 535-545، في آخر الكتاب)، سلسلة العسجد في ذكر مشايخ السند (ص 299-310، و405-410)، إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء المحدثين، تقصير جيور الأحرار من تذكّار جنود الأبرار وحظيرة القدس.

كما ألّفت كتب مستقلة عنه: مآثر صديقي، قطر الصيب في ترجمة الإمام أبي الطيب، قرّة الأعيان

الأفاضل والمتأخرين الأمثال، أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: 728هـ)، والحافظ ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، والحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، والعلامة الشوكاني (ت: 1250هـ) وغيرهم، أضف إلى ذلك ما قام به هو نفسه رحمه الله تعالى من تأليف العديد من الكتب العلمية القيمة. ومنهم العلامة الشيخ عبد الحي الأنصاري الفرنكي محلي (ت: 1304هـ=1887م)¹ الذي طبع نادر الكتب من الفقه والحديث. ومنهم العلامة المحدث محمد نذير حسين الدهلوي (1320هـ=1902م)² وبعض تلاميذه الذين لهم جهود فعالة في نشر الكتب القيمة الرائعة في التفسير والحديث والعقيدة وغيرها.³ ومنهم العلامة الشيخ أحمد علي

ومسرة الأذهان في مآثر النواب السيد صديق حسن خان، الأمير سيد صديق حسن خان: حياته وآثاره، نواب صديق حسن خان: حيات، علمي، أدبي، سياسي اور مذهبي خدمات.
¹ انظر لترجمته: نزهة الخواطر (1268/8) وما بعدها من الصفحات، وانظر كذلك بعض مقدمات مؤلفاته المطبوعة فيما بعد باهتمام وعناية بعض المحققين، مثل: حسرة العالم بوفاة مرجع العالم، التعليق المجدد على موطأ الإمام محمد، الرفع والتكميل، النافع الكبير لمن يطالع الجامع الصغير ومقدمة السعاية في كشف ما في الشرح الوقاية. وكذا ألف كتاباً مفصلاً عن حياته وجهوده الشيخ الدكتور تقي الدين الندوي حفظه الله وهو الإمام عبد الحي اللكنوي: علامة الهند وإمام المحدثين والفقهاء.
² انظر لترجمته: نزهة الخواطر (1392/8)، تراجم علماء حديث (133-159)، الحياة بعد الممات (كتاب مفصل عن حياة العلامة المحدث محمد نذير حسين الدهلوي ومآثره)، غاية المقصود (17-10/1)، تحفة الأحوزي (4-3/1)، مقدمة تحفة الأحوزي (ترجمة المؤلف: ص: 2)، مكاتيب نذيرية (مجموع رسائله الشخصية)، البشرى بسعادة الدارين (في سيرة الشيخ وجهوده)، معجم المؤلفين (75/12)، حياة المحدث شمس الحق وأعماله (ص 270) وتذكرة علماء هند ومصادر أخرى.

³ هناك مطابع كثيرة قامت بنشر علوم الكتاب والسنة ولا سيما تلامذة المحدث السيد نذير حسين الدهلوي (ت: 1320هـ) ومن جاء بعدهم من جماعة أهل الحديث، نذكر البعض منها نموذجاً:

- 1- المطبع المحمدي، لاهور (باكستان حالياً) : للشيخ محي الدين اللاهوري.
- 2- مطبع «الفاروقي»، بدلي، الهند: للشيخ محمد معظم.
- 3- مطبع «الأنصاري»، بدلي، الهند: للشيخ عبد المجيد الميرتي، والشيخ تطف حسين العظيم آبادي.

المحدث السهارنفوري (ت: 1297هـ=1880م)¹ الذي طُبعت بتعليقاته نسخة نادرة لـ"صحيح البخاري".

فشعوراً بأهمية "الدائرة العلمية لنشر الكتب المهمة" قدّم النواب عماد الملك السيد حسين البلغرامي- مدير قسم التعليم والتربية للحكومة الآصفية- اقتراحَ الاهتمام إلى الحكومة بالحفاظ على تراث العلوم الإسلامية عن طريق إخراجها من الدفائن ونشره وتوزيعه بين أهل العلم في داخل الهند وخارجها، فقبلت الحكومة اقتراحه وأقام مكتبة باسم "المكتبة الآصفية"² في مدينة حيدرآباد، وُجعت فيها كتبٌ ومخطوطاتٌ نادران، ثم تطوّرت هذه الفكرة إلى إنشاء جمعيةٍ تهتمُّ بنشر النّوادر والنّفائس من الكتب والمخطوطات بتحقيقٍ وتصحيح. فدعمَ هذه الفكرة وساندها وعضدها كلُّ من العلامة الملا عبد القيوم، والعلامة أنوار الله خان بهادر المعروف بالنواب فضيلت جنغ- معين المهام للشؤون الدينية-، ثم أقيمت الجمعية باسم "دائرة المعارف العثمانية" بموافقة من علماء حيدرآباد وأمرائها وأعيانها وأصحاب المناصب العليا لدى الدولة الآصفية. واختير أول رئيس لها النواب سير وقار الأمراء بهاد- معين المهام للقضاء وشؤون التعليم بالدولة. لقد تكفّل برعايتها ودعمها المالي كلُّ من:

1- الشيخ المفتي محمد سعيد المدراسي. (ت: 1314هـ=1896م)³

4- مطبع «الخليلي» بآره: للمدرسة الأحمدية بآره، بولاية بيهار، الهند.

5- مطبع «ثنائي» بأمرآسر، بولاية فنجاب، الهند: للشيخ عطاء الله بن العلامة ثناء الأمرآسري. ومطابع أخرى.

¹ انظر لترجمته: نزهة الخواطر (907/7).

² يبدو أنّ اسم المكتبة الأول هو الخزانة الآصفية بحيدرآباد، كما ذكره محقق "معرفة علوم الحديث" السيد معظم حسين في "مقدمة المصحح". لكنّه ربما يسمّيها بـ"المكتبة الآصفية". (انظر: معرفة علوم الحديث)

³ هو: الشيخ العالم المحدث المفتي محمد سعيد بن صبغة الله محمد غوث الشافعي المدراسي ثم الحيدرآبادي، أحد كبار العلماء، ولد بمدراس (ثنائي، ولاية تمل نادو)، وقرأ المختصرات على صنوه

4- النواب محسن الملك. (ت: 1325هـ=1907م)¹

5- إقبال يار جنغ.

بمحسن الملك عام 1325هـ، وفي سنة 1330هـ قدّم استقالته عن الأمانة العامة الكلية، وأخيراً مرض فمكث في البيت.

كان الأستاذ من نوادر العصر ونوابغ الرجال في الصرامة وقوة العزم، والرسوخ في العقيدة، والثبات على المبدأ، والتمسك بالأخلاق الفاضلة، بعيداً سفاست الأمور وخسائس الأغراض، حريصاً على خدمة أمته وإخوانه، وقوراً ميبياً، سليم العقيدة، محافظاً على الشعائر الدينية، غير مدخر للبال، ثم اعتزل عن الخدمة في حيدرآباد. كان رحمه الله عبلاً جسيماً، قصير القامة، قصير العنق، كبير اللحية، وكان يحلق رأسه غالباً، ويلبس الطربوش.

توفي في 14 من ربيع الأول عام 1335هـ وصلى عليه جمع حاشد، ودُفن في أمرؤه. [انظر: نزهة الخواطر، 1381/8].

¹ هو: الأمير الأستاذ مهدي علي بن ضامن علي الحسيني البارهي الإتاوي الملقب بـ"نواب محسن الدولة" ومحسن الملك منير نواز جنك". كان من الرجال المشهورين بالعقل والفطنة والحصافة.

ولد ببلدة إتاوه (بقرب من دلهي، بولاية أترابرايش، الهند)، وقرأ المختصرات على أساتذة بلدته، ثم لازم الشيخ عنايت حسين الديوي وقرأ عليه أكثر الكتب الدراسية، ولم تساعده ظروفه أن يكمل دراسته، فاضطر إلى الاكتساب، وتوظف في بعض المحاكم، وبعد زمن توطدت بينه وبين السيد أحمد خان الصلات العلمية الفكرية، ثم استقدمه الوزير الكبير شجاع الدولة مختار الملك إلى حيدرآباد، فسافر إليها سنة 1291هـ وعمل معتمداً للوزير، وقام باصلاحات مفيدة، وفي عام 1311هـ ثم سافر إلى ممبائي، واختار الإقامة بها، وكان يتردد إلى علي كره ويقيم بها زماناً، حتى توفي الأستاذ السيد أحمد خان الدهلوي (زعيم حركة التعلم الحديث بالهند) سنة 1315هـ، فاتفق الناس عليه فقام مقامه، وصار معتمداً للمؤتمر التعليمي الإسلامي والمدرسة الكلية بها، واستقل بهما إلى وفاته، وتقدمت في عهده الكلية الإسلامية تقدماً واضحاً.

كان النواب مهدي علي خان من نوابغ العصر في توقد خاطر، وقوة شخصية، وحضور بديهة، وحسن خطابة، وتأثير في عقول الناس، وكان كاتباً مترسلاً، له قلم سيال وأسلوب قوي، وكان حليماً جواداً، كثير المؤاساة والبر بالأشراف والفقراء وأهل الحاجة وكان رقيقاً دمث الخلق وسيماً حسن الملبس والمآكل. مؤلفاً بارعاً، ولد ونشأ في أسرة شيعية، ورجح عقيدة أهل السنة بدرائته وتحقيقه، وألف كتاباً في الرد على عقائد الشيعة سماه آيات بينات" وهو كتاب عظيم، ولكنه لم يكمل.

توفي في 9 من شهر رمضان سنة 1325هـ في مدينة شمله، ونقلوا جسده إلى علي كره، ودفنوه بها بجوار صديقه السيد أحمد خان. [انظر: نزهة الخواطر، 1386/8].

6- النواب رفعت يار بهادر جنغ. وغيرهم.

وقبل عضويتها عددٌ من العلماء المعروفين والشخصيات المبرزين آنذاك، وهم كالآتي:

- 1- السير سيّد أحمد خان (ت: 1315هـ=1898م)، أحد العلماء المشهورين في الهند، مؤسس جامعة علي كره الإسلامية، علي كره، ولاية يوبي، الهند، وهي من كبرى الجامعات الحكومية الهندية الآن. كان الأستاذ متمسكاً بمنهج السلف الصالح الذي يُعرف في الهند بأهل الحديث، ومع ذلك وجدتُ عنده تفرداتٌ وشواذٌ وتجاوزاتٌ في بعض مسائل الشرع. أتهم بمساندة الاستعمار البريطاني، وذلك بغية نشر التعليم العصري وتطوير معهده الذي أسسه حتى لاتعوق عائقه من جهة حكومة الإنكليز.¹

- 2- العلامة الأستاذ خواجه الطاف حسين حالي (ت: 1333هـ=1915م)² الشاعر

¹ هو: الرجل الفاضل الشهير الأستاذ أحمد بن المتقي الحسيني الدهلوي، المعروف بـ"سر سيد أحمد خان"، الباعث على النهضة التعليمية في الهند، ومؤسس جامعة علي كره الإسلامية، علي كره، يوبي، الهند. ولد في الخامس من شهر ذي الحجة عام 1232هـ بدلي، قرأ الابتدائية والمختصرات على علماء بلده، والفقه والأصول وبعض الكتب الأخرى على مولانا نوازش علي الدهلوي، وقرأ بعض المقامات من مقامات الحريري وبعض القصائد من السبع المعلقة على مولانا فيض الحسن السهارنوري، وقرأ مشكاة المصابيح، وقدراً صالحاً من جامع الترمذي، وبعضاً من صحيح مسلم على الشيخ مخصوص الله بن الشيخ رفيع الدين الدهلوي وأسند عنه القرآن الكريم. وكان يجلّ المحدث نذير حسين الدهلوي غاية الإجلال والتوقير، ويستفيد منه في مسائل الشرع خلال إرسال الرسائل الشخصية إليه. ومن مؤلفاته: آثار الصناديد، أسباب الثورة والخروج على الحكومة في الهند، تاريخ بجنور، تبين الكلام (تفسير إنجيل)، الخطبات الأحمدية (في السيرة النبوية) وغيرها من الكتب، وأصدر مجلة "تهذيب أخلاق" لإصلاح الناس، ومن أعظم مشاريعه التعليمية تأسيس المدرسة الإسلامية وتطويرها إلى أن أصبحت جامعة، واشتهرت بعد وفاته باسم جامعة علي كره الإسلامية في العالم كله. توفي في الرابع من ذي القعدة 1315هـ. [انظر للتفصيل: نزهة الخواطر، 1177/8 وما بعدها].

² هو الشيخ الفاضل الشاعر الأديب خواجه الطاف حسين بن ايزد بخش الأنصاري الباني بتي. ولد ونشأ ببلدة باني بت، بقرب من دلي، حفظ القرآن الكريم، وقرأ النحو والعربية وبعض الكتب في

الإسلامي الكبير، المعروف بنشر التوحيد والعقيدة الصحيحة من خلال أشعاره.

3- العلامة شَيْبِي النُّعْمَانِي (ت: 1332هـ=1914م)¹، الأديب البارِع، والعالم

المنطق على المولوي إبراهيم حسين الأنصاري الشيعي الباني بتي، ثم سافر إلى دهلي ولازم الشيخ نوازش علي الدهلوي مدة، ثم رجع إلى بلدته وأخذ عن المولوي قلندر علي، والمولوي محب الله، والشيخ المحدث عبد الرحمن الأنصاري، ولازمهم مدة، وتبلذ في الشعر على الشاعر المشهور أسد الله خان غالب واختص به، وبائع الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد المجددي الدهلوي، وأقبل على الشعر إقبالاً كلياً. وتي على التدريس في دهلي، واستمر عليه إلى سنة 1309هـ، ووظف له الوزير آسمان جاه الحيدر آبادي، ثم تقاعد وعكف على الكتابة والتأليف، مساعداً حركة التعليم التي كان يتزعمها السيد أحمد خان. ومن مؤلفاته: حياة جاوید، حياة سعدي، يادكار غالب، تریاق السموم في الذب عن الملة الإسلامية والرد على المسيحيين، مجالس النساء ومناجاة بيوه وشكوه هند، وله أرجوزات كثيرة. من أشهرها "المد والجزر في الإسلام" المعروف بـ"مسدس حالي". وله مقدمة في الشعر وديوان الشعر (بالأردو)، وله أبيات رائعة رفيقة بالعربية والفارسية، وهو أول من اخترع أسلوباً جديداً في الشعر. توفي في الثالث عشر من شهر صفر سنة 1333هـ بباني بت. [انظر لمزيد من التفصيل: تزهة الخواطر، 8/1192].

¹ هو: الشيخ الفاضل العلامة شَيْبِي بن حبيب الله الأعظمي النعماني، العالم الأديب الشاعر المؤرخ، المتفق على جلالاته في العلم والفضل.

ولد سنة 1274هـ بقرية بندول من أعمال أعظم كره، وقرأ العربية وكتب المنطق والحكمة على الشيخ فاروق بن علي العباسي الجرياكوي، ولازمه مدة طويلة، ثم سافر إلى رامبور وأخذ الفقه والأصول عن الشيخ إرشاد حسين العمري الرامفوري، ثم ذهب إلى لاهور وأخذ الفنون الأدبية عن الشيخ فيض الحسن السهارنفوري، والحديث عن الشيخ أحمد علي السهانفوري، حتى فاق أقرانه في الإنشاء والشعر والأدب والتاريخ وكثير من العلوم والفنون، وكان متصلياً في المذهب في ذلك الزمان، صرف برهة من الدهر في المباحثة بأهل الحديث، وصنف "إسكات المعتدي" (رسالة في قراءة الفاتحة خلف الإمام). ثم ولي التدريس بمدرسة العلوم في علي كره، فصحب الأساتذة الغريين والسيد أحمد بن المتقي خان الدهلوي وحزبه، حصل له نفور كلي عن المباحثة، ومال إلى التاريخ والسير. ثم سافر إلى حيدر آباد فرحب به السيد علي البلكرامي، وولاه نظارة العلوم والفنون، فأقام بها خمس سنين، وفي عام 1317هـ رجع إلى ندوة العلماء لكناؤ، وكان عضواً من أعضائها البارزين، فعمل مدير التعليم والتربية لمدة ثمانية أعوام. وأخيراً أسس كلية شَيْبِي ودار المصنفين في أعظم كره.

من مؤلفاته: سيرة المأمون العباسي، سيرة النعمان، الجزية وحقوق الذميين، تاريخ الكلام، سيرة الغزالي، شعر العجم (5 مجلدات)، سيرة عمر الفاروق وسيرة النبي (المجلد الأول، وأتم البقية تلميذه السيد سليمان الندوي). توفي ضحوة يوم الأربعاء 28 من شهر ذي الحجة سنة 1332هـ. ببلدة أعظم

- المتفّن، صاحب المؤسّسة الشهيرة "دار المصنّفين" أعظم كره، بولاية أترا براديش، الهند، ومؤلف كتاب "سيرة النبي" - عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم - وأتمّه في سبعة مجلدات كبار تلميذه: العلامة الأستاذ السيد سليمان الندوي.
- 4- الأستاذ فضل حق خير آبادي. (ت: 1278هـ=1861م)¹ عالم متقن في علوم المنطق والفلسفة والكلام، من الفئة البريلوية، المعروفة في الهند، المنتسبة إلى الأستاذ أحمد رضا خان البريلوي، الذي نشر البدع والضلالات والتّرهات في الهند كلّها.
- 5- العلامة المحدث أبو الطيّب محمد شمس الحق العظيم آبادي. (ت: 1329هـ=1911م) صاحب "عون المعبود"، و"غاية المقصود" شرحي سنن أبي داود.²
- ليس هذا العدد حصراً لجميع المساعدين والأعضاء والمهتّمين بالدائرة مادياً وعلمياً ومعنوياً، بل هناك قائمة تُذكر لهؤلاء العلماء الذين بذلوا جهودهم وأفنوا أوقاتهم في

كره. [انظر للتفصيل: «نزهة الخواطر» (1242/8) وحيات شيل (سيرته بالأردوية).]

¹ قال الأمير صديق حسن القنوجي (ت: 1307هـ) في "أبجد العلوم" (ص 715): "كان إمام وقته في العلوم الحكيمة والفلسفية بلا مدافع غير أنه وقع في أهل الحق ونال منهم على تعصب منه، وكان السبب في ذلك: قلة الخبرة منه بعلوم السلف وطريقتهم في الدين واتباعهم للأدلة الواردة عن سيّد المرسلين مع ميل إلى البدع التي يستحسنها المقلدة، ولذا انتقد عليه عصابة من علماء الحق، وألفوا تآليف في ذلك". توفي عام 1278هـ.

ومن مؤلفاته: الجنس الغالي في شرح الجوهر العالي، حاشية شرح السلم للقاضي مبارك، حاشية الأفق المبين لباقر داماد، حاشية تلخيص الشفاء لابن سينا، الهداية السعيدية في الحكمة الطبيعية، رسالة في تحقيق العلم والمعلوم والروض المجود في تحقيق حقيقة الوجود. انظر للتفصيل: أبجد العلوم (ص 715) ونزهة الخواطر، (1063/7).

² مع الأسف لم أقف على اسمه في قائمة الأعضاء في الكتب المطبوعة في هذا الخصوص؛ لكن جريدة "أهل الحديث" أمرتسر [(صاحبها: العلامة الشيخ ثناء الله الأمرتسري (ت: 1948هـ)] توضح فتقول: كان - رحمه الله - عضواً خاصاً لمطبعة "دائرة المعارف العثمانية" في حيدرآباد، والكتب النادرة - مثل "تهذيب التهذيب" للحافظ ابن حجر و"تذكرة الحفاظ" للذهبي، وغيرهما - قد طبعت بمشورته، وقد كان أصحاب المطابع المصرية يستشيرونه في طبع الكتب..". انظر: جريدة "أهل حديث" أمرتسر 31 مارس 1911م، نقلاً عن "حياة المحدث..." (ص 43). وانظر لترجمته: حياة المحدث شمس الحق العظيم آبادي وأعماله.

تطويرها والتقدم بها إلى الأمام. ثم آن أن تتكفل برعايتها ودعمها المالي "الدولة الآصفية" باقتراح من مدير تعليمها، فأضخ نشاطها أكبر ومخططاتها أوسع من ذي قبل؛ فطبع من الكتب ما لم يرها أهل العلم في الهند بل في العالم كله من قبل، في طبعة مصححة متفحة محققة (كما سيأتي بتفصيل) مثل:

- "كنز العمال" ¹ للمتقي الهندي في ثمانية مجلدات.

- و"تذكرة الحفاظ" ² في أربعة مجلدات.

- و"مسند أبي داود الطيالسي" ³.

- و"الاستيعاب" ⁴ في مجلدين.

وقد تمت هذه الأعمال العظيمة والإنجازات الضخمة - إضافة على ما تقدم - بفضل جهود من الهيئتين: الإدارية، والعلمية، وعدد لا بأس به من العلماء المتقنين والباحثين المهرة والأعضاء المتضلعين في مختلف العلوم. ⁵

¹ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالملكي الشهير بالمتقي الهندي (ت: ٩٧٥هـ)، صدر بتحقيق بكرى حياني، صفوة السقا، من مؤسسة الرسالة، عام 1401هـ=1981م.

² تذكرة الحفاظ لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748هـ)، طبع أولاً من الدائرة، ثم من دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، عام 1419هـ=1998م. في أربعة أجزاء.

³ مسند أبي داود الطيالسي: لسليمان بن داود بن الجارود مولى قریش الطيالسي (ت: 204هـ)، طبع أولاً من الدائرة عام 1321هـ، ثم طبع بتحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي من دار حجر، عام 1419هـ=1999م، في أربعة مجلدات.

⁴ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم الثوري القرطبي (ت: 463هـ)، طبع أولاً من الدائرة ثم طبع بتحقيق علي محمد البجاوي، من دار الجيل، بيروت، عام: 1412هـ=1992م، في أربعة أجزاء.

⁵ انظر للتفصيل عن الهيئتين والمدراء والأعضاء والباحثين سابقاً وحالياً: كتاب "مقاله تحفظ علوم قديمة" للأستاذ محمد هاشم الندوي (ص 54 وما بعدها) وكتاب "الفهرس الوصفي لمطبوعات دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد" (ص 9-14)، ط: الدائرة.

التعريف بتراث أصول الحديث

ننتقل الآن إلى تلك الكتب التي تمّ طبعها في "دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد" في أصول الحديث، وهي كالآتي:

- معرفة علوم الحديث: لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: 405هـ)، طبع أولاً بتحقيق: السيد معظم حسين من "دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد"، كما سيأتي بيانه، ثم طُبع من دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. عام: 1397هـ=1977م، في 261 صفحة. ثم نشر من دار الآفاق الجديدة بيروت، لبنان، سنة 1400هـ، وهي مصورة عن طبعة الدائرة، ثم صورتها عدة دور أخرى.
- الكفاية في علم الرواية: لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، طبع أولاً من الدائرة كما سيأتي تفصيله، ثم طبع بتحقيق أبي عبد الله السورقي إبراهيم حمدي المدني، من: المكتبة العلمية، المدينة المنورة، في 437 صفحة، كما صورت دار الكتب العلمية بيروت لبنان طبعة الدائرة عام 1409هـ.
- الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار: لأبي بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، زين الدين (ت: 584هـ)، طبعته دائرة المعارف العثمانية، عام 1359هـ في 244 صفحة، ثم طبع من عدة دور أخرى.
- مشكل الحديث وبيانه: لمحمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت: 406هـ)، طبع أولاً من دائرة المعارف كما سيأتي بيانه، ثم طبع بتحقيق موسى محمد علي من عالم الكتب، بيروت، لبنان، عام: 1985م، في 500 صفحة.

خمسة رسائل

في الأسانيد والأثبات

- 1- إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: 1250هـ)، طبع أولاً من الدائرة كما سيأتي تفصيله، ثم طبع بتحقيق خليل بن عثمان الجبور السبيعي من دار ابن حزم، بيروت، لبنان، عام 1420هـ=1999م في 229 صفحة.
- 2- الأمم لإيقاظ الهمهم: لإبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكوراني الشروزي الشافعي. طبع من الدائرة عام: 1328هـ=1910م، في 509 صفحة. ولا ندري هل طبع بتحقيق جديد أم لا.
- 3- قطف الثمر في رفع أسانيد المتصنفات في الفنون والأثر: لصالح بن محمد بن نوح بن عبد الله العمري المعروف بالفلاني المالكي (ت: 1218هـ). طبع أولاً من الدائرة كما سيأتي بيانه، ثم طبع بتحقيق عامر حسن صبري، من: دار الشروق، مكة المكرمة، عام: 1984م=1405هـ، في 249 صفحة.
- 4- الإمداد في معرفة علو الإسناد (أو ثبت عبد الله بن سالم البصري): جمعه ورتبه نجله سالم بن عبد الله البصري. مخطوط الكتاب موجود في موقع "كتاب بيديا"، نسخ عام 1147هـ، طبعته الدائرة عام 1328هـ=1910م كما سيأتي تفصيله.
- 5- بغية الطالبين لبيان المشايخ المحققين المعتمدين: لأحمد بن محمد النخلي المكي الشافعي (ت: 1130هـ) أولاً طبع من الدائرة كما سيأتي تفصيله، ثم طبع من "مكتبة نظام يعقوبي الخاصة"، مملكة البحرين، عام 2017م ومخطوط الكتاب موجود في شبكة "الألوكة" في 48 صفحة.

(1)

معرفة علوم الحديث

مؤلف هذا الكتاب الجليل: الإمام أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: 405هـ).¹

¹ ولد الإمام أبو عبد الله الحاكم النيسابوري صبيحة الثالث من ربيع الأول سنة 321هـ بنيسابور. طلب العلم بعناية والده وخاله واستمل على أبي حاتم بن حبان سنة أربع وثلاثين، فكان أول سماعه- وهو ابن تسع-، ورحل من نيسابور إلى العراق سنة إحدى وأربعين، ورجع، ثم سافر إلى بلاد خراسان وما وراء النهر.

سمع من جماعة لا يُحصىون كثرة؛ فإن معظم شيوخه بنيسابور وحدها نحو ألف شيخ، وسمع بغيرها من نحو ألف شيخ، تفقه على أبي سهل محمد بن سليمان الصعلوكي، قبل انتقاله إلى العراق، وقرأ على أبي علي بن أبي هريرة الفقيه، بعدما رحل إليها، وصحب في التصوف أبا عمر بن محمد بن جعفر الخلدي وأبا عثمان المغربي وجماعة، واختص بصحبة إمام وقته أبي بكر الضبي، وله إلى العراق والحجاز رحلتان، وكانت الرحلة الثانية سنة 360هـ، وناظر الحفاظ، وذاكر الشيوخ، وباحث الدارقطني (ت: 385هـ) فرضيه، وأملى بما وراء النهر سنة 55، وبالعراق سنة 67، ولازمه الدارقطني، وسمع منه أبو بكر القطان الشاشي وأنظاره.

وتقلد القضاء بنيسابور سنة 359هـ في أيام الدولة السامانية ووزارة أبي النصر محمد بن عبد الجبار العتيبي، وقد بعد ذلك قضاء جرجان فتمنع، وكانوا ينفذونه في الرسائل إلى ملوك بني بويه. وروى عن رجال كثيرين منهم أبوه ومحمد بن علي المذكر وأبو العباس محمد بن يعقوب الأصم وأبو عبد الله محمد بن يعقوب بن الأخرم ومحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني الصفار نزيل نيسابور وأبو حامد بن حسويه المقرئ وأبو النصر محمد بن محمد بن يوسف الفقيه وأبو عمرو عثمان بن السمك وأبو بكر التجار وأبو الوليد حسن بن محمد الفقيه وأبو بكر بن إسحاق الضبي الفقيه وعبد الباقي بن القانع الحافظ وأبو جعفر محمد بن صالح بن الحاني وأبو العباس بن محبوب، وغيرهم كثيرون. كان الحاكم إماماً جليلاً، حافظاً، عارفاً، ثقةً، واسع العلم، اتفق الناس على إمامته وجلالته وعظمه قدره وعلو مكانته، ورحل إليه من البلاد من كبار عصره لسعة علمه ودرايته.

ومن أهم تصانيفه: المستدرك على الصحيحين، تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم وما انفرد كل واحد منهما، المدخل إلى الصحيح، معرفة علوم الحديث، المدخل إلى كتاب الإكليل، تاريخ نيسابور طبقة شيوخ الحاكم، أمالي العشيات، سؤالات الحاكم للدارقطني في الجرح والتعديل، الضعفاء، العلل وفوائد الشيوخ. توفي في ثالث من صفر سنة 405هـ ودفن بعد العصر وصلى عليه القاضي أبو بكر الحيري. [انظر لترجمته: وفيات الأعيان لابن خلكان (1/484-485)، ولسان الميزان للحافظ العسقلاني (5/233-234)،

حقّقه وصحّحه واعتنى بإخراجه: السيد معظم حسين، طُبع لأول مرة من دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد في مجلد؛ ثم أعيدت طبعته الثانية سنة 1385هـ=1966م: ثم صوّرت دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان تلك النسخة نفسها، وطبعتها سنة: 1397هـ=1977م، ولم تغرّ فيها شيئاً حتى كتب في غلافه: "الطبعة الثانية".

هذا الكتاب ثاني الكتب المؤلفة في موضوع مصطلح الحديث وأصوله، ومن أهمّها وأجلّها، وقد اعتنى العلماء به في كلّ عصر ومصر شرحاً وتصحيحاً وتحقيقاً وتعليقاً ونشراً وتوزيعاً، حسب مقتضيات عصرهم، مما يدلّ على أهميته ومكانته العلمية بين الكتب والمؤلفات في الشأن. وقد تناول المؤلف - رحمه الله - فيه العديد من الأصول والقواعد والضوابط التي يبني عليها هذا العلم المبارك، مما يزيد من أهميته وجلالة قدره لدى أهل العلم. بدأ المؤلف رحمه الله كتابه هذا بمقدمة تحتوي على فضل أهل الحديث، وما في الاشتغال من النفع العظيم بهذا العلم الشريف في دنيانا ومعادنا. ثم أورد مسائل مصطلح الحديث مقسّماً إلى (52) نوعاً، وأتبع كلّ نوع بالأمثلة من الروايات المسندة، البالغ عددها (480) رواية.

نحن الآن لسنا بصدد التعريف به مفصّلاً، وإنما نرى كفايةً وغنيةً فيما أسلفناه وفيما سيأتي، ونرى من المناسب أن ننقل هنا قسبتين لمزيد بيان أهمية الكتاب: يقول العلامة طاهر الجزائري:

"وقفنا على كتاب معرفة علوم الحديث للمحافظ الجليل المجمع على صدقه وإمامته في

وتذكرة الحافظ للذهبي (3/ 228-233)، وطبقات الشافعية لابن السبكي (3/ 64-72)، وتاريخ نيسافور للحاكم. والإرشاد في معرفة علماء البلاد للخليل بن عبد الله القزويني، مكتبة الرشد بالرياض، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت. وسير أعلام النبلاء للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت. وتبيين الكاذب المفترى فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري لابن عساكر، دار الكتاب العربي، بيروت. شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد].

هَذَا الْفَنَ: أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الضَّيِّيَّ الْمَعْرُوفَ بِالْحَاكِمِ ، فَوَجَدْنَا فِيهِ فَوَائِدَ مَهْمَةً رَاقِيَةً ، يَنْبَغِي لَطَالِبِي هَذَا الْفَنِّ الْوُقُوفُ عَلَيْهِ ، فَارَأَيْنَا أَنَّ نُورِدَ مِنْ كُلِّ مَبْحَثٍ مِنْ مَبَاحِثِهِ شَيْئًا مِمَّا ذَكَرَ فِيهِ حَتَّى يَكُونَ الْمَطَالَعُ لَذَلِكَ كَأَنَّهُ مُشْرِفٌ عَلَيْهِ".¹

يقول العلامة ابن خلدون:

"وقد آلف النَّاسُ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ وَأَكْثَرُوا. وَمِنْ حُقُولِ عِلْمَائِهِ وَأَثْمَتِهِمْ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمِ، وَتَأَلَّفَهُ فِيهِ مَشْهُورَةٌ، وَهُوَ الَّذِي هَذَّبَهُ، وَأَظْهَرَ مَحَاسَنَهُ".²

ومما يجدر بالذكر أَنَّ صِحَّةَ نِسْبَةِ الْكِتَابِ إِلَى مُؤَلِّفِهِ قَدْ ثَبَتَتْ مِنْ خِلَالِ عِدَّةِ عَوَامِلَ، مِنْ أَهْمِّهَا أَنَّهُ نَسَبَهُ إِلَيْهِ كُلُّ مَنْ:

1- أبو سعد السمعاني في "التحبير في المعجم الكبير".³

2- ابن الصلاح في "صيانة صحيح مسلم".⁴

3- النووي في "شرح صحيح مسلم".⁵

4- الذهبي في "تذكرة الحفاظ".⁶

ذكر الإمام الحاكم بنفسه سبب تأليفه، وما يحتوي عليه، والمنهج الذي اتبعه:

"فَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ الْبِدْعَ فِي زَمَانِنَا كَثُرَتْ، وَمَعْرِفَةُ النَّاسِ بِأُصُولِ السُّنَنِ قَلَّتْ، مَعَ إِمْعَانِهِمْ فِي كِتَابَةِ الْأَخْبَارِ، وَكَثْرَةِ طَلْبِهِ عَلَى الْإِهْمَالِ وَالْإِغْفَالِ، دَعَانِي ذَلِكَ إِلَى تَصْنِيفِ كِتَابٍ خَفِيفٍ، يَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ أَنْوَاعِ عِلْمِ الْحَدِيثِ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ طَلِبَةُ

¹ توجيه النظر إلى أصول الأثر للجزائري (390/1).

² تاريخ ابن خلدون لابن خلدون، الفصل السادس في علوم الحديث (559/1).

³ انظر: التحبير في المعجم الكبير (148/1)، (181/1)، (283/2).

⁴ "صيانة صحيح مسلم" (ص 75، 83، 84، 96، 149، 163).

⁵ انظر: شرح النووي على مسلم (19/1).

⁶ تذكرة الحفاظ = طبقات الحفاظ للذهبي (164/3).

الأخبار، المُواظِبُونَ عَلَى كِتَابَةِ الْأَثَارِ، وَأَعْتَمِدُ فِي ذَلِكَ سُلُوكَ الْإِخْتِصَارِ، دُونَ الْإِطْنَابِ فِي الْإِكْتَارِ".¹

بداية الكتاب:

بعد الحمد والصلاة وهو يتضمن بيان شرف أهل الحديث:

"حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَرْزُوقٍ الْبَصْرِيُّ بِمِصْرَ، ثنا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، ثنا شُعْبَةُ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ».

سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْأَدِمِيَّ بِمَكَّةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ مُوسَى بْنَ هَارُونَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ يَقُولُ: وَسُئِلَ عَنْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ: "إِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فَلَا أَذْرِي مَنْ هُمْ".

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: وَفِي مِثْلِ هَذَا قِيلَ: مَنْ أَمَرَ السُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا = نَطَقَ بِالْحَقِّ، فَلَقَدْ أَحْسَنَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْخَبَرِ أَنَّ الطَّائِفَةَ الْمَنْصُورَةَ الَّتِي يُرْفَعُ الْخِلْدَانُ عَنْهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ هُمْ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ، وَمَنْ أَحَقُّ بِهَذَا التَّأْوِيلِ مِنْ قَوْمٍ سَلَكَوا مَحَجَّةَ الصَّالِحِينَ، وَاتَّبَعُوا آثَارَ السَّلَفِ مِنَ الْمَاضِينَ، وَدَمَعُوا أَهْلَ الْبِدْعِ وَالْمُخَالَفِينَ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ مِنْ قَوْمٍ أَثَرُوا قَطْعَ الْمَفَاوِزِ وَالْقِفَارِ عَلَى التَّنْعِيمِ فِي الدِّمَنِ وَالْأَوْطَارِ، وَتَنَعَّمُوا بِالْبُؤْسِ فِي الْأَسْفَارِ، مَعَ مُسَاكَنَةِ الْعِلْمِ وَالْأَخْبَارِ، وَقَنَعُوا عِنْدَ جَمْعِ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ بِوُجُودِ الْكِسْرِ وَالْأَظْمَارِ، قَدْ رَفَضُوا الْإِلْحَادَ الَّذِي تُتَوَقَّعُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ الشَّهَوَانِيَّةُ، وَتَوَابَعُ ذَلِكَ مِنَ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ وَالْمَقَائِيسِ وَالْأَرَاءِ وَالزِّيغِ جَعَلُوا الْمَسَاجِدَ بُيُوتَهُمْ، وَأَسَاطِينَهَا تَكَاهُمُ، وَبَوَارِهَا فُرُشُهُمْ".

.. قَالَ عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ بْنُ غِيَاثٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي، وَقِيلَ لَهُ: أَلَا تَنْتَظِرُ إِلَى أَصْحَابِ

¹ معرفة علوم الحديث للحاكم (ص 1).

الحديث وَمَا هُمْ فِيهِ، قَالَ: «هُمْ خَيْرُ أَهْلِ الدُّنْيَا»¹.

وآخر ما انتهى به:

"حَدَّثَنَا الزُّبَيْرُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو تَرَابٍ مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ قَطَنِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ بَقِيَّةَ يَقُولُ: لَقِيتُ شُعْبَةَ بَغْدَادَ، فَقَالَ لِي: «لَوْ لَمْ أَلْقَ لَمْتُ، مَعَكَ كِتَابُ بَحْرِ بْنِ سَعْدٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: إِذَا رَجَعْتَ فَأَكْتُبْهُ، وَأَخْتِمْهُ، وَوَجِّهْ بِهِ إِلَيَّ»².

وقد قام الأستاذ الدكتور السيد معظم حسين - رئيس قسم اللغة العربية والإسلامية بدهاكة بنغلة ديش سابقاً - رحمه الله، بتحقيق هذا الكتاب، وبذل جهداً كبيراً في إخراجها، كتب أولاً "مقدمة المحقق" في 35 صفحة، فبادئ ذي بدء "ترجمة المؤلف": الإمام أبي عبد الله الحاكم النيسافوري في سبع صفحات، وأما المصادر التي استفاد منها لترجمته فهي كالآتي:

1- وفيات الأعيان لابن خلكان.³

2- لسان الميزان للعسقلاني.⁴

¹ معرفة علوم الحديث (ص 2-3).

² المصدر نفسه (ص 261).

³ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 682هـ)، طبع بتحقيق إحسان عباس، من دار صادر، بيروت، لبنان. وقد تم طبعه في سبعة أجزاء مرحلة بعد مرحلة، طبع الجزء الأول عام: 1900م، والجزء الأخير - وهو السابع - 1994م.

⁴ لسان الميزان: لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، طبع أولاً من دائرة المعارف العثمانية، الهند، ثم من مؤسسة الأعلي للطبوعات، بيروت، لبنان، عام 1390هـ=1971م، في سبعة أجزاء. ثم طبع أخيراً بتحقيق عبد الفتاح أبي غده من دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، عام: 2002م، في عشرة أجزاء. سيأتي عنه مزيد بيان إن شاء الله. كما قام الشيخ حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني بإعداد "ذيل لسان الميزان" وهو في 247 صفحة،

3- تذكرة الحفاظ للذهبي.¹

4- طبقات الشافعية لابن السبكي.²

ثم يأتي "مقدمة المصحح" على 28 صفحة، بين فيها شرف الحديث وعلومه، وتدوينه، وجهود العلماء فيه على مرّ العصور وتتابع الأجيال، وشدة عناية الصحابة بنقل الحديث لمن لم يبلغه، وأورد الكلام عن نشأة علم الجرح والتعديل والمصطلحات التي اختيرت له، ومن ثم نشأة علم مصطلح الحديث وتطورات الزمنية بنقل بعض القبسات من كتاب "نخبة الفكر" للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، وذلك بكلّ تفصيل مع بيان أهمّ الكتب وأجودها نظمًا ونثرًا، إضافةً إلى بيان نسخ تلك الكتب الخطيّة ومكان وجودها في مكتبات العالم بتفاصيل أرقامها، وتعرض كذلك لذكر الكتب التي طُبعت في هذا الفن لأول مرة في الهند.

وطبع من دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، عام 1418هـ.
¹ تذكرة الحفاظ لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748هـ)، طبع من دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، عام: 1419هـ=1998م. في أربعة أجزاء. وهو أشهر كتاب في موضوعه، وله اسم آخر وهو "طبقات الحفاظ"، يحتوي على (1176) ترجمة، مرتبة على (21) طبقة، بدءًا بطبقة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وانتهاءً بترجمة شيخه الحافظ المزي، كما أتبعها بذيل، ذكر فيه ترجمة لـ "36" شخصًا من شيوخه وزملائه ورفاقه، آخرهم: ابن عبد الهادي (ت: 744هـ). والكتاب مطبوع من عدة دور أخرى لا عدّها.
وله ذيلٌ باسم "ذيل تذكرة الحفاظ" لشمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي الشافعي (ت: 765هـ)، طبع من دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، عام 1419هـ=1998م، في 43 صفحة. وسيأتي عنه مزيد بيان إن شاء الله تعالى.
² طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: 771هـ)، طبع بتحقيق الدكتور محمود محمد الطناحي والدكتور عبد الفتاح محمد الحلّو، من هجر للطباعة والنشر والتوزيع، عام 1413هـ، في عشرة أجزاء.
وهناك كتاب آخر بالاسم نفسه "طبقات الشافعية" لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهيبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شعبة (ت: 851هـ)، طبع بتحقيق الدكتور الحافظ عبد العليم خان، من عالم الكتب، بيروت، لبنان، عام 1407هـ في أربعة أجزاء.

أما نُسخ الكُتاب التي عثر عليها المحقق فيبلغ عددها 11 نسخة من حيث المجموع، في مختلف مكتبات العالم خلال سفره إلى بلاد أوروبا، وتركيا، والشام، ومصر. أجودها التي وجدها في "مكتبة المتحف البريطاني". وتفصيلها فيما يلي:

- 1- النسخة المحفوظة في "مكتبة المتحف البريطاني"، لندرا، تحت رقم: [or:9676]، نسخها المحقق بيده حين فراغه من الحصول على شهادة دكتوراة بجامعة أكسفورد، وصفها المحقق كأحسن النسخ وأجودها، وهي مجزأة إلى خمسة أجزاء، محتوية على 164 صفحة، يبلغ طول الصفحة منها 13 سنتي متراً، وعرضها 10 سنتي متراً، وفي كل صفحة 22 سطراً، ومكتوب على الصفحة الأولى منها: "كُتاب معرفة علوم الحديث"...
- 2- نسخة "مكتبة ولي الدين" بقسطنطينية، عدد رقعها 454، هي ذات 142 صفحة، وفي كل صفحة 23 سطراً، وطول الورق بالسنتيمتر 24، وعرضه 17، وصفه المحقق بأنه لا يوثق بها لكثرة ما فيها من التحريف، وليس فيها صورة السماع، ولا اسم الكاتب وتاريخ الكتابة.
- 3- نسخة "مكتبة أيا صوفية"، قسطنطينية، عدد رقعها: 444، تقع في 106 صفحة، وفي كل منها 24 سطراً تقريباً، وطول الصفحة بالسنتيمتر 20، وعرضها 14. وهذه النسخة أيضاً ذات نقص مضطربة الأوراق، مختلطة الأنواع.
- 4- وأما النسخة الثانية في "مكتبة أيا صوفية" فعدد رقعها 449، هي في 128 صفحة، وفي كل صفحة 15 سطراً، والصفحة منها في 22 سنتماً.
- 5- نسخة وجدها المحقق في سفره لمدينة حلب الشهباء في التكية الأخلاصية عند السادة الرفاعية، وذلك بتوجيه من الشيخ الأستاذ محمد راغب الطباخ الحلبي. لكنه لم يسع الوقت للمحقق أن يقابل على هذه النسخة.

- 6- نسخة "دار الكتب الظاهرية" بدمشق، عدد رقما 403، هي في 86 صفحة، وفي كل صفحة من 34 إلى 38 سطراً، وطول الصفحة بالسنتيمتر 26، وعرضها 9، وهذه النسخة أيضاً عارية عن صورة السماع وغير مثبت فيها اسم الناسخ وتاريخ النسخ.
- 7- نسخة "رواق المغاربة" في الأزهر الشريف بالقاهرة، ولم يوفق المحقق للنظر فيها أو المقابلة.
- 8- نسخة الشيخ عبد المعطي السقاء بالمنزل رقم: 8، بشارع الشلي، القاهرة. ولم يوفق المحقق للمقابلة لقلّة الوقت عنده.
- 9- نسخة "مكتبة خدا بخش" بتة بيهار، الهند، محررة سنة 1291 هـ.
- 10- نسخة "مكتبة الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني"¹ بعلي كره، يوبي، الهند.
- 11- نسخة "المكتبة الآصفية" بحيدرآباد الدكن، الهند. وهاتان النسختان قد وجد المحقق فيهما كثيراً من الأخطاء الفاحشة.²
- وقد قام المحقق بمقابلة هذا الكتاب على إحدى عشرة نسخة من النسخ التي سبق ذكرها آنفاً، وتخليها، واعتمد على نسخة المتحف البريطاني متناً للكتاب، وقام بإثبات فروقات النسخ بالحواشي، وإثرائه بالتعليق والتنقيح والتنبية بمراجعة الكتب المتبعة والمصادر الموثوقة في هذا الفن.
- يقول المحقق عن منهجه الذي تبعه:
- "فاعتمدت في الطبع على نسخة "المتحف البريطاني"، وأثبت في أسفل الصفحات ما

¹ انظر لترجمته: نزهة الخواطر، 1208/8.

² راجع للتفصيل: كتاب "معرفة علوم الحديث"، مقدمة المصحح. رقم الصفحة غير موجود، (من "حج" إلى "ح"). وأما نسخة بيروت فليس فيها رقم الصفحة بل رمز بطريقة "أبجد هوزية" المذكورة آنفاً في نسخة "الدائرة".

وجدتُ من الاختلافات والزيادات بالمقابلة مع النسخ الأخر... فهذه النسخة موسومة في التصحيح عند اختلاف النسخ "بالأصل"، والنسخة بـ"مكتبة أبياصوفية" مرموز إليها بالكلمة «صو»، ونسخة "المكتبة الظاهرية" مشار إليها بالحرف "ظ"، والنسخة بمكتبة "خدا بنخش" مشار إليها بالحرف "خ"، ونسخة "مولانا الشرواني" بالحرف "ش"، ونسخة "المكتبة الآصفية" بالكلمة "صف".¹

والذي يُقلق القارئ كثيراً هو عدم وجود العناوين البارزة في مقدمة التصحيح، إننا واجهنا الصعوبات خلال دراسة هذا الكتاب لأجله، والكتاب في حاجة إلى إعادة طبعه من جديد مراعيًا الطريقة المعاصرة في نشر الكتب. نسخة "دائرة المعارف" تقع في 330 صفحة، ونسخة بيروت تقع في 266 صفحة.

(2)

الكفاية في علم الرواية

مؤلفه: الإمام المحدث أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي المعروف بـ"الخطيب البغدادي" (ت: 463هـ).²

¹ المصدر نفسه (كط).

² هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب البغدادي: أحد الحفاظ المؤرخين المتقدمين (392-463هـ).

مولده في "عُزَيَّة" - مصغراً - منتصف الطريق بين الكوفة ومكة المكرمة - شرفها الله تعالى -، ومنشؤه ووفاته ببغداد.

رحل إلى مكة المكرمة، وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرها، وعاد إلى بغداد؛ فقربه رئيس الرؤساء ابن مسلمة "وزير القائم العباسي"، وعرف قدره، ثم حدثت شؤون خرج على أثرها مستتراً إلى الشام؛ فأقام مدة في دمشق وصور وطرابلس وحلب سنة 462 هـ، ولما مرض مرضه الأخير، وقف كتبه، وفرق جميع ماله في وجوه البر وعلى أهل العلم والحديث.

وكان فصيح اللهجة، عارفاً بالأدب، يقول الشعر، ولوعاً بالمطالعة والتأليف، ذكر ياقوت الحموي 56 كتاباً من مصنفاته، نذكر هنا بعضاً منها. من أفضلها على الإطلاق "تاريخ بغداد وكذا له الجامع لأخلاق

أما صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه فقد ثبتت من خلال عدة أمور، من أهمها:

أ - نصّ على نسبته للمؤلف عدد لا بأس به من أصحاب كتب التراجم والطبقات، مثل:

- 1- الإمام النووي في "شرح مسلم".¹
- 2- الحافظ الذهبي في "سير أعلام النبلاء".²
- 3- الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية".³
- 4- الحافظ السيوطي في "طبقات الحفاظ".⁴

ب - استفاد منه ونقل عنه جمع من أهل العلم مع الإحالة إليه، منهم:

- 1- الحافظ ابن حجر في "الإصابة".⁵
- 2- ابن مفلح في "المقصد الأرشد".⁶

هذا الكتاب من أوائل الكتب المؤلفة في موضوع أصول الحديث، بل عقب كتاب الحاكم النيسافوري السالف ذكره. ومن قبله كانت علوم مصطلح الحديث مفرقةً مبعثرةً في مختلف الكتب وبطون الأسفار، ولم تكن على ترتيبٍ مرضيٍّ، يستفيد منها أهل العلم كما هو المطلوب، فجاء هذا الكتاب جامعاً لشتاتها، مرتباً لمفرقها، مميّزاً

الراوي وآداب السامع والرحلة في طلب الحديث والكفاية في علم الرواية وتقييد العلم للخطيب البغدادي وشرف أصحاب الحديث والفقهاء والمتفقه والأسماء المبهمة في الأبناء المحكمة وتالي تلخيص المتشابه وموضح أوهام الجمع والتفريق. [انظر لترجمته: معجم الأدباء (248/1) وطبقات الشافعية (12/3) والنجوم الزاهرة (87/5) وابن عساكر (398/1) وابن الوردي (374/1) ومصادر أخرى.

- ¹ شرح النووي على مسلم (135/1)، (222/1)
- ² سير أعلام النبلاء- ط الرسالة (434/21)، (289/18). و"تذكرة الحفاظ" له (223/3).
- ³ "البداية والنهاية" (29/16 ت التركي).
- ⁴ طبقات الحفاظ للسيوطي (ص 434).
- ⁵ الإصابة في تمييز الصحابة (22/1)، (131/1)، (162/1)، (103/7).
- ⁶ المقصد الأرشد (ص 358)

لمعالمها، محدداً حدودها، ولم يقتصر البغدادي عليه، وإنما صنف العديد من الكتب الأخرى في الشأن، توضيحاً وتفصيلاً وشرحاً واستيعاباً، فكلُّ من جاء بعده عيال عليه فيما كتب وحرر وصنف.

والذي يميّزه عن غيره من كتب الشأن هو اهتمامه بذكر الإسناد لكل قول، إلى جانب بيان أصول الرواية وقوانينها وأقوال العلماء الأثبات والمتقنين فيه. قال الحافظ ابن حجر عن قدامته وأهميته:

"فَنَ أَوَّلَ مَنْ صَنَّفَ فِي ذَلِكَ: الْقَاضِي أَبُو مُحَمَّدٍ الرَّامِرْمُزِيُّ فِي كِتَابِهِ "المَحْدِثُ الْفَاصِلُ"؛ لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَوْعِبْ. وَالْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ التَّيْسَابُورِيُّ، لَكِنَّهُ لَمْ يَهْدُبْ وَلَمْ يُرَتِّبْ. وَتَلَاهُ أَبُو نَعِيمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ؛ فَعَمِلَ عَلَى كِتَابِهِ "مُسْتَخْرَجًا"، وَأَبْقَى أَشْيَاءَ لِلْمُتَعَقِّبِ.

ثُمَّ جَاءَ بَعْدَهُمُ الْخَطِيبُ أَبُو بَكْرٍ الْبَغْدَادِيُّ؛ فَصَنَّفَ فِي قَوَانِينِ الرِّوَايَةِ كِتَابًا سَمَّاهُ "الْكَفَايَةُ"، وَفِي آدَابِهَا كِتَابًا سَمَّاهُ "الْجَامِعَ لِآدَابِ الشَّيْخِ وَالسَّامِعِ".

وَقَلَّ مَنْ فُنُونِ الْحَدِيثِ إِلَّا وَقَدْ صَنَّفَ فِيهِ كِتَابًا مُفْرَدًا، فَكَانَ كَمَا قَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ بِنُ نَقْطَةً: كُلُّ مَنْ أَنْصَفَ عِلْمَ أَنَّ الْمَحْدِّثِينَ بَعْدَ الْخَطِيبِ عِيَالٌ عَلَى كُتُبِهِ".¹

بد اية الكتاب - بعد الخطبة - كما يلي:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْقَذَ الْخَلْقَ مِنْ ثَائِرَةِ الْجَهْلِ، وَخَلَصَ الْوَرَقَ مِنْ زَخَارِفِ الضَّلَالَةِ بِالْكِتَابِ النَّاطِقِ وَالْوَحْيِ الصَّادِقِ، الْمُنْزِلِينَ عَلَى سَيِّدِ الْوَرَى نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى، ثُمَّ أَوْجَبَ النِّجَاةَ مِنَ النَّارِ، وَالْبُعْدَ عَنْ مَنْزِلِ الذِّلِّ وَالْخَسَارِ، لِمَنْ أَطَاعَهُ فِي امْتِثَالِ مَا أَمَرَ وَالْكَفِّ عَمَّا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ، فَقَالَ: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [سورة: النور، آية رقم: 52]

¹ نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر (39/1).

وَطَاعَةُ اللَّهِ فِي طَاعَةِ رَسُولِهِ، وَطَاعَةُ رَسُولِهِ فِي اتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، إِذْ هِيَ النُّورُ الْبَهِيُّ وَالْأَمْرُ الْجَلِيُّ وَالْحُجَّةُ الْوَاضِحَةُ وَالْمَحَجَّةُ اللَّائِحَةُ، مَنْ تَمَسَّكَ بِهَا اهْتَدَى، وَمَنْ عَدَلَ عَنْهَا ضَلَّ وَغَوَى.

وَلَمَّا كَانَ ثَابِتُ السُّنَنِ وَالْآثَارِ وَصِحَّاحُ الْأَحَادِيثِ الْمُنْقُولَةِ وَالْأَخْبَارِ مَلْجَأُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْأَحْوَالِ، وَمَرْكَزُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْأَعْمَالِ، إِذْ لَا قِيَامَ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْتِعْمَالِهَا، وَلَا ثَبَاتَ لِأَمْرِ الدِّينِ إِلَّا بِاتِّخَاذِهَا، وَجَبَ الْجَهْدُ فِي حِفْظِ أَصُولِهَا، وَلَزِمَ الْحَثُّ عَلَى مَا عَادَ بِبِعْمَارَةِ سَبِيلِهَا، وَقَدْ اسْتَفْرَغَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا وَسَعَهَا فِي كُتُبِ الْأَحَادِيثِ وَالْمُثَابِرَةِ عَلَى جَمْعِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْلُكُوا مَسْلَكَ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَيَنْظُرُوا نَظَرَ السَّلَفِ الْمَاضِينَ فِي حَالِ الرَّأْيِ وَالْمَرْوِيِّ، وَتَمَيِّزِ سَبِيلِ الْمُرْذُولِ وَالرَّضِيِّ، وَاسْتِنْبَاطِ مَا فِي السُّنَنِ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَإِثَارَةِ الْمُسْتَوْدَعِ فِيهَا مِنَ الْفِقْهِ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، بَلْ قَنَعُوا مِنَ الْحَدِيثِ بِاسْمِهِ، وَاقْتَصَرُوا عَلَى كُتُبِهِ فِي الصُّحُفِ وَرَسْمِهِ، فَهُمْ أَغْمَارُ، وَحَمَلَةُ أَسْفَارٍ، قَدْ تَحَمَّلُوا الْمَشَاقَّ الشَّدِيدَةَ، وَسَافَرُوا إِلَى الْبُلْدَانِ الْبَعِيدَةِ، وَهَانَ عَلَيْهِمُ الدَّأْبُ وَالْكَلَالُ، وَاسْتَوْطِثُوا مَرَائِبَ الْحِلِّ وَالْإِرْتِحَالِ، وَبَدَلُوا الْأَنْفُسَ وَالْأَمْوَالَ، وَرَكِبُوا الْمَخَافَ وَالْأَهْوَالَ، شُعْثَ الرُّءُوسِ، شُحْبَ الْأَلْوَانِ، خُمَصَ الْبُطُونِ، نَوَاحِلَ الْأَبْدَانِ، يَقْطَعُونَ أَوْقَاتَهُمْ بِالسَّيْرِ فِي الْبِلَادِ لِمَا عَلَا مِنَ الْإِسْنَادِ، لَا يُرِيدُونَ شَيْئًا سِوَاهُ وَلَا يَبْتَغُونَ إِلَّا إِيَّاهُ، يَجْلُونَ عَمَّنْ لَا تَثْبُتُ عَدَالَتُهُ، وَيَسْمَعُونَ بِمَنْ لَا تَجُوزُ أَمَانَتُهُ، وَيَرَوْنَ عَمَّنْ لَا يَعْرِفُونَ صِحَّةَ حَدِيثِهِ، وَلَا يَتَيَقَّنُ ثُبُوتَ مَسْمُوعِهِ، وَيَحْتَجُّونَ بِمَنْ لَا يُحْسِنُ قِرَاءَةَ صَحِيفَتِهِ، وَلَا يَقُومُ بِشَيْءٍ مِنْ شَرَائِطِ الرِّوَايَةِ، وَلَا يَفْرُقُ بَيْنَ السَّمَاعِ وَالْإِجَارَةِ، وَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْمُسْنَدِ وَالْمُرْسَلِ وَالْمَقْطُوعِ وَالْمُتَّصِلِ، وَلَا يَحْفَظُ اسْمَ شَيْخِهِ الَّذِي حَدَّثَهُ حَتَّى يَسْتَنْبِطَهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَكْتُبُونَ عَنِ الْفَاسِقِ فِي

فِعْلِهِ، الْمَذْمُومُ فِي مَذْهَبِهِ، وَعَنِ الْمُبْتَدِعِ فِي دِينِهِ، الْمَقْطُوعِ عَلَى فُسَادِ
اعْتِقَادِهِ، وَيَرَوْنَ ذَلِكَ جَائِزًا، وَالْعَمَلُ بِرِوَايَتِهِ وَاجِبًا، إِذَا كَانَ السَّمَاعُ
ثَابِتًا وَالْإِسْنَادُ مُتَقَدِّمًا عَالِيًا، فَجَرَّ هَذَا الْفِعْلُ مِنْهُمْ الْوَقِيعَةَ فِي سَلَفِ الْعُلَمَاءِ،
وَسَهَّلَ طَرِيقَ الطَّعْنِ عَلَيْهِمْ لِأَهْلِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ، حَتَّى ذَمَّ الْحَدِيثَ وَأَهْلَهُ
بَعْضُ مَنْ ارْتَسَمَ بِالْفَتْوَى فِي الدِّينِ ...¹

وآخر ما انتهى به [من كلام الإمام الشافعي]:

"قَالَ لِي مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ: "الأَصْلُ قُرْآنٌ وَسُنَّةٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقِيَاسٌ
عَلَيْهِمَا، وَإِذَا اتَّصَلَ الْحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَحَّ الْإِسْنَادُ مِنْهُ،
فَهُوَ سُنَّةٌ، وَالْإِجْمَاعُ أَكْبَرُ مِنَ الْخَبَرِ الْمُقَرَّدِ، وَالْخَبَرُ الْمُقَرَّدُ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَإِذَا
احْتَمَلَ الْمَعَانِي فَكَأَشْبَهَ مِنْهَا ظَاهِرُهُ أَوَّلَاهَا بِهِ، وَإِذَا تَكَافَأَتِ الْأَحَادِيثُ
فَأَصَحُّهَا إِسْنَادًا أَوَّلَاهَا، وَلَيْسَ الْمُنْقَطِعُ بِشَيْءٍ، مَا عَدَا مُنْقَطِعَ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، وَلَا
يُقَاسُ أَصْلٌ عَلَى أَصْلٍ، وَلَا يُقَالُ لِأَصْلٍ: لَمْ وَكَيْفَ؟ وَإِنَّمَا يُقَالُ لِلْفَرْعِ: لَمْ؟
فَإِذَا صَحَّ قِيَاسُهُ عَلَى الْأَصْلِ صَحَّ وَقَامَتْ بِهِ الْحُجَّةُ".²

طُبِعَ لأول مرة في الهند من "دائرة المعارف العثمانية" مقابلًا على نسختين:

الأولى: هي نسخة "المكتبة الآصفية النظامية" بحيدرآباد، قام بتحقيقها وتصحيحها
العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف السورتي (ت: 1361هـ).

والثانية: هي التي سمعت عنها "الدائرة"، بأنها موجودة في مكتبات أستانبول، تركيا،
فتم الحصول على صورتها الشمسية بمعاونة من مسؤوليها، فكانت جيدة جدًا، لم يكن
بها من الأخطاء التي تزري بها أو تنقص من أهميتها. وقد قام بالتصحيح والمقابلة

¹ الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص 4)

² الكفاية (ص 437).

فضيلة مدير "الدائرة" مع العلامة الشيخ إبراهيم حمدي المدني- مدير مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة خلال زيارته للدائرة بحيدرآباد. وقام مصححو "الدائرة" باستدراك ما بقي من التصحيح.

وفُرق بين النسختين في التعليق، فعلامة "صف" لنسخة "المكتبة الآصفية"، وعلامة "قط" لنسخة "مكتبة الإستامبول". وللمصحح الأول أعني: الشيخ السورقي علامة "س"، وللآخرين من مصححي¹ الدائرة علامة "ح".²

طبع هذا الكتاب بعد التصحيح والمقابلة سنة 1357 هـ. في صفحة: 455، من مطبع "دائرة المعارف العثمانية" حيدرآباد.

كان من المفروض أن تكون "كلمة التصحيح" و"ترجمة المؤلف" في بداية الكتاب، لكننا نرى في هذا الكتاب أنهما في نهايته، هذا ربما يُزعج القارئ، إنني تصفحتُ الكتاب وبعد أن يئست فرأيت في آخره، وكون "كلمة المصحح" بدون أي عنوان يزج أيضاً، وبدون اسم كاتبه. والذي يبدو لنا أنه كتب "كلمة التصحيح" العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلي اليمني رحمه الله، ويشير إليه قوله هذا:

"وعني بتصحيحه من رجال الدائرة ... وخادهم الأحقر: عبد الرحمن بن يحيى المعلي اليمني...".³

كما يعلق ترتيبهما والفهرس، فأولاً تقع "كلمة التصحيح" بدون عنوان في آخر الكتاب؛ ثم فهرس الكتاب؛ ثم ختم بـ"ترجمة المؤلف".

¹ المشاركون في تصحيحها هم: الشيخ هاشم الندوي والعلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلي اليمني والشيخ محمد طه الندوي والشيخ أحمد الله الندوي والشيخ محمد عادل القدوسي والشيخ حسن جمال الليل المدني والشيخ أحمد بن محمد اليمني رحمهم الله تعالى. انظر: الكفاية في علم الرواية (طبعة الدائرة) (ص 441).

² يراجع للتفصيل عن النسخ: المصدر نفسه (ص 440-441).

³ المصدر نفسه (ص 441).

بين يدي عدة نسخ مطبوعة للكاتب:

- طبعة "الدائرة" تقع في 455 صفحة، بتحقيق وتصحيح عدد من الباحثين المهرة في الفن، سنة: 1357هـ.
 - طبعة "دار الكتب العلمية" بيروت، لبنان، نسخة مصوّرة للدائرة، يقع في 450 صفحة، سنة: 1409هـ.
 - طبعة "دار الكتاب العربي" بيروت. في 486 صفحة، بتحقيق د أحمد عمر هاشم، سنة: 1405هـ=1985م. وقد جعل المحقق "نسخة الدائرة" أصلاً في عمله، ولم يزد فيها إلا تخريج النصوص مع بعض التعليقات.
 - طبعة "المكتبة العلمية" بالمدينة المنورة، وهي التي حُمل في "الشاملة" مع حذف "كلمة المصحح"، وأخطئ في اسم المحقق؛ كتب اسمين، وهما: أبو عبد الله السورقي، الصحيح "السورقي"، نسبة إلى مدينة تقع في الهند، والثاني: إبراهيم حمدي المدني. والصحيح: حققها مجموعة من العلماء الباحثين، أشهرهم العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلي اليمني.
 - طبعة دار ابن الجوزي، الدمام. بتحقيق الدكتور ماهر يسين الفحل، في مجلدين، طبع سنة: 1432هـ، هي نسخة مقابلة على النسخ المطبوعة التي سبقتها.
- كثرة طبعات هذا الكتاب يدلُّ على أهميته بمكان لدى المتضلعين في هذا الفن والمهتمين به. و"دائرة المعارف" لها الأسبقية والأولية في الاهتمام بطبعه مع التدقيق والتصحيح والتحقيق، حتى أصبح الباحثون والمحققون عيالاً عليه، وصار جُلُّ اعتمادهم عليها، مما يدلُّ على أنَّ "الدائرة" قد اجتمعت فيها كوكبة ونخبة من العلماء المهرة الأثبات الذين قاموا بكل هذه الخدمات وبذلوا ما كان في وسعهم لإخراج هذا وغيره من التراث العلمي العظيم على المستوى المطلوب.

(3)

الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار

مؤلفه: العلامة المحدث أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، زين الدين (ت: 584هـ).¹

طبعته "دائرة المعارف العثمانية" مرتين؛ لكننا لم نعثر على الطبعة الأولى، وإنما عثرنا على الطبعة الثانية التي طبعت سنة: 1359هـ.

هذا الكتاب يُعدُّ من أهمِّ الكتب وأوائلها المؤلفة في النسخ والمنسوخ من علوم السنة. ففي البداية "خطبة" و"مقدمة" قيمة، فيها تعريف علم النسخ والمنسوخ لغة واصطلاحاً، وشروطه وعلاماته، ونشأته وبيان أهميته وما إلى ذلك.

قال الجزائري في "التوجيه": "وقد رأيت في كتاب الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الحديث للحافظ الحازمي عبارة ربما كان لها موقع عظيم هنا في المقدمة في بيان شروط النسخ...".²

¹ هو محمد بن موسى بن عثمان ابن حازم، أبو بكر، زين الدين، المعروف بالحازمي (548-584هـ). أحد رجال الحديث وأعلام السنة وعلومها. لم يعمّر طويلاً، فإنه قد مات في السادسة والثلاثين من عمره، ورغم قلة عمره وحداثة سنه أجمع أهل السير والطبقات والنقد على علوِّ كعبه وسموِّ مكانته في مجال الحديث وعلومه خاصة والعلوم الأخرى المتصلة به عامة.

أصله من همدان، ووفاته ببغداد. وهو صاحب تواليف قيمة، ذكرها ابن خلكان في "وفياته" [295/4] والذهبي في "سيره" [167/21] وابن كثير في "البداية" [332/12] وغيرهم من المتأخرين نقلاً عنهم. فقال ابن خلكان وهو يعدّد تصانيفه: "وغلّب عليه الحديث، وبرع فيه واشتهر به، وصنف فيه وفي غيره كتباً مفيدة". [295/4].

نذكر هنا بعضاً منها الأماكن أو ما اتفق لفظه واقترب مسماه من الأمكنة، الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار، بحالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، شروط الأئمة الخمسة، كتاب المؤلف والمختلف في أسماء البلدان، الضعفاء والمجهولون، تهذيب الكمّال للأمير ابن ماكولا وبيان أوهامه وكتاب الفیصل في مشتبّه النسبة. [انظر لترجمته: وفیات (488/1) والروضتين (137/2) والتیمورية (89/2) ومعجم المطبوعات (735 و 407) والأعلام للزركلي (118/7)].

² توجيه النظر إلى أصول الأثر (545/1).

سرد فيه الحازمي وجوه الترجيح بين الأحاديث والآثار، مقتبساً من آراء العلماء السابقين، واستنباطات الأصوليين المتقدمين مع التحري والاعتزان والإتقان، مرتباً على أبواب فقهية، واهتم بإيراد الأحاديث بأسانيدھا التي ظاھرھا التعارض حسب العقل البشري، وليس التعارض الحقيقي مع تحديد النسخ والمنسوخ، مورداً أقوال مجتہدي الأمة وعلمائها.

لقد أوصل الحازمي وجوه الترجيح إلى خمسين وجهاً، وتفنن في إيراد قواعدها وفروعها المختلفة، وقد لخصها الدكتور صبري إبراهيم وهو يتعرض لمادة الكتاب العلمية، يقول:

"يمكن لنا أن نجمع شتاتها في النقاط التالية:

- الترجيح بحال الراوي، وذلك من مناج متعددة منها:
- الإتيان والحفظ وطول الملازمة لشيخه، وما يعارضها من الاضطراب والضعف والتدليس وغيرها، والتي جعل لها أكثر من وجه من وجوه الترجيح.
- 1- عدالة الرواة وفقدانها وطرق إثباتها، ككونه ورعاً، أو حسن الاعتقاد، أي غير مبتدع.
- 2- اعتبارات البلوغ وعدمه.
- 3- الترجيح بفقه الراوي ...
- 4- الترجيح بكثرة الطرق على قلتها...
- 5- الترجيح بطرق التحمل والأداء...
- ومن مادته العلمية: النقد للرواة والمرويات، فنجدہ يتكلم عن الأحاديث، ويبيّن عللها، ويحكم عليها أحياناً حتى أصبح من الموارد التي اعتمد عليها كتب الترجيح المختلفة، مثل الزيلعي في "نصب الرأية"، وابن حجر في "التلخيص".

- ومنها: بيان أقوال العلماء في المسائل التي سيق لأجلها الحديث، ثم بيان رأيه، حتى إننا نجد شراح الحديث اعتمدوا على قوله وصدوره مسائلهم في شروحهم كما فعل ابن حجر (ت: 852هـ)، والقاري (ت: 1014هـ)، والعظيم آبادي (ت: 1329هـ) في "عون المعبود"، وانظر كذلك: "تحفة الأحوذى" للباركفوري (ت: 1353هـ) من أكثر في خمسين موضعاً، و"نيل الأوطار" للشوكاني (ت: 1250هـ) في أكثر من ثلاثين موضعاً.¹

بداية الكتاب كما يلي:

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ، الْكَثِيرِ النَّوَالِ، الْمُنْعِمِ الْمِفْضَالِ، الْمَوْصُوفِ بِالْقُدْرَةِ وَالْكَمَالِ، وَالْعَزَّةِ وَالْجَلَالِ، الْمُقَدَّسِ عَنْ سِمَاتِ النَّقْصِ وَصُنُوفِ الزَّوَالِ: مُنْشِئُ السَّحَابِ الثَّقَالِ، وَمُخْرِجُ الْوَدْقِ مِنَ الْخِلَالِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى خَيْرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ بِنَسْخِ آثَارِ الضَّلَالِ، وَرَفَعَ الْأَصَارِ وَالْأَغْلَالِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ خَيْرِ صَحَابٍ وَأَفْضَلِ آلٍ.

أَمَّا بَعْدُ: فَهَذَا الْكِتَابُ أَذْكُرُ فِيهِ مَا انْتَهَتْ إِلَيَّ مَعْرِفَتُهُ مِنْ نَاسِخِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَنْسُوخِهِ، إِذْ هُوَ عِلْمٌ جَلِيلٌ ذُو غَوْرٍ وَغُمُوضٍ، دَارَتْ فِيهِ الرُّءُوسُ، وَتَاهَتْ فِي الْكَشْفِ عَنْ مَكْنُونِهِ النُّفُوسُ، وَقَدْ تَوَهَّمَ بَعْضُ مَنْ لَمْ يَحْظَ مِنْ مَعْرِفَةِ الْأَثَارِ إِلَّا بِآثَارٍ، وَلَمْ يُحْصِلْ مِنْ طَرَائِقِ الْأَخْبَارِ إِلَّا أَخْبَارًا، أَنَّ الْخُطْبَ فِيهِ جَلِيلٌ يَسِيرٌ، وَالْمَحْصُولُ مِنْهُ قَلِيلٌ غَيْرُ كَثِيرٍ.

وَمَنْ أَمَعَنَ النَّظَرَ فِي اخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ فِي الْأَحْكَامِ الْمَنْقُولَةِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اتَّضَحَ لَهُ مَا قُلْنَاهُ، وَيَتَّهَدُ لِصِحَّةِ مَا رَسَمْنَاهُ مَا أَخْبَرَنِيهِ أَبُو مُوسَى مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ الْحَافِظُ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ، أَخْبَرَنَا أَبُو نَعِيمٍ، حَدَّثَنَا أَبُو حَامِدٍ بْنُ جَبَلَةَ، حَدَّثَنَا

¹ باختصار من الحازمي وطبقاته: دراسة نقدية في البناء الطبقي للرواة عن شيوخهم (ص: 9 وما بعدها).

مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، حَدَّثَنَا ضَمْرَةُ بْنُ رَجَاءٍ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي رَزِينٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ يَقُولُ: أَعْيَا الْفُقَهَاءَ وَأَعْجَزَهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا نَاسِخَ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَمَنْسُوحَهُ".¹

آخر ما انتهى به:

"أَخْبَرَنَا أَبُو مُسْلِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفُتُوحِ، أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو عَلِيٍّ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ، أَخْبَرَنَا أَبِي، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ، أَخْبَرَنَا الرَّبِيعُ قَالَ: قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْمَشِيئَةُ إِرَادَةُ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ أَنْ الْمَشِيئَةُ لَهُ دُونَ خَلْقِهِ، وَأَنَّ مَشِيئَتَهُمْ لَا تَكُونُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ، فَيَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ. وَلَا يَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ. قَالَ: وَيُقَالُ: مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَبَّدَ الْعِبَادَ بِأَنْ فَرَضَ طَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَإِذَا أُطِيعَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَدْ أُطِيعَ اللَّهُ تَعَالَى بِطَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-".²

طبعة "دائرة المعارف" الثانية تقع في 257 صفحة، وفي نهاية الكتاب "ترجمة المؤلف"، ثم كلمة التصحيح³ بدون أي عنوان، ثم "فهرس الكتاب"، وأخيراً قائمة الخطأ والصواب. وهذه النسخة قوبلت على نسخة قلبية قديمة محفوظة في المكتبة السعيدية بحيدرآباد.

وقد قام بتصحيحها وتحقيقها كلُّ من الشيخ هاشم الندوي، والعلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المصلي، والشيخ محمد طه الندوي، والشيخ محمد عادل القدوسي، والشيخ سيد أحمد الله الندوي، والسيد حسن جمال الليل المدني، والشيخ أحمد بن محمد اليماني. رحمهم الله تعالى جميعاً.⁴

¹ الاعتبار في النسخ والمنسوخ من الآثار (ص 2-3).

² (ص 244).

³ هذا عنوان مني للتيسير والتقريب كما مرَّ سابقاً.

⁴ يراجع للتفصيل: الاعتبار في النسخ والمنسوخ للحازمي طبعة الدائرة (ص 246-247).

لو كانت ترجمة المؤلف، وكلمة التصحيح، في بداية الكتاب لكان خيراً وأقرب إلى الفهم. ولدينا طبعات أخرى للكتاب وهي:

- "طبعة دار الوعي حلب": طبع بتحقيق الدكتور عبد المعطي قلججي، تحتوي على 374 صفحة. سنه: (1403هـ=1982م) ولم يذكر المحقق فيها النسخة التي اعتمد عليها.
- "الطبعة الثانية" لها سنة: (1410هـ=1989م) من "جامعة الدراسات الإسلامية" بکراتشي پاکستان، وأوضح المحقق أنه اعتمد على ثلاث نسخ من المخطوطات.
- "طبعة دار ابن حزم" بيروت، لبنان، بتحقيق أحمد طنطاوي جوهر مسدد، في مجلدين، طبعته الأولى سنة (1422هـ=2001م). أصله رسالة تقدم بها الباحث للحصول على درجة الماجستير في "جامعة أم القرى" بمكة المكرمة، أورد فيها خمس نسخ للكتاب مفصلاً محيلاً إلى مصدرها. وهذه الطبعة من أجود الطبعات المتداولة في الدوائر العلمية حسب علمي إلى الآن.

(4)

مشكل الحديث وبيانه

مؤلف هذا الكتاب: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت: 406هـ).¹

¹ هو: أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، شيخ المتكلمين في عصره، ماهر بالأصول والكلام والفقہ الشافعي. قال الذهبي عنه: "العلامة، شيخ المتكلمين، أبو الحسن الباهلي البصري، تلميذ أبي الحسن الأشعري. برع في العقلیات". [سير أعلام النبلاء، 16/304].
سمع مسند أبي داود الطيالسي (ت: 204هـ) من عبد الله بن جعفر رزاد الأصبهاني (ت: 346هـ)، وسمع من أبي بكر أحمد بن محمد (ابن خرزاد، تلميذ أبي الحسن علي الأهوازي)، وأخذ الكلام عن أبي الحسن الباهلي الأشعري (324هـ).
قال ابن خلكان في "وفياته":

"الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الأصولي الأديب النحوي الواعظ الصبهي؛ أقام بالعراق مدة، يدرس العلم، ثم توجه إلى الري فسعت به المبتدعة، فراسله أهل نيسابور والتمسوا منه

طبع أولاً من دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد عام: 1362هـ، وطبع (الطبعة الثانية) عام: 1391هـ، ثم الطبعة الثالثة عام: 1415هـ، وذلك بعناية كل من: الشيخ محمد طه الندوي، والشيخ السيد أحمد الله الندوي، والشيخ محمد عادل القدوسي، والشيخ السيد حسن جمال الليل المدني، والشيخ أحمد بن محمد اليماني، والعلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلبي اليماني.

صدر الكتاب من الدائرة بعد المقابلة على نسختين:

1- نسخة محفوظة في خزانة بانكي فور، الهند.

2- نسخة المفتي محمد سعيد، حيدرآباد، الهند.

موضوع الكتاب: مُشْكَلُ الحديث، يقال: أَشْكَلُ عليّ الأمر أي: التبس واختلط، وفي الاصطلاح: الحديث الذي لم يتضح معناه ولم يظهر المراد منه لمعارضته مع دليل آخر صحيح ثابت.

فُشْكَلُ الحديث هو أصلاً موضوع كتاب ابن فورك هذا، قال هو بنفسه في مقدمة

التوجه إليهم، ففعل وورد نيسابور، فبنى له بها مدرسة وداراً، وأحيا الله تعالى به أنواعاً من العلوم، ولما استوطنها وظهرت بركاته على جماعة المتفقهة، وبلغت مصنّفاته في أصول الفقه والدين ومعاني القرآن قريباً من مائة مصنّف، دعي إلى مدينة غزنة وجرّت له بها مناظرات كثيرة. ثم عاد إلى نيسابور فسم في الطريق فأت هناك، ونقل إلى نيسابور، ودفن بالحيرة، ومشهده بها ظاهر. (4/ 272).

قال ابن عساكر: "قال عبد الغفار بن إسماعيل محمد بن الحسن بن فورك أبو بكر بلغ تصانيفه في أصول الدين وأصول الفقه ومعاني القرآن قريباً من المائة". ["تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري" (ص 233)].

من مؤلفاته: مشكل الحديث وغريبه، النظامي في أصول الدين، الحدود في الأصول، أسماء الرجال، التفسير، حلّ الآيات المتشابهات، غريب القرآن ورسالة في علم التوحيد.

[انظر ترجمته: الطبقات الكبرى للسبكي (52/3 وما بعدها)، وتبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص 232) والنجوم الزاهرة لابن تغردّي (240/4)، ووفيات الأعيان لابن خلكان (482/1)، والأعلام للزركلي (83/6)].

كتابه: "تذكر فيه ما اشتهر من الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ، مما يؤهم ظاهره التشبيه". وقصده فيه الكلام حول الأحاديث المتعلقة بصفات الله عز وجل، والصفات التي أولها هي:

الزول، والالتيان، والمجيء، والضحك، والعجب، والغضب، والفرح، والاستواء، والعلو، وغيرها من أمثالها.

إلا أنه عدل عنه في بعض المواضع، فقال في ذكر حديث "اهتز العرش لموت سعد بن معاذ" [متفق عليه]:

"واعلم أنّ هذا الخبر ليس مما يرجع شيء منه إلى صفات الله تعالى، ولكنه مشكل اللفظ في جملة ما ضمنا تأويله وتفسيره من مشكلات الأخبار".¹

والتأويلات التي أوردها في دفع الإشكالات الواردة على الحديث اختار فيها ابن فورك مذهبه الأشعري، وقد أشار إليه بنفسه.²

بداية الكتاب:

"أما بعد! فقد وفقت أسعدكم الله بمطلوكم، ووفقنا الإتمام بما ابتدأنا به، على تحري النصح والصواب، إلى إملاء كتاب تذكر فيه ما اشتهر من الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ، مما يؤهم ظاهره التشبيه، مما يتساق به الملحدون، على الطعن في الدين، وخصوا بتقبيح ذلك: الطائفة التي هي الظاهرة بالحق لساناً وبيناً، وقهراً وعلواً وإمكاناً، الطاهرة عقائدها من شوائب الأباطيل وشوائب البدع والأهواء الفاسدة، وهي المعروفة بأنها أصحاب الحديث، وهم فرقان:

1- فرقة منها هي أهل النقل والرواية، الذين تشتد عنايتهم بنقل السنن، وتتوفر

¹ انظر: ص 283.

² انظر: ص 302.

دواعيهم على تحصيل طرقها، وحصر أسانيدها، والتميز بين صحيحها وسقيمها، فيغلب عليهم ذلك، ويعرفون به وينسبون إليه.

2- وفرقة منهم يغلب عليهم تحقيق طرق النظر والمقاييس، والإبانة، عن ترتيب الفروع على الأصول، ونفي شبه الملبسين عنها، وإيضاح وجوه الحجج والبراهين على حقائقها".¹

نهاية الكتاب:

"كل بيان ما أشكل ظاهره من صحيح اذلحديث مما أوهم التشبيه ولبس بذلك المجسمون، وازدراه الملحدون، وطعن في روايته المبتدعون، وإيضاح ما خفي باطنه مما أغفله الجاهلون، وأنكر المعطلون، وشرح ذلك وتنزيله ما يليق بوصف الله تعالى بالدلائل التي لا شك فيها، وموافقته السنة المعمول بها واللغة المجتمع عليها".²

الكتاب مشتمل على مقدمة وقسمين وخاتمة، أما القسم الأول فهو: "في تأويل الأخبار التي يؤهم ظاهرها التشبيه"، والقسم الثاني: "في تأمل كتابي ابن خزيمة والصبغي"، والخاتمة في مسائل التأويل.

طريقة المؤلف في عرض مادة الكتاب هي: يبدأ بوضع ترجمة ثم يتبعه بما يراه من تأويل، مثلاً وضع أولاً ترجمة "ذكر خبر مما يقتضي التأويل ويؤهم ظاهره التشبيه" ثم أورد حديثاً مع بيان بعض الطرق وهو ناقلٌ فيه عن غيره، ثم يبدأ تأويل الحديث مترجماً بـ"بيان تأويل ذلك".

لا بد من التنبيه على أنّ المؤلف أشعريّ- كما سبقت الإشارة إليه-، مؤوّل للصفات الإلهية إلى معان مناقضة لأهل السنة والجماعة، معتقداً عدم صحة إجراء النصوص على ظاهرها.

¹ انظر: ص 37.

² انظر: ص 499.

طباعات الكتاب:

- 1- صدر أولاً من دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد عام 1943م=1362هـ.
- 2- ثم صدر بتحقيق موسى محمد علي من عالم الكتب، بيروت، لبنان، عام: 1985م=1405هـ، في 500 صفحة.
- 3- ثم صدر من قسم المطبوعات في المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، بتحقيق دانيال جيماريه، عام: 2003م.

نسخ خطية متواجدة في العالم:

- 1- ليبزج (leipzig)، مكتبة الجامعة، vollers 316 (106 ورقات).
- 2- إستانبول، طوبكبو سراي، أحمد الثالث (1755)، (146 ورقة).
- 3- دبلن (Dublin) مكتبة (Chester Beatty) 3922 -93 ورقة).
- 4- ليدن، مكتبة الجامعة، المخطوطات الشرقية (978-77 ورقة).
- 5- روما، المكتبة الرسولية في الفاتيكان، المخطوطات العربية (1406-150 ورقة).

(1)

إتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر

مؤلفه: الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: 1250هـ)،¹ طبع الكتاب لأول مرة

¹ هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ثم الصنعاني. [البدر الطالع (214/2)]، و"الشوكاني" نسبة إلى هجرة شوكان، وهي قرية من قرى السحامية، إحدى قبائل خولان بينها وبين صنعاء دون مسافة يوم. [البدر الطالع (480/1)]. وربما ينتسب إلى "الصنعاني" فهو إلى مدينة صنعاء التي استوطنها والده ونشأ فيها بعد ولادته في الهجرة. [البدر الطالع (215/2)]. ولد الشوكاني سنة 1173هـ، حفظ القرآن مع تجويده، وحفظ عدداً كبيراً من المتون هو ابن العشرة، ثم لازم المشايخ الكبار وتلقى عنهم العلم: التفسير والحديث والفقه والأدب واللغة والتاريخ والمنطق وغيرها، وبرع فيها وأتقن وتجهر، وسرعان ما اتجه إلى الاجتهاد، وخلع ربة التقليد، ورأى

في "دائرة المعارف العثمانية" حيدرآباد، الهند. سنة 1328هـ، في 120 صفحة. دون فهرس الموضوعات، ولم يكتب فيها اسم المصحح أو المحقق لا في غلاف الكتاب ولا في ثناياه. ففي نهايته ترجمة المؤلف - رحمه الله - نقلًا عن العلامة المحدث حسين بن المحسن اليماني.

رَكَرَ المؤلف - رحمه الله - فيه على ذكر أسانيد تلك الكتب التي قرأها على علماء عصره الكبار = إلى مؤلفيها. وهي كثيرة، رتبها على ترتيب عجيب كما سيأتي بقدر من التفصيل في السطور الآتية.

يقول في بداية الكتاب:

"فإنَّ الله سبحانه تعالى لما منَّ عليَّ بقاء مشايخ أعلام، أخذتُ عنهم بالسَّماع والإجازة لبعض مصنفات أهل الإسلام، ووجدتُ رواياتهم قد اتَّصلت بالمصنِّفين،

أنَّ الأُمَّة في حاجة إلى التخلي عن التقليد الخلق والمذهبية الجامدة، وأخذ الأحكام من الكتاب والسنة اجتهدًا وفهمًا مقيدًا بفهم السلف الصالح، فرد على التقليد المذهبي ردًّا قويًّا حادًّا، وحاول إصلاح العقائد المنحرفة والأحكام المغلوطة بناء على الكتاب والسنة، فبفضله نهضت حركة قوية، ولها آثار حسنة في العالم الإسلامي كله في العمل بالكتاب والسنة، وترك الجمود الفقهي.

لما توفي كبير قضاة اليمن القاضي يحيى بن صالح الشجري السحولي، وذلك عام 1209هـ وُجِّهَ إلى الشوكاني منصب القضاء في مكانه، فردَّ أولًا وأنكر، ثم بطلب من أعيان البلد وعلماؤه، استخاره واستشار وقيل، وهذا الذي سنحت له فرصة الدعوة إلى الكتاب والسنة، ونبذ التحزب الفقهي، ودحر البدع والمنكرات الشائعة في وقته، بكل قوة وحماس.

من كتبه: فتح القدير، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، قطر الولي على حديث الولي، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، الصوارم الحداد القاطعة لعلائق أرباب الاتحاد، إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، التحف في مذاهب السلف، شرح الصدور بتجريم رفع القبور، الدراري المضية شرح الدرر البهية، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، وغيرها من الكتب.

توفي في 1250هـ. رحمه الله رحمة واسعة. وصلي عليه بالجامع الكبير بصنعاء، ودفن بمقبرة خزيمة المشهورة بصنعاء، اليمن. [انظر لترجمته: البدر الطالع للشوكاني، ونيل الوتر (215/1)، والأعلام للزركلي (247/1)، والفتح الرباني من فتاوى الشوكاني. بتحقيق صبحي حسن حلاق].

وتسلسلت بعلماء الدين المحققين، رغبتُ إلى جمع ما أرويه عنهم من المصنّفات في هذه الورقات، ورتّبتُ المرويات على ترتيب حروف المعجم، تقريباً وتسهيلاً، وضبطاً للانتشار وتقليلاً...

.. لقد جمعتُ في هذا المختصر كلّ ما ثبت لي روايته بإسنادٍ متصلٍ بمصنّفه، سواء كان من كتب أئمة أهل البيت - رَحِمَهُمُ اللهُ - أو من كتب غيرهم من سائر الطوائف الإسلامية - رحمهم الله - في جميع فنون العلم، وقد اقتصرْتُ في الغالب على ذكر إسنادٍ واحدٍ، وأحلتُ في أسانيد البعض على البعض طلباً للاختصار، ولو رمتُ استقصاء ما ثبت لي من الطرق لطال الكلام¹.

يقول عن منهجه:

"وسأذكر في أسانيد الصحيحين من حرف الصاد - إن شاء الله تعالى - غالب ما ثبت لي من الطرق فيها عن مشايخي؛ ليعلم الواقف على هذا المختصر صحة ما ذكرته من تعداد الطرق في كل باب لولا مراعاة الاختصار". وسأذكر في حرف الميم - إن شاء الله تعالى - إسناد مؤلفات جماعة من العلماء على العموم؛ ليكون ذلك أكثر نفعاً وأتمّ فائدة².

بدأ بـ "الهمزة"، وذكر كتاب "الإبانة" للشيخ أبي جعفر الهوسي على مذهب الناصر. وقال: "أرويه عن شيعني السيد الإمام: عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب علي بن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين، عن شيخه السيد العلامة أحمد بن عبد الرحمن الشامي، عن السيد العلامة الحسين بن أحمد زبارة، عن شيخه القاضي العلامة أحمد بن صالح أبي الرجال.

(ح) وأروي ذلك عن شيخنا السيد عبد القادر المذكور، عن السيد العلامة يوسف

¹ إتحاف الأكابر (طبعة الدائرة)، ص 3.

² إتحاف الأكابر، ص 3-4.

بن الحسين زبارة، عن أبيه، عن القاضي أحمد المذكور. ...¹

وآخر ما انتهى به الكتاب:

"حرف الياء"، وذكر إسناده لكتاب "اليواقيت" لمحمد بن يحيى بن أحمد حنش. وقال: "أرويه بالإسناد المتقدم إلى الإمام المهدي أحمد بن يحيى في "الأزهار والبحر" له، عن القاسم بن أحمد حميد، عن أبيه، عن المؤلف رحمه الله تعالى".

وإلى هنا انتهى ما قصدتُ جمعه من الأسانيد، على هذا الترتيب العجيب، والتقريب الغريب، قال المؤلف [رحمه الله]: كان الفراغ من تحريره وسط ليلة الخميس ليلة خامس عشر، من شهر جمادى الآخرة سنة (1214هـ).²

لديّ نسختان لهذا الكتاب:

- الأولى: طبعة "دائرة المعارف العثمانية" التي نحن بصدد الحديث عنها، طبع الكتاب سنة 1328هـ في 120 صفحة، كما مرّ، وكلُّ من جاء بعده نقل واستفاد منه. لكن الذي يزيدنا حيرةً واستغراباً هو عدم وجود اسم المصحح كما جرتُ بذكره عادة الدائرة. من المظنون لدينا أنه قام به العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلبي البماني مع رفقائه الآخرين.

- الثانية: طبعة دار ابن حزم، بيروت لبنان، بتحقيق خليل بن عثمان الجبور السبيعي، في 283 صفحة، سنة: [الطبعة الأولى] 1420هـ=1999م. وهي أجود الطباعات فيما علمناه، ذكر فيها المحقق النسخ والطبعات للكتاب بكل تفصيل واهتمام.

وتتميماً للفائدة نوّد ذكر النسخ الخطية لكتاب "إتحاف الأكابر" المتواجدة في

¹ إتحاف الأكابر (طبعة دار ابن حزم)، ص 57

² إتحاف الأكابر، ص 257.

- مختلف أقطار العالم، ذكرها محققه الشيخ خليل عثمان السبيعي، وهي كالتالي:
 - نسخة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (9/1/3 - 10 [4031]، (24)، 1214هـ).
 - دار المخطوطات، صنعاء، عصام الشنطي [دون] الكتاب (46و)، 1214هـ ضمن المجموع.
 - عيدروس بن عمر الحبشي، حضر موت 65 [دون] 1242هـ.
 - نسخة تونك، الهند 236/1 [552/3] تي (465) - (25و) - 1301هـ .
 - ملت 12 - [452] - (1 - مج).
- وذكر النسخ التي اعتمد عليها، وهي كآلاتي:

- النسخة الأولى: بخط الإمام الشوكاني نفسه (مصورة)، وجدها من الشيخ الدكتور يوسف المرعشي نزيل المدينة المنورة. والنسخة واضحة الخط، خلت كلماتها من النقط في الغالب، تقع في (77) ورقة ذات وجه واحد. وجعل المؤلف ترتيب هذا الثبت على نسق حروف المعجم (الترتيب الأبجدي) على الكتب لا المشايخ، وهذا نادر في كتب الأثبات. مع أنّها نسخة المؤلف قد سقط منها الشيء اليسير.
 - النسخة الثانية: وهي نسخة بقلم تلميذ المؤلف، وأجازه بهذا الثبت، وهو الشيخ العلامة عبد الحق البنارسي الهندي (ت: 1286هـ)، وكان الشيخ الهندي يفتخر بالتتليد على الشوكاني.
- والنسخة بخط جميل للغاية، والأخطاء والتصحيح شبه نادر، مشتملة على 42 لوحة، كتبت بخط تلميذ تلميذ المصنف عام: 1298هـ عن نسخة تلميذ المصنف، والتي كتبها عام: 1238هـ الإمام الشوكاني بخط يده، وختم عليها

بختمه. وهي تعتبر أصلاً أساسياً. على الورقة الأولى منها: صورة إجازة الشوكاني لتلميذه الشيخ عبد الحق الهندي.

- النسخة الثالثة: وهي المطبوعة الهندية عام (1328هـ)، وهي من النوادر، وتقع في 117 صحيفة، ونادرة هذه النسخة أنّ عليها تعليقات بخط الإمام المسند الفاداني- رحمه الله- وهي حافلة بالفوائد الجليّة في الأسانيد وعلم الرجال. وهي نسخة قليلة الأخطاء والسقط.¹

(2)

الأمم لإيقاظ الهمم

مؤلفه: العلامة المحدث أبو العرفان الشيخ برهان الدين إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي الكوراني الشهرزوري (ت: 1101هـ).²

¹ انظر: إتحاف الأكابر، 26-29، بحذف وإضافة. طبعة دار ابن حزم.

² هو إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الشيرازي الشهرزوري الكوراني، برهان الدين (1101-1025هـ). العالم المجتهد، أحد فقهاء الشافعية المشهورين. من رجال الحديث وعلموه. ولد بشهران (من أعمال شهر زور) بجنال الكرد، وسمع الحديث بالشام ومصر والحجاز، وسكن المدينة، وتوفي بها، ودفن بالقيع. وكان مع علمه بالعربية يجيد الفارسية والتركية. قيل إنّ كتبه تنيف عن ثمانين، وقد ذكر بعضاً منها صاحب "الأعلام"، وغيره من أهل السير، نذكر فيما يلي طرف منها وهي: مسالك الأبرار إلى أحاديث النبي المختار، الأمم لإيقاظ الهمم، تذيل الأمم لإيقاظ الهمم، نظام الزبرجد في الأحاديث المسلسلة بأحمد، جناح النجاح بالعوالي الصحاح، حاشية على زهرة النظر، المسلك الوسط الداني إلى الدرر الملتقط للصغاني، نشر الزهر في الذكر بالجهر، إتحاف المتنب الأواه بفضل الجهر بذكر الله، إيقاظ القوالب للتقرب بالنوافل، إعمال الفكر والروايات، الإسفار عن أصل استخارة أعمال الليل والنهار، تكملة العوامل الجرجانية، عجالة ذي الانتباه بتحقيق إعراب لا إله إلا الله، مد الفيء في تقريب (ليس كمثله شيء)، مسلك الاعتدال إلى فهم آية خلق الأعمال، المسلك المختار في معرفة المصادر الأول وإحداث العالم بالاختيار، المتمة للمسألة المهمة. [انظر لترجمته: رحلة العياشي (320/1) و(398)، ومشاهير الكرد (62/1)، وفيه أسماء 24 كلاً له. ومخطوطات حضرموت (- خ)، وفهرس الفهارس (115/1)، والبدر الطالع (11/1)، وسلک الدرر (5/1)، وتحفة الإخوان (27)، وهديّة العارفين (35/1)، وصفوة من اتششر (210).

طبع لأول مرة في "دائرة المعارف العثمانية" سنة 1328هـ، في 135 صفحة، مع تصحيح وتعليق.

جمع فيه المؤلف أسانيد الكتب التي قرأها بدءاً منه إلى مؤلفها.

يقول في بدايته:

"فهذا (الأمم لإيقاظ الهمم) يتضمن رفع أسانيد الصحيحين، والسنن الأربعة، وما تيسر من كتب الحديث وغيره، على وجه الاختصار لا الإثثار؛ لركود الهمم عن النهوض لهذا الشأن في هذه الأعصار، سالكاً فيها لوسط طريق، والله ولي الهداية والتوفيق".¹

ثم ذكر إسناده إلى "صحيح البخاري" فقال:

"قرأت أطرافاً منه من أوله وأوسطه وآخره على شيخنا الإمام العارف بالله صفّي الدين أحمد بن محمد المدني - قدس سره -، وسمعتُ عليه أطرافاً من أوله، وأجاز لي رواية سائر، بإجازته عن الشمس محمد بن أحمد بن حمزة الرمليّ.

(ح) وقرأت طرفاً من أوله على أستاذي المحقق الزاهد ملا محمد شريف بن ملا يوسف القاضي بن القاضي محمد بن ملا كمال الدين الكردي الكوراني الشاهويّ الديوسي الصديقيّ - روح الله روحه - بإجازته عن الفقيه محمد بن علي الحكمي عن الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي ثم المكيّ.

(ح) وسمعتُ أطرافاً من كتاب الصلاة على مفتي دمشق الشيخ نجم الدين محمد بن الشيخ بدر الدين محمد بن الشيخ رضي الدين محمد العامريّ الغزيّ ثم الدمشقيّ الشافعيّ (1059هـ و 1060هـ)، وإجازة لسائر عن والده البدر بن الرضيّ...".²

وختم الكتاب بتذييل في ترجمة مشايخه، وعنون: "ترجمة المشايخ الذين روينا عنهم في

¹ الأمم لإيقاظ الهمم (طبعة الدائرة)، ص 3

² الأمم لإيقاظ الهمم - خ (عندي موجود) لوحة رقم (2-1). وكذا طبعة الدائرة (ص 1-3).

الثبت المختصر على حسب التيسير لا الاستيعاب"، ثم ذكرهم، فقال في "آخرهم":
"ومنهم: الفقيه العابد المدرّس شيخ القراء أبي العزائم سلطان بن أحمد بن سلامة بن
إسماعيل المزاحي القاهري، ولد قبل الألف بأكثر من السنتين، أخذ عن جماعة من
العلماء، منهم: الشيخ نور الدين علي الزيايدي، وشهاب الدين أحمد بن خليل السبكي
السنهوري، والشيخ إبراهيم اللقاني، وكلهم أجازوه بما يجوز لهم روايته.
له "حاشية على شرح المنهج" للقاضي زكريا، و"رسالة في القراءات العشر"، وغير ذلك.
قرأت عليه أطرافاً من الصحيحين، وجامع الترمذي، وأطرافاً من "الروضة"، و"شرح
الروض"، و"شرح المنهج"، و"شرح المنهاج" للحلي، وكتب لي الإجازة بما يجوز له
روايته، وبغير ذلك، وذلك سنة (1061هـ)، وتوفي (1075هـ) رحمه الله تعالى.
هذا، وقد رأيتُ بخط الملائع عباس القاضي أخني الأستاذ ملا عبد الكريم بن ملا أبي
بكر المصنف على ظهر كتاب "الأُنوار في فقه الشافعية"، وكان تلميذ عمي ملا حسين
بن شهاب الدين، والأُنوار لعمي، ولد إبراهيم بن حسن في شهر شوال (1020هـ)
اتتهى. والحمد لله رب العالمين.
قال المؤلف - قدس سره العزيز: تمّ التذييل 27 شعبان (1090هـ)، وصلى الله على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. تمّ الكتاب بعون الملك الوهاب".¹
لم أعثُر على نسخةٍ أخرى مفردة سوى هذه الطبعة التي طبعها الدائرة، بعد المقابلة على
النسخة التي وجدت فيها مكتوبة سنة شوال 1140هـ بخط أبي الفتوح أحمد حفيد
المؤلف، وظهر أنها كانت عند العالم الكبير العلامة أبي تراب رشد الله السندهي؛
فاستعارها منه الشيخ شمس الحق الخير آبادي للطبعة في "الدائرة".²

¹ الأُمم لإيقاظ الهمم - خ: لوحة رقم: (55-58). وطبعة الدائرة (ص 130-132).

² يُراجع: الأُمم لإيقاظ الهمم (طبعة الدائرة)، ص 132.

وفي نهاية الكتاب "ترجمة المؤلف"، ثم بيان الدائرة بقدر يسير بعنوان "خاتمة الطبع"، يلوح لي أن المصحح هو القاضي محمد شريف الدين الحيدرآبادي، فإنه هو الكاتب في آخر "ترجمة المؤلف":

"هذا آخر ما وجدناه، حرره العبد الضعيف: القاضي محمد شريف الدين بن بديع الدين الحيدرآبادي، أحد مصححي مجلس "دائرة المعارف النظامية"¹.

(3)

قطف الثمر في رفع أسانيد المصنّفات في الفنون والأثر

مؤلفه: العلامة المحدث صالح بن محمد الفلاني العمري المالكي، المتوفى بالمدينة الطيبة سنة (1218هـ).²

طبع الكتاب من "دائرة المعارف العثمانية" في 76 صفحة باعتناء من القاضي محمد شريف الدين الحيدرآبادي سنة 1328هـ.

¹ الأمم (طبعة الدائرة)، ص 133.

² هو صالح بن محمد بن نوح بن عبد الله العمري المعروف بالفلاني (1166-1218هـ). العالم بالحديث وعلومه، المجتهد الفاضل، أحد فقهاء المالكية، من أهل المدينة، ووفاته بها. نسبته إلى (فلان) أو فلانة (كرمانه) من قبائل السودان، نزلها بعض أسلافه، وولد صالح ونشأ بها، وتنقل في طلب العلم، فقرأ ببلدة القبلة (بشنقيط) ومراكش وتونس ومصر، ثم استقر في المدينة إلى أن توفي عام 1218هـ. كان الفلاني مجتهداً، داعياً إلى العمل بالكتاب والسنة، دون الركون إلى مذهب من المذاهب الفقهية، وكان شديد الرد على النصانية الفقهية، رغم أنه كان مالِكياً في الفروع، ولما تلمذ على العلامة المجدد الشيخ محمد حياة السندي (ت: 1163هـ) أصبح أثرياً سلفياً في المنهج والمعتقد. من كتبه: قطف الثمر في أسانيد المصنّفات في الفنون والأثر، إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار، الثمار اليناع، رسالة في الأحاديث القدسية، تحفة الأكياس بأجوبة الإمام خير الدين الياس ورسالة في تراجم أشيأخه. [انظر لترجمته: أبعاد العلوم (849)، والروض الأزهر (148)، وفهرس الفهارس (209/1)، ثم (264/2)، وهدية العارفين (424/1) والمكتبة الأزهرية (336/1)، والدر الفريد (71 و120)].

وقد نسبته بعض الناس إلى شخص آخر، فقال الكافي ردًا عليه:

"هو الثبت الصغير لصالح الفلاني، وقد طبع، وهو مهم جدًا، جامع الأسانيد وكتب أهل المشرق والمغرب. "انظر أسانيدنا إليه في حرف الفاء"، ومن الغريب ما وقع في "البقيات الصالحات" (صحيفة 4 طبعة الهند) من نسبة "قطف الثمر" للعجمي، وهي نسبة وهمية خيالية وإلا فهو للفلاني قطعاً".¹

بداية الكتاب:

"فَيَقُولُ الْفَقِيرُ إِلَى مَوْلَاهُ الْعَنِيِّ: صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعُمَرِيُّ الْمُسَوِّفِيُّ الشَّهِيرُ بِالْفَلَّانِيِّ، إِنِّي مَذْنُوعٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَيَّ بِالْإِنْخِرَاطِ فِي سَلَكِ طُلَّابِ الْعِلْمِ وَالْإِرْتِبَاطِ بِأَسْبَابِ أَرْبَابِ الْإِدْرَاكِ وَالْفَهْمِ، لَمْ أَزَلْ أَتَطَقُّ عَلَى الْمَوْلَمِ مِنْهُمْ وَالْآدَابِ، وَأَدْخَلَ عَلَيَّ فِي مُحَافِلِ الْمَوَائِدِ وَالْمَادَبِ، وَأَتَشَبَّهْتُ بِأَذْيَالِ مَنْ حَازَ مِنْهُمْ قَصَبَ السَّبْقِ فِي الْفُنُونِ أَصْنَافًا وَجَمَلًا، وَأُرَافِقُ الْمَلِيَّينَ لِدَعْوَتِهِمْ غَيْرَ مُفْرَقٍ فِي ذَلِكَ بَيْنَ النَّقَرِيِّ وَالْجَفَلِيِّ، وَأَتَشَبَّهُ بِهِمْ مُعْتَقِدًا أَنَّ لَيْسَ فِي ذَلِكَ جَنَاحٌ، وَمُسْتَنَدًا إِلَى قَوْلِ مَنْ قَالَ: "التَّشَبُّهُ بِالْكَرَامِ فَلَاحٌ"، وَمُعْتَمِدًا عَلَى خَبَرِهِمْ: "الْقَوْمُ الَّذِينَ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ"، وَمُسْتَشْهِدًا بِحَدِيثِ "الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ" فِي مَخَالِقِي لَهُمْ حَتَّى اتَّسَمْتُ مِنْ سَمَاتِهِمُ الرَّائِقَةَ بِسْمَةِ وَتَوْسَمُ فِي أُنْيِ مِنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ لِي مِمَّا لَدَيْهِمْ عِنْدَ التَّأَمُّلِ الصَّادِقِ إِلَّا مِثْلُ سَمْسَمَةٍ، فَصَارَ بَعْضُ مَنْ أَظْهَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَهُ مَنِي الْجَمِيلِ، وَسَتَرَ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ أَخْصَصَ وَصَفَ الْعَبْدَ الدَّلِيلَ، يَأْنَسُ مِنَّا بِاللِّقَاءِ وَالْاجْتِمَاعِ، وَيَلْتَمِسُ الْمَقَامَ مَعَنَا بِرِسْمِ الْإِثْنِافِ وَالْإِسْتِمَاعِ.

فَلَمَّا شَامَ عَلَى مَعَاطِفِنَا بَرِيقًا، وَشَمَّ مِنْ مَطَارِفِنَا عَبِيقًا، حَتَّى أَنَّ ذَلِكَ مَطْلَعَهُ، وَجَعَلَ أَنَّ مَا بَدَأَ مِنْهُ هُوَ مِنْبَغُهُ وَمَنْبَعُهُ، فَلَمَّا لَوْحَنَّا لَهُ أَنَّ ذَلِكَ مَقْتَبَسٌ مِنْ مَطْلَعِهِ الْأَصْلِيَّةِ، وَمَلْتَمَسٌ مِنْ مَبَازِغَةِ السَّنَةِ الْعَلِيَّةِ مَطَالَعِ شُيُوخِنَا مَنَائِرِ الْأَعْصَارِ، وَمَبَازِعِ أَعْلَامِنَا مَنَائِرِ

¹ فهرس الفهارس لعبد الحفي الكافي، 975/2.

الأمصار، وأشرنا له إلى أنهم وشخوا جيدنا العاقل بحلى إجازاتهم، وأباحوا لنا الرواية بما أخذنا عنهم وبغيره مما ينسب إليهم من حقائقهم ومجازاتهم، اشرأب حينئذ إلى أن نوضحه بمثل ما وشخونا به من الإجازة، واستحب أن نبيح له ما أباحوا لنا من أن نروي عن كل واحد منهم حقيقته ومجازه، فأكبرت هذا الأمر الذي اقترحه مني غاية، وعددته أشد استحالة من الجمع بين الفراغ وعدم النهاية، علماً مني بأني عن ذلك المرام بمعزل، وكوني في الحضيض السافل ذا منزل، وجزماً بأنني لم أصل إلى أن أكون المجاز فكيف أكون مجيزاً لغيري، ولو على سبيل المجاز..¹

يقول المؤلف عن الكتاب:

"...وذلك بأن أذكر بعض من قرأت عليه من أجلة الشيوخ مع ما أخذت عنهم أو سعت منهم على سبيل الثبوت والرسوخ، ثم أطبق ذلك على تفصيل ذي الطلب على وجه يحصل منه - إن شاء الله تعالى - بغيته وإرادته، وعسى أن يكون هذا الوجه لا يرهقني من أمري عسراً، ولا يلحقني في الدين والدنيا مساءة ولا ضيراً، وسميته "قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر"، وهذا أوان إسناد ما عنهم رويت وفي بدائع برهم نشرت وطويت".²

ثم ذكر إسناده إلى المؤلفين، فأولاً بدأ بـ"موطأ الإمام مالك" برواية يحيى بن يحيى الليثي، ثم الصحيحين، والسنن الأربعة، وسنن الدارمي، وصحيح ابن حبان، ومستدرک الحاكم، ومسنند الإمام أحمد، ومسنند الإمام الشافعي، وسنن الدارقطني، وسنن البيهقي، ومن ثم شروح كتب السنة، وهلم جراً. وآخر ما انتهى به كتاب "الشماثل" للترمذي.

¹ قطف الثمر، ص 15-17

² المصدر نفسه، ص 18

يقول: "الشَّامِلُ لِلتِّرْمِذِيِّ: أرويه بالسند إلى السُّيُوطِيِّ، عَنْ عِلْمِ الدِّينِ صَالِحِ بْنِ عِمْرِانِ الْبَلْقِينِيِّ، عَنْ عَمْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الْبَالَسِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا زَيْنَبُ بِنْتُ الْكَمَالِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْمُقَدِّسِيَّةُ سَمَاعًا، عَنْ عَجَبِيَّةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الْبَغْدَادِيَّةِ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَلْخِيُّ إِجَازَةً، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْخُزَاعِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْهَيْثَمُ بْنُ كُلَيْبٍ الشَّاشِي، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عِيْسَى التِّرْمِذِيُّ بِهَا فَذَكَرَهُ. أَتَمَّى مَا جَمَعْنَاهُ فِي هَذِهِ الْأَوْرَاقِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِي التَّوْفِيقِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا"¹.

لدي طبعتان للكتاب:

- "طبعة دائرة المعارف العثمانية" هذه، نسخها من جاء فيما بعد، لكن لم يذكر فيها النسخة التي اعتمد عليها مخطوطة أو مطبوعة.
- "طبعة دار الشروق" جدة، بتحقيق عامر حسن صبري، سنة 1405هـ=1984م، في 345 صفحة، اعتمد المحقق على هذه النسخة الهندية، وهو يقول:

"وقد وقفت على نسخة مخطوطة لكتاب "قطف الثمر"، وهي محفوظة في "مكتبة الحرم المكي"، تحت رقم (28) أسانيد، وهي منسوخة سنة 1233هـ بخط تلميذ المؤلف محمد صالح بن عبد الباقي المدني الحنفي الأنصاري، وقد فرحتُ بها كثيرًا- لأنَّ النسخة المطبوعة تزخر بالأخطاء والتحريفات- ولكن سرعان ما تبدد فرحي عندما بدأت القراءة فيها، فإذا هي أسوأ حالًا من المطبوعة، وفيها تصحيفات وتحريفات تزيد على ما في النسخة المطبوعة، ولذا كان جلَّ اعتمادِي في التحقيق على النسخة المطبوعة، كما استعنتُ أيضًا بكتب التراجم والأثبات في إثبات صحة النص، والتأكد من سلامته."².

¹ المصدر نفسه، ص 247.

² المصدر نفسه (طبعة دار الشروق)، ص 8-9.

(4)

الإمداد في معرفة علو الإسناد

مؤلفه: العلامة المحدث جمال الدين عبد الله بن سالم البصري المكي
(1049هـ=1134هـ)¹.

طبع لأول مرة في مطبعة "دائرة المعارف العثمانية" سنة 1328هـ في 92 صفحة،
مع مجموعة خمس رسائل في الإسناد.

هذا الكتاب يُعدُّ من أهمِّ الكتب المؤلفة في رفع الأسانيد والأثبات وفهارس
المرويات في القرن الثاني عشر، ذكر المؤلف فيه شيوخه، وجمع إسناده إلى مؤلفي
كتب الستة وغيرها من كتب السنة والفقه والأصول، واللغة والتصوف والسلوك،
وجزءاً يسيراً من المسلسلات.

قال الكفائي عنه:

"وعلى "إمداد البصري" المدار في الإسناد في القرن الثاني عشر وما بعده، فإنَّ
البصري والنخلي انتهت إليهما الرئاسة في زمانهما في الدنيا في هذا الشأن؛ لما حصل
عليه من العلوِّ والعمر المديد والسمت الحديثي..²"

¹ هو العلامة المحدث جمال الدين عبد الله بن سالم بن محمد بن عيسى البصري منشأ، المكي
مولداً (1048-1134هـ).

المحدث الإمام الحافظ، من رجال الحديث وعلومه في زمنه. ولد بمكة المكرمة عام (1048هـ)، ثم
انتقل مع والده إلى البصرة، فنشأ بها، ثم عاد إلى مسقط رأسه مكة المكرمة وعاش فيها وتوفي بها.
من مؤلفاته: الإمداد في معرفة علو الإسناد، الضياء الساري على صحيح البخاري، إشارات صحيح
البخاري وأسانيده، أوائل الكتب الستة وغيرها من الكتب المعتمدة وحاشية على تقريب التهذيب
لابن حجر. [انظر لترجمته: الجبرتي (84/1)، فهرس الفهارس (136/1)، الدر الفريد (121)،
هدية العارفين (480/1) وتحفة الإخوان (27)]

² فهرس الفهارس، 251/1.

مما يدلُّ على أهمية الكتاب بمكان، فإنَّ العلماء اهتمُّوا به غاية الاهتمام، واعتمدوا عليها بشكل ملهوس، حتى أصبح لأهل الحديث ومن له عناية بالأثبات والمشیخات والفهارس والأدلة مرجعاً وعمدة، لما أنه تزخر بالفوائد والنكات حول الشخصیات وأحوالهم وعلومهم وإجازاتهم، ولا سيما من سكن بمكة المكرمة من أهل العلم. وقال أيضاً:

"الإمداد في معرفة علو الإسناد":¹ اسم الفهرس الذي جمع في أسانید مسند الحجاز على الحقيقة لا المجاز الأستاذ الكبير عبد الله بن سالم بن محمد بن سالم بن عيسى البصري أصلاً المكي مولداً ومدفنًا الشافعي..²

وهنا لا بدّ من إيضاح قضية مهمّة متعلّقة بكتاب "الإمداد"، وقد عالجها الأخ المحقق الشيخ العربي الدائر الفرياطي / حفظه الله، في تحقيقه لكتاب "الإمداد في معرفة الإسناد"، وملخص ما جاء فيه:

الإمداد نسختان: مطولة ومختصرة، أو هو عبارة عن كتابين: أصل وفرع بعنوان واحد، ووحدة العنوان قد أوقعت بعض المحققين في إشكالات؛ لأنهم يظنونهم كتاباً واحداً، وتحيروا هل هو تأليف البصري أو تأليف ابنه سالم؟

بعضهم قالوا: هذا جمع ولده الشيخ سالم بن عبد الله البصري، وإليه ذهب جمع من أهل العلم، مثل عبد المجيد الزبادي في "رحلته" [رحلة عبد المجيد الزبادي (خ/الخزانة العامة (1808دي، ل/129)]، وكذا العلامة محمد الأمير في سياقه لأسانيد البخاري [سد الأرب من علوم الإسناد والأدب للأمير، ص:38].

¹ اسم الكتاب الصحيح «...في معرفة علو...»، لكن الكافي ذكره بحرف «ب» بدل «في»، وكذلك جاء بحرف «ب» أيضاً في معجم المؤلفات العربية والمعرّبة، انظر: (1295/2). وكذلك في هدية العارفين (382/1).

² فهرس الفهارس، 195/1.

وقال الكافي:

"وهو من جمع ولده الشيخ سالم، ذكر في أوله أن والده قد انتهى إليه في هذا الزمان علو الإسناد، وألحق الأبناء والأحفاد بالأجداد، وورد له طلب الإجازة من كل مكان سحيق، وكثر الارتحال إليه من كل فج عميق، وكانت أسانيد مفرقة يخشى اندراسها، فجمعها في كتاب سمّاه: "الإمداد بمعرفة علو الإسناد"، فجاء اسمه تاريخاً لعام تأليفه من غير قصد على سبيل الاتفاق".¹

وبعضهم قالوا: إنه كتابان، وأشار إليه الكافي بقوله:

"وفي إجازة صاحبنا الشهاب العطار للشمس محمد أمين رضوان، حيث ذكر "الإمداد" لسالم البصري هذا قال: وهو المتداول بين المشايخ، وقد اختصره من ثبت والده المسمى أيضاً بالإمداد".²

فالحاصل أن المسمى بـ"الإمداد" ثلاثة أثبات: مطول، وصغير، في أسانيد الكتب الستة، وكلاهما للوالد، وآخر متوسط لابن، وهو المطبوع.³

وقد أوضح الشيخ عمر بن عبد الرسول المكي الفرق بين النسختين، فقال ما ملخصه:

نسخة الوالد الشيخ عبد الله بن سالم البصري نفسه تتميز عن المختصرة بالآتي:

1- أن مقدمتها كتبها الوالد نفسه ومصرح فيها باسمه، وأما المختصرة ففيها مقدمة الابن مصرحاً فيها باسمه.

2- أنها مطولة، وتضم 24 شيخاً للمؤلف، بينما المختصرة المطبوعة في الهند فيها 20 شيخاً فقط.

¹ المصدر نفسه، 194/1.

² المصدر نفسه، 194/1.

³ الإمداد (طبعة دار التوحيد بالرياض)، 20-26.

3- أنَّ الإمداد المطول ساق من كل واحد من الكتب الستة حديثاً واحداً، وأما المختصر فليس فيه شيء من ذلك.

4- في نسخة الوالد يسمي شيوخه ويطريهم ويثني عليهم، ويبين منزلتهم بخلاف المختصر.

5- أنَّ نسخة الوالد لم تطبع قبل الآن (طبع من دار التوحيد كما مرّ وسيأتي)، وأما نسخة الابن فهي المشهورة المتداولة كما أشرنا إليه آنفاً.¹

فالذي نحن بصدد الحديث عنه في هذا المقام هو المختصر للابن الشيخ سالم بن عبد الله، وهو المتداول بين أهل العلم، والمطبوع من "دائرة المعارف العثمانية" الهند، وأما المطول فهو الذي طبع من "دار التوحيد للنشر"، بالرياض، المملكة العربية السعودية، بتحقيق الشيخ الدائر الفرياطي، كما أسلفناه. وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله عزَّ شأنه.

بداية الكتاب:

"أما بعد! فيقول فقير ربه وأسير وصمة ذنبه سالم بن عبد الله بن سالم البصري الشافعي- عامله الله تعالى بلطفه الخفي، وكفاه صروف الزمان فيمن كفى-، إنه لما كان الإسناد من الدين، ومن جملة الطرق الموصلة إلى سيد الأولين والآخرين.

وقد بذل السلف الصالح في ذلك همهم العلية، وأفكارهم الأملية؛ حتى تميّزت الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، وبلغوا بذلك المراتب العلية والمنازل الشريفة.

كيف لا والإسناد أصلٌ عظيمٌ وخطبٌ جسيمٌ؛ حتى قال فيه بعض العلماء أنه كالسيف للمقاتل، وقال بعضهم أيضاً مشيراً إليه أنه كالسلم يصعد عليه. وشيوخ الإنسان آباؤه في الدين، ووصله بينه وبين رب العالمين.

وفي أول "صحيح الإمام مسلم" عن عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدين، ولولا

¹ المصدر نفسه، ص 26-27.

الإسناد لقال من شاء ما شاء". وقال الإمام الشافعي -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: الذي يطلب الحديث بلا سند كخطب ليل، يحمل الخطب، وفيه أفعى وهو لا يدري. وقال الإمام الطوسي: "قرب الإسناد قرب إلى الله سبحانه وتعالى".

وكان سيدي وسندي ووالدي، ومن انتهى إليه طريف مجدي وتالدي الشيخ العلامة الأجد الفهامة "شارح صحيح الإمام البخاري"، السائرة فضائله في الآفاق كسير النجوم الدراري، شيخ الربع المعمور الفائز من الله سبحانه وتعالى بنيل المثوبات وعظيم الأجور، مولانا الشيخ الوالد عبد الله بن سالم البصري الشافعي المكي، قد انتهى إليه في هذا الزمن علو الإسناد، وألحق بالآباء والأجداد، الأبناء والأحفاد، وكان يرد إليه طلب الإجازة من كلِّ فجٍّ عميقٍ، وكثر الأخذ عنه حتى ارتحل إليه من كلِّ مكان سحيق.

وكانت أسانيده مفرقة غير مجتمعة، ويخشى أن تكون لطول الزمان منقطعة أردتُ جمع شملها، وإبلاغ هديها إلى محلّها، وذكر بعض مشايخ ذوي الرواية الضامين إليها كمال الدراية، فشرعت في ذلك مستعيناً بذوي القوة والحول مستمنحاً من ذي العطاء والطول، وسمّيته "الإمداد بمعرفة علو الإسناد".¹

انتهى هذا الثبوت برواية حديث المصافحة:

"وروى حديث المصافحة من طريق أخرى عن شيخه الكامل محمد البايلي، عن أبي بكر إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرحمن العلقمي، عن أبي الفضل عبد الرحمن السيوطي، عن التقي أحمد بن محمد المشني، عن أبي الطاهر بن الكويك، عن أبي إسحاق إبراهيم بن علي عن أبي عبد الله الخوي، عن أبي المجد بن الحسين القزويني، عن أبي بكر بن إبراهيم السخاوي، عن أبي الحسن بن أبي زرعة، عن أبي منصور عبد

¹ الإمداد (طبعة الدائرة)، ص 3-4

الرحمن بن عبد الله البزازي، عن عبد الملك بن نجيد، عن أبي القاسم عبدان بن حميد المنبجي، عن عمر بن سعيد، عن أحمد بن دهقان، عن خلف بن تميم قال: دخلنا على أبي هرمرز نعوذه، إلى آخر ما ذكرناه في سند حديث المصاحفة سابقاً¹. وفي نهاية المطاف ذكر وصايا لمن اشتغل بالحديث وعلومه. وهي مهمة جداً بالنسبة لطلبة الحديث الشريف.

بين أيدينا طبعتان للكتاب.

طبعة للمختصر: للابن، وطبعة للمطول: للوالد. كما أسلفناه.

- "طبعة دائرة المعارف"، اعتنى بتصحيحها القاضي محمد شريف الدين الحيدرآبادي، سنة 1328هـ. ولم يذكر فيها المصحح النسخة التي نسخها أو قابل عليها، وفي آخرها "خاتمة الطبع". وليس فيها سوى كلمات يسيرة لاتهمنا في هذا المقام.
 - "طبعة دار التوحيد" للنشر، بالرياض. بتحقيق وتعليق العربي الدائر الفرياطي. سنة 1427هـ=2006م، في 224 صفحة. واعتمد المحقق على ثلاث نسخ خطية، وأما ما كتب في غلاف الكتاب "يطبع لأول مرة"، فهو بالنسبة لكونه مطوّلاً؛ وأما المختصر للابن فهو المطبوع من "دائرة المعارف العثمانية" قبل قرن. ربما هذا يؤهم في الإشكال لذا على القارئ أن ينتبه له.
- وقد ذكر بعض تفاصيل "نسخ الكتاب" الكافي في كتابه "فهرس الفهارس"، فمن أراد الاستزادة من المعلومات فليرجع إليه².

¹ المصدر نفسه، ص 84.

² انظر: فهرس الفهارس، 1/195، 196. وكذلك راجع: الإمداد (طبعة دار التوحيد)، ص 27 وما بعدها من الصفحات.

(5)

بغية الطالبين لبيان المشايخ المحققين والمعتمدين

مؤلفه: العلامة المحدث المسند أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن عليّ الشهير بالنخليّ المكيّ الشافعيّ المتوفى في محرم الحرام فاتح سنة 1130هـ.¹
طبع لأول مرة في مطبعة "دائرة المعارف العثمانية" حيدرآباد سنة 1328هـ، في 85 صفحة.
هذا الكتاب أيضاً يُعتبر من الكتب المهمة في الأسانيد والأثبات، وأشار إلى ذلك الكافي فقال:

"له بغية الطالبين لبيان الأشياخ المحققين المدققين، وهو فهرس نافع جامع، عليه وعلى إمداد البصري" المدار في الإسناد في القرن الثاني عشر وما بعده، فإنّ البصري والنخلي انتهت إليهما الرياسة في زمانهما في الدنيا في هذا الشأن لما حصلوا عليه من العلو والعمر المديد والسمت الحديثي".²

بداية الكتاب:

"وبعد! فيقول العبد الفقير الحقير المعترف بالعجز والقصور والتقصير: أحمد بن محمد بن أحمد بن عليّ الشهير بالنخليّ المكيّ - غفر الله تعالى ذنوبه، وستر في الدارين عيوبه، آمين - قد سنع للخطر العاطل، والفكر الذي هو عن الصواب مائل، إلا بتوفيق الملك العادل، فهو الهادي إلى كلّ خير كامل، أن أذكر المشهور من المحققين من مشايخي المتقنين، وإن كنتُ عن صوب صواب طريقهم مائل، رجاء الدعاء موفق وقف عليهم، فعله أن يذكرني بذكرهم، ويشكرني بشكرهم، فالله يجازيه على ذلك بأجل

¹ هو أحمد بن محمد بن أحمد النخلي (1040-1130هـ=1630-1717م)، فاضل متصوف، من أهل مكة، مولداً ووفاءً. له (بغية الطالبين لبيان الأشياخ المحققين المدققين - ط) [انظر لترجمته: تحفة الإخوان (28)، وفهرس الفهارس (181/1)، انظر: الأعلام للزركلي (242/1)].

² فهرس الفهارس، 251/1.

المواهب، وأن يَمَنَّ علينا وعليه بأفضل المطالب، عند طلبه كل طالب، آمين.

وقد اجتمع الفقير كاتب هذه الوريقات بمشايج نقاد، وأكابر أفراد، وأعيان أجماد، كان والله ثم والله وجودهم نفعاً للبعاد، ورحمة لسائر البلاد، ونرجو من كرم الله تعالى أن ينقطع عنا وعن جميع المسلمين ذلك الإمداد إلى يوم التناد. آمين.

منهم: سيدنا ومولانا السيد السند الأجد، الأمثل الأكل الأوحدا، العارف بالله تعالى، والدالّ عليه بلا نزاع، والقطب المجدد بلا دفاع، صاحب المكاشفات الظاهرة، والكرامات المشهورة الباهرة، والمقامات العالية الفاخرة، والأحوال الخارقة المرضية، والههم العلية، والرتب السنية، وكان نفع الله تعالى به ذاعقل وافر عظيم، ورأي ثاقب جسيم في أمر الدنيا والدين، صاحب ذوق وصفاء وصدق ووفاء، حاضر القلب والقلب لمجالسيه، حسن الاستماع للقرآن العظيم ومعانيه، وللمواعظ والأشعار الحسنة في طريق القوم الأخيار البررة. وكان يعتريه في ذلك حال عظيم، وكان عند ذلك يستر وجهه عن الناس بكمّ ثوبه؛ فإذا كشفه ظهرت عليه أنوار وأسرار لا تكاد توصف، وكان له أخلاق كريمة، وتربية عظيمة: وجيه الدين السيد عبد الرحمن بن السيد أحمد بن السيد محمد ابن السيد أحمد الحسيني المغربي المكاسي المالكي الشهير بالمحجوب، نزيل مكة المكرمة المشرفة - قدس الله تعالى سره، ونفعني وجميع المسلمين من بركته وبركة علومه، وأسلافه الكرام، ومشايخه العظام، آمين.

قرأت عليه - نفعنا الله تعالى به - من أول "إحياء علوم الدين" للإمام حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي - رحمه الله تعالى رحمة واسعة في الدنيا والآخرة - إلى باب العلم وكتاب الحج منه، وأجازني به وسائره، وسمعت عليه كتاب الصوم من الفتوحات المكية لسيدنا ومولانا القطب الرباني والفرد الصمداني محيي الدين محمد بن علي ابن عربي - رحمه الله تعالى واسعة في الدنيا والآخرة - وقطعاً متفرقة منها، وأجازني بذلك ¹.

¹ بغية الطالبين (طبعة الدائرة)، ص 4-5 ومخطوط عندي له، ص 3-4.

وفي "ختم الكتاب" ذكر المؤلف طرق الصوفية وسلاسلها، وختمه بدعاء.
من المظنون أنّ طبعة الدائرة اعتنى بها القاضي الحيدرآبادي المذكور من قبل، وفي نهايتها
"خاتمة الطبع"، وليس فيها ذكر كيفية الحصول على النسخة أو المقابلة وغيرها من التفاصيل،
إلا أنه يتعين منه تاريخ تأليف هذا الثبت، وكذا فيه ذكر المشايخ الذين أخذ عنهم:
"حامداً ومصلحاً ومسلياً".

هذا كتاب "بغية الطالبين لبيان المشايخ المحققين المعتمدين" للإمام العلامة المسند
والفقيه الجليل الأجد العارف بالله والعالم بلطائف الخفي والجلي: الشيخ أحمد بن
محمد بن أحمد بن علي الشهير بالنخلي المكي الشافعي - تغمده الله تعالى بالرحمة
والرضوان، آمين-.

فرغ المؤلف من تأليفه في سابع وعشرين من شهر شوال المكرم سنة أربع عشرة
ومائة وألف، وأخذ - رحمه الله - عن جماعة من المشايخ المحققين:

- كالشيخ أحمد بن محمد القششي.
- والشيخ إبراهيم بن حسن الكردي.
- والشيخ عبد الله بن سعيد باقشير.
- والشيخ زين العابدين بن عبد القادر بن محمد بن يحيى بن مكرم الطبري المكي.
- والشيخ الحافظ أبي عبد الله ومحمد بن علاء الدين البابلي الشافعي.
- والشيخ منصور بن عبد الرزاق بن صالح الطونخي المصري، وغيرهم رحمهم الله تعالى.
- وعنه:
- السيد أحمد بن محمد شريف مقبول الأهدل.

- والشيخ عبد القادر مفتي الحنفية بمكة المكرمة.
- وآخرون.
- وقد تمّ طبعه في مطبعة "مجلس دائرة المعارف النظامية" في مدينة حيدرآباد، الدكن [الهند]- عمرها الله إلى أقصى الزمن- في ثاني عشر ربيع الأول سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة وألف من هجرة سيد الأولين والآخرين، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
- يقوله العبد الضعيف القاضي محمد شريف الدين الحنفي الحيدرآبادي- غفر الله له ولآبائه أجمعين-. هكذا وجدت في إثبات المشايخ المتقنين- رحمهم الله تعالى، آمين.¹
- هناك عدة نسخ للكتاب موجودة في الشبكات العلمية التي تعني بالحفاظ على المخطوطات بخط مؤلفيها:
- نسخة جامعة هارفارد، وهي نسخة بخط المؤلف، نسخت سنة 1157هـ، وهي محفوظة في مكتبة جامعة هارفارد.²
- نسخة ألمانيا، وهي نسخة موجودة في "مكتبة لايزج" بألمانيا.³
- لقد طُبع الكتاب جديداً في طبعة منقّحة بتحقيق محمد أبوبكر عبد الله باذيب، في 328 صفحة، باسم "ثبت النخلي بغية الطالبين ..."، من مكتبة "نظام اليعقوبي الخاصة"، المنامة، مملكة البحرين، سنة 1438هـ=2017م.

¹ المصدر نفسه، ص 84

² يمكن تحميل هذه النسخة من الرابط الآتي:

(https://minhajcanal.blogspot.in/2010/01/blog-post_9.html)

³ يمكن تحميلها من الرابط الآتي:

http://www.alukah.net/manu/files/manuscript_7722/bghyt-altalbyn-lbyan-

<almashaykh-almhaqqyn-almetamdyn.pdf>

الفصل الأول

نظرة على كتب السنة ودواوينها وعلومها التي طبعت في الدائرة

في هذا الباب نلقي نظرةً إجماليةً على الكتب المتعلقة بالحديث وعلومه، التي طُبعت في دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد، الهند. وذلك بذكر بعض المعلومات المهمة المتعلقة بالكتاب فحسب، دون الخوض في غمار التفصيل والإسهاب، خوفاً من الإطالة المُملة المزعجة للقارئ اللبيب. وها نحن نذكرها حسب تاريخ الطبع.

(1)

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال

مؤلفه العلامة علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدنيّ فالملكيّ الشهير بالمتقي الهنديّ (ت: 975هـ). ظهرت الطبعة الأولى للكتاب من الدائرة (دائرة المعارف العثمانية) على القطع الكبير عام 1312هـ، وكان الكتاب محتويًا على ثمانية أجزاء، وتمّ طبعه حتى عام: 1315هـ. وشارك في تصحيحه والتعليق عليه كلُّ من الشيخ محمد وحيد الزمان، والشيخ أمير حسن النعماني، والشيخ أبوالحسن الأمروهي، والشيخ محمد شريف الدين الحيدرآبادي. وطبع الطبعة الثانية في اثنين وعشرين جزءًا، بدءًا من عام: 1364هـ حتى عام: 1395م، وكذا طبع (الطبعة الخامسة المتداولة الآن) بتحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، من: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، عام: 1401هـ=1981م.¹

¹ هذا الكتاب "كنز العمال" لمؤلفه المتقي الهندي في الحقيقة مجموعةٌ للأحاديث النبوية المشرفة، أراد مؤلفه الجمع بين كتابي "الجامع الصغير" وزوائده، و"جمع الجوامع" للسيوطي (ت: 911هـ)، ويتضمّن حوالي خمسين ألف حديث بحذف الأسانيد، مع الاهتمام بذكر الراوي، واسم المحدث الذي أخرجه في كتابه من كتب السنة. واختار في إيراد الأحاديث منهج المحدثين، وهو ترتيبها على الأبواب الفقهية.

(2)

الجواهر النقي على سنن البيهقي

مؤلفه العلامة علاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني، أبو الحسن، الشهير بابن التركماني (ت: 750هـ). طبعت هذا الكتاب الدائرة عام: 1316هـ=1898م في جزئين، وشارك في تصحيحه والاهتمام به كل من: الشيخ أبو الحسن الأمروهي، والشيخ محمد طه، والشيخ أحمد الله، والشيخ هاشم: الندويون. وطبعت صورته دار الفكر، بيروت، لبنان، ثم طبعتها دار النوادر، بيروت=دمشق في ثوب جديد في عشرة مجلدات.¹

وقد قام المحدث أبو العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري (ت: 1353هـ=1935م) "صاحب تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي" وغيره من الكتب الحديثية والفقهية الأخرى= بالرد على هذا الكتاب رداً علمياً مقنعاً، لكنه- مع الأسف- لم يتم، وهو الآن في عداد المفقود.

(3)

المختصر من المختصر من مشكل الآثار

تلخيص: العلامة أبي المحاسن يوسف بن موسى بن محمد الملطي الحنفي (ت: 803هـ)،

¹ قال مؤلفه عن كتابه: "هذه فوائد على "السنن الكبرى" للحافظ أبي بكر البيهقي (ت: 458هـ) رحمه الله تعالى، أكثرها اعتراضات عليه، ومناقشات له، ومباحثات معه". الجواهر النقي، 2/1. فني هذا الكتاب تعقباً لابن التركماني على الإمام البيهقي، فهل كان مصيباً فيها؟ فالجواب أنه لم يكن مصيباً في أكثرها، إننا أسلفنا أن المحدث أبا العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري (ت: 1353هـ) رد عليه في كتاب مستقل كما ذكره هو بنفسه، لكنه- مع الأسف- لم يتم، وقد قام باحث معاصر بتتبع جملة كبيرة من هذه التعقبات في رسالة دكتوراة باسم "دراسة تعقبات ابن التركماني في الجواهر النقي على السنن الكبرى للبيهقي"، وهو: حسين بن شريف العبدلي الفيفي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. وفي الأخير ذكر ما توصل إليه من نتائج ممتعة.

من مختصر: الإمام أبي الوليد الباجي المالكي (ت: 474هـ)، من كتاب: مشكل الآثار للطحاوي (ت: 321هـ). طبع أولاً من الدائرة عام: 1317هـ، وشارك في تصحيحه وتحقيقه كل من: الشيخ حسن بن أحمد النعماني، والشيخ أبو بكر بن شهاب العلوي. وطبع الطبعة الثانية عام: 1362هـ في جزئين.¹

¹ ذكر مؤلفه أبو المحاسن يوسف الحنفّي سبب تلخيص كتاب "مشكل الآثار" للطحاوي، وهو عدم وجود ترتيب علمي فيه، يسهل به على الطالب الاستفادة منه، يقول عن سبب تلخيصه ومنهجه: "وكان تطويل كتابه بكثرة طريقته الأحاديث، وتدقيق الكلام فيه، حرصاً على التناهي في البيان، على غير ترتيب ونظام، لم يتوخَّ فيه ضمّ باب إلى شكله ولا إلحاق نوع بجنسه؛ فتجد أحاديث الوضوء فيه متفرقة من أول الديوان إلى آخره، وكذلك أحاديث الصلاة والصيام وسائر الشرائع والأحكام، تكاد أن لا تجد فيه حديثين متصلين من نوع واحد، فصارت بذلك فوائدُه ولطائفُه منشرةً متشتتةً فيه، يعسر استخراجُها منه، إن أراد طالبٌ أن يقف على معنى بعينه لم يجد ما يستدل به على موضعه إلا بعد تصفّح جميع الكتاب، وإن ذهب ذاهب إلى تحصيل بعض أنواعه افتقر في ذلك إلى تحفظ جميع الأبواب. = فقصدتُ جمعَ فوائده والتقاطَ فرائده في مختصر، وبقيتُ متردداً في جمعه بين الإقدام والإحجام؛ لصعوبة مدرّكه على مثلي، مع قلة بضاعتي وكثرة مخالطتي إلى أن ظفرتُ بمختصر الإمام الفقيه الحافظ القاضي أبي الوليد الباجي المالكي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - اختصر "كتاب مشكل الآثار" اختصاراً بديعاً، ضمّ كلَّ نوع فيه إلى نوعه، وألحق كلَّ شكل منه بشكله، ورتبه ترتيباً حسناً، حذف أسانيد الأحاديث وتطبيقاتها، واختصر كثيراً من ألفاظه من غير أن يُخلّ بشيء من معانيه وفقهه، يسهل على الطالب تحفظه، ويتيسر عليه فهمه وتفحصه، فشكرتُ الله على ذلك، وتحققت أن الله تعالى منّ عليّ بإجابة دعائي، ويسّر عليّ ما عسر على كثير من أمثالي. فشمرتُ عن مساعد الاجتهاد، وتيقنتُ بأن هذا الشيء يُراد، وعزمتُ أن أنقي خلاصته وأخلص نقاوته غير ملتزم حكاية ألفاظه بأعيانها، ولا منظمٍ لدُرّها كما هي وجمانها، ذاكرةً لمعانيه أجمع بنصف ألفاظه، راجياً لمثابة الطالب عليه وألفاظه، مبتدئاً بذكر الأحاديث المتضمنة لمعرفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأسمائه وصفاته، ثم بمعجزاته وسنه ووفاته، ثم الشرائع والأحكام كتاباً كتاباً، ثم ما كان منها من تفسير القرآن وأسباب النزول على ترتيب المختصر من غير عدول عن ذلك في شيء، وفي أثناء الكلام أشير إلى اعتراضات القاضي واستدراكاته، وإلى أجوبة بعضها مع إيراد جميع ما زاد فيه من "الموطأ" وتحصل في جميع الديوان تسع مائة حديث وثلاثة وثلاثون حديثاً سوى ما سبق فيه على سبيل الاحتجاج للقول المختار". [المختصر من المختصر من مشكل الآثار، 3/1].

(4)

القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد

للإمام أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ) مع "ذيل القول المسدد": للقاضي الملك محمد صبغة الله بن محمد غوث بن محمد ناصر الدين المدارسى الهندي الشافعي (ت: 1280هـ)، طبعته دائرة المعارف لأول مرة، عام: 1319هـ، والطبعة الثانية عام: 1386هـ، والثالثة عام: 1400هـ، والرابعة عام: 1415هـ. وكذا طبع من مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، مصر، عام: 1401هـ.¹

(5)

مسند أبي داود الطيالسي

للإمام أبي داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود (ت: 204هـ)، طبعته الدائرة أولا عام: 1321هـ في 404 صفحة، ثم بعد مدة من الزمن حقق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، وطبع من: دار هجر، مصر، عام: 1419هـ=1999م في

¹ القدر المطبوع مشتمل على كتابين: الأول "القول المسدد" للحافظ ابن حجر، والثاني "ذيل القول المسدد" للقاضي محمد صبغة الله الهندي.

أما الأول فقد ذب فيه الحافظ عن "مسند أحمد" للإمام أحمد بن حنبل، ردًا على اعتراض أنه يوجد في "المسند" ما وُصف بأنه موضوع، وهي سبعة أحاديث، وأوضح أن الأمر ليس كذلك، بل معظمها يرتقي إلى درجة القبول. وأيضًا هي ليست متعلقة بالحلال والحرام، والتساهل في إيرادها بدون بيان شائع.

وأما الثاني: فقد استدرك المؤلف (صبغة الله المدارسى) في "ذيله" ما فات الحافظ العراقي والحافظ ابن حجر من الأحاديث التي وضع عليها الحافظ ابن الجوزي بالوضع في "موضوعاته"، يقول المؤلف: "وقد ذكر الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه "النكت البديعات على الموضوعات" أنّ في موضوعات ابن الجوزي ثمانية وثلاثين حديثًا من "مسند الإمام أحمد" رَوَاهُ اللَّهُ عَنْهُ، وها أنا أذكر الأحاديث التي فاتت الحافظ العسقلاني رحمه الله تعالى". [ذيل القول المسدد، ص 48].

أربعة أجزاء، وهي نسخة متداولة في هذه الأيام.¹

(6)

الإتحافات السنّية في الأحاديث القدسية

للشيخ محمد المدني (ت: 1271هـ). طُبِعَ أولاً من الدائرة عام: 1323هـ، شارك في تصحيحه كلُّ من الشيخ أبو الحسن الأمروهي، والشيخ القاضي محمد شريف الدين الحيدراًبادي، بإشراف الشيخ الملا محمد عبد القيوم، وطبع الطبعة الثانية عام: 1358هـ=1939م.²

(7)

جامع مسانيد الإمام الأعظم أبي حنيفة

للعامة أبي المؤيد محمد بن محمود الخوارزمي (ت: 665هـ)، وطبعته الدائرة عام: 1332هـ=1913م، وقد شارك في تصحيحه وتحقيقه كل من الشيخ الحسن

¹ مسند أبي داود الطيالسي من أشهر المسانيد، وليس هو من تأليفه، وإنما جمعه بعض الحفاظ مما رواه يونس بن حبيب عن أبي داود [انظر: السير للذهبي، 382/9]، والمسند مرّتب على أسماء الصحابة، حيث يجمع جميع مرويات صحابي على حدة، وأسماء الصحابة فيه على أنواع، منها الترتيب على مكانة الصحابي في الدين وسابقته إلى الإسلام، مثل أن يبدأ بالخلفاء الراشدين، ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر والمشاهد الأخرى.. وعليه ترتيب مسند الطيالسي، يعني بدأ بذكر مسانيد العشرة المبشرين بالجنة، وأولهم الخلفاء الراشدون، كمسند أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب وهكذا، وفي بداية كل مسند يذكر اسم الصحابي ونسبه وما إلى ذلك، وأيضاً ذكر أولاً مسانيد الرجال، وجعل مسانيد النساء في الوسط، وبدأها بفاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وعدد الأحاديث المخرجة فيه (2890) حديثاً حسب ترقيم ط دار هجر السالف أعلاه. ويتضمن المسند روايات من رواية يونس بن حبيب عن غير الطيالسي وهي قليلة معدودة على الأصابع.

² قال المؤلف رحمه الله في ترتيبه ومنهجه: "هذا كتاب أوردت فيه ما وقفت عليه من الأحاديث القدسية، الواردة بالأسانيد عن خير البرية، مرتباً على ثلاثة أبواب وخاتمة (الباب الأول) فيما صدر بلفظ: قال، (والباب الثاني) فيما يصدر بلفظ: يقول، (والباب الثالث) فيما لم يصدر بهما بل يذكر في أثناء الحديث كلام الله تعالى (ممزوجاً بالحديث والخاتمة فيما يتعلق بتعريف الحديث القدسي) وما يتعلق به، وسميته (بالإتحافات السنّية في الأحاديث القدسية)". [الإتحافات، ص 2].

النعماني، والشيخ السيد أبو الحسن الأمروهي، والشيخ أبو المظفر عبد الملك محمد شريف الدين العمري الحيدرابادي، وطبع مرة ثانية عام: 1429هـ=2008م.¹

(8)

مشكل الآثار

للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزديّ الحجريّ المصريّ المعروف بالطحاويّ (ت: 321هـ)، طبعته الدائرة لأول مرة عام: 1333هـ=1914م في أربعة أجزاء، وهي ناقصة، وقد شارك في تصحيحه وتحقيقه كلّ من الشيخ الحسن النعماني، والشيخ السيد أبو الحسن الأمروهي، والشيخ محمد شريف الدين الحيدرابادي، والشيخ السيد محمد حيدر الحسيني، والشيخ محمد وحيد الدين. ثم طُبعت مرة ثانية من الدائرة عام: 1388هـ. وهذه الطبعة كانت في عشرة أجزاء، واستمرّ طبعها حتى عام: 1419هـ. والنسخة المتداولة الآن هو من تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط باسم "شرح مشكل الآثار"، طبعها مؤسسة الرسالة في خمسة عشر جزءاً في ثوب جديد. والاسم الصحيح للكتاب هو: "بيان مشكل الآثار" أثبتته بعض المحققين مستدلاً بما جاء في بعض النسخ الخطية كذلك.²

¹ ذكر المؤلف رحمه الله سبب تأليفه وما فيه من المسانيد، فقال:

"وقد سمعتُ بالشام عن بعض الجاهلين .. أنه ينقصه ويستصغره ويستعظم غيره، ويستحقّره، وينسبه إلى قلة رواية الحديث، ويستدلّ باشتهار المسند الذي جمعه أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم الشافعي رحمه الله، وموطأ مالك، ومسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى، وزعم أنه ليس لأبي حنيفة رحمه الله مسندٌ، وكان لا يروي إلا عدة أحاديث؛ فلحققتني حمية دينية ربانية وعصبية حنفية نعمانية، فأردتُ أن أجمع بين خمسة عشر من مسانيده التي جمعها له فحول علماء الحديث [جامع المسانيد، خطبة الكتاب، ص 4]."

وقد استفاد المؤلف من خمسة عشر مسنداً، وبناء عليها أعدّ هذا الكتاب، ورتّب على أبواب الفقه.

² ذكر المؤلف الإمام الطحاوي سبب تأليفه ومنهجه أنه لما رأى الناس على قلة علم ومعرفة عما في الأحاديث من الفوائد والأحكام، فعكف على استخراج أحكامها وإيضاح مشكلها ورفع ما ظهرها

المستدرك على الصحيحين

للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسافوري (ت: 405هـ) مع ذيله "تلخيص المستدرك": للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ). طبع الكتاب في أربعة أجزاء، وبدأ طبعه من عام: 1334هـ، وانتهى إلى عام 1342هـ، وشارك في تحقيقه وتصحيحه كل من: الشيخ محمد عرب بن الشيخ المحدث محمد حسين بن محسن اليماني، والشيخ أمير حسن النعماني، والشيخ السيد أبو الحسن الأمروهي، والشيخ القاضي محمد شريف الدين الحيدرابادي، والشيخ محمد هاشم الندوي. وطُبع أخيراً بتحقيق الدكتور مصطفى عبدالقادر عطاء، من دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عام: 1411هـ=1990م. وطبع في هذه الأيام من دار الميمان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية في هندام جميل في اثني عشر مجلداً. وبهامشه تعليقات الأئمة: البيهقي، والذهبي، وابن الملكن، وابن حجر العسقلاني. وقد أوضح في بدايته أنه حقق لأول مرة على ستة عشر أصلاً خطياً.¹

من التعارض والمنافاة. يقول رحمه الله:

"وإني نظرتُ في الآثار المروية عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأسانيد المقبولة التي نقلها ذوو الثبوت فيها والأمانة عليها، وحسن الأداء لها، فوجدتُ فيها أشياء مما يسقط معرفتها، والعلمُ بما فيها عن أكثر الناس، فقال قلبي إلى تأملها، وتبين ما قدرتُ عليه من مُشكلاتها، ومن استخراج الأحكام التي فيها، ومن نفي الإحالات عنها". [شرح مشكل الآثار، 1/ 6].

وهذا الكتاب قيمٌ حافلٌ بالفوائد، مليءٌ بالدرر، لكن على الراغب في الاستفادة الرجوع إلى مختصر الباجي وملخص أبي المحاسن، فإنهما سهلاً وقرباً مضامينه وما فيه من المعضلات.

¹ المستدرك: هو الكتاب الذي قصد إليه مؤلفه إخراج ما يستدرك به على الصحيحين مما هو على شرطهما أو على شرط أحدهما ولم يخرجاه، وقد يزيد مؤلفه تبعاً ما هو صحيحٌ عنده وليس مما يستدرك به عليهما. [انظر: الجواهر والدرر، 2/ 895]، والغالب أن أول من فصل القول فيه: الحافظ الإمام الدارقطني (ت: 385هـ) في كتابه "الإلزامات".

السنن الكبرى

للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: 458هـ) مع "الجوهر النقي" للعلامة علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركاني (ت: 750هـ)، طبعته الدائرة في عشرة أجزاء، وذلك بدءاً من عام: 1344هـ و انتهاءً بـ 1355هـ. وقد شارك في تحقيقه كلُّ من الشيخ السيد أبو الحسن الأمروهي، والشيخ السيد أحمد الله، والشيخ محمد طه، والشيخ هاشم الندويون، والشيخ محمد عادل القدوسي، والشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليمني.¹

طبعتُ أخرى:

- صور العديد من المطابع طبعة الدائرة بدون أي نوع من الاعتناء.
- طُبِعَ بتحقيق محمد عبد القادر عطا، وهي طبعة لا يميّزها عن سابقتها إلا ترقيم الأبواب والأحاديث، من دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، عام:

ومستدرك الحاكم من أشهر المصنّفات في هذا الفن، قد أخرج فيه الأحاديث الصحيحة التي كانت على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجها، وأخرج أيضاً أحاديث ليست على شرطهما، لكنها صحيحة في نظره. وسببه تأليف الذب عن أحاديث النبي ﷺ لأنَّ المتبعة والمشككين فيها ادّعوا أنَّ الأحاديث الصحيحة قليلة لا تبلغ عشرة آلاف حديث. ورتبه على الكتب والأبواب على طريقة الشيخين، فابتدأ بكتاب الإيمان، ثم كتاب العلم، ثم كتاب الطهارة وهكذا وختم بكتاب الأهوال.

¹ السنن: الكتب التي جمعت فيها أحاديث الأحكام المرفوعة، واقتصر عليها على الغالب، ورتبت الأحاديث فيها على الأبواب الفقهية. حيث تبدأ غالباً بكتاب الطهارة ثم الصلاة وكذا أبواب العبادات الأخرى.

ومن أشهر السنن: السنن الأربعة، واشتهر باسم السنن الكبرى، تكتابان: السنن الكبرى للنسائي (ت: 303هـ) والسنن الكبرى للبيهقي (ت: 458)، لكن الطبعة الأخيرة بتحقيق د. التركي أثبت فيها المؤلف اسمه "السنن الكبير" وهو الأصح لكثرة ما يوجد هذا الاسم في النسخ الخطية الموثوقة. بعد إمعان النظر في الكتاب ظهر لي بيان أهميته ومنهجه وميزاته بإيجاز - وهو صعب جداً في هذه العجالة.

1424هـ=2003م. في أحد عشر مجلدًا.

- طُبِعَ بتحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، من: مركز حجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، القاهرة، مصر، عام: 1432هـ=2011م، في 24 مجلدًا.

(11)

شرح تراجم أبواب "صحيح البخاري"

للإمام الشاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (ت: 1176هـ)، طبعته الدائرة (الطبعة الثانية) عام: 1356هـ، وقد شارك في تحقيقه وإخراجه كلُّ من العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلي اليماني، والشيخ محمد طه، والشيخ السيد أحمد الله الندوين، والشيخ محمد عادل القدوسي. وكذا طبع الطبعة الرابعة عام: 1402هـ، والخامسة عام: 1415هـ. والكتاب يقع في 157 صفحة.¹

طبعة أخرى: وطبع بتحقيق عزت محمد فرغلي ومراجعة محمد عبد الحكيم القاضي من: دار الكتاب المصري بالقاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، عام: 1420هـ=1999م. في 471 صفحة على القطع المتداول. والمحقق قد أرففه بعمل آخر، وهو انتقاء كلام الحافظ ابن حجر العسقلاني على هذه الأبواب في سفره العظيم "فتح الباري"، فهكذا اجتمعت الفوائد العلمية والحديثية والفقهية في موضع واحد.

¹ قال جمعٌ من أهل العلم والفضل: "فقه البخاري في تراجمه" [انظر: الفتح، 1/243]، لما في التراجم من دقائق الاستنباط وبدائع الاستخراج، ولا يدرك كنهها وخباياها إلا المتضلِّعون في الشأن، المتمكِّنون من الصناعة الحديثية.

وقد حاول أهل العلم بيانها والكشف عن معضلاتها في شروح البخاري مثل الحافظ والقسطلاني والعيني وغيرهم، بعض أهل العلم قد أفرد رسالة فيه، منها: فكُّ أغراض البخاري المبهمة في الجمع بين الحديث والترجمة، المتواري على أبواب البخاري، ترجمان التراجم، شرح تراجم أبواب البخاري ولَبَّ الباب في التراجم والأبواب.

والكتاب مفيدٌ في خصوص فهم دقائق تراجم البخاري.

عمل اليوم والليلة

سلوك النبي مع ربه عزَّ وجلَّ ومعاشرته مع العباد

للإمام أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح،
الدِّينَوْرِيُّ، المعروف بـ"ابن السُّنِّي" (ت: 364هـ)، طبعته الدائرة (الطبعة الثانية)
عام: 1358هـ، وشارك في تحقيقه كلُّ من العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى
المعلبيّ اليمانيّ، والشيخ السيّد هاشم، والشيخ محمد طه، والشيخ أحمد الله الندويين،
والشيخ محمد عادل القدوسي، والشيخ السيد حسن جمال الليل المدني، والشيخ أحمد
بن محمد اليمانيّ، وكذا طُبع مرة ثالثة عام: 1398هـ.
طبعاُ أخرى:

- 1- طُبع بتحقيق وتعليق عبد القادر أحمد عطا، من: مكتبة القاهرة، جمهورية مصر،
سنة 1404هـ.
- 2- وطُبع بتحقيق بشير محمد عيون، من: دار الفيحاء بدمشق، سوريا، سنة 1407هـ.
- 3- وطُبع بتحقيق كوثر البرني، من: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم
القرآن، جدة، وبيروت.¹

¹ "عمل اليوم والليلة" كتابٌ جامعٌ في الأدعية والأذكار والأوراد- التي يشتغل بها المؤمن في ليله ونهاره
وحلّه وترحاله وفي جميع الأحوال والظروف- على غرار كتاب شيخه الإمام النسائي (ت: 303هـ)
بالاسم نفسه، الذي يُعتبر من أوائل المؤلفات في هذا الباب.
وقد اهتم الدكتور سليم الهلالي حفظه الله بترجيح الأحاديث الواردة فيه والحكم عليها وإخراجها على
الوجه المطلوب بل على المستوى الأعلى، فإنه- بلا امتراء- محدثٌ في زمننا هذا، ولي معه علاقات
وتواصلات ولله الحمد، وقد طبع كتابه باسم "مَجَالَةُ الرَّاعِبِ الْمُتَمَنِّي فِي تَخْرِيجِ كِتَابِ "عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ"
لابن السُّنِّي" من دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، عام 1422هـ=2001م، في
مجلدين في حلة قشبية على الذوق العلمي المعاصر.

جاء السند المتصل إلى الإمام السُّني رحمه الله، في بداية المخطوط والمطبوع، ونصه كالآتي:
 "أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ بَقِيَّةِ السَّلَفِ طِرَازُ الْخَلَفِ، مُلْحَقُ الْأَحْفَادِ نَفَرُ الدِّينِ أَبُو
 الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مَنْصُورِ السَّعْدِيِّ
 الْمُقَدِّسِيِّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.
 قِيلَ لَهُ: أَخْبَرَكَ الْإِمَامُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْيَمِينِ زَيْدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ الْكِنْدِيِّ
 قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَأَنْتَ تَسْمَعُ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّمِائَةٍ فَأَقْرَأْ بِهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْحَافِظُ
 أَبُو الْحَسَنِ سَعْدُ الْخَيْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيِّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ فِي سَنَةِ
 أَرْبَعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ شَيْخُ الشُّيُوخِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ
 الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ الدُّوْنِيُّ بِهَا، قَالَ: أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو نَصْرِ أَحْمَدُ بْنُ
 الْحُسَيْنِ الْكَسَّارُ الدِّينَوْرِيُّ، قَالَ: أَخْبَرَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ
 إِسْحَاقَ السُّنِّيَّ الْحَافِظُ الدِّينَوْرِيُّ"¹.

(13)

مسند أبي عوانة

للإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (ت: 316هـ)، طبعته الدائرة لأول مرة في خمسة أجزاء بدءاً من عام 1362هـ وانتهاءً إلى عام 1386هـ. والمجلد الثالث لم يطبع إلا بعد مرور من الزمن، لما أنه كان في عداد المفقود، ثم حصل وطبع.

وقد شارك في تحقيقه كل من العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى الملهبي، والشيخ تقي الدين العثماني، والشيخ عبد القيوم الديانوي، والشيخ مسعود عالم

¹ عمل اليوم والليلة لابن السُّني، ص 3.

الندوي، والشيخ عبد الله العمادي، والشيخ السيد حبيب الله القادري الرشيد
النظامي الحيدرآبادي¹.
طبعتُ أخرى:

- 1- الطبعة الأولى في العالم كله هي طبعة الدائرة كما أسلفناه.
- 2- نسخة خطية موجودة في مكتبة العلامة المحدث أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي الهندي. [الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط الحديث النبوي الشريف وعلومه ورجاله].
- 3- طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان، بتحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، عام: 1419هـ=1998م، في خمسة مجلدات.
- 4- طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حققت كرسائل جامعية بالجامعة، عام: ج 1-20: 1435هـ=2014م، ج 21-24: 1438هـ=2016م.

¹ اسم الكتاب المبرج هو "المسند الصحيح المخرَج على صحيح مسلم" كما أوضحه محققوه بدلائل مقبولة. [انظر: ص 81 من المقدمة]

أما المسند فليس المراد به هنا معناه الاصطلاحي المشهور (وهو الكتاب المرتب على أسماء الصحابة، حيث يجمع جميع مرويات صحابي على حدة في موضع واحد كمسند أبي داود الطيالسي ومسند أحمد، كما مرَّ بيانه) بل المراد به أنَّ مؤلفه أراد جمع الأحاديث المسنده المتصلة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كتابه كتسمية الإمام البخاري صحيحه "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسُنَّته وأيامه"، وتسمية الإمام مسلم صحيحه "المسند الصحيح المختصر من السنن، بنقل العدل، عن العدل، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ".

أما المخرَج فهو بمعنى الاستخراج، والمستخرج: كتابٌ يروي فيه مؤلفه أحاديث كتابٍ لمؤلف آخرَ بأسانيده هو، من غير أن يمرَّ على هذا المؤلف، بل يلتقي معه في شيخه أو من فوقه. والكتاب المستخرج يرتب على طريقة تلك الكتب التي عملت عليها على الغالب، فالكُتب المستخرجة على الصَّحاح مرتبة - كترتيبها - على الأبواب العلمية الفقهية المعتادة في هذا الخصوص.

يبلغ عدد أحاديثه (13036) حديثاً وأثراً حسبَ ترقيم طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة الطيبة.

نظرة على الكتب المتعلقة

برجال الحديث والأسانيد والجرح والتعديل

في هذا الفصل نتعرّف تعريفاً موجزاً على الكتب التي تمّ طبعها في "دائرة المعارف العثمانية": المتصلة بالرجال والأسانيد، وذكر مؤلفيها مع بيان سنة الطبع = تتيماً للفائدة وإكمالاً للبحث الذي نحن بصدد الحديث عنه.

(1)

تجريد أسماء الصحابة

للإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748هـ)، طبعته الدائرة سنة 1315هـ في مجلدين.¹

(2)

الاستيعاب في معرفة الأصحاب

للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النخعي القرطبي (ت: 463هـ)، طبعته الدائرة سنة 1319هـ في مجلدين، الأول يقع في 388 صفحة، والثاني يقع في 500 صفحة.²

¹ هذا الكتاب أصلاً تجريد أسماء الصحابة من كتاب ابن الأثير الجزري "أسد الغابة في معرفة الصحابة"، وزاد عليه زيادات واستدراكات، مستفيداً من قبله من العلماء الذين ألفوا في هذا الموضوع. الكتاب مرتّب على حروف المعجم، بدأ بباب الهمزة وما يليها، وختم بباب المجهولات، ذكر اسم الصحابي واسم أبيه وأشهر ما يتعلق به، مثل قال: "أبان بن سعيد بن العاص بن أمية، وأمه عمة أبي جهل، أسلم قبل خيبر، له عدة إخوة". (ص 1). وهناك رموز خاصة اختارها المؤلف للإشارة إلى كتب السنة والكتب الأربعة المشار إليها آنفاً، فليراجع للتفصيل "مقدمة الكتاب". طبع حديثاً في ثوب قشيب، بتحقيق د. خليفة بن أرجمه آل جهام من جمعية دار البر، الإمارات العربية المتحدة، دبي.

² طبع أيضاً بتحقيق علي محمد البجاوي من دار الجيل، بيروت، لبنان، في أربعة أجزاء، عام: 1412هـ=1992م.

(3)

كتاب الكنى والأسماء

للعامة أبي بشر محمد بن أحمد الدولابي (ت: 310هـ) طبعته الدائرة أولاً سنة 1322هـ في جزئين، الجزء الأول يقع في 202 صفحة، والثاني يقع في 267 صفحة.¹

(4)

الجمع بين رجال الصحيحين

لحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي، المعروف بابن القيسراني (ت: 507هـ)، طبعته الدائرة عام: 1323هـ في جزئين، يقع الجزء الأول في 408 صفحة، والجزء الثاني في 300 صفحة، وذلك بتحقيق الشيخ القاضي محمد شريف الدين الحيدرآبادي، والشيخ أبو الحسن الأمروهي.²

أما ترتيبُ الكتاب ومنهجه فقد رتبهُ المؤلف رحمه الله على حروف المعجم، بدأ بالحديث عن رسول الله ﷺ ثم أسماء الصحابة، ثم كُناههم، ثم أسماء الصحابات ثم كُناهن، وكذا ذكر جميع من عاصروا رسول الله ﷺ.

¹ بدأ المؤلف رحمه الله بذكر اسم رسول الله ﷺ وكنيته، ثم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين على حروف المعجم، وآخر من ذكره: "من كنيته أبو يزيد الهمداني". وطُبع كذلك باعثناء الدكتور زكريّا عميرات من دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. عام 1420هـ=1999م، وبحقيق أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي من دار ابن حزم، بيروت، لبنان، عام 1421هـ=2000م في ثلاثة أجزاء.

² هو كتاب في الجمع بين كتابي الإمامين: أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر الأصفهاني في رجال البخاري ومسلم، وهو من الكتب التي اعتمد عليها الحافظ في "الفتح" كثيراً. يقول المؤلف عن فكرة الكتاب ومنهجه: "صنّف أحدهما أسماء ما اشتمل عليه كتاب الإمام أبي عبد الله البخاري وهو أبونصر أحمد بن محمد بن الحسين الكلاباذي البخاري، وصنّف الآخر بعده أسماء ما اشتمل عليه كتاب الإمام أبي الحسين مسلم النيسابوري، وهو أبوبكر أحمد بن علي الأصبهاني؛ فأحسننا في تصنيفهما وأجملناه، ولما رأيت أكثر الأسماء مما اتفقنا عليه، وأقلها مما انفردا به = حملني ذلك على أن جمعت بين الكتابين، ليخف حجمه ويكثر نفعه، ثم أورد ما أورده، وأستدرك ما أغفله، وأختصر ما يستغني عنه من التطويل،

(5)

قرة العين في ضبط أسماء رجال الصحيحين

للفقيه عبد الغني بن أحمد البحراني الشافعي (ت، حوالي: 1178هـ)، طبعته الدائرة أولاً سنة 1323هـ. يقع في 59 صفحة.¹

(6)

تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة

للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت:

وأشير عند ذكر الراوي الذي له حديث واحد عندهما أو عند أحدهما إلى ذلك الحديث، إما بإسناده إن علوت فيه، وإما بمتنه إن وقع نازلاً.

وكذلك أُبين ما تكلم فيه الحفاظ من علل أحاديث أدخلوها في الصحيحين عند ذكر الراوي المشهور بتلك الرواية، وأذكر هل لما علل به ذلك الحديث وجه أم لا؟ وأبين من أوردنا حديثه استشهاده به، ومن أورداه مقروناً بغيره قبل متن الحديث أو بعده مردوفاً به، ومن أوردنا له حديثاً في موضع، وأورداه في غير ذلك الباب حديثاً آخر فنسبناه إلى غير النسبة الأولى؛ لتلا يظن أنهما اثنان، ومن أورداه غير منسوب فقالا أو أحدهما حدثنا فلان ويشته به غيره ومن حدثنا عنه، وحدثنا عن رجل عنه، ووقع لأحدهما عالياً وللآخر نازلاً.

وأرتب على نسق حروف المعجم ما اتفقا عليه وما انفردا به، وقدمنا من اسمه أحمد؛ ليجمع معنيين، أحدهما: تبركاً بالابتداء باسم رسول الله ﷺ، والثاني: إنه أول باب الألف". [ص 4 طبعة الدائرة، نقلنا كلام المؤلف بنصه للفائدة العلمية].

¹ ذكر المؤلف في مقدمته فكرة الكتاب ومنهجه فيه: يقول:

"واعلم: أنَّ الغرض من هذا الكتاب ضبط أسماء رجال صحيحي البخاري ومسلم وتمييز الملتبس وضماً من الأسماء، صيانةً للقاريء عن الوقوع في خطر التصحيف؛ فإني رأيت كثيراً قراء الصحيحين، يصحفون الأسماء .. ويعسر عليهم الكشف عن الضبط في الكتب المبسطة، فاستخرت الله الكريم في تأليف مختصر يشتمل على ضبط مشكل الأسماء وإيضاح ما كان قبل الضبط مبهماً ... ورتبته على حروف المعجم، ثم ما اتفقا الشيخان على الرواية عنه: رمزت عليه بالقاف، وما انفرد به البخاري: فالرمز عليه بالخاء، ومسلم فبالميم وسميته: "قرة العين في ضبط أسماء رجال الصحيحين". [ص 3 و4 طبعة الدائرة].

852هـ)، طبعته الدائرة سنة 1324هـ في 575 صفحة.¹

(7)

تهذيب التهذيب

للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، طبعته الدائرة في اثني عشر مجلدًا بدءًا من سنة 1325هـ حتى سنة 1327هـ.²

(8)

لسان الميزان

للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، طبعته الدائرة في ستة أجزاء، بدءًا من عام 1329هـ حتى عام 1331هـ.³

(9)

تذكرة الحفاظ

للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ).

¹ موضوع هذا الكتاب "زوائد رجال الأئمة الأربعة": الإمام أبي حنيفة (ت: 150هـ) والإمام مالك (ت: 179هـ) والإمام الشافعي (ت: 204هـ)، والإمام أحمد بن حنبل (ت: 241هـ) في كتبهم: الموطأ لمالك، ومسند الشافعي ومسند أحمد بن حنبل ومسند أبي حنيفة للحارثي (المسند الذي خرج به الحسين بن محمد خسرو من حديث أبي حنيفة). دون كتب أخرى لهم. رتب الكتاب على حروف المعجم، فبدأ بذكر من اسمه أحمد تيمناً وبركة، وختم بحرف الواو. وراعى الاختصار في التراجم غالباً.

² أما المراد بالزوائد هنا فهو: الكتب التي ألفت في تراجم رجال لم يخرج لهم مؤلفو الكتب الستة. كتاب "تهذيب التهذيب" من أهم الكتب المؤلفة في رجال الكتب الستة، أصله يرجع إلى كتاب "الكامل في أسماء الرجال" للحافظ أبي محمد عبد الغني المقدسي الحنبلي (ت: 600هـ)، وهو أول كتاب في رجال الكتب الستة.

³ هذا الكتاب "لسان الميزان" للحافظ ابن حجر مشتمل على الرواة المجروحين والمتكلم فيهم، أصله يرجع إلى كتاب "ميزان الاعتدال في نقد الرجال" للحافظ الإمام الذهبي (ت: 748هـ)، فقام الحافظ بالتهذيب والزيادة والتعقيب والاستدراك عليه، وألحق بآخره ذيل الحافظ العراقي (ت: 806هـ).

طبعته الدائرة (الجزء الثالث، - والجزءان: الأول والثاني لم تُعرف حالهما) قبل عام: 1334هـ في أربعة أجزاء، وطُبعت له أربع طبعات، الثانية سنة: 1333هـ، والثالثة: 1375هـ، والرابعة: 1388هـ.¹

(10)

التاريخ الكبير

للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، طبعته الدائرة في ثلاثة أجزاء (ثم في ثمانية أجزاء) بدءًا من سنة 1360هـ إلى سنة 1378هـ، وصدرت طبعة ثانية عام: 1390هـ، وكل ذلك بتحقيق العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلي اليمني.²

(11)

كتاب الكُنى

للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، صدرت الطبعة الأولى عن الدائرة سنة: 1360هـ، والثانية سنة: 1397هـ، في 102 صفحة، بتحقيق العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلي اليمني، والشيخ أحمد بن محمد اليمني،

¹ كتاب "تذكرة الحفاظ" لمؤلفه الحافظ الذهبي مشتملٌ على تراجم وسير حفاظ السنة النبوية وحمايتها والدَّائِبِينَ عنها والمتفانين فيها عبر العصور وتعاقب الأجيال. قال الذهبي في بداية كتابه: «وهذه تذكرة بأسماء معدلي حملة العلم النبوي ومن يرجع إلى اجتهدهم في التوثيق والتصحيح والتزييف». [تذكرة الحفاظ (3) طبعة الدائرة].

² هذا الكتاب: "التاريخ الكبير" أول مصنف في باب، بدأ البخاري رحمه الله تصنيفه، وهو ابن ثماني عشرة سنة، يقول: "فلما طعنتُ في ثماني عشرة جعلتُ أصنّف قضايا الصحابة والتابعين وأقوالهم، وذلك أيام عبيد الله بن موسى، وصنفتُ كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الليالي المقمرة، وَقَالَ: قُلَّ اسمُ في التاريخ إلا وله عندي قصة، إلا أني كرهتُ تطويلَ الكتاب". [تاريخ بغداد ت بشر، 325/2].

والشيخ أحمد الله الندوي.¹

(12)

الجرح والتعديل

للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التيمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: 327هـ)، طبعته الدائرة سنة 1371هـ، في تسعة مجلدات، بتحقيق العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلي اليماني.²

(13)

تقدمة المعرفة لكاتب الجرح والتعديل

للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التيمي، الحنظلي، الرازي

¹ اختلفت آراء أهل العلم والإتقان في الكتاب، هل هو مصنف مستقل مفرد للإمام البخاري، أم جزء من سفره الجليل: "التاريخ الكبير"! فقال جمع من أهل الشأن أنه جزء مستقل، قال ابن القطان: ".. إلا أن البخاري ذكره في الكُنى المجردة من تاريخه، وهو جزء، ولم يقع إلينا في نسخ التاريخ" [بيان الوهم والإيهام، 41/4]. وعليه جمع من أهل العلم مثل ابن عبد البر والمغلطاي والحافظ، لكن الظاهر - وهو قول عدد من أهل الشأن - أنه جزء من كتابه "التاريخ الكبير"، وما يدل عليه قوله في نهاية الكتاب: "هذا آخر كتاب 'التاريخ الكبير' على حروف المعجم، وما في آخره من الكُنى على ذلك وذكر من غلبت كنيته على اسمه. تصنيف أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ابن المغيرة الجعفي البخاري الحافظ - رحمه الله -". [التاريخ الكبير، 298/11].

والكتاب مرتب على حروف المعجم كما أوضحه المؤلف نفسه، وهو مشتمل على 297 صفحة، وملحق بآخر كتاب "التاريخ". وفيه 993 ترجمة للمشهورين بالكُنى. أولهم: أبو أمية بن الأخنس، آخرهم أبو المهري: خالد بن مخلد.

² كتاب "الجرح والتعديل" ألّفه الإمام ابن أبي حاتم الرازي بناءً على "التاريخ الكبير" للبخاري، مع زيادات واستدراكات وتعقيبات عليه. عُرِضَ "التاريخ الكبير" على أبيه وأبي زرعة الرازيين، فطلبوا من عبد الرحمن ابن أبي حاتم أن يسألهم عن رجال الحديث رجالاً رجلاً، فزادوا وحذفوا وأملأوا ما كان عندهما من علم في جرح وتعديل وحكم على الرواة، (إلا أنه قد وجدت تحاملاً لهؤلاء الثلاثة على البخاري، حسداً من عند أنفسهم)، فجاء هذا الكتاب من أهم المؤلفات في الفن وأعظمها وأوسعها.

ابن أبي حاتم (ت: 327هـ)، صدرت عن الدائرة سنة 1371هـ في 375 صفحة، بتحقيق العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلبي البجلي مع بعض زملائه في العمل، وفي بدايته مقدمة له قيمة نافعة في خصوص الموضوع.¹

(14)

موضح أوهام الجمع والتفريق

للإمام أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، طبعته الدائرة في جزئين عام: 1378هـ، الجزء الأول يقع في 486 صفحة، والثاني في 480 صفحة، بتحقيق العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلبي البجلي، وفيه تعليقات له قيمة مفيدة جداً للراغبين.²

¹ هذا الكتاب مقدمة "الجرح والتعديل" حقاً- بمعنى الكلمة- للإمام ابن أبي حاتم الرازي. لقد عرّف العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلبي البجلي (ت: 1366هـ): بها فأجاد، ونصه: «كتاب مقدمة المعرفة للجرح والتعديل ومزيته): هو كتاب بمنزلة الأساس أو التمهيد لكتاب الجرح والتعديل افتتحه المؤلف ببيان الاحتياج إلى السنة وأنها هي المينة للقرآن، ثم ببيان الحاجة إلى معرفة الصحيح من السقيم، وأن ذلك لا يتم إلا بمعرفة أحوال الرواة، وإن معرفة الصحيح والسقيم ومعرفة أحوال الرواة إنما يتمكّن منها الأئمة النقاد، ثم أشار إلى طبقات الرواة، وذكر نبذة في تنزيه الصحابة وثبوت عدالتهم، ثم بالثاني على التابعين، ثم ذكر أتباعهم، وذكر مراتب الرواة، ثم ذكر الأئمة وسرد بعض أسمائهم، ثم تخلص إلى مقصود الكتاب، وهو شرح أحوال مشاهير الأئمة كمالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج وغيرهم، وساق لك واحد من الأئمة ترجمة مبسطة، تشتمل على بيان علمه وفضله ومعرفته ونقده وغير ذلك من أحواله. وجاء في ضمن ذلك فوائد عزيزة جداً في النقد والعلل ودقائق الفن لا توجد في كتاب آخر، طبع عن ثلاثة أصول يأتي بيانها فيما بعد». [الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، 9/1].

² من أدق علوم الحديث وأصعبها: المتفق والمفترق، وهو: تماثلُ أسماء الرواة وأسماء آبائهم فصاعداً أو نُكَّاهم، أو أنسابهم، وتختلف أشخاصهم. [انظر: مقدمة ابن الصلاح، ص 358].

فربما نرى عدداً من الرواة اتفقت أسماؤهم وهم أشخاص مفترقون مختلفون، وربما يشتهر الراوي الواحد باسمين أو بأسماء وهو شخص واحد، فيشتبه على القارئ الأمر، فيظن المتعدد واحداً، والواحد متعدداً. وقد ألف الخطيب البغدادي الكتاب في هذا الفن، وذكر أوهام أهل العلم الذين وقعوا في

(15)

كتاب بيان خطأ البخاري في "تاريخه"

للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التيمي، الحنظلي، الرازي
ابن أبي حاتم (ت: 327هـ)، طبعته الدائرة عام: 1380هـ في 198 صفحة، بتحقيق
العلامة الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلبي اليماني.¹

(16)

كتاب الثقات

للإمام محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التيمي، أبو حاتم،
الدارمي، البستي (ت: 354هـ)، طبعته الدائرة في تسعة أجزاء، بداية من عام:
1393هـ وانتهاء بعام: 1403هـ، بتحقيق الشيخ المحقق محمد عمران الأعظمي مع
زملائه الآخرين في العمل.²

الوهم في هذا الصدد، ومن بينهم: الإمام البخاري ..

يقول المؤلف رحمه الله عن موضوع الكتاب وسبب تأليفه:

"قد أوردنا في هذا الكتاب ذكر جماعة كثيرة من الرواة انتهت إلينا تسمية كل واحد منهم وكنيته
والأمر التي يعزى إليها كنسبته على وجوه مختلفة في روايات مفترقة، ذكر في بعضها حقيقة اسمه
ونسبه واقتصر في البعض على شهرة كنيته أو لقبه وغير في موضع اسمه واسم أبيه وموه ذلك بنوع من
أنواع التوهم، ومعلوم أن بعض من انتهت إليه تلك الروايات فوقوع الخطأ في جمعها وتفريقها غير
مأمون عليه، ولما كان الأمر على ما ذكرته = بعثني ذلك أن بينته وشرحته". [موضح أوهام الجمع
والتفريق، 5/1].

¹ هذا كتابٌ مشتملٌ على بيان ما وقع من خطأ أو شبهة في النسخة التي وقف عليها الرازيان من تاريخ
البخاري، كما هو الظاهر من النظر فيه.

² كتاب "الثقات" لابن حبان من أهم المؤلفات في تراجم الرواة ورجال الحديث والجرح والتعديل وما
يتعلق به، بل هو موسوعة ضخمة في بابه، إلا أن ابن حبان حكم عليه بالتساهل في التوثيق والتضعيف.

ذكر المؤلف السبب الذي دفعه إلى تأليفه ("الثقات" وكذا "الضعفاء") فقال:

"فلما رأيت معرفة السنن من أعظم أركان الدين، وأن حفظها يجب على أكثر المسلمين، وأنه لا

(17)

الرجال في تاج العروس

للشيخ عزيز الله العطاردي الخبوشاني. طبعته الدائرة في أربعة أجزاء بإشراف المفتي محمد عظيم الدين النظامي الحيدرابادي، وذلك بدءاً من عام: 1401 هـ وانتهاءً بعام: 1402 هـ، والجزء الأول يقع في 512 صفحة، والجزء الثاني في 497 صفحة، والجزء الثالث في 426 صفحة، والرابع في 441 صفحة.¹

(18)

كتاب التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد

للإمام محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (ت: 629 هـ)، طبعته الدائرة في جزئين، عام: 1403 هـ بتحقيق الشيخ أطفاف حسين النظامي الحيدرابادي، الجزء الأول يقع في 336 صفحة، والجزء الثاني في 331 صفحة.

(19)

ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد

للعامة محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبي الطيب المكي الحسني الفاسي (ت: 832 هـ)، طبعته الدائرة عام 1419 هـ في ثلاثة أجزاء، بتحقيق الشيخ محمد عمران العمري الأعظمي، الجزء الأول يقع في 467 صفحة، والثاني يقع في 523 صفحة،

سبيل إلى معرفة السقيم من الصحيح ولا صحة إخراج الدليل من الصريح إلا بمعرفة ضعفاء المحدثين كيفية ما كانوا عليه من الحالات = أردت أن أملي أسامي أكثر المحدثين ومن الفقهاء من أهل الفضل والصلاحين ومن سلك سبيله من الماضين بحذف الأسانيد والإكثار ولزم سلوك الاختصار ليسهل على الفقهاء حفظها ولا يصعب على الحافظ وعيها. [الثقات لابن حبان، 3/1].
¹ مؤلفه شيعي.

والثالث يقع في 519 صفحة، وتمَّ طبعُ هذه الأجزاء عام: 1323 هـ.¹

خاتمة القول: إنَّ هذه الدائرة قد أدَّت دوراً بارزاً في نشر عدد كبير من الكتب والمخطوطات في مختلف العلوم والفنون على مرِّ الزمن، وهذه الكتب كلّها كانت تحتلُّ مكانة في الأوساط العلمية، وطُبعت باستشارة مجموعة من العلماء المتمكِّنين الأثبت المتقنين من أقطار العالم كلّ، لذا لها الأولوية والأسبقية في طبع كثير من المخطوطات والكتب النادرة، ونحن في حاجة أمّسها وألحّها إلى استعادة مجدها السالف ودورها اللامع بكل تخطيط واهتمام حتى نعتز- اعتزازنا السابق- بثقافتنا الهندية التي كان يشار إليها بالبنان ولا يزال.

والكتب التي قامت بنشرها في خصوص الحديث وعلومه وما يتعلّق به، وهي نافعة جدّاً، وجديرة بأن يعاد طبعها في حلة جديدة، ويضاف على هذه القائمة جديداً بإصدار النوادر من الكتب المتواجدة في مكتبات العالم.

ونرجو من المعنّين بالدائرة أن يختاروا لها أعضاء من جميع المذاهب من أهل السنة والجماعة من العالم الإسلامي كلّ؛ حتى يكون دورها أكبر وأوسع تكاريخها السالف المشرق.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا جميعاً للخير والصالح والنجاح في الدنيا والآخرة. آمين.

¹ هو ذيلُ للكتاب: "التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد" السالف الذكر، وقد فات مؤلفه عدد من المشاهير من الرجال والرواة؛ فجاء قاضي القضاة الإمام تقي الدين أبي الطيب الفاسي المالكي (ت: 832 هـ)، وجمع ورتّب من أهملت أسماؤهم في أصل الكتاب.

ثبت المراجع والمصادر

- 1- إتحاف الأكابر: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، دائرة المعارف العثمانية (الدائرة)، حيدرآباد، 1328هـ=1910م.
- 2- الإتحافات السنّية في الأحاديث القدسية: للشيخ محمد المدني (ت: 1271هـ). ط1، 1323هـ، وط2، 1358هـ=1939م.
- 3- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: للإمام أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: 463هـ)، الدائرة، 1319هـ في مجلدين.
- 4- الاعتبار في النسخ والمنسوخ: لأبي بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني بن حازم الهمداني، ط1، الدائرة، 1359هـ.
- 5- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ(نزهة الخواطر وبهجة السامع والنواظر) لعبد الحي بن نضر الدين بن عبد العلي الحسيني الطالبي (ت: 1341هـ)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1420هـ=1999م.
- 6- الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين، ط15، أيار / مايو 2002م.
- 7- الإمداد: للبصري، الدائرة، 1328هـ=1910م.
- 8- الأمم لإيقاظ الهمهم: للكوراني، الدائرة، 1328هـ=1910م.
- 9- البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع: (في التراجم والطبقات)، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- 10- بغية الطالبين: للنخعي، الدائرة، 1328هـ=1910م.
- 11- التاريخ الكبير: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، ط1، الدائرة في ثلاثة أجزاء (ثم في ثمانية أجزاء) بدءًا من سنة 1360هـ

- إلى سنة 1378هـ. وصدرت الطبعة الثانية في 1390هـ.
- 12- تجريد أسماء الصحابة: للإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748هـ)، الدائرة، 1315هـ في مجلدين.
- 13- تذكره علماء هند المعروف بـ"تحفة الفضلاء في تراجم الكهلاء" (بالفارسية) لمولوي رحمان علي، ط2، منشي نول كشور لكناؤ، 1332هـ=1914م، وطبعة أردو بترتيب وترجمة: محمد أيوب قادري، باكستان هستوركل سوسائتي، كراتشي، 1961م.
- 14- تراجم علماء حديث هند: لأبي يحيى إمام خان النوشهروي، ط1، 1356هـ ومكتبة أهل الحديث ترست رود كراچي، باكستان، ط2، 1413هـ.
- 15- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة: للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، الدائرة، 1324هـ.
- 16- مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل: للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: 327هـ)، ط1، الدائرة، 1371هـ.
- 17- تهذيب التهذيب: للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، طبعته الدائرة في اثني عشر مجلداً بدءاً من سنة 1325هـ حتى سنة 1327هـ.
- 18- توجيه النظر إلى أصول الأثر لطاهر بن صالح (أو محمد صالح) ابن أحمد بن موهب، السمعوني الجزائري، ثم الدمشقي (ت: 1338هـ)، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط1، 1416هـ=1995م.
- 19- جامع مسانيد الإمام الأعظم أبي حنيفة: للعلامة أبي المؤيد محمد بن محمود الخوارزمي (ت: 665هـ)، الدائرة، 1332هـ=1913م، وط2، 1429هـ=2008م.

- 20- الجرح والتعديل: للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: 327هـ)، الدائرة، 1371هـ، في تسعة مجلدات.
- 21- الجمع بين رجال الصحيحين: للحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي، المعروف بابن القيسراني (ت: 507هـ)، الدائرة، 1323هـ في جزئين.
- 22- الجوهر النقي على سنن البيهقي: مؤلفه العلامة علاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى المارديني، أبو الحسن، الشهير بابن الترككاني (ت: 750هـ). ط1، الدائرة، 1316هـ=1898م في جزئين.
- 23- الحطة في ذكر الصحاح الستة: لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت: 1307هـ)، ط1، دار الكتب التعليمية، بيروت، لبنان، 1405هـ=1985م.
- 24- حياة المحدث شمس الحق العظيم آبادي وأعماله لمحمد عزيز شمس، الجامعة السلفية بنارس، الهند، 1412هـ=1991م.
- 25- خير الماعون في منع الفرار من الطاعون: للعلامة المحدث محمد عبد الرحمن المباركفوري، تعريب وتحقيق: راشد حسن المباركفوري، دار المقتبس، بيروت، 2020م.
- 26- الدليل المحكم في نفي أثر القدم: للعلامة المحدث السيد محمد نذير حسين الدهلوي، تعريب وتحقيق: راشد حسن المباركفوري، دار الإمام مسلم، المدينة المنورة، 2021م.
- 27- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد: للعلامة محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبي الطيب المكي الحسيني الفاسي (ت: 832هـ)، الدائرة، 1419هـ في ثلاثة أجزاء.

28- الرجال في تاج العروس: للشيخ عزيز الله العطاردي الخبوشاني. طبعته الدائرة في أربعة أجزاء بإشراف المفتي محمد عظيم الدين النظامي الحيدرابادي، وذلك بدءاً من عام: 1401 هـ وانتهاءً بعام: 1402 هـ.

29- السنن الكبرى: للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: 458 هـ) مع "الجوهر النقي" للعلامة علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني (ت: 750 هـ)، طبعته الدائرة في عشرة أجزاء، بدءاً من عام: 1344 هـ وانتهاءً بـ 1355 هـ.

30- شرح تراجم أبواب «صحيح البخاري»: للإمام الشاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي (ت: 1176 هـ)، ط 1، الدائرة، 1356 هـ.

31- العلامة الشيخ أبو العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري: سيرته ومآثره وجهوده في نشر علوم الكتاب والسنة: لراشد حسن المباركفوري، لم يطبع.

32- العلامة الشيخ السيد محمد نذير حسين الدهلوي: سيرته ومآثره وجهوده في نشر علوم الكتاب والسنة: لراشد حسن المباركفوري، لم يطبع.

33- عمل اليوم والليلة سلوك النبي مع ربه عز وجل ومعاشرته مع العباد: للإمام أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بدخ، الدينوري، المعروف بـ "ابن السنّي" (ت: 364 هـ)، الدائرة، ط 2، 1358 هـ.

34- الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني: (مجموع رسائله وفتاواه)، تحقيق وترتيب: أبو مصعب محمد صبحي بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، اليمن في 12 مجلدًا.

35- فهرس الفهارس والأثبتات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات للمؤلف: محمد عبد الحي بن عبد الكبير ابن محمد الحسيني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكّاني (ت: 1382 هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي،

بيروت سنة: 2، 1982م.

36- الفهرس الوصفي لمطبوعات دائرة المعارف، إعداد عظمة الله الندوي، السيد أحمد زكريا الغوري الندوي، الدائرة، 2013م.

37- قرة العين في ضبط أسماء رجال الصحيحين: للفتية عبد الغني بن أحمد البحراني الشافعي (ت، حوالي: 1178هـ)، الدائرة، ط1، 1323هـ.

38- قطف الثمر: للعمري، الدائرة، 1328هـ=1910م.

39- القول السديد فيما يتعلق بتكبيرات العيد: للعلامة المحدث محمد عبد الرحمن المباركفوري، تعريب وتحقيق: راشد حسن المباركفوري، دار المقتبس، بيروت، 2020م.

40- القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد: للإمام أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ) مع "ذيل القول المسدد": للقاضي الملك محمد صبغة الله بن محمد غوث بن محمد ناصر الدين المدارسى الهندي الشافعي (ت: 1280هـ)، الدائرة، ط1، 1319هـ، وط2، 1386هـ، وط3، 1400هـ، وط4، 1415هـ. وكذا طبع من مكتبة ابن تيمية بالقاهرة، مصر، عام: 1401هـ.

41- كتاب التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد: للإمام محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (ت: 629هـ)، الدائرة، 1403هـ.

42- كتاب الثقات: للإمام محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُسْتِي (ت: 354هـ)، طبعته الدائرة في تسعة أجزاء، بداية من عام: 1393هـ و انتهاء بعام: 1403هـ.

43- كتاب الكفاية في علم الرواية: للخطيب البغدادي، الدائرة، 1357هـ.

44- كتاب الكنى والأسماء: للعلامة أبي بشر محمد بن أحمد الدولابي (ت: 310هـ)، ط1، 1322هـ في جزئين.

45- كتاب الكنى: للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، الدائرة، ط1، 1360هـ، وط2، 1397هـ

46- كتاب بيان خطأ البخاري في تاريخه: للإمام أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التيمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: 327هـ)، الدائرة، 1380هـ.

47- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: للعلامة علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان قادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالميكي الشهير بالمتقي الهندي (ت: 975هـ). ط1، دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد، عام 1312هـ، في ثمانية أجزاء. وتم طبعه حتى عام: 1315هـ. وكذا طبع (الطبعة الخامسة المتداولة الآن) بتحقيق: بكري حياني و صفوة السقاء، من: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، عام: 1401هـ=1981م.

48- لسان الميزان: للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، طبعته الدائرة في ستة أجزاء، بدءاً من عام 1329هـ حتى عام: 1331هـ.

49- للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ). طبعته الدائرة (الجزء الثالث، - والجزءان: الأول والثاني لم تُعرف حالهما -) قبل عام: 1334هـ في أربعة أجزاء.

50- المستدرك على الصحيحين: للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسافوري (ت: 405هـ) مع ذيله «تلخيص المستدرك»: للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ). طبع الكتاب في أربعة أجزاء، وبدأ طبعه

- من عام: 1334هـ، وانتهى إلى عام 1342هـ.
- 51- مسند أبي داود الطيالسي: للإمام أبي داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود (ت: 204هـ)، طبعته الدائرة أولاً عام: 1321هـ في 404 صفحة، وطبع من: دار هجر، مصر، عام: 1419هـ=1999م في أربعة أجزاء.
- 52- مسند أبي عوانة: للإمام أبي عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (ت: 316هـ)، طبعته الدائرة لأول مرة في خمسة أجزاء بدءاً من عام 1362هـ وانتهاءً إلى عام 1386هـ.
- 53- مشكل الآثار: للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (ت: 321هـ)، طبعته الدائرة لأول مرة عام: 1333هـ=1914م في أربعة أجزاء.
- 54- مشكل الحديث: لابن فورك. طبعه الدائرة، سنة 1415هـ.
- 55- المختصر من المختصر من مشكل الآثار: تلخيص: العلامة أبي المحاسن يوسف بن موسى بن محمد الملقبي الحنفي (ت: 803هـ)، من مختصر: الإمام أبي الوليد الباجي المالكي (ت: 474هـ)، من كتاب: مشكل الآثار للطحاوي (ت: 321هـ)، ط1، الدائرة، 1317هـ.
- 56- معجم المؤلفين لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت: 1408هـ)، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، عدد الأجزاء: 13.
- 57- معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري، الدائرة، ط2، 1385هـ=1966م. (والطباعات الأخرى لجميع الكتب الآتية، هي مذكورة في ثانيا الكتاب في موضعها.
- 58- مقاله تحفظ علوم قديمة للأستاذ محمد هاشم الندوي، شمس الإسلام بريس، 1355هـ.
- 59- من رواد حركة التجديد والإصلاح في الهند: العلامة المحدث الشيخ محمد فاخر زائر الإله آبادي، للعاجز: راشد حسن المباركفوري، طبع من قومي كونسل

بدلهي الجديدة، 2019م.

60- موضح أوهام الجمع والتفريق: للإمام أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن

مهدي الخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، الدائرة، 1378هـ في جزئين.

61- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني

البغدادي (ت: 1399هـ)، ط: بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعها البهية

أستانول، 1951م، ومن ثم طبع من: دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان.

معنى وبلاغة "مِثْقَالِ ذَرَّةٍ"

- د. أوزنك زيب الأعظمي¹

المِثْقَال وزن معلوم قدره.² فقد جاء عن أبي رافع أنّ سعداً ساومه بيتاً بأربعمئة مثقال فقال لولا أنني سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: الجار أحق بصقبه لما أعطيتك وقال بعض الناس إن اشترى نصيب دار فأراد أن يبطل الشفعة وهب لابنه الصغير، ولا يكون عليه يمين.³ وهو وزن قليل جداً كما قال جرير:

ولو أنّ تغلبَ جمعتُ أحسابها يومَ التفاضل لم تزنْ مثقالاً⁴
جمعتُ أحسابها: لم تترك شيئاً من أحسابها إلا وجمعها.

وكذا يعني المبالغة بمعنى العنيف كما قال امرؤ القيس:

إذا ما الضجيعُ ابتزّها من ثيابها تميلُ عليه هوناً غيرَ مجبال⁵
ورواه ابن منظور: "غير مِثْقَال".⁶

ولكن معناه عندي أزيد على ما ذكره، وهذا ما يدلّ عليه كلام العرب والقرآن الكريم وأحاديث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

¹ مدير تحرير "مجلة الهند" وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المليية الإسلامية، نيودلهي

² كتاب العين: ثقل

³ صحيح البخاري، رقم الحديث: 6978.

⁴ ديوانه، ص 363 وجمهرة أشعار العرب، ص 718

⁵ ديوانه، ص 124 غير مجبال: ليست بفضة ولا غليظة

⁶ لسان العرب: بز

فقال أبو العيال الهذلي:

فِيرَى يُمِثُّ وَلَا يُرَى فِي بطنه مِثْقَالُ حَبَّةٍ خردلٍ موزون¹

وقال أبو العباس الهذلي:

فغدا يموت وَلَا يرى فِي بطنه مِثْقَالُ حَبَّةٍ خردلٍ موزون²

وقال الأخطل:

أَلَا إِنَّ زَيْدَ اللاتِ يَوْمَ لِقِيئِهَا عِلَاقَةُ سُوءٍ، فِي إِنَاءٍ مُثَلَّمٍ

قَبِيلَةٌ³ مَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلُمُونَ النَّاسَ مِثْقَالَ دِرْهَمٍ⁴

وقال جرير:

أَبْلَغُ بَنِي وَقْبَانَ أَنَّ حُلُومَهُمْ خَفَّتْ فَمَا يَزْنُونَ حَبَّةَ خردلٍ⁴

وقال نمير بن ماجد الغنوي:

أَبْلَغُ لَدَيْكَ بَنِي لَأْمٍ مَغْلُغَلَةٌ قَدْ كُنْتُ أَعْهَدُكُمْ مِنْ مَعْشَرٍ قَزَمَ

مَا بَالُ ظَلَمِهِمْ مِثْلِي وَمَا ظَلَمُوا مِثْقَالَ خردلَةٍ فِي سَالِفِ الْأَمَمِ⁵

ففي كلِّ من أبيات أبي العيال والأخطل وجرير ونمير الغنوي جاء مِثْقَالُ مضافاً إلى شيء تافه وزناً معنى ذلك أَنَّ المِثْقَالَ إذا أُضيف إلى شيء فلا يضاف إلا إلى شيء تافه وزناً وقيمة.

ونتبع الآيات القرآنية فقال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً

¹ ديوان الهذليين، 267/2

² موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 44

³ ديوانه، ص 329

⁴ ديوانه، ص 359

⁵ كتاب الأشباه والنظائر للخالدين، 198/2

يُضَعِّفُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٥٠﴾. (سورة النساء)

وقال: "وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٥٧﴾". (سورة الأنبياء)

وقال: "وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾". (سورة يونس)

وقال: "يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٢﴾". (سورة لقمان)

و"قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِنَّ مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾". (سورة سبأ)

و"يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴿٦١﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٦٢﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٦٣﴾". (سورة الزلزلة)

ففي كل هذه الآيات جاء المِثْقَالُ كما ذكرنا وعني به أدنى شيء موزون.

ومثلها مثل الأحاديث النبوية فقد روي عن أبي سعيد الخدري أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أخرجوا من كان في قلبه مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ فَيُخْرِجُونَ مِنْهَا قَدْ اسْوَدُّوا فَيُلْقُونَ فِي نَهْرِ الْحَيَاءِ أَوْ الْحَيَاةِ شَكَّ مَالِكٍ- فَيَنْبَتُونَ كَمَا تَنْبَتُ الْحَبَّةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَاهَا تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مَلْتَوِيَةً.¹

وجاء في حديث روي عن أبي سعيد الخدري: "... فيقول الله تعالى اذهبوا فمن

¹ صحيح البخاري، رقم الحديث: 22.

وجدتم في قلبه مِثقال دينار من إيمان فأخرجوه ويحرم الله صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مِثقال نصف دينار فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مِثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا...¹

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مِثقال ذرة من كبر. قال رجل إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة. قال: إنَّ الله جميل يحبُّ الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس².
وروي عن أبي هريرة أنه قال: "قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إنَّ الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحداً في قلبه - قال أبو علقمة مِثقال حبة وقال عبد العزيز مِثقال ذرة من إيمان إلا قبضته"³.

وروي عن عبد الله أنه قال: "قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يدخل النار أحدٌ في قلبه مِثقال حبة خردل من إيمان ولا يدخل الجنة أحدٌ في قلبه مِثقال حبة خردل من كبرياء"⁴.

وروي عن معاذ بن جبل: "أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "ما من نفس تموت ولها عند الله مِثقال ثملة من خير إلا طين عليه طيناً"⁵.

وروي عن جابر أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "إذا ميز أهل الجنة وأهل النار يدخل

¹ صحيح البخاري، رقم الحديث: 7439.

² صحيح مسلم، رقم الحديث: 275.

³ صحيح مسلم، رقم الحديث: 327.

⁴ صحيح مسلم، رقم الحديث: 276.

⁵ المعجم الكبير، رقم الحديث: 16635.

أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قامت الرسل فشفعوا فيقال: اذهبوا فمن عرفتم في قلبه مِثقال قيراط من إيمان فأخرجوه فيخرجون بشراً كثيراً ثم يقال: اذهبوا فمن عرفتم في قلبه مِثقال خردلة من إيمان فأخرجوه فيخرجون بشراً كثيراً...¹

وروي عن أنس بن مالك أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "... محمد ارفع رأسك تكلم تسمع واشفع تشفع وسل تعطه فيقول: يا رب أمي أمي أمي فيقال: أخرج من كان في قلبه مِثقال شعيرة ثم يرجع الثانية فيخر الله ساجداً ويمجده بحامد لم يمجه أحد كان قبله ولن يمجه بها أحد ممن كان بعده فيقال له: محمد ارفع رأسك تكلم تسمع واشفع تشفع وسل تعطه فيقال له: أخرج من كان في قلبه مِثقال برة ثم يرجع الثالثة فيخر الله ساجداً ويمجده بحامد لم يمجه بها أحد كان قبله ولن يمجه أحد ممن كان بعده فيقال له: أخرج من كان في قلبه مِثقال خردلة...²

وجاء في حديث رواه أنس بن مالك: "... يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع فأقول يا رب أمي أمي أمي فيقول انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مِثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل...³

فظهر مما سردناه من الأمثلة أنّ "المِثقال" له وزن معلوم ولكنه إذا جاء مضافاً إلى شيء فيعني أدنى وزن يحتمنه البشر فلا يضاف إلا إلى أدنى شيء مفطور. وهذا المعنى لم يذكره مفسر ولا معجمي فقد صدرنا مقالنا بقول الخليل وجاء في الصحاح: "مِثقال الشيء: ميزانه من مثله"⁴ وتبعه الشرتوت في معجمه.⁵ وقال الرازي: وقال: "قوله

¹ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، رقم الحديث: 183

² صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، رقم الحديث: 6480

³ صحيح البخاري، رقم الحديث: 7510

⁴ الصحاح: ثقل

⁵ أقرب الموارد: ثقل

(من مِثقال ذرّة) أي وزن ذرّة، ومِثقال الشيء ما يساويه في الثقل.¹ وقال ابن السكّين: "والمِثقال: مفعال من الثقل وهو زنة كلّ شيء".²

وأما الذرّة والحبة فشرح ابن عباس الذرّة بأنها "رأس نملة حمراء".³ وقال ابن جرير: "والذرّة واحدة الذرّ، والذرّ صغار النمل".⁴ ولم يزد الزمخشري على شرح الطبري.

وقال الرازي: "الذرّة النملة الحمراء الصغيرة في قول أهل اللغة. وروى عن ابن عباس أنه أدخل يده في التراب ثم رفعها ثم نفخ فيها، ثم قال: كلّ واحد من هذه الأشياء ذرّة و(مِثقال) مفعال من الثقل يقال: هذا على مِثقال هذا، أي وزن هذا، ومعنى (مِثقال ذرّة) أي ما يكون وزنه وزن الذرّة".⁵

وقال ابن السكّين: "والذرّة: النملة الصغيرة، وقيل: رأسها، وقيل: الخردلة، وقيل: جزء الهباءة".⁶ والذرّة في كلام العرب هي النملة الصغيرة كما قال امرؤ القيس:

نشيم بروقّ المزن أين مصابهُ ولا شيء يشفي منك يابنة عفزرا
من القاصراتِ الطرف لو دبّ محول من الذرّ فوق الإتب منها لأثراً⁷
وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

لو يدبّ الحويّ من ولدِ الذرّ ر عليها لأندبها الكلام⁸

¹ التفسير الكبير، 129/17

² الدرّ المصون في علوم الكتاب المبین، 683/3

³ تفسير الطبري، 29/7

⁴ تفسير الطبري، 207/12

⁵ التفسير الكبير، 105/10

⁶ الدرّ المصون في علوم الكتاب المبین، 683/3

⁷ ديوانه، ص 65

⁸ شرح ديوانه، ص 307

وجاء في حديث علي رضي الله عنه: "سبحان مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ وَالْهَمَجَةَ".¹

وكذا تعني: ذرة الرمل كما قال أبو النجم العجلي:

تُرىكَ جَسَماً في الثياب عبها
منها ووجهاً واضحاً وبشرا
لو يدرُجُ الذرُّ عليه أثراً
لا هيجاً رخواً ولا مذكراً²

وأما الحبة فهي شيء مدور لا يوزن ثقیلاً مثل حبّ الفلفل كما قال امرؤ القيس:

ترى بحر الصيران في عرصاتها وقيعانها كأنها حبّ فلفل³
وقال عنتره بن شداد العبسي:

فاستبدلت عُفْرُ الطباء كأغما أبعادها في الصيف حبّ الفلفل⁴
وقال سُلَيْم بن ربيعة:

وكأنّ في العينين حبّ فلفل أو سنبلاً كُحِلَتْ به فانهلت⁵

¹ لسان العرب: همج، الهمج: ذباب صغير يسقط على وجوه الإبل والغنم والحمر وأعينها. وقال عمر بن أبي ربيعة الخزومي:

لو دبّ ذرٌّ فوق ضاحي جلدها لأبان من آثارهنّ حُذور
ديوانه، ص 223، وقال ابن الدمينية:

منعمةً لو دبّ ذرٌّ بجلدها لكاد ديبُ النمل بالجلد يكمر

ديوانه، ص 209

² ديوانه، ص 179

³ ديوانه، ص 111

⁴ شرح ديوانه، ص 119

⁵ شرح ديوان الحماسة، 392/1 ونوادر أبي زيد، ص 375 وفيه: سليمان بن ربيعة الضبي

أو حبّ الرمان كما جاء في الحديث: "كأنما فُتق في وجهه حبّ الرمان". أي بخص¹.
ومنه صغار المزن المشبه بالحب كما قال أبو صعتر البولاني:

فما نطفة من حبّ مزنٍ تقاذفت به جنبنا الجودي والليل دامس
فلما أقرته اللصاب تنفست شمالاً لأعلى مائه فهو قارس
بأطيب من فيها وما ذقت طعمها ولكنني فيما ترى العين فارس²
وقال الشاعر:

كأما يحتطب قناد، ويستضحكن عن حبّ الغمام³
وحتى استعاروا بحبة خردل شيء لا يوزن ثقيلًا كما قال النجاشي الحارثي:
قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظهرون الناس حبة خردل⁴
وزد على هذا كون المضاف إليه نكرة ونفي الجملة فآنذاك يكون المعنى: لا يوزن شيئاً
ولو تافهاً.

¹ لسان العرب: فقاً

² شرح ديوان الحماسة، 773/2

³ لسان العرب: أن

⁴ كتاب الوحشيات، ص 216 وكتاب الأشباه والنظائر للخالدين، 198/2 وجاء في الأخير قول الميمني عن هذا البيت والبيت بعده "لا يردون الماء...": "لم يعزهما لغير النجاشي أحد فيما أذكر". ولكن هذا البيت معزو إلى الخطيئة، انظر: ديوان الأخطل، ص 329 (هامش) وإلى قيس بن عمرو النجاشي، انظر: الحماسة الشجرية، ص 452 وأشار إلى شاعر آخر الخالديان (310/2).

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد للعلامة سعيد الخوري الشرتوتي، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران، 1374هـ
3. التفسير الكبير للفخر الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1981م
4. جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط1، 2001م
5. جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق: محمد علي البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.
6. الحماسة الشجرية لابن الشجري، تحقيق: عبد المعين الملوحي وأسماء الحميصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1970م
7. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، 1406م
8. ديوان ابن الدمينه، تحقيق: أحمد راتب النفاخ، مكتبة دار العروبة، القاهرة، غرة المحرم، 1379هـ
9. ديوان أبي النجم العجلي، جمع وشرح وتحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 2006م
10. ديوان الأخطل، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1994م
11. ديوان الهذليين، الجمهورية العربية المتحدة، الثقافة والإرشاد القومي، طبعة دار

- الكتب، بيروت، 1996م
12. ديوان امرئ القيس، ضبطه وصحّحه: الأستاذ مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م
13. ديوان جرير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1986م
14. ديوان حسان بن ثابت، شرح وتقديم: الأستاذ عبدأمنها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994م
15. ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.
16. شرح ديوان الحماسة، كتب حواشيه: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م
17. شرح ديوان عنتر بن شداد العبسي، للعلامة التبريزي، دار الكتاب العربي، ط1، 1992م
18. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1956م
19. كتاب الأشباه والنظائر للخالدين، تحقيق: د. السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د.ت.
20. كتاب العين للخليل الفراهيدي، ترتيب وتحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م
21. كتاب الوحشيات لأبي تمام الطائي، تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزيادة: محمود محمد شاكر، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1968م
22. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
23. لسان العرب لابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، د.ت.

24. مجموعات الأحاديث النبوية الشريفة (صحيح البخاري وصحيح مسلم وصحيح ابن حبان والمعجم الكبير)
25. موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، عبد عون الروضان، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2001م
26. النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، بيروت، ط1، 1981م

علي بن عبد العالي الكركي (940هـ/1534م)

ودوره في تطوير ولاية الفقيه وتطبيقها

في الدولة الصفوية

- د. موسى بن محمد آل هجاذ الزهراني¹

ملخص

قامت الدولة الصفوية في بلاد فارس (إيران) بعد سنوات من الإعداد المحكم لها، ومما كان أكبر ركيزة في إرساء دعائمها هجرة علماء الاثني عشرية القادمين من بلاد الشام، من جبل (عامل) في (لبنان) وعلى رأسهم: علي بن عبد العالي الكركي العاملي (940هـ/1534م). حيث عمد إلى اختراع أو تطوير نظرية، يكون القصد منها تمكين سلاطين هذه الدولة الناشئة، التي قامت على جماجم أهل السنة الذين أريدوا، أو شُيعوا قسراً، وهذه النظرية هي: نظرية ولاية الفقيه، التي لها ارتباط وثيق بنظرية الإمامة الإلهية عند الاثني عشرية، بل هي تطبيق عملي لها؛ حيث يعطى الإمام صلاحيات تميز له التحكم في أحكام الشريعة حسبما يريد دون أن ينازعه أحد؛ إذ إن منازعته هي منازعة للإله.

وبناء على هذا تتابع علماء الاثني عشرية في تأكيد، وشرح وتبرير هذه النظرية، مما كان له الأثر البالغ في استمرار الدول الشيعية الاثني عشرية التي اتخذتها دستوراً لها، حتى بعد سقوط الدولة الصفوية الأخيرة (1135هـ/1722م) نشأت الدولة الحديثة (الجمهورية الإسلامية (1399هـ/1979م)) على يد آية الله الخميني (1409هـ/1989م) في إيران

¹ أستاذ العقيدة والأديان المساعد، كلية الشريعة والقانون، جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل

لتكامل مسيرة الدولة الصفوية بناء على الاستناد الكبير على نظرية ولاية الفقيه. وفي هذا البحث استعراض للنسق التاريخي لهذه النظرية وصولاً إلى الدور الكبير الذي قام به علي بن عبد العالي الكركي في تطويرها وتعزيز أسس الدولة الصفوية.

الكلمات المفتاحية: الكركي - ولاية - الفقيه - الصفوية

مبررات وأهداف البحث: كان ولا يزال المذهب الاثني عشري مثاراً للجدل، من حيث النشأة الأولى، والتطورات التي لا تقف، مما يصدق عليه مقولة (الدين المصنوع) أو (صناعة التشيع) ومن فظاعة الحقبة الصفوية التي نشأت في أحضانها نظرية ولاية الفقيه وضع المؤلف (كولن تيرنز) لكاتبه المعروف اليوم باسم (التشيع والتحول في العصر الصفوي) عنواناً له في الأصل: (Islam Without Allah) وترجمته الحرفية هي: (إسلام بدون الله)، (وهو عنوان أقرّ المؤلف نفسه بنبوّ الذوق العربي عنه)¹ كما يقول مترجمه حسين علي عبد الساطر الذي تولّى تغيير العنوان إلى المسمّى الحالي للكاتب. وأياً ما كان فإنّ هذا المستشرق من خلال تتبعه لأحداث التحول الجذري للحالة الدينية في إيران، بيد الصفويين، قد هاله الأمر؛ حتى اعتبر أنّ إسلام هؤلاء لا علاقة له (بالله) عزّ وجلّ. هذا وغيره من أعظم المبررات التي تدعو الباحث للكاتب حول تلك الحقبة والنظرية المشار إليها.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على نشأة وتطور هذه النظرية لدى الشيعة الاثني عشرية، والجذور العقديّة التي بنيت عليها هذه النظرية، وبناء عليه تمكّنوا من وضع اليد على نواحٍ شاسعة من بلاد الإسلام؛ كإيران، والعراق وغيرهما مما يخضع لحكم معتقّي نظرية ولاية الفقيه.

حدود البحث: للبحث حدود زمانية، وهي فترة القرن التاسع الهجري، فترة نشأة الدولة

¹ تيرنز: مقدمة: التشيع والتحول في العصر الصفوي (15) ملاحظات حول الترجمة.

الصفوية، وحدود موضوعية وهي نظرية ولاية الفقيه المستحدثة في الفكر الاثني عشري. منهج البحث: يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي النقدي، وذلك من خلال التعامل مع النصوص العقدية والفقهية وتطور هذه النظرية في الفكر الاثني عشري، وآثارها الممتدة من القرن التاسع، إلى وقتنا هذا.

الدراسات السابقة: لم أجد بحثاً جامعياً يحدّد مسؤولية الشيخ الشيعي القادم من لبنان علي بن عبد العالي الكركي العاملي (940هـ/1534م)، في إنشاء وتطوير النيابة العامة (ولاية الفقيه) سوى مفردات مبثوثة في طيات المطولات من المؤلفات الاثني عشرية دون تحديد دقيق لبدء افتراض النظرية وتطبيقها العملي.

وهناك رسالة دكتوراه للدكتورة الشيماء العقالي بعنوان "نظرية ولاية الفقيه وتطبيقاتها في جمهورية إيران الإسلامية" من جامعة عين شمس، اهتمت فيها الباحثة بالتطبيق الواقع في إيران اليوم، لهذه النظرية، التي تولّاها الخميني.¹

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه الأخيار. وبعد؛ فإنّ الفكر الاثني عشري يقوم في الدرجة الأولى على فكر أشخاص، منذ عهد ابن سبأ (ولد نحو 40هـ) إلى هذا العصر، مروراً بعصر الانحشاء الكبرى في تاريخ التشيع وهو عصر الدولة الصفوية، وقد مرّ في تاريخه بتطورات عجيبة، ولا يزال، ومن أغربها اختراع نظرية ولاية الفقيه.

وإنّ الدولة الصفوية التي نشأت في بلاد فارس من القرن العاشر الهجري إلى وقت انهيارها، قد قامت على هذا المبدأ الذي تولّى أمره الشيخ القادم من لبنان نور الدين،

¹ العقالي (الدكتورة: الشيماء الدمرداش) نظرية ولاية الفقيه وتطبيقاتها في جمهورية إيران الإسلامية (رسالة دكتوراه من جامعة عين شمس، 1430هـ-2009م)، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2011م

علي بن عبد العالي الكركي العاملي (940هـ/1534م)، الذي انطبق عليه حقاً مقولة (مخترع المذهب الشيعي).

وفي هذا البحث استعراض للنسق التاريخي لمسيرة هذه الشخصية، ودورها الكبير في الدولة الصفوية، وتطبيقها لنظريته ولاية الفقيه، وأبعادها.

وقد جعلت البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث، ثم الخاتمة والتوصيات.

المبحث الأول: الشيخ الكركي والدولة الصفوية

المطلب الأول: سيرته.

المطلب الثاني: مشروع المحقق الكركي في الدولة الصفوية

المبحث الثاني: ولاية الفقيه في الفكر الاثني عشري ومراحل تطورها

المطلب الأول: تعريف ولاية الفقيه

المطلب الثاني: المراحل التاريخية لتطور ولاية الفقيه عند الاثني عشرية إلى عصر الكركي.

المبحث الثالث: دور الكركي في تطوير نظرية ولاية الفقيه

وأسأل الله تعالى التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين.

المبحث الأول

الشيخ الكركي والدولة الصفوية

المطلب الأول: سيرته: يعدّ الشيخ علي بن عبد العالي الكركي العاملي (940هـ/1534م) أبرز

فقهاء الإمامية، وأهمهم تاريخياً في العصر الصفوي، وقد دعاه الشاه إسماعيل إلى إيران؛ من

أجل نشر مذهب الإمامية،¹ فن هو الشيخ الكركي؟ وما دوره في الدولة الصفوية؟

¹ انظر: تيرنز: التشيع والتحول في العصر الصفوي (147).

هو علي بن الحسين بن عبد العالي، نسبة إلى أبيه وجدّه، وقد يُنسب إلى جدّه اختصاراً، فيقال: علي بن عبد العالي،¹ وقد ذُكرت له ألقابٌ كثيرة، منها: زين الدين، نور الدين، خاتم المجتهدين، علاء الدين، الكركي، العلائي، الشامي، العاملي، مروج المذهب،² المولى المروج، المحقق الثاني، المحقق الكركي، النجفي.³

ولا يخفي الشيخ الشيعي محمد الحسون،⁴ محقق (حياة الكركي وآثاره) استيائه من وصف بعض علماء السنة للكركي بـ(مخترع مذهب الشيعة)،⁵ وقد وصفهم الحسون بـ(المعاندن والمتعصبين).⁶

وينسب إلى قرية صغيرة في لبنان تُسمّى (الكرك) أو (كرك نوح)،⁷ وقد ولد عام (868هـ أو 870هـ) وتوفي (940هـ/1534م)،⁸ وقد بالغ الشيخ الحسون في وصف أخلاق الكركي فقال: (من الطبيعي جداً أن يتّصف المحقق الكركي بأخلاق عالية وتكون له سجايا محمودة، كيف لا؟! وهو من أتباع مدرسة أهل البيت

¹ انظر: الحسون (محمد): حياة المحقق الكركي وآثاره، منشورات الاحتجاج، مطبعة نكارش، طهران، إيران، ط1، 1423هـ ص (26/1). وقد وهم الدكتور: ناصر القفاري في اسمه، حيث سمّاه: علي بن هلال الكركي، وجعل وفاته سنة 984هـ، وهذا نص عبارته: (علي بن هلال الكركي، هلك سنة 948هـ وهو غير المحقق الثاني). (القفاري: حاشية: أصول مذهب الشيعة الإثني عشرية (3) ص (1476/3)). وعلي بن هلال هذا يعرف بابن المنشار. انظر: الحسون: حياة المحقق الكركي وآثاره (106/2).

² انظر: المجلسي: بحار الأنوار (41/105).

³ انظر: الحسون: حياة المحقق الكركي وآثاره (41/1).

⁴ انظر: موقع (عقائد): (<http://www.aqaed.org/muhammad/bio.html>).

⁵ الحسون: حياة المحقق الكركي وآثاره (56/1). وانظر: القفاري: أصول مذهب الشيعة (1476/3). وتبرز: التشيع والتحول (148).

⁶ انظر: الحسون: حياة المحقق الكركي وآثاره (56/1).

⁷ انظر: الحسون: حياة المحقق الكركي وآثاره (81/1). قال ياقوت الحموي: (كرك بسكون الراء وآخره كاف قرية في أصل جبل لبنان). (الحموي: معجم البلدان (453/4)).

⁸ انظر: الحسون: حياة المحقق الكركي وآثاره (80/1). والزركلي: الأعلام (281/4).

(عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، والسائر على منهجهم القويم، والمتأدب بأدابهم الرفيعة)¹، وتناسى سوء أدبه، وقلة حياته، الذي بثّه في كتابه: (نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت) الذي سنتعرض له فيما بعد، وقد صبّ جام غضبه فيه على الصحابة الكرام ش، وشكك في أنسابهم، وطعن في عائشة الصديقة ل، بمثل قوله: (فإن الله سبحانه وله الحمد والمنة، لما كشف كشف الغمة عن هذه الأمة؛ بتأييد الدولة القاهرة الباهرة، الشريفة المنيفة، العالية السامية، العلية الشاهية، الصفوية الموسوية، أمدّها الله تعالى بالنصر والتمكين، . . . ونكست رؤوس أهل البدعة الذين تسمّوا بغياً بأهل السنة!، وأن أن يتضح لذوي البصائر ما لبسوه ودلّسوه، من زخرف القول وغروره، في تسديد أحوال أعداء أهل البيت، وفراغتهم أئمة الكفر، ورؤساء الضلال)²، ووصفه لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأنه (شيخ تيم الجاهل بأمور الدين، ومواقع الشرع، بحيث يخفى عليه ميراث الجدة ونحوه، بعد أن سجد للأصنام حتى شاب)³. ووصفه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله: (عتلّ عدّي الزنيم، ذي الفظاظ والغلظة، والمكر والخديعة، المطعون في نسبه. . .)⁴، وطعنه في عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ووصفه بأنه (ثور بني أمية)⁵. والغريب في الأمر أن كتاب (نفحات اللاهوت. .) هذا حققه الشيخ محمد الحسون، وقد بذل فيه جهداً كبيراً، ولا يدل هذا إلا على موافقته للكركي على كل ما في هذا

¹ الحسون: حياة المحقق الكركي وآثاره (151/1). وصفحات من موسوعة الحسون: حياة المحقق الكركي وآثاره (19) للشيخ: محمد الحسون، سلسلة الكتب المؤلفة في أهل البيت (135). إعداد: مركز الأبحاث العقائدية.

² الكركي: نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت. ضمن رسائل المحقق الكركي وآثاره. تأليف الشيخ: علي بن الحسين بن عبد العالي الكركي. المتوفى 940هـ، جمعها وحققها: الشيخ محمد الحسون. منشورات الاحتجاج، مطبعة نكارش، طهران، إيران. ط1، 1423هـ، (340/5-341)

³ الكركي: نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت (341).

⁴ الكركي: السابق (341).

⁵ الكركي: السابق (341).

الكتاب، ويكفي من ذلك عنوان الكتاب (. . الجيت والطاغوت) ويعني: أبا بكر وعمر، دون أدنى شك في هذا.

فهل هذه هي أخلاق (أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، والسائر على منهجهم القويم، والمتأدب بأدابهم الرفيعة) عند الشيخ محمد الحسون؟!، وتحدث أيضاً عن تواضعه وجوده وكرمه، وزهده وورعه، وذكائه وفطنته.¹

مات الكركي سنة (940هـ/1534م)،² كان رحيل الكركي إلى العراق مبكراً، فقد دخلها في أواخر عام (909هـ/1503م)، قبل دخول الشاه إسماعيل عام (914هـ/1508م).³

وقد قسم الدكتور الشيعي جودت القزويني مراحل حياة الكركي إلى المراحل التالية: المرحلة الأولى: الفترة التي قضاها الكركي في بلاد الشام، وهي قرابة أربعين عاماً، من تاريخ ولادته (868هـ/1464م)، حتى هجرته إلى النجف (909هـ/1503م). والمرحلة الثانية: إقامته في النجف من سنة 909هـ/1503م إلى سنة 916هـ/1510م.

والمرحلة الثالثة: سفره إلى هراة⁴ وخراسان، في عهد إسماعيل الصفوي، من سنة

¹ انظر: الحسون: حياة المحقق الكركي وآثاره (161-151/1).

² انظر: القزويني: تاريخ المؤسسة الدينية (279). الحسون: حياة المحقق الكركي وآثاره (165/1) و(264/1).

³ انظر: القزويني: تاريخ المؤسسة الدينية الشيعية (280).

⁴ مدينة هراة: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان، دخله التتار فخرّبوها سنة 618هـ. انظر: (الحوي: معجم البلدان (396/5) والمنجم (إسحاق بن الحسين) آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ (77)). قلت: وهي اليوم في أفغانستان. انظر: (الدكتور: صلاح سليم طابع أحمد) مدينة هراة دراسة سياسية وحضارية. دار الوفاء لدنيا لطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007م).

916هـ/1510م إلى 919هـ/1513م.

والمرحلة الرابعة: رجوعه إلى النجف عام 919هـ/1513م، ومكثه فيها حتى عام 935هـ/1529م.¹

والمرحلة الخامسة: عودته إلى فارس، في عهد الشاه طهماسب بن إسماعيل الصفوي 930هـ/1524م،² بعد شهر رجب، عام 953هـ/نيسان 1529م، وقد (أكرمه الشاه "طهماسب" الصفوي، وجعل له الكلمة في إدارة ملكه، وكتب إلى جميع بلاده بامثال ما يأمر به الشيخ، وأن أصل الملك إنما هو له؛ لأنه نائب الإمام، فكان الشيخ يكتب إلى جميع البلدان بدستور العمل في الخراج وما ينبغي تديره في أمور الرعية)،³ وبقي فيها حتى عام 939هـ/1533م.

والمرحلة السادسة: عودته إلى النجف عام (939هـ/1533م)، ووفاته فيها عام 940هـ/1534م.⁴

والذي يظهر مما تقدم أن المحقق الكركي كانت له اليد الطولى في الدولة الصفوية، ولاسيما في عهد طهماسب، الذي قلده منصب (شيخ الإسلام)، ولقبه بـ(نائب الإمام)، كما سنعرف عند الحديث عن ولاية الفقيه.

والكلام عن الكركي يطول، وقد كانت له جهوده العلمية في المذهب، وردوده على أهل السنة، وردودهم عليه في تلك الحقبة.

¹ انظر: إبراهيم: الفقيه والسلطان (109).

² طهماسب بن الشاه إسماعيل بن حيدر الصفوي، ولد سنة 919هـ من سلاطين الدولة الصفوية، وتولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة 930هـ-1524م إلى 984هـ/1576م. (طقوش: تاريخ الدولة الصفوية في إيران (88-92) فؤاد إبراهيم: الفقيه والدولة (141)).

³ الزركلي: الأعلام (281/4). وانظر: القفاري: أصول مذهب الشيعة الإثني عشرية (1476/3).

⁴ انظر: القزويني: تاريخ المؤسسة الدينية الشيعية (281). القزويني: المرجعية الدينية العليا (140-154).

المطلب الثاني: مشروع المحقق الكركي في الدولة الصفوية: يرى بعض الباحثين أنَّ حياة المحقق الكركي قد تداخلت في كتب التراجم والتاريخ الشيعي، التي نقلت أخباره، وامتزجت حياته بعضها ببعض، حتى لا يكاد يُفرق بين جهوده وأعماله، وحقيقة دوره الديني والسياسي، في ظل نفوذ الشاه إسماعيل الصفوي، وولده طهماسب¹ لكن الذي يظهر من تتبع مسيرته أنَّه قدم بداية من جبل عامل؛ بطلب من الشاه إسماعيل الصفوي، (لتشييع إيران).²

والسؤال أيضاً: ما هو مشروع الكركي في الدولة الصفوية؟

حين استولى الصفويون على حكم إيران، في مطلع القرن السادس عشر، وجعلوا من التشيع الإمامي دين الدولة والأمة، عمّد الشاه إسماعيل إلى استقدام علماء من جبل عامل جنوب لبنان لتدريس الفقه الإمامي، فكان منهم المحقق الكركي علي بن الحسين بن عبد العالي العاملي، (ت 940هـ-1533م) الذي قَدِمَ النجف ثم رحل إلى بلاد العجم لترويج المذهب، والسلطان حينئذ الشاه إسماعيل الصفوي الذي مكّنه من إقامة الدين وترويج الأحكام، وكان يُرغِبُ عامة الناس في تعلم شرائع الدين ومراسم الإسلام، ويحثهم على ذلك بطريق الالتزام، وكان أن جعل في كل بلدة وقرية إماماً يصليّ بالناس ويعلمهم شرائع الدين، وبالع في ترويج مذهب الإمامية؛ بحيث لقبه بعضهم بمخترع مذهب الشيعة.³

ويمكن القول بأنَّ الشاه إسماعيل عندما وجّه النداءات المتكررة لعلماء النجف، كي يتوجهوا لإيران؛ لترسيخ قواعد الدولة الصفوية الناشئة، في مقابل الدولة العثمانية،

¹ انظر: القزويني: تاريخ المؤسسة الدينية الشيعية (281). الحسون: حياة المحقق الكركي وآثاره

(397/1). وانظر: القزويني: المرجعية الدينية العليا (142). خنجي: إيران الصفوية (355).

² حيدر (خليل علي)، العمامة والصولجان. دار قرطاس. الكويت، ط. 1 1997م (57).

³ انظر: حزب الله رؤية مغايرة أصول وجذور (80) مجلة البيان (142) 5/ 1420هـ-1999م.

المترامية الأطراف، التي كانت تسبب هاجساً للشاه إسماعيل؛ بسبب تبينها للمذهب السني في العالم الإسلامي، أو ما أسماه الحسنون (التيار التقليدي)¹، لم يستجب له أحد رغم تلك النداءات، ولم تلق دعوته آذاناً صاغية، إلا من المحقق الكركي الذي كان يسكن في جبل عامل، في مدينة تنزر بكثرة علماء الشيعة الاثني عشرية، (فاستجاب لدعوة الشاه إسماعيل، وتوجه لإيران وهو يحمل عقلية كبيرة، وآمالاً واسعة، يرجو تحقيقها)²، وهذه الآمال الواسعة التي زعم الحسنون أن الكركي كان يحملها، ويرجو تحقيقها، هي في الحقيقة أن الكركي (كان يستلم أبناء السنّين، الذين ضحّوا بأرواحهم في سبيل الدفاع عن دينهم؛ حتى يجعل منهم شيعة صفويين)³، فهاجسه إذاً الذي قدم من أجله، هو (الإشراف على جهود نشر التشيع في إيران)⁴. فكان من ثمرة أعماله وأتباعه (التي كان لها نتيجة مثمرة جداً في نشر التشيع الصفوي في إيران، أنهم كانوا يخطفون الأطفال الذين قتل القزلباش، أو جماعات البراءة آبائهم وأمهاتهم من المناطق والأحياء، وكانوا يجعلونهم تحت وصايتهم، ويروونهم تربية مذهبية، وينشئونهم بالأسلوب الذي يرضيهم؛ حتى يواصلوا المسيرة من بعدهم)⁵. وهذا هو أول مظهر من مظاهر الكركي في الدولة الصفوية، وقد قضى ما يقارب ثلاث سنوات في إيران، في ظل حكم الشاه إسماعيل، ولا يرى القزويني أن له دوراً علمياً في هذه المرحلة غير تأليفه رسالتين، الأولى (الجعفرية في فقه الصلاة)⁶،

¹ انظر: الحسنون: حياة المحقق الكركي وآثاره (405/1).

² الحسنون: حياة المحقق الكركي وآثاره (405/1). وهذا يدل على دور علماء لبنان وهجرتهم في تأسيس الدولة الصفوية، وإعطاء غطاء شرعي لها.

³ خنجي: إيران الصفوية (355).

⁴ حيدر: العمامة والصولجان (57).

⁵ خنجي: إيران الصفوية، كيف صار الإيرانيون شيعة صفويين (355).

⁶ انظر: الحسنون: حياة المحقق الكركي وآثاره (367/2).

والثانية (نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت)، وقد شكك القزويني في صحة الثانية،¹ وهو تشكيك بلا دليل، في حين يقطع المحقق الشيخ محمد الحسون بثبوت تأليف الكركي لها،² وهو ما نرجحه.

وفي العام 909هـ/1503م لبي دعوة من الشاه إسماعيل في أصفهان؛ ليعود في العام 916هـ/1510م³ إلى هراة، ثم إلى مشهد، بصحبة مجموعة من علماء النجف، وقد طلب منهم الشاه إسماعيل نشر مذهب الإمامية، في المناطق الشرقية التي فتحها، وفي هذا الوقت استمر الكركي يشرف على الدراسة في النجف، وكان يتلقى من الشاه إسماعيل دعماً مالياً سنوياً، يُقدر بـ70 ألف دينار؛ لينفقها على التعليم،⁴ وكان غاية نشاطه منصباً على وضع الأسس الشرعية الدستورية لدولة الصفويين،⁵ وهذا ما اعترف به صاحب أعيان الشيعة، قال (ثم رحل إلى بلاد العجم؛ لترويج المذهب، والسلطان حينئذ الشاه إسماعيل الصفوي فدخل عليه بهراة، فأكرمه وعرف قدره وكان له عنده المنزلة العظيمة وعين له وظائف وإدارات كثيرة ببلاد العراق، حتى قيل إنه كان يصل إليه في كل سنة من الشاه إسماعيل سبعون ألف دينار شرعي؛ لينفقها في تحصيل العلم، ويفرقها في جماعة الطلاب والمستغلين..).⁶

وحتى يعزز سلطانه هو، ومن ثم سلطان الصفويين، وكأنه يُمهّد لنظرية (ولاية الفقيه)؛ أقدم على الإفتاء ببعض الفتاوى الغريبة التي لم يسبق إليها، كفتواه (بجواز السجود للشاه إسماعيل على سبيل التعظيم!)،⁷ وقد علق عليها -مستهجناً- كولن تيرنز بقوله: (وقد

¹ انظر: القزويني: تاريخ المؤسسة الدينية الشيعية (305).

² انظر: الحسون: حياة المحقق الكركي وآثاره (517/2).

³ انظر: تاريخ المؤسسة الدينية الشيعية (280).

⁴ انظر: فؤاد إبراهيم: الفقيه والدولة (109). والقزويني: المرجعية الدينية العليا عند الشيعة (143).

⁵ انظر: القزويني: المرجعية الدينية العليا (143).

⁶ الأمين: أعيان الشيعة (209/8).

⁷ القزويني: تاريخ المؤسسة الدينية الشيعية (307). تيرنز: التشيع والتحول في العصر الصفوي (150).

بلغ من حماسة الكركي للنظام الجديد أن كتب رسالة يبيح فيها التقليد القديم بالسجود أمام الملوك، وهو تقليدٌ مُريب جداً من وجهة النظر الإسلامية، التي ترى أن أعمال التذلل هذه لا تُؤدى إلا لله¹، كما كانت له آراء أخرى، مثل: وجوب صلاة الجمعة، في غيبة الإمام، مع وجود عالم مجتهدٍ حائزٍ على شروط المرجعية². وقد أثارت فتواه تلك بعض علماء طائفته عليه، فضلاً عن أهل السنة، ومن غرائب فتاواه فتواه بوجوب تغيير القبلة، ومن نافلة القول أن الدولة البويهية قد فتحت الباب على مصراعيه للدولة الصفوية وعلمائها، حيث أعاد التاريخ نفسه، من خلال فتاوى الكركي في جواز التشهير بالخلفاء الثلاثة الراشدين على المنابر ولعنهم³، مما سنعرف تفاصيله في حينه.

هل فكر الكركي هو امتداد لفكر الدولة البويهية؟!

ينبغي أن أذكر هنا بنظرة الدكتور الشيعي المجدد موسى الموسوي لتأثير الدولة البويهية في التشيع، وكأنه يحاول الربط بينها وبين الدولة الصفوية، وعلمائها، قال:

(ولا بد أن نضيف هنا أيضاً، أن البويهيين الذين استولوا على بغداد، في إبان عهد تطويق الغيبة، وأصبحت الخلافة تحت نفوذهم، كان لهم دور كبير في المؤامرة، التي أدت إلى فصل الشيعة عن السنة، وإيجاد السياسة التي تسمى بـ"فرق تسد"، كما أنهم لعبوا دوراً هداماً، في نسبة كثير من البدع إلى عقائدنا، وهم الذين درّبوا الشيعة على تخرج الخلفاء الراشدين علناً، وذلك بعد أن فسّرت الإمامة والخلافة بأنهما منصبٌ واحدٌ، وقد لعبوا دوراً خطيراً في فصل الشيعة عن السنة)⁴، ويذكر الحسون أيضاً أن من نشاطات الكركي العلمية التي يجب أن تُذكر، وهي في نظري من الأسس الكبيرة لتطبيق مشروعه المذهبي الصفوي، هي (تربيته لعدد كبير من التلامذة،

¹ تبرز: التشيع والتحول في العصر الصفوي (150).

² انظر: فؤاد إبراهيم: الفقيه والدولة (109).

³ انظر: فؤاد إبراهيم: الفقيه والدولة (109).

⁴ الموسوي: المتآمرون على المسلمين الشيعة من معاوية إلى ولاية الفقيه (136).

حتى أنه تخرّج من عالي درسه أربعمئة مجتهد¹.

وفي لغة أكثر صراحة يعترف الحسنون أنّ الكركي قد لا حظ أنّ نشر المذهب الاثني عشري، الذي سماه هو مذهب أهل البيت، لاحظ أنّ نشره (لا يتم إلا بواسطة مجموعة كبيرة من العلماء المؤمنين!، التابعين لمذهب أهل البيت عليهم السلام، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار أنّ المذهب الرسمي لإيران؛ قبل نشوء الدولة الصفوية هو المذهب السني، وأنّ عدد العلماء الشيعة كان قليلاً جداً، لا يتناسب وطموحات الكركي الكبيرة!، لذلك نجده يوجّه الدعوة تلو الدعوة لعلماء لبنان؛ للتوجه إلى إيران، والقيام بهذا الواجب الديني الكبير)².

الكركي والشاه طهماسب الصفوي³ في عهد الشاه طهماسب بن إسماعيل الصفوي (930هـ/1524م) أقام الشيخ الكركي فترة طويلة في بلاط الصفويين، حيث شغل منصب (صدر الصدور)، ولقبه الشاه بـ(خاتم المجتهدين)، كما أنه نظر إليه كنائب للإمام، ووفقاً لهذه النظرة، منح الشاه الشيخ الكركي صلاحيات مطلقة لإدارة العمل الحكومي في المجال الديني، وأعطى الكركي صلاحيات في عزل وتعيين مفتي المدن (شيوخ الإسلام) وأئمة المساجد والوعاظ، كما طلب منه إعطاء رأي في مسألة الضرائب العقارية، وعلاقة الدولة بأرض الخراج، وقد استخدم الكركي هذه الصلاحيات، فعزل علماء السنة، وعيّن علماء من الشيعة، كما كتب رسالة في (الخراج)،⁴ يُعطي فيها الدولة حق جباية ضريبة الخراج، وأصبحت شروحاته لكتاب (شرائع الإسلام)⁵ للمحقق الحلي،

¹ الحسنون: حياة المحقق الكركي وآثاره (121/2).

² الحسنون: حياة المحقق الكركي وآثاره (121/2).

³ سبقت ترجمته.

⁴ انظر: الكركي: الخراجيات: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، ط2، 1413هـ.

⁵ انظر كتاب الحلي: شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، المحقق الحلي، تحقيق: السيد صادق الشيرازي. انتشارات استقلال، دار الإيمان. مطبعة: أمير - قم، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط2، 1409هـ.

كتباً شعبية للتعليم والتثقيف في إيران.¹

وفي الواقع فإنّ الكركي كتب رسالته الشهيرة في الخراج؛ دفاعاً عن علاقته بالبلاط الصفوي، ورداً على منتقديه، وفيها- إلى جانب تبنيّه لشرعية النظام الصفوي- برّر ثروته الشخصية وقربه من الصفويين، عبر الإحالة على من سبقوه؛ كالسيد الشريف الرضي، والشريف المرتضى، والخواجه نصير الدين الطوسي،² وامتداداً لمشروعه في هذه الفترة، فقد استغل الكركي الفرصة، وأخذ يوجه النشاط الديني، من خلال مجموعة من العلماء المدرّسين، على العمل الاجتماعي والسياسي، وعيّن في كل بلد وقرية ممثلاً عنه، يُعلّم الناس شرائع الدين،³ وهي العقائد الاثني عشرية، ومن المناسب هنا أن نشير إلى المقارنة التاريخية التي يراها الدكتور جودت القزويني بين نشاط الكركي، ونصير الدين الطوسي فيما مضى، قال: (إنّ نشاط الكركي أعاد للأذهان نشاط نصير الدين الطوسي، في جانبيه العلمي والسياسي، حتى ذكر أنه لم يسع أحدٌ بعد الخواجه نصير الدين الطوسي، مثل ما سعى له الشيخ علي الكركي في إعلاء المذهب!).⁴

ويقول الخميني (1409هـ) عن الطوسي: (ويشعر الناس بالخسارة أيضاً بفقدان الخواجه نصير الدين الطوسي وأمثاله ممن قدموا خدمات جليلة للإسلام)،⁵ فالخدمات الجليلة عند الخميني هي قتل المسلمين وعلمائهم على أيدي التتار، وتأليف الكتب في تكفير الصحابة وسبهم).⁶

¹ انظر: كوثراني: الفقيه والسلطان (109).

² انظر: تيرنز: التشيع والتحول في العصر الصفوي (151).

³ انظر: القزويني: تاريخ المؤسسة الدينية الشيعية (143).

⁴ القزويني: تاريخ المؤسسة الدينية (144).

⁵ الخميني: الحكومة الإسلامية (142).

⁶ انظر: القفاري: أصول مذهب الشيعة (261/1). وانظر: ابن القيم (محمد بن أبي بكر) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان. ت: محمد حامد الفقي. دار المعرفة، بيروت، ط2، 1395هـ-1975م. (267/2).

وقد أصبح الشيخ علي الكركي هو الحاكم الفعلي، في عهد الشاه طهماسب - فيما يخص الشؤون الدينية على الأقل-¹ وقد وصفه أحد المؤرخين الإيرانيين، وهو الشيخ محسن الأمين، قائلاً: (ولم يسع أحدٌ بعد انحواجه نصير الدين الطوسي، مثل ما سعى الشيخ علي الكركي، في إعلاء أعلام المذهب الجعفري، وترويج دين الحق الإثني عشري، وكان له في منع الفجرة والفسقة وزجرهم، وقلع قوانين المبتدعة بأسرهم،² وفي إزالة الفجور والمنكرات، وإراقة الخمر والمسكرات، وإجراء الحدود والتعزيرات، وإقامة الفرائض والواجبات، والمحافظة على أوقات الجمعة والجماعات، وبيان مسائل الصلوات والعبادات، وتعاهد أحوال الأئمة والمؤمنين، ودفع شرور الظالمين والمفسدين، وزجر المرتكبين الفسوق والعصيان، وردع المتبعين لخطوات الشيطان، مساعٍ بليغة ومراقبة شديدة، وكان يرغب عامة الناس في تعلم شرائع الدين، ومراسم الإسلام، ويحثهم على ذلك بطريق الالتزام)،³ وقد وضع الآن شدة تأثيره بالنصير الطوسي، في محاربة أهل السنة، ونشر المذهب الشيعي الإثني عشري، وهذا هو المشروع الذي قدم من أجله، ويبقى هناك مشروعه الأعظم المتمثل في تطوير نظرية ولاية الفقيه، الذي سنفرده له الحديث في المبحث القادم.

ومن الإنصاف أن نعرف أن هناك اختلافاً بين الرجلين (من ناحية المنهج المعرفي لكلا الزعيمين، فإن نصير الدين كان فيلسوفاً رياضياً بحتاً، في حين أن الكركي كان فقيهاً قبل أن يكون شيئاً آخر!)⁴ ولا ننسى أن نذكر اعتراف الشيخ الحسون - وهو أفضل من ترجم للكركي - بالرابطة القوية التي قامت بين الشاه طهماسب، والكركي، حتى إنه طلب من الشاه إصدار مرسوم سلطاني، يعطيه فيه صلاحيات كاملة؛ لأنه

¹ انظر: الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث. (1/45-46).

² غني عن القول هنا أن المراد بهم، هو أهل السنة.

³ الأمين: أعيان الشيعة (8/210). والوردي: الدولة الصفوية والتشيع (17).

⁴ القزويني: تاريخ المؤسسة الدينية الشيعية (322).

(أراد أن يذهب إلى إيران وهو يتمتع بصلاحيات واسعة؛ تمكنه من تطبيق خطته التبليغية الشاملة، وتمكنه أيضاً من الوقوف أمام معارضيه من رجال الدين والحكومة).¹ ومما يدلّ على سبق تبليت الكركي لنية الإمامان في الماضي قدماً في تطبيق مشروعه الضخم، أنه هو الذي كتب صيغة هذا المرسوم أو ما يسمّى بالفرمان بنفسه، قال الحسنون: (والذي يغلب على الظن أنّ الكركي كتب بنفسه صيغة هذا المرسوم، وقدمه لطهماسب، كشرط رئيسي لذهابه إلى إيران)،² وقد صدر هذا المرسوم الذي يعبر عنه بـ"الفرمان"، سنة 936هـ، أي قبل موت الكركي بستين، حيث كان الكركي وطهماسب في مدينة النجف. ونصه باللغة العربية:³

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حيث يبدو ويتّضح من الحديث الصحيح بالنسبة إلى الإمام الصادق (عليه السلام): "انظروا إلى مَنْ كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فأرضوا به حكماً، فإني قد جعلته حاكماً، فإذا حكم بحكم فمن لم يقبله منه فإتما بحكم الله استخفّ، وعلينا ردّ، وهو رادّ على الله، وهو على حدّ الشرك"،⁴ وواضح أنّ

¹ الحسنون: حياة المحقق الكركي وآثاره (429/1).

² الحسنون: حياة المحقق الكركي وآثاره (429-430).

³ نصه الفارسي هو: (بسم الله الرحمن الرحيم. جون از مؤدای حقیقت انتمای کلام امام صادق (عليه السلام) که: (انظروا إلى مَنْ كان قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا، فأرضوا به حكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكم فمن لم يقبله منه فإتما بحكم الله استخفّ، وعلينا ردّ وهو رادّ على الله وهو على حدّ الشرك بالله) لا يّح وواضح است که مخالفت حکم مجتهدین که حافظان حکم مخالفت حکم شرع سید المرسلین اند باشرک در یک درجه است، بس هرکه مخالفت حکم خاتم المجتهدین، وراث علوم سید المرسلین، نایب الأئمة المعصومین، لا زال کاسمه علیاً عالیاً، کند ودر مقام متابعت نباش دینی شائبه، ملعون ومطرود در این آستان ملک آشان مطرود استو به سیاسات عظیمه، وتأدبیات بلیغه مؤاخذه خواهد شد. کتبه. طهماسب بن شاه اسماعیل. الصفوی الموسوی). (أورده الحسنون أولاً باللغة الفارسية، ثم ترجمه إلى العربية. الحسنون: حياة المحقق الكركي وآثاره (430/1)).

⁴ الحديث عند الكليني في: الكافي (1: 54) حديث (10) و(7: 412) حديث (5).

مخالفة حكم المجتهدين، الحافظين لشرع سيد المرسلين، هو والشرك في درجة واحدة. لذلك فإن كل من يخالف حكم خاتم المجتهدين، ووارث علوم سيد المرسلين، ونائب الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، لا يزال كاسمه العلي علياً عالياً، ولا يتابعه، فإنه لا محالة مردود، وعن مهبط الملائكة مطرود، وسيؤخذ بالتأديبات البليغة والتدبيرات العظيمة. كتبه طهماسب ابن شاه إسماعيل الصفوي الموسوي¹.

وواضح أن لغة هذا المرسوم ليست هي اللغة الحكومية للراسم المعهودة، بل هي لغة فقهية، تتضمن أدلة يستدل به الفقهاء على ثبوت ولاية الفقيه²، وهذا أقوى دليل على أن الذي قام بصياغته وتقديمه للشاه طهماسب؛ للتوقيع عليه واعتماده هو الكركي نفسه، وفي هذا إشارة إلى شدة تمكنه من عقلية طهماسب، وتغلغله في الدولة، وبموجب هذا فرمان، سلك الشاه طهماسب مساراً مختلفاً، عن والده الشاه إسماعيل³.

وهناك صيغ لفرمانات غير هذا، رسمها طهماسب للكركي، تضمنت ما يلي:

1. أكدت على أن الدولة الصفوية هي الدولة التي "أظهرت الطريقة الحقة للأئمة المعصومين، وهي الدولة التي تعتمد على أصول العقيدة الاثني عشرية، والانقياد لعلماء الدين، الذين حفظوا شريعة سيد المرسلين"، وأن الدولة الصفوية هي الدولة الممهدة لظهور الإمام المهدي (صاحب الأمر).
2. الثناء على الكركي، وأنه قدوة العلماء الراشدين، ولقبه (الفرمان) بـ "حجة الإسلام".
3. أثني فرمان على جهود الكركي في خدمة التشيع، وهداية الناس، كما قرر أن يكون الكركي الإمام صاحب الطاعة المطلقة، ويجب على السادات والأكابر، والأشراف والأمراء والوزراء وأركان الدولة اتباعه.

¹ الحسن: حياة المحقق الكركي وآثاره (430/1).

² انظر: الحسن: حياة المحقق الكركي وآثاره (430/1).

³ انظر: فؤاد إبراهيم: الفقيه والدولة الفكر السياسي الشيعي (143).

4. إعطاء الصلاحيات الرسمية الواسعة للكركي؛ في تنصيب أو عزل المسؤولين، سواء المدنيين منهم أم العسكريين، "فإنَّ مَنْ يعزله الكركي عن السلطة فهو معزول، والذي يُنصبُّه فهو منصب، ولا تحتاج قراراته إلى سند يُرجع إليه".

5. اقتطاع بعض الأملاك والأراضي في العراق وفقاً شرعياً صحيحاً على الكركي، وبعده على أولاده جيلاً بعد جيل، والحكم بأنَّ دخل كلِّ أرض العراق وخراجها يُوضع تحت سلطته، ويُنفق باختياره، وكذلك ورد الأمر لموظفي العراق بالآ لا يكون لهم أيُّ شأن بأموال الكركي التي له، أو التابعة لرعاياه، وصدر الأمر لجميع الولاة والأمراء أن يقوموا بواجب التعظيم، وذلك بالمبادرة إلى زيارته، وتُضرب السكك في مدينة المؤمنين (الحلة)، بحضور وكلاء العلامة، وتكون منطقة اليرقانية، وتوابعها، تابعة لحكم العلامة حسب الأمراء، وإنَّ من يُخالف الكركي يجب أن يتوقع الحساب الشديد "لا محالة مردود، وعن مهبط الملائكة مطرود، وسيؤخذ بالتأديبات البليغة والتدبيرات العظيمة".¹

وعلى كلِّ حال فإنَّ المحقِّق الكركي- كما يرى الباحثون الشيعة- قد استغلَّ هذه الصلاحيات الممنوحة له، وخلال فترة قصيرة لا تتجاوز الثلاث سنوات، وبواسطة رسم خطة مدروسة ومحكمة، عمل بكلِّ جدٍّ ومثابرة على نشر التشيع في إيران والإشراف على كافة الشؤون الدينية فيها، حتَّى لُقِّب بكلِّ جدارة "باعت النهضة الشيعية في إيران، واضع الأسس الدستورية للدولة الصفوية".²

ويمكن أن نشير إلى مجمل فعاليات الكركي في هذه الفترة، وعلى نحو مختصر:

1. قيامه بنشر الأحكام الشرعية الشيعية وترويجها؛ طبقاً للمذهب الاثني عشري، والجعفري الفقهي، كما يعتقدون، وذلك بواسطة مجموعة من العلماء، حيث عيَّن

¹ انظر: القزويني: تاريخ المؤسسة الدينية الشيعية (319-320).

² انظر: الحسون (الشيخ: محمد) مقتطفات من موسوعة حياة المحقق الكركي. مركز الأبحاث العقائدية. (44).

في كلّ مدينة رجلٌ دينٌ يعلمهم هذه المسائل، مع إقامة بعض الشعائر كصلاة الجمعة والجماعة.¹

2. أدرك الكركي أنّ مهمته في تطبيق مشروعه صعبة للغاية، وأنّه لوحدّه لا يستطيع القيام بكافة المهام، لذلك عمل على رسم خطة محكمة، تمكّنه من نشر تعاليم المذهب الشيعي، في كافة أنحاء الدولة الصفوية، تعتمد على تربية مجموعة من الطلاب يتوزعون على مدن إيران للقيام بهذه المهمة، فقام بتأسيس حوزاتٍ علميةٍ في إيران، أهمّها كانت في كاشان وأصفهان، مبنية على أسس وقواعد المذهب الاثني عشري، وخصّص مبالغ معينة للدارسين فيها؛ من أجل أن يتفرغوا لطلب العلم، وشجّع حركة التأليف والترجمة.²

3. لم يكتف الكركي بنشر التشيع بين عوام الناس، وترغيبهم في تعليم مسائل الحلال والحرام، بل رأى أنّ من الضروري التوجّه إلى الحكّام، والمسؤولين عن المدن الإيرانية لتشجيعهم أولاً، وثانياً ترغيبهم وحثّهم على تطبيق هذه الأحكام بين الناس، وعدم الخروج عنها ومعاملة الرعية بالجور.

4. بدأ الكركي بعزل بعض المسؤولين على الشؤون الدينية عن مناصبهم الدينية

¹ انظر: الحسون: حياة المحقق الكركي وآثاره (437/1). مقتطفات من: حياة المحقق الكركي (45). ونتيجة لذلك فقد لقّبه بعض المؤرخين وأصحاب التراجم والسّير بـ "مروّج المذهب" ابتداءً من القرن الثاني عشر: منهم السيّد عبد الحسين الخاتون آبادي (ت 1105هـ)، والسيّد محمد صالح الخاتون آبادي (ت 1116هـ)، والسيّد محسن الأمين (ت 1371هـ)، والميرزا محمد علي التبريزي (ت 1373هـ). ولقّبه البعض الآخر بـ "المولى المروّج": منهم المحدث الشيخ يوسف البحراني (1186هـ)، والسيّد محمد باقر الخوانساري (ت 1313هـ)، والمولى علي العلياري (ت 1327هـ)، والسيّد حسن الصدر (ت 1354هـ)، والسيّد محسن الأمين (ت 1371هـ)، والميرزا محمد علي التبريزي (ت 1373هـ)، والعلامة الأميني (ت 1390هـ). انظر: الحسون: حياة المحقق الكركي وآثاره. (437/1). والحسون: مقتطفات من موسوعة حياة الكركي. (46).

² انظر: الحسون: حياة المحقق الكركي وآثاره. (437/1). ومقتطفات من حياة الكركي. (47).

وإبدالهم بمن هو أفضل منهم؛ بسبب عدم تطبيقهم الأحكام الاثني عشرية، أو الالتزام بها.

5. وما اكتفى الكركي بذلك بل ذهب إلى أكثر منه؛ حيث أخذ يحثّ الشاه طهماسب على عزل بعض المسؤولين في المناصب العالية، كمنصب الصدارة الذي يعتبر أعلى منصبٍ سياسيٍ دينيٍّ في البلاد، لذلك عزل الأمير غياث الدين، منصور الدشتكي الشيرازي (ت 946هـ) من منصب الصدارة، ونصب بدله تلميذ الكركي الأمير معزّ الدين الأصفهاني (ت 952هـ)، ثمّ عزل هذا أيضاً ونصب بدله الأمير أسد الله الشوشتری (ت 963هـ).

6. عند مجيء الكركي إلى إيران أيام الشاه طهماسب شاهد انتشار أنواع كثيرة من الفساد، ليس فقط بين عوامّ الناس، بل حتّى بين أوساط رجال الدولة من الأمراء وقادة الجيش. وكان الكثير منهم لا يعتبره عملاً شنيعاً، فالغناء مباح عند الصوفيّة، وأماكن القمار واللهو منتشرة بشكل واسع يرتادها كبار رجال الدولة، والحمّامات مليئة بالشباب المُرد يعملون فيها في كلّ وقت، وشرب الخمر يعتبره بعض الناس عملاً طبيعياً جدّاً؛ ما دام كبار رجال الدولة يتناولونه علناً، فوضع الكركي خطةً لمحاربة هذا الفساد، واستعان في تطبيقها بالشاه طهماسب الصفوي، الذي كان يُعدّ من أكثر سلاطين الصفويين تدبُّناً،¹ فأمر الشاه بإغلاق أماكن اللهو والطرب وشرب جميع أنواع الخمر وأماكن صناعتها، وكذلك الدور المعدة للعب بالطيور والمسابقات المحرّمة، وأمر بمنع عمل الشباب المُرد في الحمّامات، وكسر جميع آلات الموسيقى والقمار.²

وجديرٌ بالذكر أنّ البعض آراء الكركي، التي أظهرها في هذه الفترة، كانت موضع نقدٍ

¹ انظر: طقوش: تاريخ الدولة الصفوية في إيران (109).

² انظر: الحسنون: حياة المحقق الكركي وآثاره (440-435/1)، ومقتطفات حياة الكركي (49).

واعتراض، من قبل علماء إماميين معاصرين له، فقد خالفه في مسألة الخراج ند له في النجف، هو الشيخ إبراهيم القطيفي (كان حياً سنة 951هـ/1544م)،¹ كما خالفه في عدد من المسائل، كانت من بينها رسالة الكركي في "صلاة الجمعة"؛ إذ يعتبر الكركي أن صلاة الجمعة جماعة تبقى واجبة في غيبة الإمام، مع وجود عالم مجتهد، حائز على شروط المرجعية.²

وقد استغرب الدكتور الوردي صدور هذه الفتوى من الكركي، لأن الشيعة كانوا قد أبطلوا صلاة الجمعة منذ زمن بعيد، حيث اشترطوا لها وجود السلطان العادل،³ ويعتذر له الوردي بقوله (والمظنون أن الكركي إنما أفتى بوجودها لاعتقاده بتوافر العدالة في حكومة الشاه).⁴

وفي نظري أن ذكاء الكركي كان يمل عليه أن يفتي بمثلها؛ انتظاراً للوقت المناسب الذي يظهر فيه نظرية ولاية الفقيه التي يسعى لها.

والمسألة التي انتقدها القطيفي على الكركي أولاً، هي قبوله هدايا السلطان، بينما رفضها الكركي،⁵ وحجة القطيفي أن هذه الحكومة- كما يفهم من كلام الدكتور الوردي- التي

¹ الشيخ إبراهيم بن سليمان القطيفي (ت 945هـ)، وهو كما يعرفه الشيعة الاثنى عشرية: (الإمام، الفقيه، الفاضل، العالم، الكامل، المحقق، المدقق، المعاصر للشيخ علي الكركي العاملي، المعروف بـ"المحقق الثاني"، وكان هو والشيخ عز الدين الآملي والشيخ علي الكركي شركاء الدرس عند الشيخ علي بن هلال الجزائري، وكان زاهداً، عابداً، ورعاً، مشهوراً، تاركاً للدنيا برمتها، وقد دارت بينه وبين زميله الشيخ علي الكركي مساجلات ومناظرات في مسائل فقهية أهمها مسألة الخراج) (كان حياً سنة 951هـ/1544م) القزويني: تاريخ المؤسسة الدينية (149). قلت: الصحيح أنه كان حياً (سنة 944هـ) ووفاته (945هـ) ولعل ما ورد وهم من القزويني. انظر: الأنصاري: كآب المكاسب (335/2). والنوري: الخاتمة (212/2).

² انظر: كوثاني: والفقيه والسلطان (109).

³ انظر: الوردي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (66/1).

⁴ الوردي: الدولة الصفوية والتشيع (19). والوردي: لمحات اجتماعية (66/1).

⁵ انظر: الأمين: أعيان الشيعة (142/2).

لا يتولاها الإمام هي ظالمة، يحرم الدخول فيها أو أخذ ما تحببه من خراج،¹ كما أنّ آراء الكركي في جواز التشهير بالخلفاء الثلاثة الراشدين، أو لعنهم، كانت موضع نقدٍ ورفضٍ من بعض علماء الإمامية في النجف.²

وسنعرّف أبعاد هذه النظرية- أعني ولاية الفقيه- فيما يأتي، ودور الكركي في تطويرها.

المبحث الثاني

ولاية الفقيه في الفكر الاثني عشري ومراحل تطورها

إنّ مصطلح ولاية الفقيه قد شاع استخدامه في هذه الحقبة؛ مواكبةً مع النهضة الثورية الشيعية الاثني عشرية، التي قادها الإمام الخميني في إيران؛³ مما جعل بعض الباحثين، بل أكثرهم، يظنّ أنّ الخميني هو أوّل من نظّر هذه النظرية الغريبة، وقبل أن نعرف ظروف نشأتها أو اختلاقتها، يجدر بنا أن نعرف ما تعنيه أولاً.

المطلب الأول: تعريف ولاية الفقيه: الولاية في اللغة هي تدور حول القرب، والسلطان، والنصرة، وتولي الأمر.⁴

فولاية الفقيه عند الاثني عشرية تعني: (قيام الفقيه الجامع لشروط الفتوى والقضاء مقامَ الحاكم الشرعي، وولي الأمر، والإمام المنتظر في زمان غيبته: من إجراء السياسات، وسائر ماله من أمور، عدا الأمر بالجهاد الابتدائي، وهو فتح بلاد الكفار

¹ انظر: الوردي: لمحات اجتماعية (64/1) والقزويني: المرجعية الدينية (149) تاريخ المؤسسة (313).

² انظر: كوثراني: الفقيه والسلطان (109). الوردي: لمحات اجتماعية (64/1) الدولة الصفوية (19)

³ نور الدين (السيد: عباس) ولاية الفقيه في العصر الحديث. مركز باء للدراسات، بيروت، ط1، 2009م (25).

⁴ انظر: ابن منظور: لسان العرب (407/15)، وابن فارس: معجم مقاييس اللغة (141/6). والرازي: مختار الصحاح (376). وانظر: اللباد: حدائق الأحنان. (83-87) وقد أطلّ في ذكر المدلول اللغوي للولاية كثيراً.

بالسلاح، مع خلافٍ في سعة الولاية وضيقتها)¹، ويبالغ الشيعة الاثني عشرية في تقديس هذه النظرية كثيراً، لذا فهم يعتقدون أنَّ (الولاية أمرٌ عظيمٌ للغاية، له درجةٌ عالية من الأهمية والجلالة والعظمة، إذ إنَّ الولاية حكومةٌ على النفوس والأموال والأعراض، والنواميس وسائر شؤون الناس، والوالي: يتصرف في شؤون الناس كما يريد، وفي الواقع فإنَّ الولاية تقود العامة باتجاه مصالحها، ونتيجتها الاستغلال لجميع المواهب الإلهية، وفعالية الاستعدادات الكامنة، والمكنونة في نفوس الناس، والمذخورة في طبائعهم)². هكذا ينظرون إليها.

فالفقيه: هو النائب عن الإمام المنتظر في أمور عديدة: من قضاء، ودفع الخمس، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، على خلاف بينهم في ذلك؛ حيث مرت هذه الولاية بأطوار عبر سنوات، ومراحل عند الشيعة.³

والسؤال الجوهري: كيف توصل الفقهاء الشيعة ومؤسستهم الدينية إلى مدِّ مظلة ولاية الله والرسول والأئمة الاثني عشر؛ ليستظل بها الفقهاء أيضاً؟⁴ كما يقول الدكتور اللباد.

المطلب الثاني: المراحل التاريخية لتطور ولاية الفقيه عند الإثني عشرية إلى عصر الكركي: مرّت هذه النظرية عند الشيعة الاثني عشرية بمراحل عبر التاريخ، إلى أن وصلت إلى عصر المحقق الكركي، الذي عمل على تطويرها، وأخذت بعداً أكبر في العصر الحديث.

المرحلة الأولى: عصر الأئمة المعصومين (بزعمهم) (35هـ-329هـ): يقصد بهذا

¹ معجم ألفاظ الفقه الجعفري (453) عن: التويجري (خالد بن عبد المحسن) ولاية الفقيه وتطورها. مجلة البيان، 1431هـ (11).

² الطهراني (محمد الحسين) ولاية الفقيه في حكومة الإسلام. دار المحجة البيضاء (16/1).

³ انظر: التويجري: ولاية الفقيه وتطورها (11).

⁴ انظر: اللباد: حداث الأئمة الأحرار إيران وولاية الفقيه (88).

العصر أي: من بداية إمامة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى نهاية الغيبة الصغرى، وبداية الغيبة الكبرى،¹ وفي تلك الفترة- أي فترة الغيبة الصغرى للإمام المهدي عندهم ومدتها (74) عاماً- ظهرت (النيابة الخاصة)،² ففي هذا العصر ظهر ما أسموه (السفارة)،³ وقد كانت ولاية الفقيه في هذا العصر متمثلة في أشخاص السفراء الأربعة، وقد ذكرتهم في أول الباب الأول، وهم:

1. عثمان بن سعيد العمري، وكانت سفارته من سنة 260هـ إلى 265هـ.
 2. وابنه محمد بن عثمان العمري، ومدة سفارته من سنة 265هـ حتى 305هـ.
 3. والحسين بن روح النوبختي، وكانت سفارته من سنة 305هـ حتى سنة 326هـ.
 4. وعلي بن محمد السيمري، وسفارته من سنة 326هـ حتى سنة 329هـ.
- وأطلق لفظ (سفير) على كل واحد من هؤلاء النواب الأربعة، حيث كان عملهم كالوسيط بين الإمام الحجة المختفي في السرداب، وبين الشيعة،⁴ ولدى الشيعة تقديس عظيم لهؤلاء المدّعين السفارة (وضبط السفراء بهذا الشكل من ضروريات المذهب، لدى المعتقدين بغيبة الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَام، ومن واضحات تاريخهم الخاص، فلا حاجة إلى تجشم العناء في إثباته)⁵ كما يقول الشيخ محمد الصدر.
- فالسفير الأول: عثمان بن سعيد العمري، كان يمارس السفارة في سرية تامة، فقد

¹ انظر: العقالي (الدكتور: الشيماء الدمرداش العقالي) نظرية ولاية الفقيه وتطبيقاتها في جمهورية إيران الإسلامية (رسالة دكتوراة، من جامعة عين شمس، 1430هـ-2009م)، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي. (61).

² المالكي: الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة (13).

³ انظر: العقالي: نظرية ولاية الفقيه وتطبيقاتها في جمهورية إيران الإسلامية (61).

⁴ انظر: العقالي: نظرية ولاية الفقيه وتطبيقاتها (61).

⁵ الصدر: تاريخ الغيبة الصغرى (396).

(كان يتجر بالسمن تغطية على الأمر!)،¹ و(كان الشيعة إذا حملوا إلى الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ ما يجب عليهم من المال؛ جعله أبو عمرو في زقاق السمن وحمله إليه تقيّةً وخوفاً).²

ومن العجيب أنّ الشيعة تزعم أنها لا تقبل إلا قول معصوم، وترفض الإجماع بدون معصوم، وهنا يقبلون دعوى رجل واحد غير معصوم، في أهم ما تعتقده،³ وقد ادّعى مثل دعواه آخرون، كل يزعم أنه الباب للغائب، وكان النزاع بينهما على أشده، وكل واحد منهم يخرج توقيعاً، يزعم أنه صدر عن الغائب المنتظر، يتضمن لعن الآخر وتكذيبه.⁴ وقد ذكر الطوسي وغيره أسماءهم تحت عنوان: (ذكر المذمومين الذين ادعوا البابية لعنهم الله)،⁵ كما أفرد لهم الصدوق والمجلسي كلاماً في ذمهم والتحذير منهم.⁶

والسفير الثاني: محمد بن عثمان بن سعيد العمري، تولّى البابية أو السفارة (نحواً من خمسين سنة، فيحمل الناس إليه أموالهم، ويخرج إليهم التوقيعات بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ إليهم، بالمهمات في أمر الدين والدنيا، وفيما يسألونه من المسائل بالأجوبة العجيبة!)،⁷ وقد تولّى البابية من سنة 265هـ حتى سنة 305هـ.

والسفير الثالث: الحسين بن روح النوبختي، تولّى البابية من سنة 305هـ حتى سنة

¹ الطوسي: الغيبة (214) الأمين: أعيان الشيعة (48/2) و: بحر العلوم (محمد المهدي) الفوائد الرجالية تحقيق: محمد صادق بحر العلوم-حسين بحر العلوم، مكتبة الصادق، طهران، ط1، 1363هـ. (128/4).

² الطوسي: الغيبة (214) الأمين: أعيان الشيعة (48/2).

³ انظر: التوحيدي: ولاية الفقيه وتطورها (12).

⁴ انظر: القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (834/2).

⁵ انظر: الطوسي: الغيبة (366) والقفاري: أصول مذهب الشيعة (834/2).

⁶ انظر: المجلسي: بحار الأنوار (367/51). وإكمال الدين (485) المالكي: الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة (47).

⁷ المجلسي: بحار الأنوار (352/51).

326هـ، (وهو كغيره من السفراء وغيرهم، لم تذكر عام ولادته، ولا تاريخ مبدأ حياته).¹ وكان هؤلاء البابية المدعون والتّوابع، عن المنتظر يفرضون لأنفسهم القداسة ووجوب الطاعة، وإلا كان خطر اللعن والغضب منهم، ويشهد لذلك:

أنه عندما تردّد أحدهم في تسليم أمواله إلى الحسين بن روح؛ غضب منه الباب محمد بن عثمان، وقال له: ما الذي جرّأك على الرجوع، ولم تمثل ما قلته لك؟، فقال له: (لم أجسر على ما رسمته لي)،² إلا أنّ الباب أجابه وهو غاضب: (قم، عافاك الله كما أقول لك)، فقال الرجل: (فلم يكن عندي غير المبادرة، فصرت إلى أبي القاسم بن روح، وهو في دار ضيقة، فعرفته ما جرى، فسّر به، وشكر الله عزّ وجلّ، ودفعت إليه الدنانير، وما زلت أحمد إليه ما يحصل في يدي بعد ذلك من الدنانير).³

السفير الرابع: علي بن محمد السيمري، تولّى البابية منذ سنة 326هـ حتى سنة 329هـ،⁴ وهو آخر السفراء عندهم، وكان قد انقضى على غيبة الإمام قرابة سبعين عاماً لم يتحقق فيها أمل الشيعة في رجوعه رغم انتظارهم إياه وتلهفهم عليه،⁵ وبالسيمري هذا انتهت مرحلة السفراء،⁶ وقد استمر السيمري في منصبه (الشكلي) ثلاث سنوات، وربما أدركته الخيبة، وشعر بتفاهة منصبه كوكيل معتمد للإمام الغائب، فلما قيل له وهو على فراش الموت: (من وصيك من بعدك؟ قال: لله أمر هو بالغه).⁷ وهكذا انتهت دعوى

¹ الصدر: تاريخ الغيبة الصغرى (406).

² الطوسي: الغيبة (368).

³ الطوسي: الغيبة (368). وانظر: التويجري: ولاية الفقيه وتطورها (13).

⁴ انظر: الموسوي: الشيعة والتصحيح (61).

⁵ انظر: القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية (839/2).

⁶ انظر: التويجري: ولاية الفقيه وتطورها (13).

⁷ الطوسي: الغيبة (363). البحراني (سليمان بن عبد الله) الأربعون حديثاً في إثبات إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق: السيد مهدي الرجائي. مطبعة أمير، قم، إيران، ط 1، 1417 هـ. (239).

الصلة المباشرة بالغائب، لأنّ أوراقها انكشفت بسبب التنافس عليها، ووصلت دعوى الغيبة إلى طريق مسدود، إذ لم تنجح فكرة البايعة الخاصة.¹

ومع وفاة السفير الرابع بدأت (الغيبة الكبرى)، من سنة 329هـ-940م،² وهي المرحلة التي تطورت فيها ولاية الفقيه،³ وفي هذه المرحلة حام بعض علماءهم حول صلاحيات الفقهاء في عصر الغيبة، وادّعوا أنّ الأئمة فوضوا إليهم تلك الصلاحيات، فيما يروون عنهم من روايات تُجيز تولية القضاء للفقهاء، وهو من أهم أعمال الدولة، رغم أنهم قد حرّموا ممارسة القضاء لغير الإمام المعصوم.⁴ ورووا عدة روايات تجيز للفقهاء الشيعة ممارسة ذلك بالنيابة عن (الأئمة المعصومين)، مثل: مقبولة⁵ عمر بن حنظلة⁶ عن الإمام الصادق (عليه السلام) التي يقول فيها: (انظروا إلى رجل منكم قد روى حديثنا، ونظر في حالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فارضوا به حكماً فإنّي

¹ انظر: القفاري: أصول مذهب الشيع الإمامية (839/2).

² انظر: العقالي: نظرية ولاية الفقيه وتطبيقاتها (55).

³ انظر: التويجري: ولاية الفقيه وتطورها (14).

⁴ انظر: العقالي: نظرية ولاية الفقيه وتطبيقاتها (62-63).

⁵ المقبولة: هي الرواية التي يتلقاها العلماء بالقبول من حيث السند، ويعملون بمضمونها. انظر: (الفضلي الدكتور: عبد الهادي) دروس في أصول فقه الإمامية. مؤسسة أم القرى للنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ. (382).

⁶ ترجم له الشيعة بقولهم: عمر بن حنظلة: أبو صخر، العجلي البكري الكوفي، من رجال الباقر والصادق، وقد قال جماعة بوثاقته كالشهاد الثاني، لأجل رواية يزيد بن خليفة في الكافي (275/3 ح1) وروايتين منه في حقه في البصائر والكافي (334/8 ح522)، وتلقّى المشهور روايته بالقبول، ورواية الأجلاء كزارة وعبد الله بن مسكان وصفوان بن يحيى وعبد الله بن بكير وغيرهم عنه وحسنه في الوجيزة. له أكثر من 70 رواية في الكتب الأربعة، راجع معجم رجال الحديث (27/13)، وقاموس الرجال (167/8). (الترابي (علي أكبر) الموسوعة الرجالية الميسرة، أو معجم رجال الوسائل إشراف: جعفر السبحاني. مؤسسة الإمام الصادق، ط2، 1424هـ. (339). الجواهري: المفيد من معجم الرجال الحديث. (425)).

قد جعلته عليكم حاكماً¹.

ومشهوره أبي خديجة عن الإمام الصادق أيضاً: (انظروا إلى رجلٍ منكم يعلم شيئاً من قضايانا؛ فاجعلوه بينكم قاضياً، فتحاكموا إليه)²، وقد تم استعارة هذه الأدونات العامة الصادرة في عهد حضور الأئمة، والحكم بجواز ممارسة القضاء في عهد (الغيبة) للفقهاء من الشيعة، وذلك للتشابه بين الحالتين، وهو عدم سيطرة الأئمة وممارستهم للحكم، وحل الشيعة الإمامية بذلك مشكلة القضاء في عصر الغيبة³.

المرحلة الثانية: من بداية الغيبة الكبرى إلى عصر الكركي في الدولة الصفوية (329هـ-907هـ): ظهرت بعض الأفكار من قبل بعض فقهاء الشيعة الإمامية، حول دور رجال الدين في الشؤون العامة للمجتمع، بعد سقوط الدولة العباسية، وقد طرح هذه الأفكار لأول مرة الشيخ محمد بن مكي الجزيني (الشهيد الأول)⁴ (ت 786هـ/1384م)، حيث أشار إلى وظيفة الفقيه الجامع للشرائط باعتباره نائب الإمام، وأفتى بوجوب اللجوء إليه في القضاء والالتزام بالحكم الذي يصدره بقوله: (وفي الغيبة ينفذ قضاء الفقيه الجامع لشرائط الإفتاء، فمن عدل عنه إلى قضاة الجور كان عاصياً، وثبت ولاية القاضي بالشياع وبشهادة عدلين، ولا بد من الكمال

¹ الكليني: الكافي (45/1)، الطبرسي: الاحتجاج (355)، والعاملي: سائل الشيعة (98/18)، الطوسي: تهذيب الأحكام (302/6).

² العاملي: وسائل الشيعة (100).

³ انظر: الكاتب: تطور الفكر السياسي الشيعي (189).

⁴ محمد بن مكي بن محمد بن حامد العاملي النبطي الجزيني، شمس الدين الملقب بالشهيد الأول: (734-786هـ) فقيه إمامي، اتهم في أيام السلطان (برقوق) بالخلال العقيدة، فسجن في قلعة دمشق سنة، ثم ضربت عنقه، فلقب بالشهيد الأول. من كتبه (المعة الدمشقية). (انظر: الزركلي: الأعلام (109/7)، الشاكري (حسين) ربع قرن مع العلامة الأميني، إيران، ط1، 1417هـ، ص(170).

والعدالة، وأهلية الإفتاء، والذكورة، والكتابة، والبصر).¹

ويرى البعض أنّ الجزيني قد أخرج بمقتضى الفكرة أول تطوير سياسي في الفقه الشيعي، حيث مدّ نطاق عمل الفقهاء ووسع من تأثيرهم في حياة المؤمنين، واستند على ما أسماه نيابة الفقهاء العامة عن المهدي المنتظر، وشملت هذه النيابة القضاء والحدود، وإقامة صلاة الجمعة.²

بل ذهب إلى أنّ الجزيني وإن كان هو أول من تحدّث عن نيابة الفقهاء للأئمة عند المسلمين الشيعة، إلّا أنّ نطاقها كان محصوراً في الأعمال التي ذكرنا.³

في هذه المرحلة أصبحت المسؤولية التي وُضعت للإمام؛ من تنفيذ أوامر الله - كما يزعمون - متوقفة؛ لاختفائه وانقطاع السفراء بينه وبين الناس؛ فكان محرماً على الشيعة تجاوز الإمام، والتعدي على اختصاصه، ومن ذلك ما يُعرف بالولايات السبع، وهي:

1. الولاية على أموال القُصّر، والصغار، ممن لا وليّ لهم.
2. الولاية على أخذ الخمس، والزكاة، والأوقاف العامة، وصرفها في مواردها.
3. الولاية على إجراء الحدود الخارجة عن منصب القضاء.
4. الولاية على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في ما يتوقف على ضرب، أو جرح، أو قتل أحياناً.

¹ بن مكي (الشهيد الأول: محمد) اللبّة الدمشقية منشورات دار الفكر، قم، إيران، ط1، 1411هـ. (79). وانظر: فاجر (جاسم) تطور الفكر السياسي لدى الاثنى عشرية في عصر الغيبة. رسالة دكتوراه في العلوم السياسية غير مطبوعة من الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك. 2008م. ص(117)).

² انظر: اللباد: حدائق الأحران (91).

³ انظر: اللباد: حدائق الأحران (91).

5. الولاية على الحكومة والسياسة، وتنظيم البلاد، وحفظ الثغور، والدفاع ضد الأعداء، وكل ما يرتبط بالمجتمع، والمصالح العامة، التي يتوقف عليها.

6. الولاية على الأموال والنفوس مطلقاً.

7. الولاية على التشريع؛ بأن يكون له حق وضع القوانين، وتشريعها بحسب ما يراه من المصالح.¹

ولأنّ هذه الولايات يتوقف إعمالها على وجود الغائب المنتظر، وهذا جعل الفقهاء يلجأون إلى فتح باب الاجتهاد.

وكانت الميادين التي حددها الفقهاء في هذه المرحلة ثلاثة ميادين، من الشؤون الاجتماعية، التي يمكن للفقهاء الجامع لشرائط الاجتهاد أن يتدخل فيها، وهي:

1. إقامة الصلوات السياسية الجامعة؛ كصلاة العيدين والجمعة.

2. التدخل في الشؤون المالية.

3. إقامة العدل، وإجراء الحدود والتعزيرات.²

لكن الأستاذ الشيعي أحمد الكاتب بحث في نظرية ولاية الفقيه في هذا العصر، وعرض مقدمة تاريخية لفكرة نظرية ولاية الفقيه، وهي النظرية التي كان يتصور بأنها السائدة منذ غيبة المهدي، إلا أنّ وقوفه على كتب الفقه والتاريخ، بحسب التسلسل التاريخي لتأليفها، قاده إلى حقيقة مفادها أنّ أعلام الشيعة المتقدمين بعد الغيبة ينكرون ولاية الفقيه، وأنّ الفكرة السائدة هي فكرة التقية والانتظار، وتحريم الجهاد، ومنع تكوين أي إمارة، أو دولة،³ ومعنى هذا أنّ اجتهاد أولئك العلماء كان محدوداً

¹ انظر: التويجري: ولاية الفقيه (15) الشيرازي (ناصر مكارم) ولاية الفقيه. (9-10).

² انظر: العقالي: نظرية ولاية الفقيه وتطبيقاتها (63).

³ انظر: الكاتب: تطور الفكر السياسي الشيعي (210) والبديوي: أعلام التصحيح والاعتدال (248)

في بدايته بسبب وجود معارضة من قبل العديد من علماء الشيعة، حيث يعدُّون هذا الاجتهاد تدخلاً في خصوصيات الأئمة؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنَّ التشريعات الجديدة إنما هي خاصة بالأئمة وحدهم، فجاء الاجتهاد أيضاً على مراحل، لعل أبرزها:¹

1. تهذيب الشيخ الحسن بن عقيل العماني، للفقهاء الاثنى عشري، وفتح باب الاجتهاد.

2. بعد هذا أعلن بعض علماء الشيعة جواز تولي الفقيه إقامة الحدود والقضاء، من قبل سلاطين الجور؛ وأنَّ هذا التنصيب وهذه الولاية إنما هي من الإمام المنتظر.

3. تطور الفكر الشيعي وتوسع بعد هذا، عندما أجاز ابن المطهر الحلي أن يقيم الفقيه الحدود من غير إجبار لأحد، واحتج لذلك بـ(أنَّ للفقهاء الحكم بين الناس، فكان إليهم إقامة الحدود، ولما في تعطيل الحدود من الفساد. وقد روي أنَّ من استخلفه سلطان ظالم على قوم، وجعل إليه إقامة الحدود، جاز له أن يقيمها عليهم على الكمال، ويعتقد أنه إنما يفعل ذلك بإذن سلطان الحق² لا بإذن سلطان الجور، ويجب على المؤمنين معونته وتمكينه من ذلك ما لم يتعد الحق في ذلك وما هو مشروع في شريعة الإسلام، فإن تعدى من جعل إليه الحق، لم يجوز له القيام به، ولا لأحد معونته على ذلك).³

4. ثم تجاوزت الولاية مسألة إقامة الحدود إلى ما هو أوسع من ذلك؛ كالنيابة عن الإمام في دفع الزكاة والخمس، وصلاة الجمعة، ولهذا أوجب الشيخ المفيد دفع

¹ انظر: التوجيهي: ولاية الفقيه وتطورها (15-18).

² انظر إلى تلاعبهم بالنيات، وإضمارهم الخيانات لسلاطين المسلمين السنة، وهذا حالهم في كل زمان.

³ ابن المطهر (العلامة الحلي: الحسن بن يوسف) تذكرة الفقهاء. تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ط1، 1414 هـ. (435-434/9).

الزكاة للفقهاء!، قال: (والإمام قائم مقام النبي ﷺ فيما فرض عليه، من إقامة الحدود، والأحكام؛ لأنه مخاطب بخطابه في ذلك على ما بيناه فيما سلف وقدمناه، فلما وجد النبي ﷺ كان الفرض حمل الزكاة إليه، ولما غابت عينه من العالم بوفاته صار الفرض حمل الزكاة إلى خليفته، فإذا غاب الخليفة كان الفرض حملها إلى من نصبه من خاصته لشيعته، فإذا عدم السفراء بينه وبين رعيته وجب حملها إلى الفقهاء المأمونين من أهل ولايته؛ لأنَّ الفقيه أعرف بموضعها ممن لا فقه له في ديانتها).¹

المبحث الثالث

دور الكركي في تطوير ولاية الفقيه

يشكّل نموذج المحقق الكركي / والشاه طهماسب بن إسماعيل الصفوي (930هـ/1524م) منعطفًا تاريخيًا في حركة الفقه السلطاني الشيعي، فلأول مرة يتقلد الفقيه منصب النيابة العامة، عن الإمام المهدي، ويصل إلى نقطة في الهرم السياسي، وهذا المنصب يُحوّله التشريع في الحقل الديني، ويلزمه مهر السلطة الصفوية بالمشروعية الدينية؛ بمعنى أن يصبح الفقيه المصدرَ الرئيسي لإضفاء الشرعية على السلطة، وهذا يتطلب خروجًا على الإجماع الشيعي الفقهي، في كثير من الموضوعات، والتي تلتقي عند عقيدة (الانتظار).²

ويرى الشيخ الشيعي الحسون أنّ مجيء المحقق الكركي إلى إيران ثانية، في سنة 936هـ يختلف تمامًا عن مجيئه إليها سنة 916هـ أيام الشاه إسماعيل الصفوي، فقد دخل إيران هذه المرة بصحبة الشاه طهماسب، وهو يحتلّ منصب شيخ الإسلام في إيران

¹ المفيد: المتنعة (252).

² انظر: فؤاد إبراهيم: الفقيه والدولة (150).

وكافة المدن التابعة لها، وفي يده أيضاً مرسومٌ سلطاني أمر فيه الشاه طهماسب أتباع دولته بإطاعة الكركي، "وأنّ كلّ مَنْ يخالفه ولا يتابعه لا محالة مردود وعن مهبط الملائكة مطرود، وسيؤخذ بالتأديبات البليغة والتدبيرات العظيمة"، ويرى كذلك أنّ هذا المرسوم يشكّل حالةً لا نظير لها سابقاً في منح حاكم دولة كلّ هذه الصلاحيّات الكبيرة لأحد رجال الدين، ممّا أدّى إلى قول أحد الكتّاب المعاصرين: إنّ هذا البيان يمثل أوّل خطاب سياسي في الإسلام على أساس ولاية الفقيه.

ولا ينكر كون المحقّق الكركي قد استغلّ هذه الصلاحيات الممنوحة له، وخلال فترة قصيرة لا تتجاوز الثلاث سنوات، وبواسطة رسم خطة مدروسة ومحكمة، عمل بكلّ جدٍّ ومثابرة على نشر التشيع في إيران، والإشراف على كافة الشؤون الدينيّة فيها، حتّى لقّب بكلّ جدارة "بأعش النهضة الشيعيّة في إيران، واضع الأسس الدستوريّة للدولة الصفويّة".¹

وكان الكركي قد ذهب أيام الشاه إسماعيل سنة 916هـ، إلى إيران واطلع على الأوضاع ثم رجع إلى النجف ليدرس الحالة الجديدة، فعقيدة الشيعة تقول بالتقية وعدم الجهاد إلى ظهور المهدي، والحالة الجديدة في إيران تخالف المعتقد، فلا بد من نظرية جديدة فاخترع "نيابة عامة للفقهاء" عن الإمام المهدي، ولكنها ليست للشاة، ورأى طهماسب أنّ يجب الكركي لتكون السلطة للفقهاء التابعين له، ويبعد القزلباشية الذين تحكموا به صغيراً، لذلك سلّم طهماسب الحكم للكركي، والكركي أجاز شكلياً لطهماسب بالحكم،² وكان طهماسب قد منحه ذلك فرمان الذي يوضح شكل سلطته.

والقرار الذي أصدره الشاه طهماسب، أو فرمان، قد منح صلاحيات واسعة للكركي- كما ذكرنا ذلك فيما مضى-، ويكفي الاطلاع على صيغته؛ لنعرف أنها خطة

¹ انظر: الحسون: مقتطفات من موسوعة حياة المحقّق الكركي (44).

² انظر: الحمود: عودة الصفويين (37).

محبوكة من قبل الكركي؛ لتدعيم دعوته للتشيع الإثني عشري، فقد جاء فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حيث يبدو ويتضح من الحديث الصحيح بالنسبة إلى الإمام الصادق (عليه السلام): "انظروا إلى مَنْ كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فارضوا به حكماً، فإني قد جعلته حاكماً. فإذا حكم بحكم فمن لم يقبله منه فإتما بحكم الله استخف، وعلينا رد، وهو رادّ على الله، وهو على حدّ الشرك".¹

وواضح أنّ مخالفة حكم المجتهدين، الحافظين لشرع سيّد المرسلين، هو والشرك في درجة واحدة. لذلك فإنّ كلّ مَنْ يخالف حكم خاتم المجتهدين، ووارث علوم سيّد المرسلين، ونائب الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، لا يزال كاسمه العليّ عليّاً عاليّاً، ولا يتابعه، فإنّه لا محالة مردود، وعن مهبط الملائكة مطرود، وسيؤاخذ بالتأديبات البليغة والتدبيرات العظيمة. كتبه طهماسب ابن شاه إسماعيل الصفويّ الموسويّ).²

فبدأ المحقق الكركي في تطبيق النيابة العامة، عن الإمام المنتظر، بعد هذا القرار الذي أصدره الشاه طهماسب بوجوب طاعته، والحذر من مخالفته.

فأكّد الكركي على ذلك في العديد من مؤلفاته، ومما جاء عنه في التأكيد على أنّ لنائب الإمام الحقّ في إصدار الأحكام، ووجوب العمل بها؛ لأنه نائب من قبل إمامهم المنتظر، وكلّ ما يقوله حقّ يجب اتباعه،³ مما جاء في ذلك قوله: (اتفق أصحابنا رضوان الله عليهم على أنّ الفقيه العدل الإمامي الجامع لشرائط الفتوى، المعبر عنه بالمجتهد في الأحكام الشرعية، نائب من قبل أئمة الهدى، صلوات الله وسلامه عليهم، في حال الغيبة، في جميع ما للنيابة فيه مدخل - وربما استثنى الأصحاب القتل والحدود

¹ الحديث في الكافي (54/1) حديث (10) و(412/7) حديث (5).

² الكركي: جامع المقاصد (33/1). الحسنون: حياة المحقق الكركي وآثاره (430/1) (510/1).

³ انظر: التويجيري: ولاية الفقيه وتطورها (20).

مطلقاً- فيجب التحاكم إليه، والانقياد إلى حكمه، وله أن يبيع مال الممتنع من أداء الحق إن احتيج إليه، ويولي أموال الغياب والأطفال والسفهاء والمفلسين، ويتصرف على المحجور عليهم، إلى آخر ما يثبت للحاكم المنصوب من قبل الإمام عَلَيْهِ السَّلَام¹. وبهذا يكون الكركي قد أسس لشرعية سياسية؛ بتدخل العلماء في السلطة والسياسة، بل كسر الحاجز الذي كان بين الفقيه والحاكم في الفقه الإمامي؛ وذلك بتطبيقه ولاية الفقيه، ولو بشكل محدود،² وقد طوّر الكركي نظرية النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهدي؛ من نظرية جزئية غير سياسية؛ إلى نظرية سياسية متقدمة، وادعى بأنه نائب الإمام المهدي، وأنه صاحب الحق الشرعي الوحيد في الحكم، واستطاع أن يؤثر على الشاه طهماسب بن إسماعيل الصفوي (930هـ/1524م)؛ فيدفعه للتسليم بمكانته ككاتب عام عن الإمام المهدي، وطلب الإجازة منه لممارسة السلطة،³ فأعطاه ما طلب، كما تقدم، وقد تعرض الكركي في رسالته (صلاة الجمعة) لأوصاف الفقيه النائب في زمان الغيبة، وحصرها في ثلاث عشرة صفة،⁴ هي:

1. الإيمان.
2. العدالة؛ لوجوب التثبت عند خبر الفاسق.
3. الثالث: العلم بالكتاب.
4. العلم بالسنة، لا على معنى أن يعلم الجميع، بل لا بد منه في درك الأحكام، ولا يشترط حفظ ذلك بل أهلية التصرف بحيث إذا راجع أصلاً معتمداً أمكنه الوقوف على ما هو بصدد.

¹ الكركي: رسائل المحقق الكركي (143/1).

² انظر: التوحيدي: ولاية الفقيه وتطورها (20)، وتبرز: التشيع والتحول في العصر الصفوي (143).

³ انظر: الكاتب: تطور الفكر السياسي الشيعي (25-26).

⁴ انظر: العقالي: نظرية ولاية الفقيه وتطبيقاتها (78).

5. العلم بالإجماع؛ لأنه أحد المدارك، وللتحرز من الفتوى بخلافه.
6. العلم بالقواعد الكلامية التي تستمد منها الأصول والأحكام.
7. العلم بشرائط الحد والبرهان؛ لامتناع الاستدلال من دونه.
8. العلم باللغة وعلومها، لا بالجميع بل المحتاج إليه على وجه يقتدر على التصرف إذا راجع.
9. العلم بالناسخ والمنسوخ وأحكامهما، وكذا أحكام الأوامر والنواهي والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والإجمال والبيان، والعلم بمقتضى اللفظ شرعاً وعرفاً ولغةً، ونحو ذلك مما يتوقف عليه فهم الخطاب، ككون المراد مقتضى اللفظ إن تجرد عن القرينة، وما دلّت عليه على تقدير وجودها.
10. أن يعلم أحوال التعارض والترجيح.
11. العلم بالجرح والتعديل وأحوال الرواة، وتكفي فيه شهادة من يعتمد عليه من الأولين، وقد اشتمل على ذلك الكتب المعتمدة في الحديث والرجال، ونقح الفقهاء جملة من ذلك في الكتب الفقهية.
12. أن له نفساً قدسية، وملكة نفسانية؛ يقتدر معها على اقتناص الفروع من الأصول، وردّ الجزئيات إلى قواعدها، وتقوية القوي، وتضعيف الضعيف، والترجيح في موضع التعارض، فلا يكفي العلم بالأمور السالفة بدون الملكة المذكورة، وكذا لا يكفي الاطلاع على استدلال الفقهاء وفهم كلامهم من دون أن يكون موصوفاً بما ذكرنا، بحيث ينفق مما آتاه الله ولا يكون كلاً على مَنْ سواه.
13. أن يكون حافظاً، بحيث لا يغلب عليه النسيان فيختل تصرفه في الصناعة؛ لتعذر درك الأحكام حينئذ، وليس المراد عدم عرض النسيان كما هو ظاهر؛ فإنّ السهو كالطبيعة الثابتة للإنسان، وما أحسن ما قيل: أول ناسٍ أول الناس¹.

¹ انظر: الكركي: رسائل المحقق الكركي (168/1-171).

وقد أورد الشيخ الشيعي الحسون، محقق كتب الكركي، على نص الكركي الآتي عدة إيرادات، وكلام الكركي حول نيابة الفقيه عن الإمام هو: (اتفق أصحابنا- رضوان الله عليهم- على أنَّ الفقيه العدل الإمامي، الجامع لشرائط الفتوى، المعبر عنه بالمجتهد في الأحكام الشرعية، نائبٌ من قبل أئمة الهدى- صلوات الله وسلامه عليهم- في حال الغيبة، في جميع ما للنيابة فيه مدخلٌ- وربما استثنى الأصحابُ القتلَ والحدودَ مطلقاً- فيجب التحاكمُ إليه، والانقيادُ إلى حكمه، وله أن يبيع مالَ الممتنع من أداء الحق إنَّ احتيجَ إليه، ويولي أموالَ الغياب والأطفال والسفهاء والمفلسين، ويتصرف على المحجور عليهم، إلى آخر ما يثبت للحاكم المنصوب من قبل الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، والأصل فيه ما رواه الشيخ في التهذيب، بإسناد إلى عمر بن حفظة، عن مولانا الصادق جعفر بن محمد أنه قال: (انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا، ونظر في حالنا وحرماننا، وعرف أحكامنا؛ فارضوا به حكماً؛ فإنني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا، ولم يقبله منه فإنما بحكم الله استخف وعلينا ردٌّ، وهو رادٌّ على الله، وهو على حدِّ الشرك بالله، وإذا اختلفا فالحكم ما حكم به أعدلهما، وأفقههما، وأصدقهما في الحديث وأورعهما)¹، وفي معناه أحاديث كثيرة.

وقد استخرج الأصحابُ الأوصافَ المعتمدة في الفقيه المجتهد من هذا الحديث ونحوه، وضبطوها في ثلاثة عشر شيئاً. . . . والمقصود من هذا الحديث هنا: أن الفقيه الموصوف بالأوصاف المعينة، منصوبٌ من قبل أئمتنا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، نائب عنهم في جميع ما للنيابة فيه مدخل، بمقتضى قوله: "فإنني قد جعلته عليكم حاكماً"، وهذه استنباطٌ على وجهٍ كُلِّيٍّ، ولا يقدح كونُ ذلك في زمن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنَّ حكمهم وأمرهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ واحدٌ، كما دلَّت عليه أخبارُ أخرى، ولا كونُ الخطاب لأهل ذلك العصر؛ لأنَّ حكم النبي ض، والإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ على الواحد حكمٌ على الجماعة، بغير

¹ الكليني: الكافي (54/1) حديث (10).

تفاوت، كما ورد في حديث آخر¹.

قال الحسن: ² وفي هذه العبارة عدة مناقشات:

1. أن الكركي لم يصرح برأيه في هذه الجملة؛ بل نقل اتفاق الأصحاب، وجعل الأصل في اتفاقهم هو مقبولة عمر بن حفظة³، ويرى أن كلامه في بدايته لا يعدو كونه (مقدمة لبيان قاعدة كلية، وهي أن حكم الأئمة عليهم السلام وأمرهم واحد، وشامل لكل الأزمنة، ولا يقتصر على أهل عصر الإمام الصادق⁴).
 2. وانتقد ادعاء الكركي للإجماع بقوله (اتفق أصحابنا .)، وعودته لإسقاط هذا الإجماع بقوله (وربما استثنى الأصحابُ القتلَ والحدودَ مطلقاً)، فإخراج القتل والحدود يبقى الإجماع على تصدي الفقيه لإبداء الحكم قائماً، أما إجراؤه فلا، ويعتبر هذا خارجاً عن أمر الولاية⁵.
 3. وأيضاً اعتماد الكركي في حكاية إجماع الأصحاب على (مقبولة عمر بن حفظة)، وهي ليست محل قبول من جميع علماء الاثنى عشرية، بل منهم من يطعن فيها سنداً وممتناً، ولا يعتبر دلالتها، فيبقى حينئذ اتفاق الأصحاب بلا سند، والمعتبرون لها يكون الإجماع بعد اعتبارهم مستنداً إلى هذه الرواية، وكل إجماع مستند إلى رواية لا يكون كاشفاً عن رأي المعصوم، كما تقرر في علم الأصول عند الشيعة⁶.
- وفي الواقع أن هذه الرواية ساقطة لا اعتبار لها، وحتى الذين يرون صحتها تجد

¹ الكركي: رسائل المحقق الكركي (143/1) الحسن: حياة المحقق الكركي وآثاره (510-511).

² الحسن: حياة المحقق الكركي وآثاره (512/1).

³ انظر: الكليني: الكافي (45/1)، الطبرسي: الاحتجاج (355)، الطوسي: تهذيب الأحكام (302/6)، العاملي: وسائل الشيعة (98/18).

⁴ انظر: الحسن: حياة المحقق الكركي وآثاره (512/1).

⁵ انظر: الحسن: حياة المحقق الكركي وآثاره (512/1).

⁶ انظر: الحسن: حياة المحقق الكركي وآثاره (512/1).

أنّ كلامهم حولها يلفه الغموض، والتردد، وهذه عادتهم في دراسة الأسانيد، ليس لهم في هذا الشأن قدمٌ راسخة، وانظر إلى نموذج واحدٍ من طريقتهم في الدفاع عن مروياتهم، وفي هذا السياق خصوصاً، فهذا الشيخ الشيعي السيد مرتضى الجعفري العاملي يقول: (ويمكن القول بكل ثقة واطمئنان: إن هذا الدليل اللفظي موجودٌ، وقد ذكر العلماء عدة روايات، اعتبروا: أنها يمكن الاستدلال أو تأييد الاستدلال بها على هذا الموضوع، وكان نصيبُ الرواية المعروف بـ: "مقبولة عمر بن حنظلة" هو التضعيف منهم لسندها، والتوهين لدالاتها أيضاً، أما نحن فنرى: أنها تستطيع أن تكون الرواية ذات السند القوي كما أنها ترتقي إلى مستوى الدليل على هذا الموضوع، موضوع ولاية الفقيه، أي أنها تامة سنداً ودلالةً على حد سواء!، كما أنها ليست مقبولةً، ولا حسنة، بل ولا معتبرة وحسب، وإنما هي- على الأظهر- صحيحة السند، حسب المصطلح للصحيح من الحديث عند المتأخرين، وهذا ما يقضي علينا بالتوسع في البحث حول سند هذه الرواية بما يسمح لنا به المجال، من أجل إعطاء الصورة التي تقرب القارئ إلى الاطمئنان، ثم القطع بصحة ما ذهبنا إليه).¹

4. ويرى الحسون أيضاً أنّ مورد رواية عمر بن حنظلة هو القضاء فقط، فكيف يُتعدى عن مورد هذه الرواية- وهو القضاء- إلى جميع ما للنيابة فيه مدخل، وهو الحكومة المعبر عنها بولاية الفقيه؟²

وعلى كلّ حال فإنّ الكركي قد صرح في قوله: (اتّفق أصحابنا على أنّ الفقيه العادل الأمين، الجامع لشرائط الفتوى المعبر عنه بالمجتهد في الأحكام؛ نائبٌ من قبل أئمة

¹ العاملي (مرتضى جعفر) ولاية الفقيه في صحيحة عمر بن حنظلة وغيرها. بيروت، ط3، 1432هـ-2002م.

² انظر: الحسون: حياة المحقق الكركي وآثاره (514/1).

الهدى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في حال الغيبة، في جميع ما للنيابة فيه مدخل)¹، باتفاق فقهاء الشيعة على عموم ولاية الفقيه، وأنه نائب عن الإمام المعصوم - في اعتقادهم - في عصر الغيبة²، كما إنه عملياً تصدّى للولاية، من خلال حضوره في بلاط الملوك الصفويين في إيران، ومشاركته معهم في تحمل أعباء المسؤولية وهو يرى أنّ إجماع الأصحاب هو أحد أدلة ولاية الفقيه، واستناداً إلى هذا الدليل فقد شارك عملياً في الحكم والسياسة. ومن خطوات العملية في تنفيذ ولايته كفقيه هي الأمور التالية:

1. كتابة تعاليم عملية للولاية فيما يرتبط بجباية الخراج.
2. تنظيم وكتابة قوانين لإدارة المدن وإرسالها للحكام.
3. إصدار الأمر بإخراج علماء السوء من المدن!
4. تعيين أئمة الجمعة في المدن والقرى.³

ويمكن فهم شكل تأثير هذه النظرية البالغ مداه على يد الكركي، من كتاب الشاه طهماسب إلى المحقق الكركي، مُعرفاً بقدره ككاتب للإمام الغائب فيقول: (أنت أحقّ بالملك؛ لأنك النائب عن الإمام، وإنما أكون من عمالك، أقوم بأوامرك ونواهيك)⁴.

¹ الكركي: رسائل المحقق الكركي (143/1) الحسون: حياة المحقق الكركي وآثاره (510-511).
² انظر: الحيدري (الدكتور: محسن) ولاية الفقيه. تقديم: محمد هادي معرفة. دار الولاية، بيروت، ط1، 1423هـ-2003م. (90). ميرفان (صابرينا) حركة الإصلاح الشيعي، ترجمه عن الفرنسية: هيثم الأمين، راجع النص العربي: جودت نغر الدين. دار النهار، بيروت، ط2، 2008م. (145).
³ انظر: أو طالي (محمد) (نظرة خاطفة على تاريخ ولاية الفقيه) موقع: مركز الصدرين للدراسات الاستراتيجية. الدراسات السياسية. <http://www.alsadrain.com>.
⁴ الكركي: جامع المقاصد (33/1) البحراني: لؤلؤة البحرين (148) الجابلق (علي أصغر) طرائف المقال في معرفة طبقات الرواة تحقيق: السيد مهدي الرجائي. مكتبة المرعشي النجفي العامة، قم، 1410هـ. (397/3). القزويني: تاريخ المؤسسة الدينية (315). العقالي: نظرية ولاية الفقيه وتطبيقاتها (79). الحسون: مقتطفات من حياة المحقق الكركي (45). المجلسي: بحار الأنوار (29/105).

وكان المحقق الكركي يركز في مساجلاته وفي فتاواه إلى خلفية تقول: بأنَّ الفقيه المأمون الجامع للشرائط منصوبٌ من الإمام المهدي، وبالتالي فهو الذي يعطي للحاكم شرعية حكمه، ولعل هذا ما شجع طهмасب للاستعانة به ونصبه إماماً دينياً، فكانت إمامته تطوراً كبيراً في التفكير السياسي الشيعي؛ على يد المحقق الكركي، أثبتته وجسده قولاً وعملاً، رغم أنها افتقرت إلى نظرية كلية وواضحة، اللهم إلا ما كان في رسالة طهмасب، وما في بعض اجتهادات الكركي الجزئية، التي أجاز نيابة الفقيه فيها، مع أنه توقف في النيابة في أمور أخرى؛ كالزكاة والجهاد مثلاً، مما يشير إلى تردد الكركي، أو إلى عدم وصوله إلى نظرية حاسمة في الحكم، لهذا لم تستمر الإمامة من بعده، لكنه فتح الباب أمام فكرة ولاية الفقيه،¹ ومن هذا نستنتج كم كان المنحى التاريخي لعملية تطور الفكر الشيعي شاقاً، خصوصاً بعد اختفاء القائد الروحي للشيعه، المهدي المنتظر، أو الإمام الثاني عشر، وهو لم يترك لهم نظريةً في الحكم، ولا طريقة واضحة لتسيير أمورهم،² لأنه ببساطة شديدة معدوم لا وجود له!، والذي أراه أن ولادة هذه النظرية من رحم الانتظار السلبي الذي كان يعيشه الاثنى عشرية؛ إنما هو خروج من المأزق الذي وضعهم فيه أسلافهم، من النواب الأربعة وغيرهم، أولئك الذين لم يكن همهم سوى جمع المال باسم المهدي، وهو الخمس الذي قصم ظهور الشيعه، أتباع هذا المذهب، (وبمرور الوقت ابتكر الفقهاء الشيعه مقولة النيابة عن الإمام على الأقل في تحصيل نسبة الخمس من أموال المؤمنين، وهي النسبة التي وطدت أركان المذهب الشيعي، وعمقت نسبة الخمس التي يدفعها المؤمن الشيعي من استقلالية مؤسسة الفقهاء الدينية، ورفدتها بمدد أمام السلطات السياسية، أو الزمنية، بحسب المصطلحات

¹ انظر: شقير (شفيق) نظرية ولاية الفقيه وتداعياتها في الفكر السياسي الإيراني المعاصر. الجزيرة نت: <http://www.aljazeera.net>. فؤاد إبراهيم: الفقيه والدولة الفكر السياسي الشيعي (153 فما بعدها). تبرز: التشيع والتحول في العصر الصفوي (142-144).

² انظر: اللباد: حداث الأخران (89).

الشيعة، ولكن الشيعة استمروا في حالة التيه السياسي من بعد اختفاء الإمام الثاني عشر، بالرغم من تحصيل نسبة الخمس، حتى ولدت فكرة "ولاية الفقيه"¹. ولم يخطر على بال أولئك السابقين أنّ نظرية الانتظار السليبي ستحوّج الفقهاء إلى اللّف والدوران؛ للوصول إلى هذه النظرية التي تتيح لهم المشاركة في السياسة؛ لكن من منطلق عقيدة الإمامة الإلهية، التي جعلت من الفقيه نائباً لإمام غائب، منصوب من قبل الله.

والحمد لله رب العالمين. . وصلى الله على نبينا محمد وآل وصحبه.

الخاتمة وأبرز النتائج: هذه بعض النتائج التي خلصت إليها في هذا البحث:

1. ظهور الدولة الصفوية في القرن العاشر في إيران الخناءة كبرى في مسيرة التشيع، فبظهورها تطور التشيع العالي القائم على العنف الدموي.
2. علماء الدول الشيعة هم الذين صنعوا التشيع العالي على مرّ التاريخ.
3. كان لعلماء جبل عامل في لبنان تاريخٌ حافل في مسيرة الفكر الاثنى عشري، ومنهم شيخ الدولة الصفوية: علي بن عبد العالي الكركي العاملي، الذي ظهر على يديه مصطلح النيابة العامة عن المهدي: وهي المعارف عليها بولاية الفقيه.
4. أول تطبيق لها كان في زمن طهماسب بن إسماعيل الصفوي، بناء على ذلك الفرمان الذي كتبه للمحقق علي بن عبد العالي الكركي.
5. تعتبر ولاية الفقيه سوطاً مسلطاً على رقاب الشيعة؛ إذ الفقيه هو الحاكم المطلق، والردّ عليه هو ردّ على الله بزعمهم.
6. هي نتاج لسمة من سمات الفكر الشيعي الاثنى عشري، وهي سمة التطور.

¹ البباد: حداثى الأحران (91).

7. تقوم هذه النظرية على أساسين، الفقهية، والعدالة. وبفقد أحد هذين الركنين تسقط النظرية تماماً.
8. يستطيع الولي الفقيه أن يعطل أحكام الشريعة؛ من أجل استمرار مصلحة النظام.
9. كثر انتقاد الباحثين لهذه النظرية، ولا سيما عندما قام الخميني (1409هـ) في هذا الزمان بتطبيقها على أوسع نطاق، واحتكر بموجبها جميع السلطات.
10. هي في المحصلة النهائية نظرية سياسية- دينية، لها ما لها، وعليها ما عليها.

أهم المصادر والمراجع

1. العقالي (الدكتورة: الشيماء الدمرداش):
 - نظرية ولاية الفقيه وتطبيقاتها في جمهورية إيران الإسلامية (رسالة دكتوراه)، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، 2011م
2. الكاتب (أحمد):
 - التشيع السياسي والتشيع الديني، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2009م.
 - المرجعية الدينية الجديدة وآفاق التطور. الإمام محمد الشيرازي نموذجاً، الدار العربية للعلوم. ناشرون، بيروت، لبنان. ط2، 1428هـ-2007م.
 - تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه. تقديم: الدكتور محمد عمارة، مكتبة النافذة، القاهرة، ط4، 2007م.
 - السنة والشيعة، وحدة الدين، خلاف السياسة والتاريخ مشاركة: د. محمد عمارة، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ط1، 2008م
 - تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، الدار العربية للعلوم، بيروت. دار الشورى لندن. ط3، 1426هـ-2005م.
3. اللباد (الدكتور: مصطفى):
 - حدائق الأحران. إيران وولاية الفقيه، دار الشروق، القاهرة، ط3، 2008م.
4. الحيدري (الشيخ الدكتور: محسن):
 - ولاية الفقيه، تاريخها، مبانيها. تحقيق: محمد هادي معرفة، دار الولاية، بيروت، ط1، 1423هـ-2003م.
5. النجيني (الإمام: روح الله):
 - مختارات من أحاديث وخطابات الإمام النجيني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث

- الإمام الخميني، قسم الشؤون الدولية، د.ت.
- الحكومة الإسلامية. دروس فقهية في ولاية الفقيه، د.ت.
 - كشف الأسرار. قدّم له: د. محمد أحمد الخطيب، دار عمار، عمان، ط1، 1408هـ 1987م.
 - 6. الشيرازي (ناصر مكارم): ولاية الفقيه وحدودها، المطبعة الحيدرية، 1414هـ.
 - 7. عباس (نور الدين): ولاية الفقيه في العصر الحديث، مركز باء للدراسات، بيروت، ط1، 2009م.
 - 8. الموسوي (الدكتور: موسى): الشيعة والتصحيح، 1408هـ 1988م.
 - الصرخة الكبرى أو عقيدة الشيعة الإمامية في أصول الدين وفروعه في عصر الأئمة وبعدهم. من مطبوعات المجلس الإسلامي الأعلى في أمريكا، لوس أنجلوس، 1411هـ.
 - المتآمرون على المسلمين الشيعة من معاوية إلى ولاية الفقيه. تصدير: المفكر الإسلامي أ.د. إبراهيم بسيوني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1996م.
 - 9. التويجري (خالد بن عبد المحسن): ولاية الفقيه وتطورها، نشر مجلة البيان، 1431هـ.
 - 10. الطهراني (محمد الحسين الحسيني): ولاية الفقيه في حكومة الإسلام، دار المحجة البيضاء، د.ت.
 - 11. الحسون (محمد): حياة المحقق الكركي وآثاره. حياته الشخصية والسياسية، منشورات الاحتجاج، مطبعة نكارش، طهران، ط1، 1423هـ.

- صفحات من موسوعة حياة المحقق الكركي وآثاره، سلسلة الكتب المؤلفة في أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (135). إعداد: مركز الأبحاث العقائدية.
- 12. الكركي (علي بن عبد العالي 940هـ):
 - جامع المقاصد في شرح القواعد المحقق الثاني. تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) لإحياء التراث قم، المطبعة المهدية، ط1، 1408هـ.
 - حياة المحقق الكركي وآثاره، تحقيق: محمد الحسون، منشورات الاحتجاج، مطبعة نگارش، إيران، 1432هـ.
 - الخراجيات، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي بقم، ط1، 1413هـ.
 - الرسالة النجمية. ضمن حياة المحقق الكركي وآثاره. تحقيق: محمد الحسون. الاحتجاج، إيران، 1432هـ.
 - نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت. ضمن رسائل المحقق الكركي وآثاره، جمعها وحققها: الشيخ: محمد الحسون، منشورات الاحتجاج، مطبعة نگارش، طهران، إيران، ط1، 1423هـ.
 - مقتطفات من حياة المحقق الكركي وآثاره. تحقيق: محمد الحسون. الاحتجاج، إيران، 1432هـ.
- 13. الكليني (محمد بن يعقوب 329هـ)
 - الأصول من الكافي، منشورات مؤسسة الأعلي للطبوعات، بيروت، ط1، 1426هـ 2005م.
 - الكافي، منشورات مؤسسة الأعلي للطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ 2005م.
- 14. ابن المطهر (الحسن بن يوسف، العلامة الحلي ت: 726هـ).
 - منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، تحقيق: الأستاذ عبد الرحيم مبارك، سلسلة

- الكتب العقائدية (181)، إعداد: مركز الأبحاث العقائدية.
- التعليق على قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام، مؤسسة النشر الإسلامي، ط2، 1413هـ.
- مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412هـ.
- مبادئ الوصول على علم، إخراج وتعليق وتحقيق: عبد الحسين محمد علي البقال، مكتب الاعلام الإسلامي، طهران، 1404هـ.
- تذكرة الفقهاء، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث. قم، ط1، محرم 1414هـ.
- 15. (فؤاد إبراهيم) (معاصر):
- الفقيه والدولة الفكر السياسي الشيعي، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م.
- 16. بحر العلوم (السيد محمد المهدي الطباطبائي: 1212هـ):
- الفوائد الرجالية. تحقيق: محمد صادق بحر العلوم وحسين بحر العلوم، مكتبة الصادق، طهران، ط1، 1363هـ.
- 17. ابن القيم (محمد بن أبي بكر):
- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1395هـ- 1975م.
- 18. الفضلي (الدكتور: عبد الهادي):
- دروس في أصول فقه الإمامية، مؤسسة أم القرى للنشر والتوزيع، ط1، 1420هـ.
- 19. المواقع الإلكترونية:

1. <http://www.alsadrain.com>
2. <https://www.aqaed.com/muhammad/bio.html>
3. <http://www.aljazeera.net>

المقاربة المنهجية مدخل لتحقيق مقصد الوظيفية في تدريس العلوم الشرعية

- د. خالد البورقادي¹

تقديم

تأسس العلوم الشرعية على المعرفة الشرعية التي تمتح من الوحيين قرآنًا وسنةً، في سيرورة الاجتهاد، وإعمال النظر والعقل الذي دعا إليه الشرع. ولقد جاء على هذه العلوم حين من الدهر صار الدرس الشرعي بالجامعة يعاني من إشكالات عدة، أثرت على مخرجاته، وعلى علاقته بالمجتمع.

ولعل أبرز هذه الإشكالات: غياب البعد الوظيفي في تدريس هذه العلوم؛ إذ صارت العملية التدريسية بالجامعة متمركزة أحياناً حول المعرفة، دون استحضار مقاصد التدريس، وغايات العلم، وعلاقة العلوم فيما بينها، وتداخلها، ووظائفها، وعلاقتها بالفرد المسلم، وبالمجتمع، ودورها في تشكيل سلوك المسلمين، ومنهج فكرهم. إشكالية البحث: إن السمة البارزة لمنهج تدريس العلوم الشرعية بالجامعة هو الاضطراب الحاصل في عملية التدريس التي من المفترض أن تنطلق من رؤية منهجية دقيقة. فالملاحظ تباين كبير في مخرجات الدرس الشرعي الجامعي بين الجيد والضعيف.

واختلاف كفايات الخريجين؛ وضعف استثمار ما تمّ تحصيله في واقع الناس، توجيهاً، وتأطيراً، واستنباطاً للأحكام الشرعية، واجتهاداً في النوازل والمستجدات. كل ذلك يسائل المقاربة المعتمدة لتحقيق مقصد الوظيفية في تدريس العلوم الشرعية.

¹ خبير تربوي، باحث في مناهج تدريس العلوم الشرعية-المغرب

- فما هي سمات المقاربة المنهجية الكفيلة بتحقيق مقصد الوظيفة في تدريس العلوم الشرعية بالجامعة؟

يتفرع عن هذا الإشكال المركزي الأسئلة التالية:

- ما المقصود بالوظيفية في تدريس العلوم الشرعية؟
- ما مدى حضور مبدأ الوظيفة في الفكر التربوي الإسلامي؟
- ما أهم أسس المقاربة المنهجية المقترحة، وما هي عناصرها؟
- كيف تسهم المقاربة المنهجية في تحقيق مبدأ الوظيفة في تدريس العلوم الشرعية بالجامعة؟

الأهداف العلمية للبحث: تروم هذه الدراسة تحقيق الأهداف العلمية الآتية:

- تعرف مبدأ الوظيفة وحضوره في التراث التربوي الإسلامي؛
 - إدراك أهمية المقاربة المنهجية في تحقيق مقصد الوظيفة في تدريس العلوم الشرعية بالجامعة؛
 - الكشف عن أهم أسس وعناصر المقاربة المنهجية وعلاقتها بمقصد الوظيفة.
- انطلاقاً من الأهداف العلمية المذكورة آنفاً؛ فإنّ خطة البحث المقترحة جاءت كالآتي:
- خطة البحث: لتحقيق أهداف البحث، والإجابة عن إشكالاته؛ انتظمت عناصر خطته كالآتي:

مقدمة؛

المبحث الأول: مبدأ الوظيفة في تدريس العلوم الشرعية: نظرة على التراث التربوي الإسلامي؛

المبحث الثاني: المقاربة المنهجية لتحقيق مقصد الوظيفة في تدريس العلوم الشرعية: أسسها، وعناصرها.

خاتمة: نتائج البحث وامتداداته.

المنهج المعتمد في البحث: وصفي تحليلي-استقرائي.

الكلمات المفتاح: الوظيفية- المقاربة المنهجية- تدريس العلوم الشرعية.

المبحث الأول:

مبدأ الوظيفية في تدريس العلوم الشرعية: نظرة على التراث التربوي الإسلامي

المطلب الأول: في مفهوم الوظيفية

1- تداول المفهوم في اللغة:

يعود أصل الكلمة إلى فعل "وظف"، ومن دلالات الفعل في اللغة نذكر: ما جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت395هـ): "وظف: الواو والطاء والفاء: كلمة تدلّ على تقدير شيء. يقال: وظّفْتُ له، إذا قدرت له كلّ حين شيئاً من رزق أو طعام. ثم استعير ذلك في عظم الساق، كأنه شيء مقدر، وهو ما فوق الرسغ من قائمة الدابة إلى الساق. ويقال: مرَّ يَظْفُهُم، أي يتبعهم كأنه يجعل وظيفه بإزاء أوظفتهم".¹

وجاء في لسان العرب لابن منظور (ت711هـ): "الوظيفة من كل شيء: ما يقدر له في كل يوم رزق أو طعام، أو علف أو شراب. وجمعها الوظائف والوظف".²

فأهم دلالات الفعل هنا هو: التقدير، والتعيين، والتحديد على سبيل الإلزام.

وجاء مصطلح التوظيف مصدرًا للفعل "وظفَ" بمعنى الإلزام: "وظف الشيء على نفسه ووظفه توظيفاً، ألزمه إياه. وقد وظفت له توظيفاً على الصبي كل يوم حفظ

¹ معجم مقاييس اللغة، 6/122.

² لسان العرب، ص 4869.

آيات من كتاب الله عزَّجَل¹.

والناظر في المعاجم الحديثة، ويرصد تداول كلمة "الوظيفة" يجدها بهذه المعاني:
الإلزام بمقدار معين، والتحديد الزمني، والتعيين. وتلك هي دلالات الوظيفة la fonction.
وقال الأصمعي (ت216هـ): "جاءت الإبل على وَظِيفٍ واحد إذا تبع بعضها بعضاً
كأنه قطار، كل بغير رأسه عند ذنب صاحبه.
وجاء يَظْفُه أي يتبعه (عن ابن الأعرابي) ويقال: وظف فلان فلاناً يظفنه وظفاً إذا
تبعه، مأخوذ من الوظف"². بمعنى تحديد الأدوار، وما يجب القيام به، والتنظيم
والتتابع المواكبة والاستمرارية.

جاء في المعجم الوسيط: "الوظيفة: ما يقدر من عمل أو طعام أو رزق وغير ذلك في
زمن معين. ويقال: الدنيا وظائف ووظف: أي نُوبٌ ودُولٌ"³.
نجد في العصر الحديث أنّ لكل شخص دوراً ووظيفة معينة يقوم بها، وأهداف يشتغل
على تحقيقها، وهذا التوسع في استعمال مفهوم الوظيفة والوظيفية؛ جعلها أيضاً صفة
لكثير من العلوم الحديثة، خاصة ما تلقى بالوظائف والمقاصد.
فالوظيفية تحيل في دلالاتها على المقصدية والهدف والبعد التطبيقي الوظيفي للشيء
علماً كان أو غيره.

2- تداول المفهوم في الاصطلاح:

جاء في المعجم الموسوعي لعلوم التربية: "وظيفي fonctionnel: يرتبط الوظيفي
بالوظيفة، وهناك اتجاه في علم النفس يدعى "علم النفس الوظيفي"، وهو عبارة عن

¹ المرجع نفسه، ص 4869.

² المرجع نفسه، ص 4869.

³ المعجم الوسيط، ص 1042.

مقاربة منهجية للأنشطة الذهنية. (٠٠٠)، وتعتبر التربية الحديثة تربية وظيفية، بمعنى أنها لم تعد تعتبر الذكاء كياناً، وإنما هو أداة في خدمة الطفل، يمكن أن يشغله إذا تمت استثارة اهتماماته وحركت دوافعه.

لأننا نستطيع تعليم الطفل وتنمية مختلف استعداداته الطبيعية على أفضل وجه؛ إذا أسسنا مناهجنا التربوية والتعليمية على استعداداته الطبيعية وحاجاته".¹

وجاء في المعجم الفلسفي: "وظيفي fonctionnel: خاص بما يؤديه العضو أو الجهاز العضوي من عمل".²

فعلى الرغم من أنّ هذا المفهوم نجده في حقل البيولوجيا خاصة؛ حيث علم وظائف الأعضاء، والفيزيولوجيا، والإشارة إلى العمليات العضوية التي تحدث في الكائنات الحية كالهضم، والتمثيل، والتنفس وغيرها؛ فقد رحل المفهوم إلى علم النفس، وعلوم التربية، والعلوم الإنسانية بكل عام. ففي المعجم الفلسفي لجميل صليبا نجد: "الوظيفي fonctionnel: المنسوب إلى الوظيفة، تقول: علم النفس الوظيفي؛ وهو الذي يبحث في العمليات الذهنية من جهة ما هي وسائل لغايات معينة، والتربية الوظيفية هي التي تجعل ممارسة الوظيفة ضرورية لتنميتها. والوظيفية fonctionnalisme إحدى نظريات علم الجمال، وهي القول أنّ جمال الأثر الفني يرجع إلى منفعته".³

وتطور المفهوم، ووجد له مكاناً في بنيات العديد من العلوم الإنسانية والطبيعية؛ فأصبحت الوظيفية منهجاً يكثر عنه الحديث في الأوساط العلمية، وصار المنهج الوظيفي أحد الاتجاهات النظرية في العلوم الإنسانية، يهتم أساساً بمقاربة الظواهر انطلاقاً من التركيز على وظائفها لا على تاريخها وتطورها، ظهر كردّ فعل للمنهج

¹ المعجم الموسوعي لعلوم التربية، ص 269.

² المعجم الفلسفي، ص 686.

³ المرجع نفسه، 582/2.

التطوري، واقرن أصلاً بدراسة الثقافات في واقعها وزمنها المعيش انطلاقاً من كون أن العلم لا يهتم بتاريخ الظاهرة التي يبحثها، ولكنه بالأساس يركز على الكشف عن العلاقات القائمة بين عناصر تلك الظاهرة ككل وعلاقتها بغيرها من الظواهر الأخرى. انطلاقاً من التعاريف اللغوية والاصطلاحية لمفهوم الوظيفة والوظيفية؛ أخلص إلى الآتي:

- وظيفة العلوم معتبرة بما تقدمه من خدمات، وما تحققه من ثمار، وما تهدف إليه من مقاصد، وما تنجزه من أعمال ومنافع.
- مفهوم الوظيفية يحيل على اكتشاف أنواع العلاقات بين العلوم، وأن الواحد منها يخدم الآخر، فمنها علوم المقاصد، ومنها علوم الوسائل، أو أن مبادئ العلم الواحد ومسائله لها وظائف معينة تؤديها. قد تكون معرفية؛ فيتداخل البعد المعرفي "الإبستمولوجي" مع البعد الوظيفي، أو منهجية؛ فتشكل جسراً منهجياً يربط بين البعد النظري، والجانب التطبيقي العملي.

بعد هذا التمهيد المفهومي لتداول مصطلح الوظيفية، وسيرورته التاريخية، ودلالاته اللغوية؛ نبث في حضور هذا المبدأ في التراث الإسلامي، ومدى إعماله في تاريخ العلوم الشرعية، مستعرضين بعض النماذج من ذلك.

المطلب الثاني: الوظيفية في العلوم الشرعية

- لا شك أنه لفهم "الوظيفية" في العلوم الشرعية لا بد أن نتذكر سياق النشأة، ومقاصد الظهور. فالعلوم الشرعية: "مجموعة من المبادئ، والمسائل التي وضعها العلماء لخدمة القرآن العظيم، والسنة النبوية المطهرة في مجال: العقيدة، والشريعة، والأخلاق".¹
- فالمعرفة الشرعية تنتمي لحقل العلوم الإسلامية؛ التي تسمى العلوم الدينية؛ أو العلوم الشرعية؛ تمييزاً لها عن غيرها من العلوم التي تتناول بالدراسة مظاهر الحياة

¹ انظر: مدخل إلى العلوم الشرعية لسعيد حلم

- ومكوناتها المادية؛ هي تلك العلوم التي تدرس مسائل الشرع وأحكامه في مختلف جوانب الحياة وتسعى إلى تحقيق الفهم الصحيح للشرع والعمل الصحيح بأحكامه.
- وقد سُميت بالعلوم الإسلامية باعتبارها مرتبطة بالإسلام دون غيره؛ منهجاً وغاية ومصادر.
- وسُميت بالعلوم الشرعية لأن مدارها حول الشريعة في مصدرها وأدلتها ومداركها.
- كما سُميت بالعلوم الدينية أو علوم الدين لأنها تدور حول الخطاب أو النص الديني؛ من كتاب أو سنة في جميع موضوعاتها وتفصيلاتها.

أ- الوظيفة في تصنيف العلوم:

العلوم الشرعية بطبيعتها المعرفية مرتبطة بالشرع قرآناً وسنة، نشأت لخدمة الوحيين (النص الشرعي) وما نتج عن ذلك من علوم مرتبطة بالوحي، وأخرى لها. وفي هذا الصدد يحضر مبدأ الوظيفة بقوة في تصنيف العلوم الشرعية، ونرى بعض علمائها يتعاطى مع التصنيف وفق هذا المبدأ.

فوجد ابن عبد البر (ت463هـ) قسم العلوم إلى ثلاثة أقسام. يقول: "العلوم عند جميع أهل الديانات ثلاثة: فالعلم الأسفل هو: تدريب الجوارح في الأعمال والطاعات، كالفرسية والسياسة والخياطة، وما أشبه ذلك (....)؛

والعلم الأعلى عندهم علم الدين الذي لا يجوز لأحد الكلام بغير ما أنزل الله في كتبه وعلى السنة أنبيائه - صلوات الله عليهم أجمعين - نصاً ومعنى. (....).

قال أبو عمر: من الواجب على من لا يعرف اللسان الذي نزل به القرآن؛ وهي لغة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأخذ من علم ذلك ما يكتفي به ولا يستغني عنه حتى يعرف تصارييف القول ونحوه وظاهره ومعناه، وذلك قريب على من أحبَّ علمه وتعلمه، وهو عون له على علم الدين الذي أرفع العلوم وأعلاها. به يطاع الله ويعبد، ويشكر ويمجد؛

فمن علم من القرآن ما به الحاجة إليه، وعرف من السنة ما يعول عليه، ووقف من مذاهب الفقهاء على ما نزعوا به وانتزعوه من كلام ربهم وسنة نبيهم، حصل على علم الديانة، وكان على أمة نبيه مؤتمناً حق الأمانة إذا أبقي الله فيما علمه ولم تمل به دنيا شهوته، أو هوى يريده، فهذا عندنا العلم الأعلى الذي نحظى به في الآخرة والأولى.

والعلم الأوسط هو: معرفة علوم الدنيا التي يكون معرفة الشيء منها بمعرفة نظيره، ويستدل عليه بجنسه ونوعه، كعلم الطب والهندسة¹.

فالعلوم عند الحافظ ابن عبد البر ثلاثة أقسام، أعلاها هي: العلوم الشرعية؛ التي اكتسبت مكاتها وفضلها من الشرع، ونالت هذه الرفعة بحسب المنافع الدنيوية والأخروية. فما ارتبط بفهم القرآن والسنة من العلوم المنتجة للعمل؛ هي المقصودة أصالة، وغيرها من العلوم الأخرى مطلوبة ليس لذاتها؛ بل لما تقدمه من وظائف معينة على فهم المقصود الشرعي، كعلوم اللغة أو ما سماه بعلوم اللسان. لذلك نجد مبدأ الوظيفة حاضراً في هذا التصنيف؛ فالعلوم الشرعية معتبرة بما تقدمه من وظائف دنيوية وأخروية، وفي مقدمة ذلك الفقه الذي مناطه على أفعال المكلفين وضبطها وفق مراد الشرع ومقاصده.

ونجد تقريباً نفس المبدأ حاضراً في تصنيف ابن حزم (ت456هـ)، إنه مبدأ الوظيفة في التصنيف، واعتبار قاعدة النفع في الدنيا والآخرة، وتأسيس العلوم الشرعية على العمل المؤدي للنفع في الدارين، وعلى الوظائف التي تؤديها هذه العلوم. يقول ابن حزم: "ليس للبر إلا داران: دار الدنيا، ودار معاده إذا فارق الدنيا. ويقتنن ندري أن مدة المقام في هذه الدار إنما هي أيام قلائل. وإجهاد المرء نفسه فيما لا ينتفع به إلا في هذه الدار من العلوم رأي فائل، وسعي خاسر؛ لأنّ المنتفع به في هذه الدار من العلوم إنما هو ما اكتسب به المال، أو ما حفظت به صحة الجسم فقط، فهما وجهان لا ثالث لهما. فأما العلوم التي يكتسب بها المال؛ فإن وجه الكسب بها ضيق غير متسع، واكتساب المال

¹ جامع بيان العلم وفضله، 788/2-789.

بغير العلم أجدى وأشدّ توصلاً إلى المراد من التوسع في العلم لكسب المال، كصحبة السلطان وعمارة الأرض والتقلب في التجارات".¹ وبعد نقاش مستفيض لمنافع العلوم حسب أنواعها؛ يخلص إلى النتيجة التالية: "إذا الأمر كما ذكرنا؛ فأفضل العلوم ما أدى إلى الخلاص في دار الخلود، ووصل إلى الفوز في دار البقاء".²

إنّ الموجه في هذا التصنيف في العلوم الشرعية هو اعتبار مآل الاشتغال بها، والحرص على البعد العملي الوظيفي.

ومن أبدع في تصنيف العلوم الشرعية (الإسلامية) ببعد وظيفي الإمام الحسن اليوسي (ت1102هـ)، فقسم العلوم الإسلامية إلى ثلاثة أقسام:

- المقصود لذاته: أصول الدين وفروعه: الفقه، وعلم المواريث، والتصوف...
 - علوم الوسيلة: التفسير، الحديث، الحساب، علم التوقيت.
 - علم وسيلة الوسيلة: القراءات، والرسم، وعلم العربية، وعلم المنطق...
- يقول -رَحِمَهُ اللهُ-: "أما العلوم الإسلامية فنّها المقصود لذاته، وهو أصول الدين وفروعه، وهي: الفقه، ومنه علم المواريث، والتصوف. ومنه الوسيلة: كعلم التفسير، وعلم الحديث، وكعلم الحساب وعلم التوقيت من علوم الأوائل. ومنه وسيلة الوسيلة؛ كعلم القراءات، وعلم الرسم، وعلم العربية بأنواعه، وعلم المنطق ونحوه، وهي كلها على العموم إسلامية، بمعنى أنها تتعاطى في ملة الإسلام، أو أنها ينتفع بها في دين الإسلام، إما مباشرة أو بواسطة، وهي أيضاً شرعية كذلك، والمشهور إطلاق الشرعية على المقصود لذاته وما قرب منه".³

فانظر إلى إبداع اليوسي في تصنيف العلوم الإسلامية، وكيف وسع دائرتها، متجاوزاً وهم الصراع بين العلوم الدينية والكونية، وأدخل علوماً عديدة خادمة للمقصد العام

¹ رسائل ابن حزم، رسالة مراتب العلوم، 63/4.

² المرجع نفسه، 64/4.

³ القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم، ص 167-168.

للعلوم الشرعية؛ محققاً بذلك مبدأ التكامل بين العلوم، متجاوزاً مسألة التفاضل بينها انطلاقاً من مبدأ الوظيفية.

ب- الوظيفية في الاشتغال بالعلم الشرعي تعلُّماً وتعليماً:

إنّ التراث التربوي الإسلامي زاخر بنصوص العلماء التي تنضجُ بتبيان البُعد الوظيفي للاشتغال بهذه العلوم، سواء كانت علوم مقاصد أم علوم وسائل.

إنّ العلوم الشرعية من أكثر العلوم ارتباطاً بالغائية والمقصدية؛ لارتباطها بالدين الإسلامي. ومن أهم مقاصدها:

- "أن تحقق الهداية والصلة بالله تعالى،

- أن تخرج الإنسان المستخلف الرسول،

- أن تبني مجتمعتها وحضارتها وتسهم في إعمار الكون من حولها".¹

فسياق نشأة هذه العلوم يدلّ على أنها "نشأت على محامل الضرورات الشديدة في طلب غايات الإنسان الوجودية، وخدمة قضاياها الحياتية؛ أي أنّ لها تمثلات يعيشها الاجتماع البشري، وتكونت عبر تاريخها المعرفي وهي تحمل في داخلها عوامل استمرارها وقوة بقاءها، ويبدو ذلك في تفتق علوم أخرى خادمة لبقائها واستمرارها، وتلك مسألة لها أهميتها الخاصة في التكامل العلمي والمعرفي "الإبستمولوجي" للعلوم الإسلامية".²

ولقد كانت هذه الرؤية واضحةً في مناهج تفكير علمائها؛ فأدركوا القصد والغاية من تعلم وتعليم العلوم الشرعية، فانعكست على أعمال مبدأ الوظيفية في التعاطي الإبستمولوجي والمنهجي مع هذه العلوم. فكان الحديث عن مقاصد العلم موجهاً للاشتغال بها.

¹ الثقافة والعولمة وقضايا إصلاح الفكر والتجديد في العلوم الإسلامية، ص 72.

² نشأة العلوم الإسلامية وتطورها: تأسيس علم مقاصد الشريعة أنموذجاً، الحسان شهيد، دراسة منشورة بمجلة إسلامية المعرفة: السنة السابعة عشرة، العدد 65، صيف 1432هـ/2011م، ص 13.

ونقف هنا على بعض النماذج والنصوص بما يسمح به الحيزُ المخصص لهذه الورقة؛ حتى يتضح البعد الوظيفي أكثر في تعلم وتعليم العلوم الشرعية.

إذ كل علم لا بد له من مقاصد يهدف إليها، وبمعرفتها وتحديداتها، والسعي إليها؛ يتحقق "مبدأ الوظيفية"، وإذا غابت هذه الأهداف، ولم يعرف الطالب وظائف العلم ولا مقاصده؛ فلا حديث عن أي بعد وظيفي. يقول الإمام أبو حامد الغزالي (ت505هـ) متحدثاً عن تصنيف كتابه "المستصفى من علم الأصول": "صَنَّفْتُه، وأُتِيتُ فيه بترتيب لطيف عجيب، يُطلع الناظرَ في أول وهلة على جميع مقاصد هذا العلم، ويفيده الاحتواء على جميع مسارج النظر فيه. فكل علم لا يستولي الطالب على مجامعه ولا مبانيه، فلا مطمع له في الظفر بأسراره ومبانيه".¹

إنّ هذه الجملة المختصرة من طرف الإمام الغزالي تلخص أهمية اعتماد المقاربة المنهجية في تدريس العلوم الشرعية؛ فهو يوضح دواعي التأليف أولاً، وأنه هذا المصنف جاء استجابة لطلب ملح من الطلبة "محصيلي علم الفقه". ثم بين أهمية تبيان مقاصد العلم والغرض من تدريسه؛ تيسيراً على الطالب استيعاب البنية العامة، والمقاصد الكبرى له. وتلك هي أولى القواعد الكبرى للمنهج الجامعي في الأدبيات التربوية الحديثة.

ولحجة الإسلام حديث مستفيض عن تقسيم العلوم، وتصنيفها، وبيان أوجه منفعتها يرجع إليها في مظانها؛ من مؤلفاته النفيسة. ومما أورده في أنّ العلم معتبر بما يحققه من المنافع على اختلافها؛ قوله: "العلم لا يذم لعينه، وإنما يذم في حق العباد لأسباب ثلاثة:

- الأول: أن يكون مؤدياً إلى ضرر ما، إما لصاحبه أو لغيره، كما يذم علم السحر والطلسمات؛

- الثاني: أن يكون مضرّاً بصاحبه في غالب الأمر كعلم النجوم؛

¹ المستصفى من علم الأصول، ص 10-11.

- السبب الثالث: الخوض في علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم؛ فهو مذموم في حقه، كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها، وخفيها قبل جليها، وكالبحث عن الأسرار الإلهية، إذ يتطلع الفلاسفة والمتكلمون إليها ولم يستقلوها بها".¹

إنّ مقصد الوظيفية حاضر في منهج الإمام الغزالي، وهو الذي خبر التدريس بالمدرسة النظامية وغيرها، والتأليف؛ حيث ألف العديد من المؤلفات لمقاصد بيداغوجية، وأخرى معرفية، وكتب في تجديد العلوم الدينية جملة مشروعه الضخم: "إحياء علوم الدين" وفق رؤية بديعة، وهندسة تجديدية رائعة.

فالعلوم تُطلب بحسب نفعها، وثمرتها، وأولوياتها. وفي السبب الثالث لمحات منهجية من خلال الأمثلة التي قدّمها:

☞ تعلم الأمور الدقيقة في العلم قبل الجليلة والعامّة؛

☞ تعلم الأمور الخفية قبل الظاهرة؛

☞ البحث عن الأسرار الإلهية مما ليست مناطا للتكليف، وقد لا يترتب عليها عمل.

إنّ التمثيل بهذه الأمثلة يدلّ على عمق نظر الإمام الغزالي في كيفية تعلم مبادئ العلوم، وما ينبغي أن يقدم أو يؤخر، وما معايير تريب المعرفة التي ينبغي للطلاب تعلمها. وذلك هو ما تشغل عليه المناهج الجامعية في العصر الحاضر. فتدريس العلوم ينبغي أن يخضع لمنطق منهجي علمي في اختيار المادة المعرفية، وترتيبها، ومراعاة مدى تحقق نفعها للطلاب، والبدء بالأولى فالأولى من مسائل العلم، والانطلاق من كلياته وصولاً إلى جزئياته ودقائقه.

وفي هذا السياق يؤكد الإمام الماوردي (ت450هـ) هذه اللّمة المنهجية فيقول: "اعلم أنّ للعلوم أوائلَ تؤدي إلى أواخرها؛ ومداخل تُفضي إلى حقائقها. فليبتدئ

¹ إحياء علوم الدين، 92/1-95.

طالبُ العلم بأوائها لينتهي إلى أواخرها، وبمداخلها ليفضي إلى حقائقها. ولا يطلب الآخر قبل الأول، ولا الحقيقة قبل المدخل؛ فلا يدرك الآخر، ولا يعرف الحقيقة، لأنَّ البناء من غير أُسٍّ لا يُبنى، والثمر من غير غرس لا يُجنى¹. فها هنا نلاحظ الحديث عن طرق اكتساب العلم ومفاهيمه؛ والمنهج السليم في التحصيل العلمي؛ والعلاقة بين الحقائق والمداخل والمفاهيم. ويعلّل الماوردي ذلك فيقول: "لأنَّ بعض العلم مرتبط ببعض، ولكل باب منه تعلق بما قبله، فلا تقوم الأواخر إلا بأوائها"². ونفس المعنى يؤكده القاضي أبو بكر ابن العربي (ت543هـ) حين يقول: "خصّ الشجرة بالبركة؛ لأنَّ العلم يدعو بعضه إلى بعض، ويدلّ معنى منه على معنى، والبركة هي النماء والزيادة"³.

وهذا يدلّ على استحضار علمائنا للبعد الوظيفي بقوة أثناء حديثهم عن تعلم العلوم الشرعية وتعليمها، بل إنّ هذه القواعد المنهجية يمكن تعميمها على جميع الحقول المعرفية؛ لأنها قواعد تنظّم مناهج التدريس بشكل عام، وتوصلوا إليها نتيجة ممارسة التدريس، والتصنيف، وقبل ذلك ناتجة عن تأمل ونظر وتفكير في العلوم وطبيعتها الإستمولوجية، ووظائفها، وعلاقتها البيئية: داخلياً وخارجياً: داخلياً: من حيث بنية العلم، والعلاقة بين قضاياها ومسائله، وخارجياً في إطار التكامل المعرفي بين العلوم، أو ما عبّر عنه علماءنا بالاستمداد والإمداد ضمن المبادئ العشرة للعلوم.

وفي هذا السياق- سياق القصد الوظيفي في العلوم الشرعية- أطال الإمام الشاطبي (ت790هـ) النَّفس في تحديد المقصود بالعلم أصالة، والتبع، وجعل مناط ذلك تحقيق النفع في الدنيا والآخرة، وذلك بما ينتجه من عمل نافع.

¹ أدب الدنيا والدين، ص 71.

² المرجع نفسه، ص 54.

³ قانون التأويل، ص 149.

يقول في هذا الصدد في المقدمة السابعة: "كل علم شرعي، فطلب الشارع له إنما يكون من حيث هو وسيلة إلى التعبد لله تعالى، لا من جهة أخرى؛ فإن ظهر فيه اعتبار جهة أخرى؛ فالتبع والقصد الثاني، لا بالقصد الأول".¹

ثم ساق عدة أدلة على ما ذهب إليه وفق منهجه الاستقرائي المتبع في الموافقات، بل يفترض رأي المخالف ويسوقه، ويحجب عن مختلف اعتراضاته في منهجية بديعة. وأخلص بعضها على شكل قواعد كالآتي:

- كل علم لا يفيد عملاً فليس في الشرع ما يدل على استحسانه؛
 - الشرع جاء بالتعبد وهو المقصود من بعثة الأنبياء؛
 - ما جاء من الأدلة الدالة على أن روح العلم هو العمل، وإلا فالعلم عارية؛
 - كل علم شرعي، ليس بمطلوب إلا من جهة ما يتوسل به إليه، وهو العمل.²
- ويؤكد في المقدمة الثامنة من الموافقات مفهوم العلم المعتبر شرعاً فيقول: "العلم الذي هو معتبر شرعاً- أعني الذي مدح الله ورسوله أهله على الإطلاق هو العلم الباعث على العمل، الذي لا يخلي صاحبه جاريًا مع هواه كيف كان، بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه، الحامل له على قوانينه، طوعاً أو كرهاً".³

وفي المقدمة الخامسة ناقش بتفصيل مقاصد العلوم، وبين ما يتعلق به عمل من العلوم. وأصل لذلك بأمثلة من القرآن والسنة وفق منهجه الاستقرائي الذي سلكه في كتابه. يقول -رَحِمَهُ اللهُ-: "كل مسألة لا ينبغي عليها عمل؛ فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي، وأعني بالعمل، عمل القلب وعمل الجوارح: من حيث هو مطلوب شرعاً.

¹ كتاب الموافقات، 104/2.

² ينظر تفاصيل هذه القواعد بأدلتها في المقدمة السابعة من الموافقات.

³ كتاب الموافقات، 123/2.

والدليل على ذلك استقراء الشريعة؛ فإننا رأينا الشارع يعرض عما لا يفيد عملاً مكلفاً به؛ ففي القرآن الكريم:

"يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ" (١٨٩).

[سورة البقرة: 189].

فوقع الجواب بما يتعلق به العمل؛ إعراضاً عما قصده السائل من السؤال عن الهلال: لم يبدو صغيراً في أول الشهر رقيقاً كالخيط، ثم يمتلئ حتى يصير بدرًا، ثم يعود إلى حالته الأولى".¹

وفي حديثه عن المادة المعرفية للعلم: القضايا، والمباحث، والمسائل، والمبادئ؛ (بمعنى المحتوى المعرفي للعلوم الشرعية)؛ نجده يقسمها وفق نظرتة المقاصدية إلى معرفة صلبية؛ تشكل صلب العلم، وأخرى ملحية؛ تشكل جانبه التحسيني التكميلي، وثالثة عارية لا هي من الصلب ولا من الملح. يقول في المقدمة التاسعة: "من العلم ما هو من صلب العلم، ومنه ما هو من ملح العلم لا من صلبه، ومنه ما ليس من صلبه ولا ملح".²

إنّ هذه الرؤية الشاطبية تشكل أسس المقاربة المنهجية لبناء مناهج لتدريس العلوم الشرعية، وهذا ما تؤكد عليه أحدث المناهج المعاصرة، وتؤكد على وظيفية المعرفة. ويقول الشيخ مولود السريري- من المعاصرين-: "فن يدفع بالقول المعرفي دون معرفة الغاية من درك مضمونه، أو ما أسسها التي قام عليها؛ لا يبلغ المراد من ذلك القول على الوجه المطلوب".³

فتحقيق المقاصد من تدريس المعرفة الشرعية؛ رهين بإدراك المقاصد والغايات منها؛

¹ المرجع نفسه، 70-69/2.

² المرجع نفسه، 142/2.

³ رسائل في فنون مختلفة (الرسالة الثامنة والعشرون في التدريس)، ص 181.

لأن إدراك الغاية، وفهم المقصد الحقيقي يسهل مسالك بناء هذه المعرفة، ويظهر وظيفتها؛ فيقبل عليها الطلاب بوعي، وشغف، ومحبة.

لذلك لا بد من تحديد الأهداف من تدريس العلوم الشرعية بدرجة أولى، ثم تنظيم المعرفة الشرعية وفق هذه الأهداف، والنظر في منافع هذه العلوم في الحال والمآل.

إنّ الوظيفية في العلوم الشرعية تعلماً وتعليماً كانت مبدأ حاضراً في التفكير التربوي عند علمائنا، لأنّ أغلب هذه العلوم "نشأت في نسق علمي وظيفي في مواقع الوجود بعيداً عن التجريد والنظر، كعلوم الفقه، واللغة، والعقيدة، والتفسير، والحديث؛ أي إنها علوم استصحبت بنيتها مع تفاعلات الإنسان والكون".¹

إنّ المعرفة الشرعية معرفة وظيفية، تخدم بناء القيم، والسلوكات عند طلبة العلم الشرعي، وتمكنهم من الإسهام في حلّ مختلف الوضعيات الحياتية التي تواجه المكلف في الحياة الدنيا، ويحتاج قواعد هذه العلوم الشرعية للسلوك الحياتي، ومعرفة مسالك تنزيل توجيهات الوحي الرباني على أرض الواقع؛ فهي ليست معرفة تجريدية، تروم الترف الفكري؛ بل معرفة وظيفية بانية، نافع تحقق فعالية الطالب، ونجاعة أدائه في المجتمع الذي يتواجد فيه.

المبحث الثاني:

المقاربة المنهجية لتحقيق مقصد الوظيفية في تدريس العلوم الشرعية: أسسها، وعناصرها.

المطلب الأول: أزمة مناهج العلوم الشرعية في العصر الحاضر

في ظل الصدمة الحضارية التي أصابت الأمة الإسلامية ما بعد الفترة الاستعمارية، جعلت العديد من أبناء الأمة ينظرون نظرة دونية للعلوم الشرعية؛ مما دفعهم للتحامل عليها، واتهامها بالتخلف وعدم مسايرة الركب، من طرف حاملي لواء العلمنة والتغريب في البلدان الإسلامية. نظرة تحاملية تأسست على جهل كبير بماهية العلوم

¹ نشأة العلوم الإسلامية وتطورها: تأسيس علم مقاصد الشريعة أنموذجاً، ص 14.

الشرعية، وحقيقتها، ووظائفها بالنسبة للمسلمين. ويستدل البعض منهم على أنها أصبحت موثلاً للكسالى، وملجأ للضعفاء من الطلبة.

وبالمقابل لا ينكر المنصف الحاجة الماسة إلى تجديد مناهج العلوم الشرعية للنهوض بوظائفها الأساسية في البناء، وتوجيه الفرد والمجتمع نحو عمارة الأرض بالصلاح والإصلاح؛ إذ هي العلوم المتأسسة على الوحيين قرآناً وسنة، الطامحة لإعداد الطالب المسلم للحياة الدنيا والآخرة، تأسيساً على المفهوم الحقيقي لوظيفية العلوم الشرعية.

إنّ نسبة معتبرة من مخرجات مناهج العلوم الشرعية الحالية تدل على ضعف استيعاب الطالب لأصول هذه العلوم ومبادئها؛ مما يؤثر سلباً على تفاعله مع مختلف التطورات والتغيرات المعاصرة المتسارعة؛ مما يزيد في تعميق الهوة بين العلوم الشرعية والواقع. يقول الدكتور عمر عبيد حسنة واصفاً واقع مناهج التربية والتعليم بالبلدان الإسلامية، وما تعيشه العلوم الإسلامية: "الذي نقوله بأدنى تردد: إنّ هذه الحالة الثقافية¹ والوسائل والطرائق والمناهج التعليمية والتربوية طالما أنها لم تستطع أن تحلّ المعادلة الصعبة، وتعالج العلل، وتغير الحالة الثقافية، التي عليها الأمة، وتغير ما بالأنفس، فهي حالة فاشلة، ومؤسسات فاشلة، أو على الأقل عاطلة عن العمل والفاعلية".²

إنّ أحد أهم تجليات هذه الأزمة هو ضعف الوظيفية في تدريس العلوم الشرعية في التعليم الجامعي في أغلب الأحيان، والدراسات الميدانية في الموضوع تؤكد هذا الأمر،³ لذلك نرى أنّ اعتماد المقاربة المنهجية في التعليم الجامعي من شأنه أن يعيد الاعتبار لمبدأ الوظيفية التي نشأت في سياقها العلوم الشرعية، وانصبغت بصبغتها.

¹ تحدث الأستاذ من قبل عن غلبة منهج التلقين والحفظ، والحرص على الأشكال دون النفاذ إلى المضامين.

² مناهج العلوم الإسلامية والمتغيرات العالمية، ص 11.

³ ينظر مثلاً: أطروحة الباحث خالد البورقادي بعنوان: مناهج تدريس أصول الفقه بالتعليم الجامعي، ففيها دراسة ميدانية حول إشكالية البعد الوظيفي في تدريس علم أصول الفقه، وهي إشكالية نابعة من ضعف اعتماد المقاربة المنهجية بأسسها وعناصرها. كما تعززت الدراسة بشق ميداني يرصد مظاهر هذا الإشكال.

المطلب الثاني: المقاربة المنهجية: أسسها وعناصرها، مع مثال من واقع الجامعة المغربية

أ - مفهوم المنهاج

1- المنهاج لغة:

تدور مادة نهج على معنيين مهمين:

- الأول: الوضوح: فن معاني المنهاج في اللغة الطريق الواضحة؛ التي تمكن سالكيها من إِبصار المسار والعوائق المحتملة، وما يتيح الوضوح من إمكانية الرؤية الجيدة والوصول للهدف.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ): "النهج: الطريق العامر وهو المنهاج".¹
وقال الإمام ابن دريد (ت 321هـ): "النهج الطريق الواضح. والجمع نهوج وهو المنهج والجمع مناهج".²

- الثاني: الانبساط: فالطريق المنبسطة تعين على تحقيق البغية والوصول بشكل جيد الطريق وانبساطها، مما يمكن السائر من سلوكها بيسر.

قال ابن فارس (ت 395هـ): " (نَهَجَ) النُّونُ وَالْهَاءُ وَالْجِيمُ أَصْلَانِ مُتَبَايِنَانِ: الْأَوَّلُ النَّهْجُ، الطَّرِيقُ. وَنَهَجَ لِي الْأَمْرُ: أَوْضَحَهُ. وَهُوَ مُسْتَقِيمُ الْمَنَاجِ. وَالْمَنْهَجُ: الطَّرِيقُ أَيْضًا، وَالْجَمْعُ الْمَنَاجِجُ. وَالْآخِرُ الْإِنْقِطَاعُ. وَأَتَانَا فَلَانٌ يَنْهَجُ، إِذَا أَتَى مَبْهُورًا مُنْقَطِعَ النَّفْسِ. وَضَرَبْتُ فَلَانًا حَتَّى أَتْنَهَجَ، أَيَّ سَقَطَ".³

وقد ورد ذكر المنهاج في القرآن الكريم في قوله تعالى: "لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً

¹ غريب الحديث، 278/3.

² جمهرة اللغة، 118/2.

³ مقاييس اللغة، 361/5.

وَمِنْهَا جَاءَ¹، كما وردت الكلمة في قول العباس بن عبد المطلب (ت32هـ): "لم يمت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى ترككم على طريق ناهجة"².

فن معاني المنهاج وضوح الرؤية، وانبساط الطريق الموصلة للأهداف.

وفي الأدبيات التربوية؛ "يرجع مصطلح المنهاج curriculum في الأصل إلى اللغة اللاتينية، ويعني سباقاً في مضمار ما، والذي كان يقام من وقت لآخر في العصور اليونانية والرومانية، ومع مرور الزمن تحول متطلب السباق إلى مقرر دراسي تدريجي. فتم إطلاق كلمة "منهاج" على مقررات الدراسة أو الخطط الخاصة بها."³

ففي الاصطلاح: "المنهاج: خطة شاملة يتم عن طريقها تزويد الطلاب بمجموعة من الفرص التعليمية؛ التي تعمل على تحقيق أهداف عريضة مرتبطة بأهداف خاصة مفصلة، ويجري تحقيقها في معهد علمي معين، تحت إشراف هيئة تعليمية مسؤولة"⁴. وتختلف التعاريف التي تقدمها الأدبيات التربوية للمنهاج باختلاف النظرة إليه، والجانب الذي يتم التركيز عليه في المنهاج. إذ نجد من يعده خطة شاملة، ومنهم من يراه مجموعة من المواد والمضامين، ومنهم من يجعله مجموعة من المدخلات؛ تتداخل وتتفاعل عبر سيرورة من العمليات، لتقدم نتائج ومخرجات.⁵

كما عرّف بالقول: "المنهاج هو: مخطط تربوي يتضمن عناصر مكونة من أهداف ومحتوى، وخبرات تعليمية، وتدرّيس، وتقويم. مشتقة من أسس فلسفية واجتماعية

¹ سورة المائدة: 48.

² المصنف لأبي بكر عبد الرزاق الصنعاني، كتاب المغازي، بدء مرض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. حديث رقم: 10506.

³ موسوعة المصطلحات التربوية، ص 17.

⁴ المرجع نفسه، ص 17.

⁵ تصميم المنهج المدرسي، ص 70-73.

ونفسية ومعرفية، مرتبط بالتعلم ومجتمعه، ومطبقة في مواقف تعليمية تعليمية".¹

المبادئ المتضمنة في المفهوم الجديد للمنهج:

من خلال تعريفات المنهج، يمكن استخلاص مبادئ المنهج التربوي الحديث:

- إنَّ المنهج ليس مقررات دراسية فقط؛ وإنما هو جميع النشاطات التي يقوم الطلبة بها. أو جميع الخبرات التي يمرون بها تحت إشراف الجامعة وبتوجيه منها، إضافة إلى الأهداف، والمحتوى، وطرق التدريس، ووسائل التقويم.
- إنَّ التعليم الجيد يقوم على مساعدة الطلبة على التعلم؛ من خلال توفير الشروط والظروف الملائمة لذلك، وليس من خلال التعليم أو التلقين المباشر.
- إنَّ التعليم الجيد ينبغي أن يهدف إلى مساعدة الطلبة على بلوغ الأهداف التربوية المراد تحقيقها، وأن يرتفع إلى غاية قدراتهم واستعداداتهم، وإلى مستوى توقعاتهم، مع الأخذ بعين الاعتبار ما بينهم من اختلافات وفروق فردية.
- إنَّ القيمة الحقيقية للمعلومات التي يدرسها الطلبة، والمهارات التي يكتسبونها، تتوقف على مدى استخدامها لها، وإفادته منها في المواقف الحياتية المختلفة.
- إنَّ المنهج ينبغي أن يكون متكيفاً مع حاضر الطلبة، مستحضراً لاهتماماتهم، مراعيًا لمختلف فروقاتهم الفردية.
- إنَّ المنهج ينبغي أن يكون مرناً بحيث يتيح للأساتذة القائمين على تنفيذه أن يوفقوا بين أفضل أساليب التعليم وبين خصائص نمو طلبتهم.
- إنَّ المنهج ينبغي أن يراعي ميول الطلبة واتجاهاتهم، واحتياجاتهم، ومشكلاتهم، وقدراتهم، واستعداداتهم، وعلى إحداث تغييرات في سلوكهم في الاتجاه المطلوب، ويمكنهم من اكتساب مهارات وقدرات وكفايات.

¹ المناهج التربوية الحديثة، ص 30.

- إنَّ المنهاج الفعّال "يوفّر خبرات تعليمية متنوعة، ويسعى إلى تحقيق أهداف تربوية مرغوب فيها، ويوجد نوعاً من التفاعل المستمر بين الأساتذة والطلاب (...) فهو يمثل عملية هندسية تربوية تقيم فاعليتها بالمقاييس الكيفية للمدخلات والمخرجات، مع الاهتمام بالتعلم على أنه المادة المدخلة والمتربح خروجها طبقاً لمواصفات أو أهداف معينة".¹

انطلاقاً مما سبق، واستحضاراً للدلالات اللغوية للكلمة؛ وموقع المنهاج في العملية التربوية، أقترحُ التعريف الآتي:

"المنهاج هو وثيقة تحدّد خطة العمل الشاملة تتضمن الأهداف، والمحتويات، والمقاربات، والطرائق، والوسائل المقترحة، وأشكال التقييم.

وترمي إلى تزويد الطلاب بمجموعة من الخبرات والكفايات التي تؤهلهم للاندماج في الحياة".

ب- عناصر المنهاج التربوي

انطلاقاً من التعريف المقترح أعلاه؛ نحدّد العناصر المكونة للمنهاج التربوي الجامعي:

1- أهداف المنهاج:

وهي التي يرمي المنهاج إلى تحقيقها خلال غلاف زمني محدد؛ هو زمن التعليم الجامعي: إما في سلك الإجازة؛ أو في الماجستير، أو في الدكتوراه. ويأتي عنصر الأهداف في المرتبة الأولى لأهميتها في توجيه سيرورة العملية التربوية؛ وتأثيرها في اختيار المضامين المعرفية الملائمة، وأشكال المقاربات وطرق التقييم التي ستعتمد. ويرد الخلل أحياناً على المنهاج الجامعي؛ لما يتم تقديم المحتوى والمضمون المعرفي على الأهداف.

فعلى ضوء الأهداف يتم تحديد المحتوى، والطرائق، وأشكال التقييم، ويتم تقييم

¹ مدخل إلى المنهاج الدراسي المفهوم والأسس، ص 16.

مخرجات المنهج بدلالة الأهداف.

2- المحتوى (المضامين المعرفية):

ويُختار على ضوء الأهداف المسطرة؛ والفئة المستهدفة في تناسب مع زمن التعليم. لذلك يتشترط خبراء المناهج عنصرين:

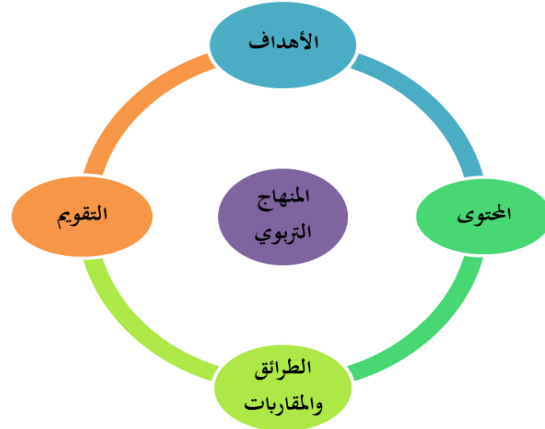
- الملاءمة: ملاءمة المعرفة للأهداف؛ وللعينة المستهدفة من الطلبة؛ وكذا الغلاف الزمني المخصص للتعلم؛

- الوظيفية: والمقصود منها وظيفية المعرفة؛ وسؤال الجدوى في حياة الطلبة العلمية والعملية، وعلاقة كل ذلك بحاجيات الفرد والمجتمع على حد سواء.

3- المقاربات والطرائق: أهداف المنهج والمحتوى المعرفي يوجهان الأستاذ لاختيار ما يناسب من المقاربات وطرق التدريس، من محاضرة؛ وعروض؛ وغيرها.

4 - التقويم: ويتخذ أشكالاً مختلفة في التدريس الجامعي أيضاً؛ من مشاركة الطلبة والعروض، والمراقبة المستمرة، والاختبارات النهائية والإشهادية.

خطاطة تمثل عناصر المنهج التربوي



ج-ملاح المنهاج التربوي بالجامعة المغربية في الدراسات الشرعية

- قراءة في دفتر الضوابط البيداغوجية

في سياق الإصلاح البيداغوجي الذي عرفته الجامعة المغربية؛ مع تجربة (الميثاق الوطني للتربية والتكوين)؛ والحاجات الملحة لإجراء إصلاحات على مختلف الأصعدة داخل الجامعة المغربية: من حيث الهندسة البيداغوجية، والهيكلية المؤسساتية، واختيار نظام التكوين والتعليم بالجامعة، عرفت الجامعة المغربية جملة تغييرات همت البنية البيداغوجية؛ فتم اعتماد نظام LMD (نظام لمد): الإجازة (ثلاث سنوات موزعة على فصول)، الماجستير، الدكتوراه، وأدخلت عدة تعديلات تهم سير الدراسة الجامعية.

تبعاً لذلك، أصدرت وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر قراراً يصادق على (دفتر الضوابط البيداغوجية الوطنية) لسلك الإجازة¹.

ويأتي هذا القرار في ظل انفتاح الجامعة على محيطها، وتعديل البيئات التربوية والبيداغوجية؛ حتى تستجيب لمتطلبات سوق الشغل، والحاجيات المجتمعية.

وتكمن أهمية (دفتر الضوابط البيداغوجية) في كونه يؤطر عملية إنتاج الملفات الوصفية للشعب.

فقد نص هذا الدفتر على أن "إعداد مشروع المسلك (وفق الملف الوصفي) لطلب الاعتماد، من طرف فريق بيداغوجي ينتمي لشعبة أو عدة شعب. ويتم تقديم طلب اعتماد المسلك، متضمناً رأي رئيس الشعبة التي ينتمي إليها المسلك إلى مجلس المؤسسة قصد المصادقة عليه. وبعد تقييم المشروع من طرف اللجنة البيداغوجية

¹ دفتر الضوابط البيداغوجية الوطنية لسلك الإجازة، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر. الجريدة الرسمية عدد 6322. بتاريخ: 09 ربيع الأول 1436 هـ الموافق ل: فاتح يناير 2015، ص 53.

للجامعة، والمصادقة عليه من لدن مجلس الجامعة، ويوجه طلب الاعتماد إلى السلطة الحكومية المكلفة بالتعليم العالي قصد الاعتماد.

يقدم طلب الاعتماد وفق (الملف الوصفي) السالف الذكر معد لهذا الغرض مرفوقاً بالملفات الوصفية للوحدات ويتضمن على الخصوص ما يلي:

- عنوان المسلك؛
- الشعبة التي ينتمي إليها المسلك؛
- الآراء المعللة لكل من:
- ✓ المنسق البيداغوجي للمسلك؛
- ✓ رئيس الشعبة التي ينتمي إليها المسلك؛
- ✓ رئيس مجلس المؤسسة التي يتبع لها المسلك؛
- ✓ رئيس مجلس الجامعة؛
- أهداف التكوين؛
- الكفايات المراد تحصيلها؛
- منافذ التكوين؛
- شروط الولوج؛
- الجسور مع تكوينات أخرى؛
- مسارات التكوين عند الاقتضاء؛
- قائمة الوحدات مع تحديد طبيعة الوحدات (أساسية أو تكميلية) والغلاف الزمني؛
- وصف الوحدات ومخطط تدريسها؛
- وصف العمل الشخصي للطالب عند الاقتضاء؛

- وصف المشروع المؤطر بالنسبة للإجازة في الدراسات الأساسية؛
- وصف التدريب المهني بالنسبة للإجازة المهنية".¹
- وقد وضحت هذه الوثيقة القانونية المؤطرة للملفات الوصفية (مواصفات الوحدة)، والشروط الضرورية لقبول الاعتماد.
- تعدّ الوحدة المكون الأساسي لنظام التكوين بالجامعة، وضعت لها الوثيقة ضوابط أساسية تعد بمثابة خطوط عريضة؛ أو ملامح عامة لمكونات المنهاج، فبالإضافة لتحديد الغلاف الزمني للتعليم، وعنوانها، وطبيعتها (أساسية أو تكميلية)، اشترط دفتر الضوابط أن يضم طلب الاعتماد:
- أهداف التكوين؛
- المعارف اللازم اكتسابها مسبقاً؛
- وصف محتوى الوحدة ومخطط مفصل لتدريسها؛
- لائحة المتدخلين في تدريس الوحدة (الأسماء، الإطار، الشعبة، المادة، التخصص، الدروس أو الأنشطة المؤطرة/دروس نظرية، أعمال توجيهية، أشغال تطبيقية)؛
- الطرق الديداكتيكية والوسائل البيداغوجية الضرورية للتدريس؛
- كيفية تنظيم الأنشطة التطبيقية؛
- طرق التقييم الملائمة"²؛
- نجد أنّ الوثيقة تتحدث عن ضرورة تحديد أهداف للوحدة، ووصف محتوى الوحدة، وكيفية تدريسها، ثم الطرق الديداكتيكية المناسبة للتدريس، وكيفية إجراء

¹ المرجع نفسه، ص 4 (ص: 56 من الجريدة الرسمية).

² المرجع نفسه، ص 7 (ص: 59 من الجريدة الرسمية).

التقويم وأشكاله.

وهذا في حقيقة الأمر يحيل بشكل إجمالي على عناصر المنهاج المذكورة آنفاً، وأن الوثيقة تلح على الاستجابة لهذه العناصر بشكل علمي. ف(دقتر الضوابط) اشترط في (الملف الوصفي):

- تحديد أهداف التكوين؛
- وصف المحتوى المعرفي للوحدة؛ مع تخطيط مفصل لتدريسها؛
- الطرق الديدانكتيكية، والوسائل البيداغوجية الضرورية للتدريس؛
- طرق التقويم التربوي.

وهذه العناصر تشكل مكونات المنهاج التربوي.

كما أنّ وثيقة (دقتر الضوابط البيداغوجية) استعملت مصطلحات بيداغوجية تدل على انفتاح الجامعة المغربية على مفردات علوم التربية، والاستفادة من النظريات التربوية الحديثة في تطوير الدرس الجامعي عموماً. فنجد الوثيقة تتحدث عن الطرق الديدانكتيكية، والكفايات، والأهداف، والتقويم، وطرق التدريس، والتخطيط...، بما يحيل على عمل منظم، مخطط له، ينطلق من (مدخلات)، ويمرّ عبر (سيرورة) من العمليات، ليصل إلى (المخرجات) المنتظرة من التكوين والتأطير بالجامعة.

لكن تبقى بعض الأسئلة ملحة مثل:

- إلى أي حد استطاعت (الملفات الوصفية) المعدة أن تستجيب لهذه الضوابط البيداغوجية؟

- ما مدى انسجام الممارسة التدريسية بالجامعة مع هذه الوثائق المؤطرة؟
 - ما مدى تقدير هيئة التدريس لأهمية الوظيفية في تدريس العلوم الشرعية؟
- لكن ثمة وثيقة أخرى مؤطرة للملفات الوصفية في شعب الدراسات الإسلامية؛

بالإضافة لدقتر الضوابط البيداغوجية. فالملفات التي أنجزت تشير إلى اعتماد الوثيقتين مرجعين مؤطرين لهذه العملية:

- دقتر الضوابط البيداغوجية؛
 - وثيقة الجذع الوطني المشترك للإجازة في الدراسات الأساسية.
- هذه الأخيرة خاصة بالإجازة الأساسية، مسلك: الدراسات الإسلامية. وسنحاول أن نقدّم قراءة موجزة في مضامينها.
- بنية وثيقة الجذع المشترك (مع التمثيل بعلم الأصول)
- تتكون الوثيقة من أربعة محاور: الأهداف العامة للمسلك، والمهارات المراد تحصيلها، وجدول يضم وحدات المسلك من الفصل الأول إلى الفصل الرابع. ثم وصف موجز لوحدات الفصول 1-4.

1. الأهداف العامة للمسلك

- ✓ تكوين الطلبة تكويناً شمولياً؛ تتضافر فيه كل المعارف الخاصة بموضوعه فضلاً عن المعارف ذات الصلة.
- ✓ اكتساب الطالب لمهارات لغوية، وتواصلية، ومنهجية، وفقهية، وفكرية؛ تجعله قادراً على البحث العلمي المنتج والفاعل؛ حتى يحقق إسهاماً معرفياً جاداً يخدم الواقع الاجتماعي.
- ✓ اعتماد منهج متطور، ومتكامل، ووظيفي في مقارنة الدراسات الإسلامية.
- ✓ العمل على إكساب الطالب القدرة على التعبير، وتمكينه من وسائل التواصل والخطاب، فضلاً عن المناظرة والحجاج، وأساليب الإقناع، وآداب الحوار.
- ✓ استكمال الدراسة الجامعية التخصصية، أو ولوج سوق الشغل.

2-المهارات المراد تحصيلها:

- ✓ معرفة متوازنة بالعلوم الشرعية، و اللغوية، و الإنسانية؛ لمواصلة البحث في مجال

الدراسات العليا وانخراط الطلبة في البحث العلمي والأكاديمي الجاد؛ محصنين
بمناهج واضحة، وبشتى لغات التخاطب الممكنة.
✓ القدرة على التعبير عن حقيقة الإسلام الوسطي، والحفاظ على الهوية الإسلامية
المغربية المتسمة بالوسطية والاعتدال.
✓ القدرة على التحاور مع المخالفين في الرأي؛ انطلاقاً من مستندات مؤسسة
بالقرآن والسنة.

إذا ما استثنينا الهدف الثاني الذي يتحدث عن إكساب الطالب مجموعة من المهارات؛
ومنها "المهارات الفقهية"، فإننا لا نجد المعرفة الشرعية حاضرة بشكل واضح ضمن هذه
الأهداف. وكأن الأهداف وضعت لشعبة أخرى غير الدراسات الإسلامية.
أما حضور (وحدة علم أصول الفقه) في الهندسة البيداغوجية للوحدات؛ فيوجد في
الفصل الثالث، والفصل الرابع. بغلاف زمني يقدر ب 48 ساعة في كل فصل.
وفي الوصف الموجز الذي تقترحه الوثيقة للوحدات، نجد تقديم وحدة أصول الفقه
على الشكل التالي:

الوحدة 3 أصول الفقه 1

- تعريف أصول الفقه - موضوعه - نشأته وتطوره
- مناهج التأليف فيه - أدلة الأحكام - الحكم الشرعي التكليفي وأقسامه
- الحكم الشرعي الوضعي وأقسامه - تطبيقات

الوحدة 3 أصول الفقه 2

- مدخل لدلالة الألفاظ - واضح الدلالة
- خفي الدلالة
- الاجتهاد - شروط المجتهد

- مراتب المجتهدين- الفتوى وضوابطها
 - آداب المفتي والمستفتي- مقاصد التشريع- تطبيقات
- ف(وثيقة الجذع المشترك) حددت الأهداف بشكل عام، يشمل جميع الوحدات، واقترحت بعض (المهارات) المستهدفة أيضاً، ثم توصيفاً لمحتويات كل وحدة، مع الغلاف الزمني المخصص للإنجاز. وهذا يشكل المنطلقات الأولى نحو بناء منهاج لتريس أصول الفقه بالجامعة المغربية.
- في الفصلين الأول والثاني؛ لا نجد مادة علم أصول الفقه حاضرة، لتجد لها مكاناً في الفصلين الثالث والرابع بغلاف زمني قدره ثمان وأربعون ساعة في الفصل.

مجموع عدد ساعات الفصول الأربعة	نصيب مادة علم أصول الفقه
1248 ساعة	96 ساعة

فمن مجموع 1248 ساعة؛ يدرس الطالب 96 منها مخصصة للأصول. ليتبين ضعف الغلاف الزمني المخصص لهذا العلم الأساسي في تكوين شخصية طالب العلوم الشرعية. المضمون الأصولي في الوثيقة:

الفصل الثالث	الفصل الرابع
<ul style="list-style-type: none"> • تعريف أصول الفقه - موضوعه - نشأته وتطوره • مناهج التأليف فيه- أدلة الأحكام •-الحكم الشرعي التكليفي وأقسامه • الحكم الشرعي الوضعي وأقسام- تطبيقات 	<ul style="list-style-type: none"> • مدخل لدلالة الألفاظ- واضح الدلالة • خفي الدلالة • الاجتهاد - شروط المجتهد • مراتب المجتهدين- الفتوى وضوابطها • آداب المفتي والمستفتي - مقاصد التشريع - تطبيقات

بعد النظر في الجدول أعلاه؛ يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

- غياب التدقيق في وضع المادة المعرفية، فهل ستقدم على وجه التفصيل أم على سبيل الاختصار والإيجاز؟ ثم ما الاعتبار في ترتيب المادة المعرفية على ذلكم النحو؟
- إشكال الملاءمة بين الغلاف الزمني: 48 ساعة والمضامين الأصولية في الفصل الثالث: إذ يستنتج الناظر في ذلك استحالة تقديم الأدلة الشرعية (مصادر التشريع) والحكم الشرعي والوضعي بالإضافة إلى المقدمات التعريفية في ظرف ثمان وأربعين ساعة.

فباحث الأدلة الأصلية والتبعية: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، والمصلحة المرسلة، والاستحسان، وعمل أهل المدينة، وعمل الصحابي، وشرع من قبلنا، ومراعاة الخلاف؛ تحتاج فصلاً أو فصلين؛ حتى يتمكن الطالب من الاطلاع عليها، والإلمام بقضاياها؛ وعلاقة ذلك بالحكم الشرعي استنباطاً وتنزيلاً، وإنجاز التطبيقات المصاحبة للدروس النظرية.

- ما قيل عن الفصل الثالث يقال عن الفصل الرابع من حيث: كثافة المحتوى المقرر، وضيق الغلاف الزمني المخصص للتنفيذ؛ وهذا حتماً سيؤثر على التحصيل لدى الطالب، كما يعد تعسفاً في حق المعرفة الشرعية.

من خلال اطلاعي على الكثير الملفات الوصفية للجامعات المغربية؛ وجدت في ديباجتها تستند في المرجعية إلى (دقت الضوابط البيداغوجية)، وإلى (وثيقة الجذع المشترك). وبخصوص وحدة علم أصول الفقه ضمنت الملفات الوصفية¹ المحتوى الأصولي المذكور أعلاه.

ويلاحظ على (وثيقة الجذع المشترك) أنها أغفلت الحديث عن طرائق التدريس،

¹ انظر: الملفات الوصفية للجامعات: محمد الأول بوجدة، ظهر المهراس بنفاس، كلية الشريعة بنفاس، كلية الشريعة بأكادير، كلية الآداب بأكادير، كلية الآداب بنفاس/سايس...

وأشكال التقويم.

خاتمة البحث: إنّ المقاربة المنهجية في تدريس العلوم الشرعية بالتعليم الجامعي ضرورة معرفية ومنهجية لتحقيق القصدية ومبدأ الوظيفية في تدريس هذه العلوم، وإيلائها المكانة اللائقة بها؛ حتى تستطيع القيام بوظائفها التربوية والتنموية والإسهام في نهضة المجتمع والحفاظ على مقوماته القيمية والثقافية، وتحقيق التكامل المعرفي مع الحقول المعرفية الأخرى: الإنسانية والتطبيقية. وإظهار آثارها الفكرية في إعادة صياغة الشخصية الإسلامية، وأنماط التفكير لديها.

وكي تتحقق هذه الوظيفية؛ ندعو إلى تفعيل أسس المقاربة المنهجية في التدريس، وذلك من خلال:

- تدقيق صياغة الملفات الوصفية لشعب الدراسات الإسلامية، وكليات الشريعة، وكلية أصول الدين، ودار الحديث الحسنية، ومختلف المسارات بها؛ فهذه الملفات/المساقات تمثل الوثائق المنهجية الأساسية لهذه المقاربة؛
- صياغة الأهداف المسطرة في المنهاج بدقة وعلمية، تستجيب للشروط البيداغوجية، وتشمل مختلف المجالات: المعرفية، والمهارية، والوجدانية القيمية؛ لكل علم من العلوم الشرعية؛ حتى نجتمع بين العلم والعمل الذي هو لب الوظيفية؛ فالعلم إمام العمل، والعلوم الشرعية علوم وظيفية عملية وليست تجريدية محضة. "فالأصل في هذه العلوم أن تنعكس فيها هدايات من خصائص الوحي؛ فتكون مُركّبة للإنسان، وبانية للعمران، ومؤهلة للأمة إلى مقامات الشهادة، والاستخلاف، والخيرية. لكن الذي حصل هو العكس؛ حيث لم يعد للعلم وللعلوم دور البناء والتحريك ولا الوساطة الشفافة التي تربط الإنسان بالأصل وتحيله عليه؛ فالاقتران السليم والمتين بالوحي يخرج على الفور الإنسان المستخلف الرسول السوي المُزَنَّى، ويجعله يشيد عالم عمرانه وحضارته وعلومه

ومعارفه برشد وصواب".¹

وفي مجال الأهداف؛ لا بد أن تنص هذه الأخيرة على ترسيخ حقيقة العبودية لله وحده لدى الطالب، ليتمثلها في مختلف أحواله، وأنشطته، واجتهاداته. "إن مراجعة مناهج العلوم الإسلامية السائدة في معظم الأقطار الإسلامية، ينبغي أن تتم من خلال إعادة صياغة تلك الأهداف بصورة تتسم بدرجة عالية من الوضوح والدقة والشمولية والواقعية بحيث يمكن مقايستها وتقويمها، كما ينبغي الابتعاد عند صياغتها عن الغموض والضبابية والعموميات والمثالية".²

- ضرورة إعادة النظر في الغلاف الزمني المخصص لمختلف العلوم الشرعية؛ بتوسيعه نظراً لأهمية زمن التعليم في بناء المعرفة الشرعية؛ إذ الملاحظ على مقررات الشعب الشرعية غلبة الملخصات، والمداخل، والمبادئ العامة المتناثرة التي لا يكاد يجمع بينها رابط، وهذا لا يخدم القصد الوظيفي، ولا يُمكن من تكوين شخصية الطالب العلمية، وتنمية قدراته العقلية، ومهاراته الاستنباطية، وقدرته على التعامل مع النوازل والمستجدات المعاصرة؛

- لا بد من إعادة النظر في المحتويات التعليمية التي تقدم للطالب، فالمادة التعليمية (المعرفة الشرعية) ينبغي أن تستند بجملة من المعايير في مقدمتها:

✍ عنصر الملاءمة بين الأهداف المسطرة والمعرفة المقدمة للتدريس، ثم يجب التنبيه إلى أنّ المعرفة الشرعية تتضمن قطيعات وكرليات، كما تتضمن مفاهيم، وحقائق، وجزئيات؛

✍ ترتيب المادة العلمية وفق الطبيعة الإستمولوجية لكل علم من العلوم الشرعية؛

¹ الثقافة والعولمة وقضايا إصلاح الفكر والتجديد في العلوم الإسلامية، ص 124.

² مناهج العلوم الإسلامية والمتغيرات العالمية، ص 109.

- فعلوم أن لكل علم بنيته الداخلية، ومباحثه تخضع لترتيب منطقي معين؛ فلا ينبغي تأخير ما يجب تقديمه، ولا تأخير ما يجب تقديمه؛
- ـ تنظيم المحتويات وفق الخصائص الثمائية للطلبة، وتقديم الكليات الأساس للعلم، ثم الانتقال نحو الفروع والجزئيات؛
- ـ عدم إغفال تاريخ العلوم والأفكار؛ فهي مهمة في إدراك الخصائص المعرفية والمنهجية للعلوم الشرعية؛
- إدراج المادة المعرفة الشرعية في الأسلاك التعليمية ما قبل التعليم الجامعي؛ حتى يكون الطالب على علم معين بها وبمبادئها، ومدركاً لبعض المفاهيم التي تفتح له مغاليق الدرس الشرعي؛
- توحيد الرؤية بين مختلف الجامعات (توحيد المنهاج)؛ كي تكون الممارسة التدريسية موحدة، وعلى ضوءها تقوم مخرجات الدرس الشرعي بالجامعة؛
- بناء على ذلك؛ ينبغي توحيد التصور بخصوص المجزئات التي ينبغي تدريسها، وفق سلم متدرج يراعي الخصائص المعرفية والمنهجية للعلوم الشرعية، ويؤدي إلى امتلاك الطالب أسس الملكية الشرعية عموماً؛
- إنتاج مقررات علوم شرعية موحدة على صعيد الجامعات، في مختلف سنوات الطلب والتحصيل؛ لأنّ من شأن ذلك أن يسدّد الممارسة التدريسية، ويعمّق البعد التعاقدي لها؛ لذلك تقترح الدراسة توحيد الرؤية حول المضامين الشرعية التي ينبغي تدريسها في الجذع المشترك، وفي مختلف المسارات عبر مختلف الكليات، بل إنّ هناك تجارب في عدة دول إسلامية تتفق على اتخاذ كتاب معين موحد؛ حتى يسهل قراءة وتقييم النتائج المحصل عليها من طرف الطلبة في هذه العلوم.
- ضرورة تطوير طرق التدريس، وتوظيف ما استجد من مقاربات بيداغوجية

حديثه، واستثمارها في تجويد تدريسية الدرس الشرعي الجامعي عامة، ومن ذلك: توظيف الخرائط الذهنية- عروض ppt- مشاركات الطالب بإلقاء ملخص المحاضرة- المحاضرة- تقارير علمية- أشغال تطبيقية - أشغال موجهة- ...

- أهمية التكوين الأساس والمستمر لهياة التدريس بالجامعة؛ مدخل أساس للتمهير في التدريس؛ إذا التدريس صناعة من الصنائع كما يعبر العلامة ابن خلدون (ت808هـ).¹ وقد عبر العديد من الأساتذة في مقابلات أجريناها معهم عن أهمية التكوين الأساس والمستمر لهياة التدريس، والاستفادة من البيداغوجيات الحديثة في ذلك، فإن ذلك قمين باستيعاب أهمية مبدأ الوظيفية في تدريس العلوم الشرعية في العصر الحالي؛

- ضرورة تطوير الممارسة التقييمية في العلوم الشرعية بالتعليم العالي؛ حيث تبن من خلال الدراسة الميدانية، والوقوف على نماذج من التقييم في مختلف العلوم الشرعية؛ أن الممارسة التقييمية تمتح من المقاربة التقليدية، ولا تسهم في تكوين شخصية الطالب العلمية في العلوم الشرعية، بل إنها تدفع نحو ممارسات الغش في الامتحانات. لذا؛ وجب تطويرها، والابتعاد عن الأسئلة المباشرة المستهدفة لمهارات الاسترجاع والحفظ فقط. فإن ذلك لا يصنع شخصية ناقدة، قادرة على النظر، والتحليل، والتركيب، والنقد. والعلوم الشرعية تروم تشكيل عقل الإنسان المسلم؛ ووجدانه، وتوجيه سلوكه، والمؤهل القادر على الاستدلال، والاستنباط، والنظر في النوازل والقضايا المستحدثة.

- ربط تدريس العلوم الشرعية بالعلوم الإنسانية والتطبيقية لتحقيق التكامل المعرفي، ومد جسور التواصل المعرفي بين الحقول المعرفية؛ وإبراز مبدأ الوظيفية في مختلف المراحل التدريسية.

¹ مقدمة ابن خلدون، 1/166.

إنّ الاشتغال بعلمية على المقاربة المنهجية من خلال تطوير العناصر الأربعة المكونة للمناهج التربوي: الأهداف، والمحتويات، والطرائق، وأشكال التقويم؛ من شأنه أن يعزز حضور البعد الوظيفي لتدريس العلوم الشرعية في التعليم الجامعي، وتشعر أطراف العملية التدريسية أن لهذه العلوم معنى ومغزى، ولتعليمها وتدريسها منافع في الدنيا والآخرة؛ فيقبل عليها الجميع بشغف، وحبّ، يؤديان إلى العناية بها وتطوير مناهجها حتى تأخذ المكانة اللائقة بها بين العلوم.

والله الموفق سبحانه، وهو يهدي السبيل.

لائحة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي. خرّج أحاديثه وعلّق عليه: محمد وهبي سليمان وأسامة عمورة. دار الفكر، دمشق، سوريا، ط4، 1437هـ/2016م
3. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي؛ شرح وتعليق: محمد كريم راجح، دار اقرأ، بيروت، ط4، 1405هـ/1985م
4. تصميم المنهج المدرسي، د. وائل عبد الله محمد ود. ريم أحمد عبد العظيم، دار المسيرة، الأردن، ط1، 1432هـ/2011م
5. الثقافة والعولمة وقضايا إصلاح الفكر والتجديد في العلوم الإسلامية، سعيد شبار، منشورات مركز دراسات المعرفة والحضارة، دار الإثراء الثقافي، الرباط، ط1، 2014م
6. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف ابن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ/1994م
7. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري المعروف بابن دريد، دار صادر، بيروت، طبعة جديدة بالأفيسيت: 1431هـ/2010م
8. دفتر الضوابط البيداغوجية الوطنية لسلك الإجازة، وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي وتكوين الأطر، الجريدة الرسمية عدد 6322. بتاريخ: 09 ربيع الأول 1436هـ الموافق ل: فاتح يناير 2015م
9. رسائل ابن حزم، رسالة مراتب العلوم، أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم، تحقيق: إحسان عباس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1987م
10. رسائل في فنون مختلفة (الرسالة الثامنة والعشرون في التدريس)، مولود

- السري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2018م
11. غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، ط1، 1384هـ/1964م
12. قانون التأويل، القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي المعافري الإشبيلي، دراسة وتحقيق: محمد السليمان، ط2، 1990م. سحب جديد: 2010م
13. القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم، الحسن بن مسعود اليوسي، تحقيق: حميد حماني اليوسي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط2، 2013م
14. كتاب الموافقات، إبراهيم أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق وتعليق: د. الحسين أيت سعيد، منشورات البشير بنعطية فاس، المغرب، ط1، 1438هـ/2017م
15. لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت.
16. مدخل إلى العلوم الشرعية، سعيد حلیم، دار الأمان، الرباط، ط1، 2018م
17. مدخل إلى المنهاج الدراسي المفهوم والأسس، د. المصطفى ندرأوي، منشورات الرباط نت- 2016م
18. المستصفي من علم الأصول، أبو حامد محمد الغزالي، اعتنى به: ناجي السويد. المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1429هـ/2008م
19. المصنف، أبو بكر عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: مركز البحوث بدار التأصيل، دار التأصيل، القاهرة، مصر، ط1، 1436هـ/2015م
20. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1982م
21. المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار قباء الحديثة، القاهرة، ط5، 2007م
22. المعجم الموسوعي لعلوم التربية، أحمد أوزي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1427هـ/2006م

23. المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وآخرون، منشورات مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، استنبول، تركيا، د.ت.
24. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، عمان، الأردن. ودار الجليل بيروت، ط1، 1420هـ/1999م
25. مقدمة ابن خلدون، وليّ الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، مكتبة الهداية، دمشق، سوريا، ط1، 1425هـ/2004م
26. المناهج التربوية الحديثة، د. توفيق أحمد مرعي ود. محمد محمود الحيلة، درا المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط9، 1432هـ/2011م
27. مناهج العلوم الإسلامية والمتغيرات العالمية، قطب مصطفى سانو، تقديم: د. عمر عبيد حسنة، كتاب الأمة القطري العدد 160، ط1، ربيع الأول: 1435هـ/يناير 2014م
28. مناهج تدريس أصول الفقه بالتعليم الجامعي، خالد البورقادي، بحث دكتوراه مرقون بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، 2021م
29. موسوعة المصطلحات التربوية، محمد السيد علي. دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1432هـ/2011م
30. نشأة العلوم الإسلامية وتطورها: تأسيس علم مقاصد الشريعة أنموذجاً، الحسان شهيد، دراسة منشورة بمجلة إسلامية المعرفة، السنة السابعة عشرة، العدد 65، صيف 1432هـ/2011م

الجامعة المليّة الإسلامية

(حلقات متسلسلة لترجمة كتاب "قصة الجامعة" لعبد الغفار مدهولي)

﴿14﴾

- عبد الغفار المدهولي¹

ترجمة من الأردوية: د. هيفاء شاكري²

السنة التاسعة عشرة

أغسطس 1938م - يوليو 1939م

شيء جديد لهذا العام هو إنشاء مدرسة المعلمين، ولعكم تتذكرون بأنه كان من المقرر أن يتم افتتاح هذه المدرسة في عام 1935م، إلا أنه تم تأجيله، والآن بعد أن عاد السيد سعيد الأنصاري من أمريكا، استهلّ هذا العمل، ومن المصادفة الموافقة على مشروع التعليم الوطني الأساسي الذي أطلقها كلّ من الزعيم غاندي والسيد ذاكري في مؤتمر عقده حزب المؤتمر الهندي بمنطقة هري بوره العام الماضي. لذا قامت الجامعة بإطلاق المقرر الدراسي الخاص بمشروع هذا التعليم القومي الأساسي في مدرسة المعلمين، وقبل ذلك، كان هناك نوعان من مدرسة التدريب في الهند، إحداهما هي التي كانت تسعى لجعل تعليم المواد مشوقة من خلال الكتب، وثانيها هي التي كانت تريد تثقيف الأطفال وتربيتهم عن طريقة تحديد أيّ عمل كهدف، ثم من خلال جعله وسيلة لحصول العلم. (وذلك ما يسمّى بطريقة التحضير للمشروع) على سبيل

¹ كان مدرّساً في مدرسة الجامعة المليّة الإسلامية، نيو دلهي

² مشارك في التحرير وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المليّة الإسلامية، نيو دلهي

المثال مدرسة موغا التدريبية، ولم يكن في هذه المدرسة شرط يختص بتبني طريقة تتمثل في جلب بعض الدخل أيضاً. فربما أن يختار الأطفال "مشروع البحر" لمواصلة دراساتهم، الأمر الذي تترتب عليه المصاريف وليس فيه مجال للكسب.

وكان الزعيم غاندي يفكر منذ فترة، في هذا الاتجاه، فلو تشكلت الحكومة الوطنية فإنّ الضرر الناجم عن الطريقة الموجودة للتعليم (طريقة المدارس الحكومية) سيكون باقياً في ذلك الوقت كذلك. ولا يأتي هذا التعليم بمهارات الأعمال اليدوية. حيث كان الزعيم غاندي يريد أن يرى هذه الهند المفلسة سعيدة ومزدهرة- ولا يمكن تحقيق ذلك إلا إذا تعودّ الناس على القيام بالأعمال بأيديهم ويختاروا أيّ عمل أو الحرف اليدوية. ولا يمكن توفير الوظيفة للجميع. لذا كان يريد أن يبدأ ترويج الصناعات المحلية من المدارس، ومن حسن حظ الوطن أنّ الفكرة المحدودة للزعيم غاندي والتي اعتبرت جيدة من الناحية التعليمية والاجتماعية، وجدت من يوفق بين وجهتيها وهو الخبير بالشؤون التعليمية السيّد ذاكر حسين. إذ أنه كان يجرب تطبيق الطريقة الهادفة إلى التعليم الخاص في الجامعة منذ حوالي عشر سنوات، وفي نفس الوقت، كان يفكر تكبير اقتصادي، في كيفية خلق المهارات الخاصة بكسب القوت بموجب التعليم الحالي، حيث بدأت تعكس فكرة ضئيلة له في بطاقة دعوة "وردها". وكان السيّد ذاكر حسين يعلم أنّ الزعيم غاندي رجل ملتزم بالعمل، فإنه سيفي بكل ما وعد به. وإذا أصبحنا منفصلين في هذا الوقت، فليس من الواضح بأيّ شكل سيظهر هذا المشروع. ولا يمكن لمن تهمة رفاية الأطفال بشكل كبير أن يكون صامتاً بعد أن عرف أنّ هناك مشروعاً يتمّ إعداده لأجل الأطفال، ولا بد من العمل به، وإذا لزمننا الصمت في مثل هذا الوقت فسيتمّ تنفيذه بشكل ما، فإنه سيعرف عما يخطر بباله، متخلياً عن كافة المصالح. وهذه هي العاطفة التي دفعت السيّد ذاكر حسين على الذهاب إلى وردها، وبعد ذلك، كلّ من قرأ الخطاب الذي

ألقاه السيد ذاكر حسين في هذه الجلسة الأولى من المؤتمر الأساسي، بكل اهتمام، يدرك أنّ ذاكر حسين لديه مسلك مستقل، وإنّ هذا التفرد ليس لأجل إبراز شخصيته وإنما لأجل ترويح ونشر أفكاره العريضة، كما سيؤكد فكرتنا، كلّ مَنْ قرأ الخطاب الذي ألقاه السيد ذاكر حسين في مؤتمر وردها.

والزعيم غاندي ليس الشخص الذي يأخذ الأطفال من الطبيب أو الحكيم ويزج بهم إلى رجل غير مدرب، أو يمنح الفرصة للآباء الغارقين في حبّهم المفرط لأطفالهم فيفسدوا حياتهم كما يشاؤون. فقام الزعيم غاندي بتكليف الدكتور ذاكر حسين بهذه المهامّ كلها من خلال لجنة بكل سرور، وكان أعضاء هذه اللجنة أصحاب الخبرات التعليمية المفيدة من قبل، فقدّم في فترة قصيرة، تقريراً يحتوي على 250 صفحة، على نحو شمل كافة النقاط الضرورية التي تلزم لإدارة المشروع، على سبيل المثال (1) ضوابط أساسية، (2) أغراض (3) مؤهلات المعلمين (4) إشراف وامتحانات (5) إدارة (6) المقرر الدراسي وغير ذلك.

وفيما يلي ثلاثة عناصر رئيسية لهذا المشروع:

1. التعليم الإجباري والمجاني لجميع الأطفال.
 2. أن يكون التعليم باللغة الأمّ.
 3. يتم تعليم الأطفال عن طريق حرفة من الحرف.
- وفي ضوء هذا التقرير، تم منح الخيارات لكلّ من الدكتور ذاكر حسين والسيد آر. آتي. دلبيو نائكم أن ينفذوا هذا المشروع وأن يقوموا بتشكيل لجنة تعليمية تحت إشراف الزعيم غاندي. حيث تم تعيين كلّ من الدكتور ذاكر حسين رئيساً، والسيد نائكم وكيلاً لهذه اللجنة.

ومن خلال المشروع انخلص بهذا التعليم الأساسي، تم افتتاح مدرسة المعلمين في 4

أغسطس عام 1938م.

يا لها من بساطة هذه الجلسة! وضعت الكراسي في مكان نظيف، وقدمت المشروبات كذلك لتناسب موسم الصيف، والناس مسرورون لأنّ الجامعة تشهد بداية عمل جديد وكبير، وبعد الخطاب الوجيز الذي ألقاه الدكتور ذاكر حسين، قرأ مدير المدرسة السيّد سعيد الأنصاري رسائل الخبراء بالشؤون التعليمية، على الحضور. وفيما يلي بضع رسائل والتي توضح مدى موافقة العظماء على هذه المهمة.

يكتب السيّد زيلياكس، رئيس لجنة شؤون زمالة التعليم الجديد من الولايات المتحدة: "وأبارك لكم ولرفقاكم المحترمين على هذا الجهد الجديد والعظيم، سائلاً أن تتكلل أغراض مدرستكم هذه بالنجاح".

كما أرسل ثلاثة مفكرين آخرين من أمريكا، رسائلهم، أحدهم السيّد جان دوائي وثانيهم البروفيسور كلبرك وثالثهم الدكتور انكلهارت.

كما يكتب السيّد أيتش ود، الخبير البريطاني الشهير بالشؤون التعليمية، والذي زار الهند تلبية لدعوة رسمية ليقدم مشورته إلى الحكومة الهندية حول الشؤون التعليمية:

"يسعدني كثيراً، خبر إنشاء مدرسة المعلمين، فقد علمنا بأنه سيتم التعليم في هذه المدرسة حسب توجيهات واستشارات تقدّمها لجنة السيّد ذاكر حسين بموجب مشروع "واردها"، أسأل الله النجاح لآمالكم".

كما سمع الجمهور رسالة كتبها السيّد أي. آيس. ديوس، مدير الشؤون التعليمية لمقاطعة كينت في بريطانيا.

ويكتب الدكتور بالس موت، المستشار الألماني السابق في خطابه:

"أهنئكم على إنشاء هذا القسم الجديد، متمنياً له النجاح والتوفيق".

كما تم الاستماع إلى الرسائل الموجهة من داخل الوطن من قبل كلّ من الزعيم غاندي

والسيد سر أكبر حيدري السيد شاه سليمان والدكتور ضياء الدين والسيد بي. والسيد جي كهير والمولانا أبو الكلام آزار والسيد آر. أيس. شكلا والدكتور سيد محمود والدكتور سبرائن والبروفيسور أي. بي. حليم والمولانا سيد سليمان الندوي والسيد خواجه غلام السدين والسيد آشاريه نريندر ديو، والسيد ميان عبد الحي، بكل اهتمام. وقد عقد حفل هذا الافتتاح في مبنى مستأجر في منطقة قرول باغ، كانت تقع بجانبها، مؤسسات الجامعة الأخرى، وكان الدكتور ذاكر حسين يدرس المبادئ الأساسية للتعليم، والبروفيسور محمد عاقل يدرس عن اقتصاد الحياة القروية، وكان السيد سعيد الأنصاري مسؤولاً عن تدريس المبادئ العامة للتعليم وطريقة تدريس المقالات، وكنت مسؤولاً عن تدريس جزء من واجبات اللغة الأم. وكان السيد نور محمد مسؤولاً عن صناعة المنسوجات عن طريق النول (مجلة المغزل) - أما الأستاذ عبد الحي فكان يعمل على الخشب والكرتون (الورق المقوى).

وكان إجمالي رسوم الطلاب، يبلغ 300 مئة روبية سنوياً، وكان هذا المبلغ يشمل مصاريف الإقامة والطعام وغير ذلك. حيث كان يعمل كل من السيد سعيد الأنصاري والسيد نور محمد لكامل الدوام، بينما كان المعلمون الآخرون من الأقسام الأخرى بالجامعة.

وكلما واجهت الجامعة ظروفاً مالية، أكد السيد سعيد الأنصاري على ضرورة بذل الجهود لجعل أقسام الجامعة كفيلة بنفسها. وعندما كلف السيد سعيد بهذه المهمة الجديدة لم يدخر جهداً، وجعل هذه المدرسة تتكفل بمصاريفها الذاتية وذلك بحسن تديره واقتصاده المالي. مما ساعد الجامعة على الاستقرار والثبات إلى درجة كبيرة. ويملك السيد سعيد نظرة عميقة على الشؤون التعليمية، ويحترم شتى الأفكار التعليمية. ولأنّ مقرنا الدائم هو منطقة جامعة نغر، فتمّ وضع حجر الأساس لهذه المدرسة على جانب النهر في منطقة جامعة نغر في 7 مايو من هذا العام، شارك فيه عدد كبير من

أفراد الأسرة الجامعية وأعيان المدينة.

وبدأ بناء هذه العمارة على النفقات السخية التي قدّمها كلّ من السيّد فدا أحمد خان شيرواني والسيّد كيه سنتانم، وسبق أن شغل أخوه الراحل السيّد تصدق أحمد خان شيرواني منصب عميد الجامعة.

وألقى البروفيسور محمد مجيب، شيخ الجامعة بالإنابة، خطاباً مفصلاً قبل وضع حجر الأساس. ردّاً على ذلك، ألقى السيّد كيه. سنتانم، صديق السيّد المغفور له فدا أحمد، خطاباً وجيزاً كذلك، وقام بوضع حجر الأساس. ثم ألقى السيّد فدا أحمد خان أيضاً، خطاباً موجزاً مليئاً بالحماس. وفي الختام، تقدّم السيّد سعيد الأنصاري مدير مدرسة المعلمين، بجزيل الشكر إلى كافة الضيوف، حيث أنهم تحملوا مشقة الحضور إلى هذا المكان البعيد عن المدينة في هذا الحر الشديد.

ورحب أطفال جامعة نغر، بالضيوف بعقد الألعاب البهلوانية المختلفة، وقدم طلاب المدرسة الثانوية عروض الفرقة الموسيقية.

وبهذه المناسبة، قامت مكتبة الجامعة بتوزيع بطاقات جميلة كتبت عليها قطعة شعرية للشاعر حالي (ترجمة):

عدّ الدنيا الدنية شيئاً سيفنى وكلّ شيء في هذه الدنيا جاء ليرجع.
ولكن عندما تطلقون أيّ عمل كبير فاعتبروا كلّ نفس منكم شيئاً خالداً.
وفيما يلي جزء من الخطاب الذي ألقاه السيّد محمد مجيب:

"إنّ أصحاب الجامعة جماعة صغيرة، وستذهب كافة مساعي هذه الجماعة أدراج الرياح إذا لم تتمكن من جعل أهدافها أهداف المسلمين الهنود، فداءً وفناءً في مصلحة الأمة. وتابع قائلاً: علينا ألا ننسى أنّ المباني تبنى للقيام بمهام وأعمال، فيجب أن نظوّر أعمالنا بحيث لا تكفيها أية عمارة أو مبنى.

وعندما أنشئت الجامعة كان بعض الناس يعتقدون بأنّ الهند ستحصل على استقلالها قريباً، وستستقر الجامعة كذلك، ولكن سرعان ما زال سوء التفاهم هذا وأثبتت الأوضاع بأنه ما لم تقدّم الجامعة نموذجاً للصبر والثبات، لا يمكن الاعتماد عليها لتقديم أية خدمة، لذا قررنا أن نختبر أنفسنا ودينانا، وسنكرّس الحياة والجهد في سبيل التجربة".

وفي بداية شهر مارس لهذا العام، تم وضع حجر الأساس لمبنى جمعية الطلاب القدامى، وكان السيّد ذاكر حسين أوّل وأقدم طالب للجامعة، وقال أثناء وضع حجر الأساس أمام الجمهور:

"كلما وضع حجر الأساس لأيّ مبنى جديد في الجامعة، اضطرب قلبي، وانتبهت هذه الفرصة، لأذكر أهل الجامعة بأنّ كثرة المباني ليست سبباً للمفخرة لأية مؤسسة، لأنّ معظم المباني تصبح إما مقابر أو سجوناً، فإذا نسي أصحاب المباني أهدافهم الأصلية لأصبحت هذه المباني مقابر لأهدافهم ومقاصدهم، وإذا أصبحت المباني نفسها هي الأهداف فتصبح سجوناً للأمال والعواطف والأمنيات.. وكنت قد تحدثت عند وضع حجر الأساس لأوّل مبنى في الجامعة بأنه علينا ألا ننسى أهدافنا ونحن نجلس في المباني التي تعانق السماء، إذا فعلنا ذلك فإنّ من حق الأجيال القادمة أن يطرحونا خارج هذه المباني، وأن يهدموا هذه المقابر التي دفنت فيها أهدافنا وإرادتنا. وأنا على أمل بأنّ الطلاب القدامى للجامعة لن ينسوا هذا الهدف.

وتم انتخاب أعضاء جمعية الطلاب القدامى بهذه المناسبة، وتم تعيين السيّد بركت علي رئيساً، وصاحب المقال نائباً له، السيّد بدر الحسن أمين الصندوق.

والآن ننظر إلى أنشطة الطلاب:

شاهدنا في المدرسة الابتدائية أمراً جديداً يتّصل في أنّ الطلاب المقيمين يمكنهم في قاعة محمد علي بعد صلاة الفجر كل جمعة، ويتم عرض أشعار الحمد والقصائد

والأناشيد. كما تقدّم الأناشيد المناسبة مع الفترة الصباحية، والتي كانت تجذب الأطفال النائمين إلى القاعة. ولم يكن الحضور في القاعة إلزامياً، وإنما كانت قضية الذوق فقط، ويبدو هذا الأمر بسيطاً إلا أنّ له ذكريات ستخلد في قلوب الطلاب القدامي وأذهانهم إلى الأبد.

وقد انطلقت سلسلة مشروع "إدارة الفندق" بمناسبة العيد هذا العام، وأطلق السيّد تشودھري محمد علي مثل هذه الأعمال، حيث كان يملك ذوقاً جيّداً في مثل هذه الأمور. وكان ذلك موسم شهر رمضان، والعيد قادم، فاتهازاً لهذه المناسبة، تمت إدارة مشروع مشترك للقرآن في المركز التعليمي رقم 1. ففي الصف الأول، تم التعريف بالقرآن الكريم بالتفصيل، مثلاً هذا قرآن، وهذا كتاب الله، وتوجد في النصائح والإرشادات. وغير ذلك، وفي الصف الثاني، استمع الطلاب إلى ثلاث قصص منتخبة من القرآن الكريم، وقاموا بكتابتها. وتم تدريس قصيدة عن القرآن الكريم، وفهم طلاب الصف الثالث أحوال أولي العزم من الرسل ثم كتبوها. وتفنن الطلاب في كتابة الآيات القرآنية في أشكال مختلفة. وكان لدى الصف الرابع مشروع لصناعة الورق. لذا حاول الطلاب معرفة الأشياء التي دوّن عليها القرآن منذ النزول إلى الآن، وذلك لربط المشروع بخطتهم، وتم جمع مثل هذه الأشياء أيضاً، وكيف يمكن الكتابة عليها، مثلاً أوراق الأشجار، الخشب، والعظام، والحجر، وورق من نوع خاص. وتم إعداد الأشياء المصنوعة بالأوراق لتزيين الجلسة. وفي الصف الخامس، كانت المهمة الخاصة رسم خرائط البلدان التي وصلت إليها التعليمات القرآنية، والفترات الزمنية المرتبطة بذلك، إضافة إلى بعض الموضوعات الأخرى مثل القرآن عند الأغيار، وثقافة القرآن، وإلى أيّ لغات العالم تمت ترجمة معانيه. وكان لدى الصف السادس مشروع البستنة. وفي هذا الصدد، انتخب الطلاب الآيات التي ورد فيها ذكر الماء، والنهر، والبساتين، والبحر، والمطر، والبرق، والنباتات، والفواكه، والمحاصيل، والزراعة. وبهذه

الطرق، اشتاق الطلاب إلى قراءة ترجمة معاني القرآن بالكامل. وقد أصبح هذه الرغبة شغلهم الشاغل. وكان الطلاب ينشغلون بمطالعة الترجمة ليعثروا على الآيات المذكورة أعلاه، وأصدرت مجلة "تشمّن"، العدد الخاص بالقرآن الكريم.

تم تزيين الجلسة حسب أجواء هذه الأمور والأعمال، ونظم معرض خاص، ولقد استرعت الانتباه في هذا المعرض، نسخ يدوية مختلفة من القرآن، وترجمات، والكتب المطبوعة القديمة كذلك. وقام هذا الصف بتزيين الجدار بهذه الآية الكريمة (ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا) باستخدام أوراق شجرة الصنوبر، كما كتبت ترجمتها زراعة تحت الآية باستخدام بذور الخردل. والتي كانت قد تفتحت يوم الجلسة، وكانت هذه الطريقة صورة رائعة لإبراز صناعة الفطرة في شكل التطبيق.

كان هذا المشروع قد تم إنفاذه تحت رعاية السيّد أحمد علي آزاد والسيّد عبد الواحد السندي، فقد حاول جمع المعلومات الخاصة عن التعليم الديني في مدرسة التدريب بمنطقة موغا، وكان ذلك من ميزات هذه المدرسة، مما يعني كيف يمكن توفير التعليم الديني بطريقة مشوقة. وعقدت هذه الجلسة الخاصة بمشروع القرآن الكريم تحت إدارة جمعية الطلاب. وكان رئيسها السيّد رشيد النعماني، وسلّط الضوء على أهداف الجلسة ومقاصدها. وأدّى حديث السيّد رشيد وحسن نظامه وذوقه ونظافته إلى خلق ذوق جيد وتنظيم جيد في جلسات الجمعية.

كان عقد حفل عيد ميلاد النبي من الأمور الدائمة في المدرسة الابتدائية، وداوم المركز التعليمي رقم 1 على مشروع القرآن عدة سنوات.

وكانت مجلة "المصور" مجلة نصف شهرية للمدرسة الثانوية إلا أنها كانت السبب في إثارة تشوق وهمة الطلاب في أعمال الأبحاث والدراسات للفصول خاصة في مواد اللغة الأردوية والجغرافيا والتاريخ والرسم. فكان الطلاب يفتشون ويبحثون عن الأحداث التاريخية، ويرسمون الكاريكاتير والخرائط يحاولون من خلالها نقل آرائهم

وأفكارهم إلى الآخرين. وكانت طريقة إعداد المشروع قد رسخت جذورها في المدرسة الابتدائية. لذا اتجهت المدرسة الثانية إلى ذلك أيضاً، وبدأ مشروع الأسبوع الوطني للمدرسة الثانية بواسطة "المصور" قبل شهر واحد من مواعده. وإذا قرأنا العدد الخاص بالاستقلال لهذا العام، تتضح لنا الصورة الكاملة للحركة الوطنية، مثلاً:

1. دور حيدر علي وسلطان تيبو في استقلال الهند.

2. ثورة عام 1857م.

3. الحركة الوهابية ودور العلماء الآخرين في حركة التحرير.

4. حزب الكونجرس

5. حرب رابطة المسلمين.

6. حادثة جليانواله

7. دور الجامعة في حركة التحرير.

8. حركة الخدمة الإلهية

تم عقد المعرض التعليمي تحت رعاية الجمعية الهندية للتعليم في جلسة حزب الكونجرس في ولاية تري بورة، حيث ظهرت أعمال طلاب الابتدائية والثانوية بشكل بارز، وقرأ بعض أصحابنا الأعمال الكتابية بدقة ووصفوها بالعمل النموذجي.

وثمة أمر جديد أو إضافي ضمن أعمال هذا العام، هو أنّ السيد شفيق الرحمن القدوائيّ أسّس قسمًا جديدًا باسم "التعليم والتطور" منفصلاً عن أنصار الجامعة، وكان السيد حافظ فياض أحمد قد بدأ هذا العمل باسم المدرسة المسائية. ولكن كانت هناك حاجة إلى شخص يكرّس جلّ أوقاته في هذا الصدد، وليطالع الجهود المبذولة في الدول الأجنبية عن كثب، ويدير المدرسة كما تتطلب ظروف البلد وخاصة لصالح المسلمين على الأسس الصحيحة والمتينة. ولم يقتصر هذا العمل على المدرسة المسائية

فقط بل تم إدراج كافة الوسائل والطرق المتاحة التي من الممكن أن تساهم في توفير فرص التعليم لـ كبار السن في البرنامج. على سبيل المثال: (1) تعليم القرآن والحديث خلال الالقات. (2) وتربية الرأي العام حول الأمور الدينية والاقتصادية من خلال نشر الكتيبات الصغيرة والرخيصة. (3) إطلاع الناس على الأحوال اليومية من خلال الصحف الجدارية. (4) الالتمام بعقد الجلسات الشهرية. (5) إصالح الأوضاع الاجتماعية عن طريق المسرحيات. (6) التشجيع الناس على القراءة من خلال المكتبات الجواله. (7) إلقاء الدروس في المدرسة المسائية، ومن الواضح أن هذا البرنامج كان وسيعاً جداً، فكلماً زاد إقبال الناس اتسع نطاق العمل. حيث لم يدخر السيد شفيق وسعاً في إنجاح هذا العمل مثل أنصار الجامعة. وقد واجه هذا العمل إضطرابات وصعوبات إلا أن عزيمه السيد شفيق لم تفتر قط.

وسياتي ذكر إنجازات السنوات الخمس لهذا القسم بالتفصيل، ضمن أحوال عام 1943م. وكان هناك أمر جديد يتعلق بيوم التأسيس، يتثل في أن كل مشرف على الأقسام التعليمية والإدارية قرأ تقرير قسمه على الحضور، وفي الختام، أسعد البروفيسور محمد مجيب، شيخ الجامعة بالإجابة، الحضور مثلها يروي النهر الصافي الجاري بهدوء ظمأ العطشان، وفيما يلي خطابه:

مثلها انفردت الجامعة عن العادات العامة في أمور كثيرة، فاختارت منهجاً فريداً في تنظيم احتفالات يوم التأسيس، قد يبتسم عليه المخدوعون بالشأن والأبهة ابتسامة ازدراء، ويتخير منه من يختار طريقاً مستقيماً ملتزماً بالضوابط والقواعد، إلا أن من يقدر البساطة والإخلاص والأمانة والتواضع، يجد أشياء يثمنها في قلبه ويجعلها تذكاًر حياته. لم أكن موجوداً في الجامعة عندما كانت هناك جهود تبذل لإدارتها على نهج الجامعات الحكومية. فيحضر شخص عالي المنصب من الوطن، يوم التأسيس ليلقي خطاباً، ويوزع الشهادات، ويدي بنصائح أمام الطلاب مع الشهادات، حيث تعتبر

الشهادات العلمية بدون العمل بها، خدعة. وفي العام الذي جئت فيه، فكان الاحتفال احتفال الشكوى والانتقاد. ثم فكرت في أن يكون هذا الاحتفال فرصة التعبير عن ضيافة الجامعة وتواضعها وذوقها الأدبي لا الاحتفال بثروة الجامعة وأثرها. وسواء كان الاحتفال يعقد في شكل أصوات عالية أو صمت أو حفل عام أو خاص لأهالي الجامعة فقط، كما ننظر إلى نيتنا للخدمة من زاوية معينة جديدة ونسكنها قلوبنا بشوق متجدد. ولم نحاول في يوم من الأيام إرضاء هذه الدنيا التي تسعى دوماً لتساوي الدخل والمصروف، وتعتبر قص العزائم بمقراض المال، سرّاً من أسرار النجاح. ولم نضع ما نقوم به في قفص الحساب والأرقام. ولم نكن مطمئنين بحيث نريح الآخرين، وتحملنا مشقة أعمالنا بأنفسنا. لمن نقول إنّ الأعمال التي كلفنا بها، يتم القيام بها. وتم صرف المبالغ التي تلقيناها، حسب الحساب. لقد تعودنا أن نقيس طول الطريق الذي اخترناه، وأن نحسب، ونقدر ما حققناه من إنجازات وتطور، وذلك فقط لنمضي قدماً بكلّ عزم وأمل. وهذا ما كان مناسباً لنا.

وكان إنجازنا عبارة عن قدراتنا لنرى المقاصد التي لقد تمسكنا بها، بشكل أوضح. وأن نجد عزائمتنا التي احتفظنا بها في قلوبنا، أكثر قوة، وأن نرى الأعمال التي كنا نقوم بها، ممكنة التحقيق ووشيجة الإنجاز. وإذا كان جانب من إنجازنا أننا تعودنا على العمل بثبات، فالجانب الآخر والعزير إلى قلوبنا هو أننا بدأنا طريقة جديدة وأفضل من ذي قبل. وإذا صنعنا شيئاً ثم أردنا أفضل منه، محونا ما بنينا لبنني الأفضل بعزم جنوني. والأمر العظيم الذي يعتبر سرّ وجود الجامعة، هو أننا قد طورنا أنفسنا مع تطور أعمالنا، ولا يمكن فصل سير عمل الجامعة وأنشطتها عن أحوال قلوبنا وما يعتري هذه القلوب من مشاعر وأحاسيس، الجامعة ليست فقط مؤسسة أو مجموعة مؤسسات، إنها حكاية قلوبنا. وهي ليست مبنى أو مجموعة من المباني بل إنها سلسلة من العيون الجارية، التي تروي الأرض ويخضر بها المكان.

ولا بد أن يكون هناك نهر كبير لتدفق منه العيون، ليقدر على شق طرقها رغم تواجد الأرض الوعرة وآلاف العقبات. فتدفق العيون مرهون بقوة هذا النهر، وتنتشر أنعامها بأشودتها. ولا يمكن لأحد أن يحصل على هذ السلاسة والقوة والغناء إلا من منحه الله. فهو من يقوم بعمله، وهو من يعبر عن كلمته. وقد جرت هذه العادة منذ عدة سنوات بأن كل ما يُذكر عن الجامعة بمناسبة يوم تأسيس الجامعة، ذكر على لسان شيخ الجامعة. فكان يتحدث عما في قلبه. وجعلت شخصيته هذا الحديث مرآة شاهد من خلالها صورنا وصورة الجامعة. ولكن ليست تلك الصورة التي يمكن نقلها على الورق، وإنما هي صورة تسيطر على الحياة منسجمة بلونها وتاريخها ودياتها مع لون الشخصية الإنسانية، كما يظهر لون الأفق في السماء، والحقيقة أن الاحتفال بيوم تأسيس الجامعة عبارة عن انفتاح هذه الألوان واتساعها وتلاؤ أعمالنا في ضوئها.

وهذا العام، لا نستطع أن نحتفل بيوم التأسيس بهذه الفخامة، ولكن يمكننا أن نرى انتشار واتساع أعمالنا. وبإمكاننا أن نقدم الهدف الأكبر للجامعة أمام أعين الناس من خلال توحيد أهداف مؤسساتنا الأخرى. وستسمعون عن أحوال أقسامنا بإيجاز على السنة الذين تحملوا مسؤولياتها. وأنا أريد أن ألفت أنظاركم إلى أن الأعمال التي نسميها تدريباً وتجربة، بدأت تتحول تدريجياً، إلى أعمال مثالية يستند إليها. ويجب علينا أن نتم المسؤولية ونقوم بتطوير المهارات في طرق التعليم التي سبق أن جربناها، ليكون أساس الترقية والازدهار راسخاً وقوياً في المستقبل. ولا بد من أن يتم كل عملنا بسهولة وزاهة تمثل علامة صادقة للعزائم القوية والرغبة الصادقة. وعلينا الآن أن نعتد على أنفسنا على إنجاز الأعمال المفصلة، ولنعمل، بدلاً من استمداد القوة من المركز، أن نقوم بمنح القوة للمركز بشوقنا وبمحاسنا. وحفاظاً على روح العمل المشترك الذي يعتبر بمثابة مفخرة لجماعتنا الصغيرة، علينا أن نربط عملنا الخاص بأعمال الجامعة وأهدافها الكاملة بشكل منسجم فيتحقق تلقائياً كل ما ينبغي أن يحدث. وحالياً يتقدم عملنا سريعاً وذلك ليس

لأنّ مسؤوليات الأفراد قد زادت أو لأنّ عدد الأقسام يزداد باستمرار، وإنما بسبب أن الحياة التعليمية والثقافية للهند والتي كانت ترتبط فقط بإرادتنا وقلوبنا، بدأت تتحول إلى شكل جديد. والآن لا بد أن نطمئن على أعمالنا من داخل أنفسنا حتى نتمكن من تلبية ما تطلبه أمتنا، وبدون إتمامها، من المستحيل أن نحقق الجامعة أهدافها الحقيقية.

ثمة أخبار حزينة أيضاً، في هذا العام، انتقل اثنان من كبار أساتذتنا، كنا يميّكان في بيوتهما لكبر سنّهما، انتقلا إلى ذمة الله. ألا وهما السيّد مولانا سيد شرف الدين الملقب بالمؤمن، والذي كان أديباً ماهراً وشاعراً مخضرمًا، والتحق بالجامعة في زمن حركة ترك الموالاتة مع الإنجليز بعد أن ترك المدرسة الإسلامية المتوسطة في منطقة إيتاوا. وكان متديناً جداً، ففهما كانت حالة الطقس، كان يؤدي الصلوات الخمس في المسجد في أوقاتها، وكان يصلي قيام الليل أيضاً، وكانت عنده مذكرة يسجل فيها أي عمل صدر عنه خلاف الشريعة، لئلا يتكرر هذا العمل. والثاني السيّد منشي علي محمد خان، وكان ملتزماً وشديداً في الأمور الدينية، وصاحب التقوى والزهد كذلك، وكانت لديه قدرة فائقة في فن الخط، وكان يدعى برسم القلم.

ويتوقع أنّ هذه القطعة الشعرية التي كتبها بيده، لا تزال موجودة لدى بعض أصحاب الجامعة (ترجمة):

ينبغي لسرمد أن يشكو باختصار وينبغي أن يقوم بأحد الأمرين إما أن يفدّي نفسه رضى الصديق أو إذا أمكن، فليقطع صلته منه توفي أمين صندوق الجامعة السابق السيّد جمنا لال بجاج، وكان من أقدم أنصار الجامعة، وكان مبلغ كبير يصرف من قبله لفترة طويلة في الجامعة كمنح دراسية للطلاب الضعفاء مادياً. وعندما بدأ بناء مبنى الجامعة، تبرع بستة عشر ألف روبية لهذا الغرض.

وقد زار هذا العام عدد كبير من أعيان المدينة الجامعة، فانتهر أصحاب الجمعية المتحدة

الفرصة واستمع الطلاب إلى أفكارهم وتعرفوا على وجوههم. حيث ألقى كلٌّ من السيّد سبهاش تشاندرا بوس، رئيس حزب المؤتمر، والسيّد بابو راجندر برساد، والبروفيسور كيه. تي. شاه، والسيّد بي. مكرجي (المسؤول الخاص للتعليم الإجمالي، ولاية بهار) والبروفيسور الصيني محمد إبراهيم، والشاعر والأديب الشهير سرور خان كويا من كابول، والبروفيسور هار لو والسيّد سليمان الندوي، والمولانا آزاد سبحاني محاضراتهم في أوقات مختلفة. ومن خارج البلاد، زار العالم الروسي الشهير موسى جار الله الجامعة، والذي له مؤلفات باللغة الروسية والتركية والعربية. ومكث في الجامعة عدة أيام. وصرح السيّد سالتر ديونير، عضو هيئة المنح التعليمية لإنكلترا، بعد أن تجوّل في الجامعة:

"استمتعت بالتجوال في الجامعة كثيراً، وتعلمون أنني استعرضت عدة مدارس خلال سياحتي للعالم، وليس لدي أي تردد في أن أقول بأنني وجدت مؤسستكم أكثرها متعة.

ولم يتمكن السيد مصطفى نحاس باشا، زعيم حزب الوفد المصري، من زيارة الهند بدعوة من حزب المؤتمر الهندي لعدة أسباب، إلا أنه أرسل أربعة أعضاء من هذا الحزب، إلى الهند، وقد زاروا الجامعة، وتم عقد حفل الشاي بعد العصر، ونظمت الجمعية المتحدة جلسة، وكان الزعيم بندت جواهر لال نهرو عضواً فخرياً لهذه الجمعية، فقد ترأس الجلسة. وكان حجم التبرعات التي تم استلامها هذا العام، لم تحصل عليها الجامعة من قبل، وقد تبرعت حكومة حيدر آباد بمبلغ قدره مئة ألف روبية في قسط واحد، لو تذكرتم فإنه في عام 1930م، تم الحصول في قسط واحد، على خمسين ألف روبية، إضافة إلى التبرع المستمر بمبلغ ألف روبية شهرياً، من حكومة هذه الولاية السخية التي سبق أن قدّمت مثل هذه التبرعات إلى كثير من المؤسسات. والتبرعات الأخرى كما يلي:

التبرع السنوي:

جمعية تعليمية لوردها:	مئتان وخمسون روبية شهريا لأجل مدرسة المعلمين
-----------------------	--

ولاية كشمير:	مثنان وخمسون روبية شهرياً
شركة مغل لائن للسفن:	مثنان وخمسون روبية شهرياً للمنح الدراسية

تبرعات في دفعة واحدة:

1. السيد أحمد علاؤ الدين	خمسة آلاف روبية
2. السيد كمال يار جنغ بهادر	ألفا روبية
3. السيد نواب زادة ذو الفقار إقطاعي كرنال:	خمسمئة روبية
4. السيد لال المدير العام بواسطة عبد اللطيف خان المهندس	خمسمئة روبية

5. السيد خان بهادر ميان نصير الدين، رئيس الوزراء للقلات

6. طالب الجامعة السابق السيد علي حسن، من سنغافورة ألف روبية

ونتيجة لهذا، قد بدأ بناء المبنى الكبير الثاني للمدرسة الثانوية في منطقة جامعة نغر.

وفيما يخص مجمع الرويات، رافق كل مَنْ كان لديه كفاءة لجمع التبرعات، مع السيد شفيق، إلا أنّ السيد شفيق جعل هذا العمل الصعب ممكناً، وكان السيد خواجه عبد الحي منظور أحمد من أصدقائه المقربين.

حتى الآن كانت الجامعة تدار حسب الدستور الأساسي الوجيز للجمعية التعليم القومي، والذي تمت المصادقة عليه في 30 سبتمبر عام 1928م، إلا أنّ أعمال الجامعة كانت قد اتسعت لحدّ كان هناك حاجة إلى دستور أساسي مفصّل. وخلال إعداد هذا، طرأت فكرة أنّ يتمّ الدستور نظراً إلى أغراض الجامعة بدلاً من إدارة الجامعة باعتبار الجامعة المليية الإسلامية جزءاً من أعمال الجمعية، لذا نظرت المجلستان من الجمعية هذا العام، في المسودة الجديدة، نهائياً، تمت الموافقة على الشكل النهائي من الدستور باسم الدستور الأساسي للجامعة المليية الإسلامية، في جلسة عقدت في 8 ديسمبر 1938م، وذلك بدلاً من دستور جمعية التعليم الوطني. وتم تسجيله في 4 يونيو عام 1939م،

ومن أهم النقاط ما يلي:

1. سيكون اسم الجمعية الجامعة الملّية الإسلامية.
2. تكون أغراض هذه الجمعية كالتالي:
 - (ألف) ترويج التعليم الديني والعصري الذي يستوفي بالحاجات القومية والوطنية، ويبني على المبادئ التعليمية الصحيحة، وسط الهنود ولاسيما المسلمين. ولتحقيق هذا الغرض، إنشاء المؤسسات التعليمية المناسبة، وإدارتها والإشراف عليها.
 - (ب) تنظيم الامتحانات، ومنح الشهادات.
 - (ج) العمل على نشر العلوم، وإجراء التحقيقات والبحوث العلمية والمساعدة فيها.
 - (د) إجراء التجارب التعليمية.
 - (هـ) إبرام الاتفاقيات لأغراض الجمعية، اقتراض الروبيات ومنحها كقروض، والحصول على الممتلكات المنقولة وغير المنقولة، والسيطرة عليها.
 - (و) شراء الممتلكات المنقولة وغير المنقولة، وبيع جزء منها أو كلها، تمتلكها الجمعية مباشرة، ومنحها على رهن، وتبادلها، واستثمارها في التجارة، أو تحويلها إلى شكل آخر.
 - (ز) جميع الأموال ورأس المال واستلام التبرعات والهدايا بغرض تحقيق غرض الجمعية وإدارة مؤسساتها.
 - (ح) تسخير كل التدابير التي هي مفيدة أو ضرورية لتحقيق الأغراض المذكورة أعلاه.
3. ستكون الجمعية ملتزمة بالمبادئ الأساسية المذكورة أدناه، لأجل أداء مسؤولياتها ولأجل تحقيق أغراضها:

(ألف) إنها ستكون مجموعة تعليمية مستقلة، لا تقبل أيّ تدخل خارجي أو تدخل حكومي في وضع دستورها وضوابطها ومقرراتها الدراسية وإصلاحها وإلغاءها.

(ب) وإنها لن تقبل أيّ دعم مقيّد بشرط يعارض مبادئها.
(ج) وسيتم اختيار منهج التعليم في مؤسساتها من البداية إلى النهاية باللغة الأردوية،
بينما سيتم اختيار المنهج التعليم في اللغات الأخرى أيضاً في الظروف الخاصة.
(د) وإنها ستسعى لخلق التسامح المتبادل والعلاقات الودية بين أتباع الديانات المختلفة
في الهند.

4. وتحتوي الجمعية على الأعضاء المذكورين أدناه:

(ألف) الأشخاص المذكورين تحت: (1) سبق أن وقّعوا على هذه المعاهدة، حتى
أنهم يتقيدون بهذه المعاهدة.

أنا..... بن.....أتعهد بأني لغاية
عشرين سنة، أو طول الحياة، (أيهما أقل)، سأخدم الجمعية- الجامعة الملكية
الإسلامية، ولن استلم مبلغاً أكثر من مئة وخمسين روبية شهرياً كراتب مقابل
خدمتي. ولأكون متلزماً بدستور الجمعية وبأغراضها تماماً. وأنا أتقيد بالضوابط
والقواعد التي سيتم وضعها بموجب هذا الدستور من وقت لآخر.

(ب) أساتذة الجامعة الملكية أو أعضاؤها الذين يوقعون على المعاهدة المذكورة أعلاه،
واستمروا في الالتزام بها، بشرط سبق أن خدموا الجامعة لمدة خمس سنوات على راتب
قدره مئة وخمسون روبية أو أقلّ منه. وذلك بشرط أن توصي لجنة الشؤون الإدارية
بانتخابهم، بحيث يؤيد ثلث إجمالي عدد الأعضاء الحاليين في الجمعية، هذا الانتخاب.

(ج) ومن أمناء الجامعة السابقين المذكورة أسماؤهم أدناه: 1- السيّد جمنا لال بزاز
(وردها). 2- السيّد جمال محمد (مدراس) 3- المولوي عبد الحق (دلهي) 4- عبد
المجيد خواجه (إله آباد) 5- المولوي مسعود علي الندوي (أعظم غراه).

(د) سبعة أشخاص على الأكثر من الشخصيات البارزة في البلاد ومن أساتذة

الجامعة والمنتسبين إلى الجامعة، انتخبهم ثلث إجمالي عدد الأعضاء الحاليين للجمعية بناء على خدماتهم القيّمة تجاه الجامعة.

5. وإنّ الأعضاء المذكورين بموجب بند 4 (ألف) و 4 (ب) بعد أن التزموا ببند 4 (ألف) من المعاهدة لمدة عشرين سنة، سيقون أعضاء مدى الحياة.

6. وإنّ الأعضاء المذكورين بموجب بند 4 (ج) سيقون أعضاء مدى الحياة.

7. وسيتم انتخاب الأعضاء المذكورين ضمن بند 4 (ذ) لمدة ثلاث سنوات، وقد يتم انتخابهم من جديد بعد انتهاء فترة عضويتهم.

8. ستنتخب الجمعية من أعضائها أصحاب المناصب التالية:

1- أمير الجامعة 2- شيخ الجامعة 3- أمين الصندوق للجامعة

وبموجب هذا الدستور، بدأ أصحاب المناصب التالية أعمالهم:

1- أمير الجامعة: عبد المجيد خواجه

2- شيخ الجامعة: د. ذاكر حسين خان

3- أمين الصندوق: البروفيسور محمد مجيب

4- المسجل: الحافظ فياض أحمد

رجال تأثرت بهم

- سيّد سليمان الندوي¹

- د. محمد معتمد الأعظمي²

إنّ إذاعة عموم الهند، دلهي (All India Radio, Delhi) قامت بنشر سلسلة من الخطابات لعلماء الهند البارزين حول الموضوع أعلاه قبل سنوات عديدة مضت، وكانت من بين هذه الخطابات التي سجلتها خطاب العلامة سيّد سليمان الندوي رَحْمَةُ اللهِ، وكانت تستحق النشر في هذه المجلة لأسباب مختلفة ولكن لم تتمكن من ذلك، فالآن ولو قد مضى عليه سنوات عديدة تقدّم هذه الهدية إلى حضرات قراء مجلة "معارف" (مع الشكر الجزيل لإذاعة عموم الهند). مدير تحرير مجلة "معارف"

كان القرن التاسع عشر على وشك الانتهاء، وبدأت تفتح عيون حواسي وتميزي، وكنت ابن الخامسة عشر أو السادسة عشر من عمري. حين كانت الهند بأكملها قد أصبحت عبارة عن أفكار غير واضحة بسبب الصراع بين القديم والحديث، وكانت ترنّ في الأذان أصوات نوعين من الحركات؛ إحداهما: حركة السير سيّد أي نشر التعليم الإنجليزي، ومحاولة التوافق بين العقل والطبيعة. والأخرى: حركة إعادة تنظيم التعليم العربي القديم من خلال تعريف العلماء بالأفكار والفلسفة الجديدة للعصر الجديد، وقد قادها ثلة من العلماء المستنيرين، وكان من الغريب أيضاً أنّ مركز هذه الحركة كان مدرسة عربية في علي كره، وهي كانت يغشّيها الشيخ لطف الله، وكان المركز الآخر لهذه الحركة مدينة دلهي حيث كان الشيخ سيّد نذير حسين المحدث

¹ علم من أعلام الهند في الدراسات الإسلامية والتاريخية.

² نائب مدير تحرير المجلة ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها، كلية سيوري فيديا ساغر، بنغال الغربية، الهند

الدهلوي أقام دروسه. ورنّت أصوات هاتين الحركتين في أذنيّ أيضاً، ولكن عائلتي كانت متأثرة بالحركة الثانية، ولهذا السبب كان اهتمامي بهذه الحركة الأخرى، الذي نما وتطور حتى أصبح جزءاً من حياتي.

وكان أول أثر لهذه الحركة أنّ العلماء حاولوا إنشاء مدرسة عربية جديدة عن طريق المزج بين القديم والحديث، وكان أول من أنشأ مثل هذه المدارس هو الشيخ إبراهيم الآروي التليذ الشهير للشيخ سيّد نذير حسين الدهلوي الذي أقام المدرسة الأحمدية في مدينة آره بولاية بيهار. وبعد ذلك أنشأت حركة ندوة العلماء مدرستها الجديدة باسم "دار العلوم" في مدينة لكناؤ. فأراد والدي رَحِمَهُ اللهُ أَنْ يرسلني إلى المدرسة الأحمدية، ولكن كان بعض أفراد عائلتي مائلاً إلى حركة ندوة العلماء؛ ولذلك قرّر أنّ أدخَلَ في دار العلوم التابعة لندوة العلماء بلكناؤ، ولكن بسبب التأخير في التسجيل أدخَلْتُ لبضعة أشهر في خانقاه پهلواري، وهي كانت تقيم كلّ أسبوع أمسية شعرية (قوالي) فكانت البلدة يشيع فيها الشعر والاهتمام به وهذا الأثر يبقى حتى الآن، فتفنّستُ في هذا الجوّ، وهنا عثرت لأول مرة على رواية "منصور موهنا" للهلوي عبد الحليم شرر. وتأثرت بها إلى أن صببت الدموع عندما أنهيت قراءتها.

وبعد مرور عام تمّ نقلي إلى المدرسة الإمدادية في مدينة دربنغه، والتي أنشئت على طراز دار العلوم، حيث شهدتُ أولاً نادي الطلاب، واستمعتُ إلى خطاباتهم، وفي الأسبوع الثاني أقيمتُ خطاباً حول موضوع "الوقت" فأشاد بي الناس وشجّعوني على هذا.

وندوة العلماء التي ذكرتها آنفاً هي اسم لندوة من العلماء الذين جمعوا لأول مرة جماعة العلماء المتفرقين تحت راية، وعرفوهم بالطرق والأساليب الجديدة لخدمة الأمة، والعلوم والفنون. وكانت اجتماعاتها تتعقد كلّ عام في مدن الهند الكبرى. وحتى نهاية العام 1900م انعقد الاجتماع السنوي لهذه الندوة في مدينة باتنا باهتمام كبير، وكان هذا الاجتماع أشبه بحجر من العاطفة والحماس. وهذا هو أول مرة

اجتمع لها أصحاب العمام والقبعات، والعلماء والمثقفون الجدد، وكلهم جلسوا على منصة واحدة، وفكروا في صالح الأمة، كما أنني حضرتُ هذا الاجتماع مع أفراد عائلتي، ولقد شاهدت عيني هذا المشهد الأول للخدمة الوطنية، ورأيت في نفس الاجتماع المشهد المثير للإعجاب، وهو أن المحامي يلقي خطاباً مرتدياً المعطف والبنطلون، يبكي بنفسه ويبكي العلماء والمشايخ.

وفي نفس الاجتماع شهدت لأول مرة الخطيب الثاني لهذا الاجتماع الشيخ (السير) عبد القادر الاهورى الذي كان رئيس تحرير صحيفة "آزرغر" في ذلك الوقت، وفي بداية خطابه كان يقتبس بطريقة ممتعة من الأخبار المختلفة لحرب البوير التي كانت تدور في جمهورية الترانسفال، ويقول: "لماذا نتق بكلام الصحفيين؟" وبعد هذا التمهيد قال: "أنا أيضاً كاتب صحفي وإذا قلت لك "إن الثروة العظيمة لكباركم لا تزال محبوسة في الدواليب والصناديق، ولكنكم لا تعلمونها فلماذا تصدقوني؟" ثم اقترح بجمع كتب الحكماء القدماء تحت إشراف ندوة العلماء. كان خطابه مثيراً للاهتمام لدرجة أنه بهتني مع جميع السامعين في هذا الاجتماع، وثارَت به عاطفتي لإلقاء مثل هذا الخطاب الذي مارسه فيما بعد. وبعد انتهاء الاجتماع اشتقتُ فسافرتُ إلى لكناؤ، وتم قبولي في دار العلوم لندوة العلماء، وكان هذا هو المكان الذي قد أصبح في ذلك الوقت مركزاً لعلماء الهند كلها ومرجعاً لكبار شخصياتها، فرأت عيني فيه كل شيء، وسمعتُ به أذناي ووعته ذاكرتي.

وهنا كانت شخصية هندية مشهورة وهي رئيس مدرستها أعني الشيخ محمد فاروق التشرياكوتي، كان إماماً للأدب والمعقولات في عصره، وكان ما يميزه عن غيره طريقة تدريسه، لأنه كان يدرس عملياً، ويقوم بتمرينه، وكان هذا أسلوبه في جميع الفنون من الصرف والنحو والأدب والعروض والمنطق والفلسفة. ومن خصائصه الأخرى أنه لم يكن مقيداً بألفاظ الكتاب يعني أنه لم يكن يدرس الكتاب، بل كان

مجلة الهند..... رجال تأثرت بهم

يُدرّس مسائل ذلك الفن، وكان من نتائج دروسه أنّ الطلاب كانوا يملكون ناصية الفن، وأكبر دليل على تحسين أسلوب تدريسه أنّ قد برزت من مدرسته المثالية شخصية عملاقة ألا وهي العلامة شبلي النعماني.

وعلى كلّ أنّ أسلوب تدريس الشيخ التشريياكوتي قد جعل الدروس سهلة في غضون أيام قليلة كأنه رفع الحجاب عن العيون فالحقول، وبدأت تبدو المسائل المعقدة التي لم يكن يفهمها الطلاب بعد شرح الأساتذة تبدو لهم مثل الشمس في رابعة النهار، فهذه هي شخصية أولى أثّرت في قلبي وعقلي.

لقد ذكرتُ أنّ أول كتاب في الأدب الأردوي عثرتُ عليه يداي هو "منصور منها" للشيخ شرر فلذا تأثّرت كتابتي أولاً بأسلوب الشيخ شرر.

وفي عام 1900م أصدر الشيخ عبد القادر مجلة "مخزن" عن مدينة لاهور، وقد كان كتاب اليوم القدامى من كتابه الشباب، وأول مقالة كتبها في حياتي هي التي نشرت في هذه المجلة، بل حينما قرأتها ثارت في عاطفة كتابة المقال.

وفي عام 1904م، أصدرت حركة ندوة العلماء بنفسها مجلة باسم "الندوة". ووجهني الشيخ سيّد عبد الحيّ المدير المساعد لهذه المجلة أنّ أكتب لها، فكتبْتُ مقالاً عن علم الحديث، وآخر عن فن المنطق، وبالتالي تم قبولهما للنشر في "الندوة". ولكن في الوقت نفسه جاء العلامة شبلي النعماني المرشد الحقيقي لحياتي الأكاديمية إلى "دار العلوم لندوة العلماء" في عام 1905م، وقد كُتبت هاتان المقالتان على أسلوب الشيخ شرر رَحِمَهُ اللهُ فأبقى العلامة المقالة الأولى بعد تعديلات وتغييرات طفيفة، ولكن رفض المقالة الأخرى التي كانت أكثر تأثيراً بأسلوب الشيخ شرر. ومنذ ذلك الحين بدأت أقلّد أسلوب العلامة شبلي، ولكن الأمر استغرق بعض الوقت للوصول إلى الغاية المنشودة، وذلك أنه لم يبلغ هذا

الأسلوب إلى الكمال إذ تيسّرت لي قراءة "سخندان پارس" لشمس العلماء آزاد الدهلوي في عام 1907م، فجذبني بسحره فكتبت مقالة أو مقالتين بهذا اللون، ولكن أسلوب الكتابة هذا كان رائعاً إذا صدر الكلام عن العاطفة، وإذا لم يصدر الكلام عن العاطفة فلا يدانيه مقال أدنى من ذلك، فاضطرت لذلك وانحرفت عن ذلك ورجعت إلى الطريق الذي أشار إليه المعلم لأنه لا يوجد أسلوب آخر أكثر فعالية من أسلوبه في الكتابة للمواد العلمية، فتعلّمت منه طرق التصحيح مراراً وتكراراً، وقرأت كل مؤلفاته مرّات عدّة، واخترت صحبته لسنوات حتى ظهر منهج الحياة الأكاديمية، وأسلوب الخطاب ولون الكتابة.

وأما ذوقي السياسي فكان أيضاً مديناً للعلامة شبلي رَحْمَةُ اللَّهِ، فرغم صحبته للسير سيّد في عمر كان ثمانية عشر عاماً إلا أنه لم يرض عن آرائه السياسية، ثم اشتد هذا الذوق بسبب معركة طرابلس، وثورة مسجد كانفور، وحرب البلقان، ونتيجة لذلك تأثّر المولانا أبو الكلام آزاد بالعلامة شبلي ولما أصدر صحيفته "الهلال" في 1912م انضمت إلى هيئتها. ومن أجل المحافظة على المستوى الأدبي للصحيفة بدأت الكتابة بأسلوبه هو، ولذلك فالكتابات التي صدرت عن قلبي زمن التحاق بها أغلبها أسلوب المولانا أبي الكلام آزاد إلى حد كان الناشرون يطبعونها خطأ باسم المولانا آزاد، ويتمتعون بها ويستجدون ذلك اللون في كتابي الأول "أرض القرآن" بعد أن حاولت كثيراً أن أجتنبه.

والشذرات التي تكتب كافتتاحية مجلة "معارف" بدأتها في صحيفة "الهلال"، لكن عندما قدّمتها في مجلة "معارف" قلّ لون "الهلال"، ومن ثم ظهر لون آخر اختصّ بـ "معارف".

ولكن بعد الهيمنان في وديان عدّة لأيام قلّ لثلاث عدت إلى نفس الطريق الذي قادني إليه المعلم رَحْمَةُ اللَّهِ، ولاسيّما في "سيرة النبي" (عليه أفضل الصلوات) فقد حاولت أن

أكتب بأسلوبه قدر المستطاع.

وفي البداية قد اعترفت بجريمة ظلمت أخفيها وهي جريمة ذوق الشعر؛ فلها بدأت أدرس شهدت الصراع بين أمير وداع في البلاد، وكان لي أستاذ وهو شمس العلماء الشيخ حفيظ الله مدرّس دار العلوم الذي قد أقام بمدينة رامبور في زمن الجنرال عظيم الدين، واستفاد من صحبة المنشي أمير أحمد المينائي لسنوات، وكان يذكر أمير أحمد كثيراً، وينشد لنا من أشعاره، ومن المصادفات كذلك كان التلميذ الجليل لأمر المينائي، جليل المانك فوري الذي كان يُعرَف بالنوّاب فصاحت جنك وكان شقيقه الأكبر السيّد صديق زميلي في الدرس في دار العلوم لندوة العلماء، فقرأتُ عدداً من غزليات أمير المينائي بواسطته حتى وقعت في قلبي مكانة عليا لأمر رَحْمَةُ اللهِ، وكنت أدرس في كثير من الأحيان ديوانه "مرآة الغيب"، وقد كان يُعقد مجلس الشعر في دار العلوم من قبل الطلاب، وكانت تنشد الغزليات، فكان أحد منا يمثل شخصية داغ، وكنت أنا أحبّ الشاعر أمير. ولكن حينما وضع العلامة شبلي النعماني أسلوباً جديداً للشعر الأردوي عام 1912م أردت أن أتبع أستاذاً في ذلك تماماً فكتبت منظومات عديدة بذلك الأسلوب الذي انتهى على رثائه الذي نشر باسم "نوحه أستاذ" في عام 1915م من مدينة بونة حيث كنت محاضراً للغة الفارسية بكلية دكن. وحينما كتبت هذا الرثاء أرسلته إلى أكبر الله آبادي والدكتور إقبال وعزيز اللكاوي والشيخ الشيرواني وغيرهم من أصدقاء أستاذاً وأحبائه فأشادوا بي وشجّعوني عليه، ولكن كان هناك رجل خبير ذو كمال منهم كتب إليّ لطفاً، وقال: سامحي أنك لست بشاعر، ثم أشار إلى نكتة مهمة رسخت في نفسي. وإنه قال: "إنّ الإنسان لا ينبغي له أن يعرض موهبته للآخرين ما دام لا يتمكن من فنّ ما، فنذ ذلك الحين طويت بساطي للشعر وتركته، وبعد ذلك إذا قلت شيئاً متأثراً بجيشان قلبي أخفيته كما يخفي معيب عيبه، وإن لم أقدر على

إخفائه وأذيع به فرمزتُ اسمي لهذا ولم أعلن به. وهذا الرجل الكامل المحنك الذي قدّم لي هذه النصيحة الغالية وحول جهتي عن قول الشعر إلى كتابة النثر كان النّوّاب عماد الملك سيّد حسين البلكرامي.

وكذلك حينما كنتُ طالباً أرشدني شيخ كبير آخر قبل فوات الأوان إرشاداً قلّب أخيلتي ظهراً لبطن، وهذا الشيخ هو السيّد محمد علي المدير الأول لـ"ندوة العلماء"؛ وقد كنت حينذاك مولعاً بالأدب العربي والمنطق، فدعاني يوماً وسألني عن فنون أولع بها فرددت عليه: الأدب العربي والمنطق. فقال لماذا؟ فقلت: إنهما خادمان للعلوم الأخرى ووسيلتان لها، فقال لي: متى تهتم بتلك العلوم الأساسية؟ قلت عندما أكون متمكناً منهما. فقال: إنّ في ذلك تنتهى حياة علمائنا بأكملها، ولم يمكن لهم الاهتمام بالعلوم الحقيقية، ثم حكى لي حكاية "إنّ رجلاً اشتاق إلى تأليف الكتب فبدأ بنحت الأقلام حتى امتلأت جميع الغرف بالأقلام، فسأل سائل، لماذا تنحت هذه الأقلام؟ فأجاب بهدوء: إني أريد تأليف الكتب، فسأله: فمتى يكون ذلك؟ فقال الرجل: حينما أفرغ من نحت هذه الأقلام.

هذا مثلاً لأنّ الجزء الكبير من المناهج الدراسية يدرّس كمقدمة وسيلة للدراسات الدينية، ولكنها في الواقع تحلّ محلّ التعليم الأصلي. أثرت هذه القصة عليّ لدرجة أنني لم يحدث لدي أيّ مغالطة بين وسائل العلوم والعلوم المستهدفة طول حياتي.

وكنت في دار العلوم ذاتها إذ التقيت برجل آخر كبير السن وهو كان الشيخ حميد الدين (عبد الحميد) ابن خال العلامة شبلي، كان عالماً باللغة العربية، وخريج اللغة الإنجليزية، وتعلّم الفلسفة على الدكتور آرنولد، والأدب العربي على الشيخ فيض الحسن السهارنفوري، وكان ممن خرج من غياهب إكمال الدراسة الثانوية، ووصل إلى الغاية المنشودة، وظلّ يتفكر في معاني القرآن الكريم وأسراره لسنوات عديدة، ولو أنني لم أتلق عليه دروس القرآن الكريم، والفلسفة الحديثة إلا قليلاً، ولكني صاحبته مراراً،

واستشرته مرّات وكُرّات عند مشاكلي وصعوباتي، وقد اتبعت طريقته في المجلد الثالث من كتابي "سيرة النبي" وهو يشتمل على معجزات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يعلم الجميع أنّ ذوقي للتأليف قد نشأ على أيدي العلامة شبلي، وكان من عادات أستاذي رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان يرشد الطلاب الجدد إلى أن يكتبوا المقالات أولاً، ويختار لهم الموضوعات بنفسه، وفي حين آخر أنهم كانوا يختارونها بأنفسهم. ثم يرشدهم إلى الكتب التي توجد فيها المعلومات المتعلقة بالموضوع، وكانوا يبحثون فيها بجهودهم، ثم كانوا يقومون بتدوينها بعد جمع المعلومات الكثيرة، ثم يقدمونها إليه، فيهدّدها ويعدّلها. ثم تأتي مرحلة الكتيبات، ومن ثم تأليف الكتب، مع التأكيد عليهم بأن يبحثوا ويجمعوا المواد والمعلومات بحيث لا يتركوا أيّ جانب من الجوانب، فإذا سبقه كاتب آخر غيره في الموضوع، فيجب أن يكون مقاله مختلفاً عنه تماماً أو يكون أفضل منه، ولا ينبغي نسخ أيّ حدث بدون مرجع موثوق به، ويجب أن يهتمّ بالمصادر القديمة والموثوق بها. كما يجب الاهتمام بتصحيح العبارات مع المعاني وبساطة الأسلوب وندرة التشبيهات والاستعارات، وكذلك يجب تجنب المعلومات التافهة، والتعبير والألفاظ الشائعة تماماً، وهذا كان أسلوبه، ويتّبع إلى الآن هذا الأسلوب في دارنا (دار المصنّفين) التي يربّي فيها العلماء والمثقفون على الكتابة والتأليف.¹

¹ مع الشكر لمجلة "معارف" الشهرية، 12-5/1/66

منهل تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها عند الدكتور ف. عبد الرحيم في ضوء كتابه: دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها

- د. محمد فضل الله شريف¹

إنّ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها أصبح طلباً متزايداً في هذا الزمان في العالم المترابط، لأنّ اللغة العربية قد اكتسبت أهمية كبيرة في المجالات المختلفة، من التجارية، وإلى الأوساط الأكاديمية، ولذا يسعى الأفراد في هذا العالم المترابط للتعليم والاحتراف لهذه اللغة العربية الغنية والمعقدة.

لا بد من المعرفة بأنّ اللغة العربية ليست مجرد لغة، بل هي مفتاح لفهم التراث الثقافي الغني والتاريخ والتقاليد لأكثر من 400 مليون ناطق في جميع أنحاء العالم، لأنّ اللغة العربية تحتل اليوم المكانة الخامسة في المرتبة بين اللغات العالمية من حيث عدد المتحدثين والمعنيين بها، علاوة على ذلك أنّ اللغة العربية وهي اللغة الرسمية لأكثر من 25 دولة، بما في ذلك جامعة الدول العربية والأمم المتحدة.

إنّ تعلّم اللغة العربية لا يساعد فقط في تبادل الثقافي، بل يعطي فهماً أفضل وتقديراً عظيماً للعالم العربي، وإنّ اللغة العربية لا يستهان بأهميتها لغير الناطقين بها بحيث أنّ غير الناطقين بها يحصلون بها على عديد من المنافع من النظرة العميقة إلى التقاليد، والقيم في المجتمعات العربية، علاوة على ذلك أنّ اللغة العربية تحتل المكانة السامية الكبيرة في عالم الديانة، حيث إنها لغة القرآن، ولغة الحديث النبوي الشريف، ومن خلال تعليم اللغة العربية يمكن لغير المسلمين أيضاً أن يكتسبوا فهماً أعمق للتعاليم الإسلامية، مما يسهل لهم

¹ رئيس هيئة الدراسات العربية الشرقية بالجامعة العثمانية سابقاً وأستاذ مساعد بكلية إيه كيه إيم الشرقية التابعة للجامعة العثمانية.

الطريق في المشاركة في الحوار بين الأديان وبناء جسور من التسامح والاحترام. كما يلعب العالم العربي في هذه الآونة دوراً مهماً في الاقتصاد العالمي والسياسة، يمكن بإجادة اللغة العربية لغير الناطقين بها فتح أبواب للتجارة الدولية والدبلوماسية، والتبادل الثقافي، علاوة على ذلك تمتلك اللغة العربية تراثاً أدبياً يمتد عبر القرون الطويلة، يحصل لغير الناطقين بها على وصول مباشر إلى أعمال أدبية أصيلة للشعراء وفلاسفة وعلماء مؤثرين من الماضي والحاضر، يتيح ذلك لهم التقدير والفهم للأدب العربي بشكل أصيل، دون أي نقصان في المعنى عبر الترجمة. وله أثر عميق على أداء مهام الأكاديمي. ومنظمة الأمم المتحدة تعتبر اللغة العربية واحدة من اللغات الرسمية، وتستخدم على نطاق واسع في المنتديات والمنظمات الدولية من خلال تعلم اللغة العربية، يمكن لغير الناطقين بها المساهمة في تجاوز الفجوة اللغوية وضمان التواصل في عالم متعدد اللغات. يمكن كذلك لغير الناطقين بهذه اللغة العربية بتعلم اللغة العربية مثل أي لغة جديدة، حفز القدرات الإدراكية ومرونة الدماغ، وحسن الذاكرة وتنمية المهارات في حل المشكلات، وتعزيز القدرة على التنقل بين مهام مختلفة.

ومن فوائد تعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها أنها تعطي فرصاً عديدة، بما فيها الفرص المهنية، ولا ريب أن إجادة اللغة العربية والإتقان بها مما يفتح فرصاً مهنية متنوعة في مختلف الصناعات، لأنّ العالم العربي يلعب الآن دوراً مهماً في التجارة العالمية والمالية وقطاع الطاقة، وكذلك تعلم اللغة العربية يسمح لغير الناطقين الفرص للتواصل بشكل أعمق مع العالم العربي وثقافته المتنوعة، وكذلك يمكن للناطقين بغيرها الوصول إلى التراث الثقافي الغني للغة العربية، والفوائد الدينية والروحية الأخرى التي تتعلق بفهم القرآن والتعليمات الإسلامية، يتمكن الناطق بغيرها من السفر والسياحة إلى العديد من البلاد المتقدمة العربية.

هناك كتاب للدكتور ف. عبد الرحيم، وهو كتاب جيد ومفيد في تعليم اللغة

العربية لغير الناطقين بها، وهذا الكتاب يحمل خصائص وميزات تتميزها عن الكتب المؤلفة في هذا الصدد.

وهذا كتاب قيم، ينطبق على هذا الكتاب جميع المبادئ والأصول المتعلقة بمنهج التدريس لغير الناطقين بها، ومن ميزات هذا الكتاب أنه جاء تأليفه بغاية من الدقة والمهارة، فقد نجح الأستاذ في فهم عقلية المبتدئي ومشكلاته، وفي تقديم الحلول المناسبة لها.

سيرة الدكتور ف. عبد الرحيم

كان الدكتور ف. عبد الرحيم، مؤسس معهد اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومدير مركز الترجمات بجمع الملك فهد للطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ومشير على معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وأستاذ مشارك في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

كان من مواليد مدينة فانيامبادي بولاية تاملنادو، بالهند، 13 من محرم الحرام عام 1352هـ الموافق 7 مايو 1933م، واسمه الأول على الحقيقة هو "عبد الرحيم" والفاء التي يثبتها قبله هي اختصار لاسم أسرته "فانيا ميادي". وقد تلقى التعليم الابتدائي في مقسط رأسه في مسجد الحي، ثم حصل على الدراسة الابتدائية والثانوية في المدرسة الإسلامية التابعة لجمعية التربية المحمدية لمدينة فانيامبادي، ثم التحق بجامعة مدارس حيث نال شهادة ماجستير في اللغة الإنجليزية وآدابها من نفس الجامعة، عام 1957م، ثم حصل على شهادة ماجستير في اللغة العربية وآدابها من جامعة عليكرة الإسلامية بالهند عام 1963م وشهادة "أفضل العلماء" في اللغة العربية والعلوم الإسلامية من جامعة مدراس عام 1961م، وأخيراً رحل إلى مصر عام 1964م، والتحق بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، وأخيراً حاز شهادة الدكتوراة في أصول اللغة العربية من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام 1973م.¹

¹ الدكتور ف. عبد الرحيم، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، دار القلم، دمشق، 2011م.

اللغات التي كان يعرفها: كان الأستاذ متقناً لأكثر من 14 لغة عالمية ومحلية، ومنها العربية والإنجليزية والأردية والفارسية والهندية (وهذه اللغات الخمس كان يتقنها) والتاميلية والفرنسية والألمانية واليونانية والتركية والعبرية والاسبانتو، واشتغل طيلة حياته بالعلم والمعرفة فلم يتزوج، فهو من العلماء العزاب الذين آثروا العلم على الزواج.

المناصب: تربع على منصب المحاضر للغة الانجليزية وآدابها بجامعة مدراس، ثم المحاضر للغة العربية بنفس الجامعة، ثم تقلب على المناصب المختلفة، حيث انتقل للعمل في السودان، وتولّى رئاسة قسم اللغة الانجليزية بجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان، ثم راسل الشيخ عبد العزيز بن باز نائب رئيس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وأبدى رغبته في التدريس في الجامعة، وجاء القبول، فانتقل إلى المملكة العربية السعودية حيث عمل في شعبة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، واشتغل أستاذاً مشاركاً بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية، كما عمل بمركز الترجمات بجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

مؤلفاته: وله مؤلفات كثيرة يضيق المقام بذكر كلها، أكتفي هنا بذكر بعض المؤلفات المهمة:

- 1- دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها. طبع بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- 2- الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، طبع بحلب.
- 3- تحقيق "المعرب" للجواليقي، طبع بدار القلم، دمشق، 1990م.
- 4- القول الأصيل فيما في العربية من الدخيل، مكتبة لينة بمصر، 1991م.
- 5- الإعلام بأصول الإعلام الواردة في قصص الأنبياء عليهم السلام، دار القلم بدمشق، 1992م.
- 6- سواء السبيل إلى ما في العربية من الدخيل، دار المأثر بالمدينة المنورة، 1998م.
- 7- معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، دار القلم دمشق، 2011م.

8- سحر الألفاظ في شعر الألفاظ، دار القلم بدمشق، 2018م

9- أربعون حديثاً لتعليم اللغة العربية والتربية النبوية.

10- المسعف في لغة وإعراب سورة يوسف.

11- نصوص من الحديث النبوي الشريف.

12- نصوص إسلامية.

13- أحاديث سهلة

وغيرها من كتبه القيمة.¹

الوفاة: توفي الدكتور ف. عبد الرحيم في المدينة المنورة، بعد مغرب يوم الخميس 4 ربيع الآخر 1445هـ الموافق 19 أكتوبر 2023م، وصلي على جنازته اليوم التالي يوم الجمعة 5 ربيع الآخر 1445هـ في المسجد النبوي بعد صلاة الجمعة، ووري جثمانه في مقبرة البقيع.²

خصائص كتابه "دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها"

إنّ كتابه "دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها" أكسبه شهرة واسعة الآفاق وتداولته الأيدي أحسن تداول في بلاد العرب والعجم. وتميز الكتاب بميزات عديدة مهمة، منها ما يلي:

1- تقديم المهارات بشكل متدرج: (استماع ثم تحدث ثم قراءة ثم كتابة، ثم

¹ "مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ينعي عالم الترجمات الدكتور ف. عبد الرحيم". مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 20 أكتوبر 2023، مؤرشف من الأصل في 20-10-2023. اطلع عليه بتاريخ 27-11-2023

² صحيفة الوطن، يوم الأحد، 14 ربيع الثاني، 1445، 29/أكتوبر، 2003م، رحيل العلامة اللغوي الدكتور ف. عبد الحليم مدير مركز الترجمات بمجمع الملك فهد للطباعة المصحفة الشريف.

التأمل): إن هذا الكتاب يقدم المهارات بشكل متدرج، لأنّ التدريج من أهم أصول التعليم الحديثة، والتدرج الذي نجده في الكتاب حسب التالي: الاستماع للدرس أولاً من الأستاذ، ثم التحدث، والقراءة، والكتابة، ثم التأمل من عند الطالب، حتى يتمكن الطالب من التغلب على محتويات الدرس بكاملها، كما نرى ذلك واضحاً في الكتاب، لأنّ أسلوب التدريج في إلقاء الدرس بالاستماع أولاً من المعلم، ثم التحدث من عند الطالب، والقراءة، ثم الكتابة تعيّن كلها في زيادة المهارات اللغوية في الطلاب غير الناطقين بها، فاختار الدكتور ف. عبد الرحيم في إعداد الدروس هذا الأسلوب المتميز ليكون الطالب لغير الناطق بها بارعاً في اللغة العربية، ومتضلّعاً فيها تدريجياً.

وبما أنّ الأستاذ الدكتور ف. عبد الرحيم يركّز عنايته بعد إلقاء الدرس على القراءة والكتابة، والتأمل، فنجد في التدريبات والتمارين في الكتاب أنه يوجّه عناية الطلاب إلى الكتابة والقراءة والتأمل، فيقول في كثير من المواضع عند التمارين: تأمل الأمثلة الآتية، أو يقول "اقرأ ما يلي" أو "أجب عن الأسئلة الآتية"، وغيرها أو "أكمل كلاً من الجمل الآتية بوضع فعل مضارع مناسب" يعني بالكتابة.

فلا بد في ذلك من رعاية الأسلوب التالي في قراءة الكتاب وإلقاء دروسها. أي لا بد من درس هذا الكتاب النفيس على الطلاب بطريقة قراءة النص على الطلاب ليحصلوا على مهارة الاستماع وعرض المفردات الجديدة، وتمرينهم على القراءة للحصول على مهارة القراءة كإحدى المهارات في اللغة العربية، ثم توضيح القاعدة توضيحاً وافياً دقيقاً مركزاً بالأسلوب المناسب للطلاب والتجنب عن استخدام العبارات الصعبة لكونهم جديدي التعارف مع اللغة العربية، ثم تطبيقاتها بصور الأمثلة والتمارين، ولا ينتقل إلى الدرس التالي إلا بعد أن تأكد المعلم أنّ الطلاب نالوا المعرفة الصحيحة منتظماً وذلك يظهر من خلال الجواب والسؤال على التدريبات شفوياً للحصول على مهارات الكلام وتكاملاً للحصول على مهارة الكتابة.

2- أسلوب التدريج من السهل إلى الصعب: من دأب المؤلف في بداية الكتاب أنه لا يشرع في الكتاب بالجمال الطويلة؛ بل إنه يتناول الجمل الصغيرة من تقديم الصور والمشاهد المتواجدة حول الطالب، فمثلاً في الدرس الأول والثاني اكتفى المؤلف بذكر اسم الإشارة للقريب والبعيد للمذكر الواحد فقط، لأن الإشارة تعرف الشيء، لأن الطالب في بداية تعليم اللغة العربية، يحتاج إلى معرفة الأشياء القريبة والبعيدة عنه، فبالطبع يسأل ما هذا، أو ما ذلك، مراعيًا لطبيعة الطالب تناول المؤلف في الدرس الأول والثاني الأسئلة المتعلقة بأسماء الإشارة وخاصة المذكر الواحد، من القريب والبعيد من بين أسماء الإشارة وهما "هذا وذلك". فقد أنشأ المؤلف الدرسين في بداية الكتاب مستخدمًا هذين الاسمين للإشارة، لأن القدرات والمهارات العربية تزداد بالسؤال عن الأشياء شيئًا فشيئًا.

فمثلاً يقول: "هذا بيت"، مشيرًا إلى البيت، و"هذا مسجد" مشيرًا إلى المشهد للمسجد، و"هذا باب" مشيرًا إلى الباب المفتوح، و"هذا كتاب"، مشيرًا إلى الكتاب، واستمر المؤلف باستخدام هذا الاسم بتعريف أشياء عديدة، مثلًا المفتاح والمكتب والسرير والكرسي.

ثم يتناول المؤلف لفظ "ما" الكلمة التي تستعمل للتعبير عن غير العاقل غالبًا، للسؤال والاستفهام عن الأشياء، بدون إشارة إلى حقيقة لفظ "من" بأنه يستخدم للعاقل فقط، فيُعَنِّوْنَ الدرس "ما هذا".

فينشئ حوارًا باستخدام لفظ "ما" للاستفهام.

ما هذا؟

هذا بيت؟

أهذا بيت؟

نعم، هذا بيت.

ما هذا؟

هذا قيص.

أ هذا سرير؟

لا، هذا كرسي.

أ هذا مفتاح؟

لا، هذا قلم.

ما هذا؟

هذا نجم.¹

فأنشأ المؤلف السؤال عن الأشياء مع الإشارة إليها بالصور ثم الإجابة "بنعم" في الإثبات، وب"لا" في النفي.

هذا منهج سهل تدريجي يقدر الطالب بذلك على اكتساب القدرات والمهارات في اللغة العربية بكل يسر وسهولة.

إنّ هذه الجمل البسيطة يفهمها الطالب بكل سهولة، كما يتعلم الطالب كيفية التساؤل والإجابة، وكما لا يخرج عن نطاق معلوماته عن التعبيرات في اللغة الجديدة. ثم يتناول المؤلف تحت هذين الدرسين تمريناً باسم "اقرأ واكتب"، فيعيد المؤلف مثل الأسئلة الماضية مستخدماً الصور والمشاهد، ويحثّ الطالب على القراءة والكتابة، لكي يتمكن من القراءة والكتابة معاً.

ثم يتقدم قليلاً، ويتعرض لأسماء الإشارة مثل "ذلك" للإشارة للبعيد، ثم يحثّ الطالب على التدريب على هذه الأمثلة، ففي كل ذلك يكتفي المؤلف بتقديم المبتدأ

¹ الدكتور ف. عبد الرحيم، دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، 1418م، 7/1.

والخبر بصفتهما مفردين ومذكرين، ولا يتناول المثنى ولا الجمع ولا المؤنث، وكما أتى المؤلف بالتمارين في شكل الأسئلة التي سبق أن تعلّمها قبل هذا التمرين، فيعرف المؤلف أنّ الطالب قد تطوّرت مهارته إلى هذا المستوى، وذلك بمرور درسين فقط، كما يخصّ مربّعاً للدلالة على الألفاظ الجديدة الواردة في الدرس، لكي يكرّر الطالب ويراجع تلك الألفاظ، مثل: الكلمات الجديدة: إمام، حجر، سكر، لبن.

ثم يتقدم المؤلف في الدرس الثالث ويأتي بالمبتدأ والخبر، والمبتدأ في صورة المعرفة، والخبر نكرة، لأنّ المبتدأ في أصله أن يكون معرفة أو مخصوصاً بضرب من ضروب التخصيص بوجه تحصل الفائدة من الإخبار عنه. وهاكم مثلاً من الدرس:

بيت: البيت (اللفظ مرة في صورة النكرة، ومرة في صورة المعرفة)

كاتب: الكاتب، قلم: القلم، جمل: الجمل

القلم مكسور، الباب مفتوح، الولد جالس، والمدرس واقف.

ثم يأتي المؤلف بمبتدئين وخبرين في جملة واحدة لتكون الجملة تفيد عن شيئين وتخبر عن شيئين معاً مثلاً أو تنبي عن شيء واحد. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

(1) الكاتب جديد، والقلم قديم (2) الحمار صغير، والحصان كبير

(3) الماء بارد (4) المنديل وسخ

(5) الماء بارد (6) القمر جميل

(7) البيت قريب والمسجد بعيد (8) الحجر ثقيل والورق خفيف

(9) اللبن حار (1) القميص نظيف

ثم يفوض المؤلف العديد من المسؤوليات بصورة التمرين إلى الطالب، ليكون الطالب متقناً في التلفظ، والقراءة والكتابة بمثل هذه الألفاظ، وأداء أصواتها، وبناء الجمل،

على هذا النمط مع ضبط أواخر الكلمات وغيرها، فيقدّم التمارين مثلاً:

(1) اقرأ واكتب مع ضبط الكلمات (حتى يقدر الطلاب بضبط المعرفة والكرة بالتون وبدونه)

ثم يقول:

(2) اقرأ واكتب (فيأتي بالجل على نمط المبتدأ والخبر كما مضى في الدرس)

(3) ثم يقول: إملأ الفراغ فيما يلي بوضع الكلمة المناسبة من الكلمات التالية (فيقدّم الألفاظ في صورة الخبر، والمبتدأ علاحدة، ثم يفوض المسؤولية إلى الطالب في بناء الجملة بالمبتدأ والخبر بوضع الكلمة المناسبة من الخبر أمام المبتدأ لتكون الجملة جملة مفيدة.

(4) ثم يقول: إملأ الفراغ فيما يلي بوضع كلمة مناسبة (هنا يأتي من عنده بالعديد من الخبر) فيفوض المسؤولية إلى الطالب بملأ الفراغ من كلمة المبتدأ من عند نفسه.

(5) ثم يقدّم الكلمات الجديدة الواردة في الدرس ليكون الطالب على انتباه لمثل هذه الألفاظ ويكرّرها ويراجعها ويعاودها حتى يحفظها ويضبطها بكل إتقان.

(6) ثم يأتي بتمارين مستقلة في نمط التمارين السابقة، فيأمر الطالب بقراءة الكلمات وكتابتها مع ضبط أواخر الكلمات.

(7) ثم يقول: اختر كلمة من القائمة (ب) تناسب الكلمة التي في القائمة (أ) يعني هو يأمر الطالب بأخذ الألفاظ من القائمة الثانية ويجعلها في القائمة الأولى حتى تكون الجمل جملاً مفيدة.

(8) ثم يقدم الألفاظ الجديدة.¹

¹ المرجع نفسه، 24/1.

ثم يتقدم المؤلف بالدرس الرابع في استعمال الحروف الجر "من، إلى، في وعلی" مع استخدام اسم "من" للاستفهام، للسؤال عن العاقل، ثم يتدرج المؤلف عندما يجمع عند الطالب الذخيرة من الألفاظ المفردة في تقديم الدروس في صورة الحوار.

ففي هذا الدرس يأتي الحوار التالي:

المدرس: من أين أنت؟

محمد: أنا من اليابان.

المدرس: ومن أين عمار؟

محمد: هو من الصين.

المدرس: ومن أين حامد؟

محمد هو من الهند.¹

كما يأتي في الدرس الخامس ضمير "هو"، للدلالة على المذكر، ثم يأتي في الدرس السادس والسابع أسماء الإشارة، ومن أسماء الإشارة خاصة "هذه" للإشارة إلى كلمة المؤنث للقريب، و"تلك" للإشارة إلى كلمة المؤنث للبعيد، ففي الدرس الثامن يكون الجمل الطويلة مستخدماً لأسماء الإشارة "هنا، وذلك، هذه، وتلك"، فيقول:

هذا الرجل تاجر، وذلك الرجل طبيب.

اسم التاجر محمود واسم الطبيب سعيد.

هذا البيت للتاجر، وذلك البيت للطبيب.

بيت التاجر أمام المسجد، وبيت الطبيب خلف المدرسة.

لمن هذه السيارة ولمن تلك؟

¹ المرجع نفسه، 14/1.

هذه السيارة للطبيب وتلك للتاجر.

هذه السيارة من اليابان وتلك من أمريكا.¹

في كل ذلك يخطو المؤلف خطوة في كتابه إلى الأمام بكل حيلة وحذر، فهو لا يترك أي مكان يجد الطالب فيه صعوبة، فهو لا يأتي بأيّ تعبير يوجد فيه بحث جديد إلا إذا أراد أن يعلم تلميذه، مثلاً هو لا يريد أن يأتي بالأفعال في الجزء الأول من الكتاب إلا في بعض المواضع فمثلاً: "أين المصطفى وأصدقائه" و"ذهبوا إلى المطعم".² ثم يقدم المؤلف الدرس العاشر في استخدام الضمائر المنفصلة من "أنت وأنا" للمذكر ليقدر الطالب على مخاطبة نفسه بضمير "أنا"، ومخاطبة غيره ممن يخاطبه بضمير "أنت"، وضمير الغائب المتصل للمذكر مثل "بيته" لبيان حال الغائب، وثم يستعمل ضمير المتكلم المتصل مثل "يأتي"، هكذا يستمر المؤلف في الدرس الثالث عشر باستخدام "أ" للاستفهام، مع استعمال الضمائر المتصلة والمنفصلة، وأسماء الإشارة للجمع المذكر "هؤلاء" مع إتيانه بالجمع للمفردات. فمثلاً:

من هؤلاء الفتية الطوال يا علي؟

هم طلاب جديد.

من أين هم؟

هم من أمريكا.

أهم زملاؤك؟

نعم هم زملائي، هم في فصلي.

¹ المرجع نفسه، 42/1

² المرجع نفسه، 48/1

أهم مجتهدون؟

نعم : هم مجتهدون.

ما أسماؤهم؟

أسماؤهم: ياسر وزكريا وموسى وعبد الله.

ومن هؤلاء الرجال القصار؟

هم حجاج.

من أين هم ؟

بعضهم من الصين وبعضهم من اليابان.

أين المصطفى وأصدقائه؟

ذهبوا إلى المطعم.¹

ثم يأتي المؤلف بالضمائر المنفصلة والمتصلة للمؤنث مثل "هن"، وأسماء الإشارة للجمع للمؤنث للقريب مثل "هؤلاء"، ثم يستخدم جميع الضمائر المتصلة والمنفصلة في كل من الدروس، الدرس الخامس عشر "أنت أتم، أنت، أنتن، ك، كم، ك، كن"، والضمائر المنفصلة كلها، هو، هم، هي، هن، أنت، أتم، أنتن، أنا، نحن وغيرها، وأسماء الإشارة الكاملة، ثم يتقدم بالدرس الثامن عشر في استعمال المثني للأسماء المفردة من المؤنث والمذكر، ويهتم في الدرس التاسع ببيان الأعداد مع بيان إعراب العدد والمعدود، مثلاً:

المدير: كم طالباً جديداً في فصلك يا شيخ؟

المدرس: فيه عشر طلاب جدد.

¹ المرجع نفسه، 68/1

المدير: من أين هم؟ أكلهم من بلد واحد؟

المدرس: لا هم من بلاد مختلفة، منهم ثلاثة طلاب من الفلبين، وأربعة طلاب من اليابان، وطلابان من الصين، وطالب من ماليزيا.

ثم يأتي في الدرس الثاني والعشرين، بمبحث منع الصرف، هكذا ينتهي الجزء الأول والمؤلف لا يبحث عن الفعل مستقلاً.

ففي الجزء الثاني، يبحث المؤلف بـ"إن" وبعض أخواتها، مع "ذو"، "مائة" و"ألف"، وفي الدرس الثاني، ينطق عن "ليس"، وفي الدرس الثالث: اسم التفصل مع كأن ولكن، والعدد المركب مع المعدود المذكر، والعدد الترتيبي، أليس كذلك، أيهما، وفي الدرس الرابع: الفعل الماضي مسنداً إلى بعض الضمائر مع الدلالة إلى استخدام "لأن" و"نعم" و"بلى" والدرس الخامس: الفاعل والمفعول به، والدرس السادس، إسناد العفل الماضي إلى ضمير المخاطب، بعض ضمائر النصب المتصلة، والعدد المركب مع المعدود المؤنث، والدرس السابع: إسناد الفعل الماضي إلى ضمير المخاطبين والمخاطبات، "كان" وخبرها شبه جملة، والدرس الثامن: الفعل الماضي مسنداً إلى جميع الضمائر "مراجعة الضمير المستر والضمير البارز"، والدرس التاسع: مراجعة الفعل الماضي وضمائر النصب المتصلة، علامة النصب في جمع المؤنث السالم، فعل التعجب "ما أفعله" نداء المضاف، والأسماء الموصولة، والدرس العاشر، والحادي عشر، والدرس الثاني عشر، والدرس الثالث عشر، يعالج الفعل المضارع وبعض القواعد النحوية الأخرى، والدرس الرابع: عشر فعل الأمر، والدرس الخامس عشر: "لا" الناهية، "كاد" الفرق بين "لا" و"ما" النافيتين، والدرس السابع عشر: نصب الفعل المضارع، والدرس الثامن عشر حذف النون من الأفعال الخمسة للنصب، والدرس التاسع عشر، نصب الفعل المضارع بـ"ن" نفي الماضي والحال والمستقبل، والدرس العشرون: إعراب المثنى، والدرس الحادي والعشرون، جزم المضارع،

والدرس الثالث والعشرون: إعراب جمع المذكر السالم، والدرس الخامس والعشرون: إعراب الأسماء الخمسة "الأب والأخ". والدرس السادس والعشرون: الفعل المعتل الفاء، ثم الفعل المتعل العین، ثم الفعل المعتل اللام، ثم الفعل المضعف، وإسناد الفعل الماضي والمضارع، والدرس الحادي والثلاثون، النعت. هكذا واستمر المؤلف من بيان السهل من الجمل الصغيرة، والقواعد البسيطة من النحو إلى الحوارات الطويلة، والقواعد الصعبة ليسهل على الطالب فهم جميع القواعد فهما تدريجياً.¹

3- الإثـار من التـدريـبات والتـمارين: يهـم المؤلف بإثـار التـدريـب في الكـتاب، لأنّ المؤلف يعرف جيداً أنّ الكتب المتواجدة في عصره لا تحقق ما يطلبه الزمان، فوجد أنّ معظم الكتب لتعليم اللغة العربية مجردة عن التدريبات، والحقيقة أنّ أيّ كتاب خاص بتعليم اللغة للمبتدئين غير الناطقين لن يحقق متطلباتهم بدون مراعاة أصول التعليم الحديثة، بما فيه تحلية الكتب بالتدريبات، وقد ثبت من البحوث العلمية أنه لا بد أن تكون نصوص كتاب 10 في المئة وتدريباته 90، ولا بد أن تكون التدريبات مشتملة على أنواع مختلفة من الأسئلة يقصد بها تنمية مؤهلات المتعلمين غير الناطقين بها عن طريق إبراز قدراتهم الكامنة، وحينما ننظر من هذه الناحية نجد أنّ هذا الكتاب يستوفي جميع متطلبات الزمان.

وهكذا حاول المؤلف استخدام المؤهلات الإبداعية للطلاب، فهو عن طريق الأسئلة في التمرينات يجعل الطالب حريصاً على الإجابة بالعربية، وهكذا تحسّن لغته بالسهولة، وقد اختار لذلك لغة الأسئلة لغة سهلة للغاية، في الدروس والتمرينات، فإذا تدرب الطالب كما هو المطلوب في الكتاب يتوقع منه أنه لا يجد أيّ مشكلة في التساؤل عن أيّ شيء في حياته لسدّ ضروراته اليومية، والمؤلف في التمرين يدرّب الطلاب عن طريق المحادثة أيضاً، والقراءة، والكتابة، وكل ذلك لتنمو بهذه المحادثة والقراءة

¹ المرجع نفسه، 14/2

والكتابة قدرة النطق، والكتابة، والتحدث، وقدرة إدراك ما يلزم من النحو والصرف للمتدئين، ولكنه في تعليم النحو والصرف لا يحب أن يسأم الطلاب بحوثاً نحوية جافة، ولكن الطالب عبر دراسة كتابه يكسب ما يحتاج إليه من القواعد العربية، وقد اختار المؤلف في التمرين الطريقة التالية:

1- المحادثة في إجابة الأسئلة

2- القراءة والكتابة

3- قراءة المثال، ثم تحويله إلى الجمل

4- قراءة الأمثلة ثم تكوين الأسئلة والأجوبة مثله

5- وضع الفراغ في الجمل بنعت مناسب في مكان أو بمعنوت مناسب في مكان.

هنا أقدم الأمثلة من الدرس التاسع والعشرين للجزء الثاني ليكون القارئ على بصيرة تامة من فهم ما يحويه الكتاب من التدريبات والتمارين التي تعين الطالب الناطق بغير اللغة العربية في إتقانها، وتساعد في ازدياد القدرات والمهارات اللغوية، وهذا الدرس يبحث عن الفعل المضعف أي ما كانت عينه ولامه من جنس واحد كفعل مدّ، وهذا الدرس يحتوى على 14 تمريناً.

الدرس التاسع والعشرون:

المدرس: أحججت يا مسعود؟

مسعود: لا، يا أستاذ، حج زملائي كلهم، ولكني ما حججت، مضت أيام الحج فبقيت هنا بالمدينة المنورة.

المدرس: لا تحزن، ستحج في العام المقبل إن شاء الله، تمر السنة بسرعة.

مسعود، أحججت أنت يا أستاذ.

المدرس: لا لم أجد هذا العام، لكنني حججت قبل هذا خمس مرات... أنا أشم رائحة كريهة، أما تشمون رائحة يا إخوان؟

الطلاب: بلى: نشمها.

المدرس: من أين هي؟

عمرو: أظنها من الحمام.

عبد الله: نعم هي من الحمام، إنَّ القمامة التي رماها أحد الطلاب سدّت البالوعة.
المدرس: من الذي دفع السبورة إلى الخلف؟ تعال يا سعيد وجربها إلى الأمام (سعيد يجز السبورة) أنت جررتها كثيراً، ادفعها إلى الخلف قليلاً، يكفي، اتركها الآن.

مسعود: أهذا هو الجزء الثاني من الكتاب يا أستاذ؟

المدرس: نعم! خذ هذه النسخ وعدّها... أعددتها؟ كم هي؟

مسعود: نعم، عددتها، هي خمس وأربعون نسخة.

المدرس: ندرس الآن حديثاً أكتبه على السبورتين، فاكتبوه في دفاتركم. (يكتب)
عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
... (بعد هنيئة) أكتبتم يا أبنائي؟

الطلاب: لمّا.

المدرس: يا علي، لا تظن أنني غافل عما تعمل، إنك لا تكتب الدرس، إنما تكتب رسالة، أليس كذلك، رد علي.

علي: بلى، هو كذلك، أنا آسف يا أستاذ، لن أعود لمثله أبداً إن شاء الله.

التمارين:

أنا أكتفى ببعض الأمثلة مخافة التطويل:

1- أجب عن الأسئلة الآتية:

(1) لم لم يحج مسعود هذا العام؟

(2) كم مرة حج المدرس؟

2- هذه أمثلة للعفل المضعف:

حج (أصله حجج) يحج (أصله يحجج)

ظن/يظن، جر/يجر، مر/يمر، عد/يعد، سب/يسب، رد/يرد، صب/يصب،
سد/يسد.

3- إقرأ ما يلي:

(1) حج أخي قبل ثلاثة أعوام، وأنا حججت هذا العام.

(2) هو سبني ولكنني ما سببته.

4- أسند الأفعال الآتية إلى المتكلم كما هو موضح في المثال:

حامد ظن أنا ظننت

حامد عد

حامد مرّ

حامد جر

5- تأمل المثال ثم ضع الأمر من الأفعال الآتية:

أنت تجرّ (تجر) جرّ (جر) جرّ (لا يلتقي ساكن)

تمر..... ترد.....

تحج..... تظن.....

6- إقرأ ما يلي:

(1) جرّ هذا المكتب (2) صبّ القهوة للضيوف

7- تأمل ما يلي

يحج: لم يحج (لم يحجج) لم يحج (لا يلتقى ساكنان في اللغة العربية*
تجر: لا تجرّ (لا تجرر) لا تجرّ.

8- أجب عن الأسئلة الآتية بالنفي مستعملاً (لم):

(1) أحجبت؟ لا، لم أحجج

(2) أعددت هذه الكتب يا بني

(3) أسببت زميلك هذا يا علي

9- أدخل (لا الناهية على الفعل الذي أمام كل جملة وأكمل به الجملة:

(1)..... لي مزيداً من القهوة (تصب) (2)..... أنّ الامتحان سيكون

سهلاً (تظن) (3)..... أخاك المسلم (تسب) (4)..... هذه
الريالات (تعدّ)

10- إسناد (عدّ) إلى الضمائر:

حامد عدّ الأولاد عدّوا

آمنة عدّت البنات عددن

أنت عددت أنتم عددتم

11- إسناد (يعد إلى الضمائر) هكذا مثلاً (حامد يعد الأولاد يعدون آمنة تعدّ)

12- إسناد فعل الأمر من عد إلى الضمائر مثلاً (عد يا حامد، عدوا يا أولاد، عدي يا آمنة)

13- تأمل استعمال الكلمتين "قط وأبدأ"

(1) ما فعلت قط.

(2) لم أكل طعاماً لذيذاً مثل هذا قط.

(3) لم أترك الصلاة قط ولن أتركها أبداً.

14- تأمل ما يلي:

لَيْنُ (اسم التفضيل: ألين) هذا الحرير لَيْنٌ، وذلك ألين من هذا، طيبٌ (اسم التفضيل: أطيب) هذا الطعام طيب، وذلك أطيب.¹

4- الطريقة المباشرة في تعليم العربية: لا بد لمعلّمي هذا الكتاب أن يكونوا عالمين بالمادة باللغة الأصلية، وهو أن يكونوا من الناطقين الأصليين لها، لأنّ الكتاب يستخدم الطريقة المباشرة والطريقة السمعية والشفهية مع إلمام بمادة التدريس، من خلال عملية تدريس الحوار والقراءة، وتدرّس التدريبات المتنوعة مستصحاً بالصور التوضيحية والأشياء المحسوسة التي استخدمها الكتاب، ومستعملاً الحركات البدنية واليدوية في التعليم، ليساعد المدرس في إفهام الطلاب ما فيه من الدروس، فلا بد من استعمال أسلوب التمرين المتبع في الكتاب مع الممارسة والتكرار لتكوين عادة ممارسة للطلاب في استعمال اللغة.

إنّ هذا الكتاب يختلف تماماً عن الكتب المستخدمة في الهند في تعليم اللغة العربية

¹ المرجع نفسه، 14/2.

بحيث استخدم الطريقة المباشرة، ولا يصلح طريقة الترجمة إلا عند الضرورة أو حاجة مصلحة تدعو إلى ذلك، وذلك لتعويد الطلاب على سماع اللغة العربية مباشرة من غير إدخال أي لغة أخرى (اللغة الأجنبية) في الدرس، ليتيسر لهم السرعة في فهم واستيعاب اللغة العربية فهماً جيداً، هذا الكتاب يطلب من المدرس تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها بطريقة مباشرة، وهي تدريس اللغة العربية باستعمال هذه اللغة مستعيناً بالإشارات والإيماءات والحركات اللازمة دون لجوء إلى لغة الأم أو اللغة الأخرى الهندية وغيرها.

فمثلاً إذا ألقينا النظر على نص الكتاب الأول "دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها" وجدنا أن الكتاب يعتمد تماماً على اللغة العربية الفصحى، ولا يستخدم أي لهجة من اللهجات العامية، كما أنها لا تستعين بلغة وسيطة، فيجب أن يتبع المعلم حسب ما يقتضيه الكتاب من الطريقة المباشرة بحيث يستخدم أمام الطلاب العربية الفصحى، دون اللجوء إلى لغة الطالب إلا عند الضرورة بقدر الحاجة بل تارة بالإشارات، والحركات، وذلك إذا لم يفهم الطلاب الدرس أم الكلمات الجديدة بدون اللجوء إلى اللغة الأم.

وكذلك يجب على المعلم أن يستخدم الطريقة السمعية الشفهية في تدريس الكتاب، بأن يردّد مراراً إلقاء الدرس سواء كان تدريس الحوار، أو القراءة أو إجراء التدريبات على آذان الطلاب بالإكثار من الاستماع إلى النص والإكثار من الكلام من قبل الطلاب باستعمال العربية مباشرة، بل أكثر الأوقات في الحصة باستعمال المعلم لهذه الطريقة المباشرة والطريقة السمعية الشفهية.

واللغة العربية لا بد أن تكون لغة التدريس في الفصل، حسب ما مذكور في الدراسة النظرية، وذكر في أول الكتاب أنه لتقليل الحاجة إلى استعمال لغة الطلاب، لجأ إلى أن يستخدم الصور الشارحة للموافق، والكتاب يهتم بلغة الحياة، ويعتمد على الأسلوب

المباشر دون لجوء إلى لغة وسيطة.

وبمجرد تفصح الكتاب وبمجرد إلقاء النظر فيه يتضح لنا جلياً أنّ لغة التدريس باستعمال ذلك الكتاب هي اللغة العربية، إذ ليس في الكتاب الكلمات أو الأحرف باللغة الهندية، أو اللغة الأم للطالب، ولو كلمة واحدة؛ وبلى لو كان حرفاً واحداً، وهذا يدلّ تماماً على أنّ لغة التدريس وعملية التدريس لا بد أن تكون باللغة العربية، ولذا وضع التعليم بشكل مستمر لكي تتيسر عملية التدريس بهذا الكتاب ولتدريب الطالب على تعويد الاستماع إلى اللغة العربية شفهيّاً، كما يستخدم الوسائل التدريسية الأخرى مع استعمال الصورة التوضيحية لتقليل استخدام لغة الطلاب، فيستعمل الشريط، والسبورة مثلاً كوسيلة تعليمية للتدريس.

5-تقديم النصوص على شكل حوارات: إنّ كتاب الدكتور ف. عبد الرحيم تقدم النصوص في أكثر المواضع على شكل حوار، يقدم الحوار خدمة مهمة للطلاب لزيادة معرفته بالأشياء، وفهم الرأي الآخر وتحقيق الاتصال بالآخرين، لما أنّ الحوار يتواجد بتعاون المتحاورين على معرفة الحقيقة والتوصل إليها، ومعرفة الآراء المتعلقة بها، والحوار وسيلة مهمة من وسائل التواصل الاجتماعي والمعرفي وتحقيق التفاهم المشترك وتبادل الأفكار والآراء تبادلاً حضارياً، وهو في الأصل حديث بين طرفين أو أكثر في قضية محددة من أجل إثراء المعرفة والأفكار، والإتيان في اللغة المتعلقة بها، والتغلب على المصطلحات في الموضوع.

إنّ الحوار بالغ الأهمية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، لأنّ الحوار يمد الطالب بألوان من الجمل والتعبيرات والألفاظ والأصوات التي يحتاج إليها، وبخاصة عند التدريب على مهارة الكلام الحوار وسيلة نافعة جداً، لأنه يضم التراكيب النحوية والمفردات في مواقف وسياقات مختلفة، تعتمد عليها التدريبات اللغوية، فيسهل على

الطلاب استعمال اللغة وممارستها في التعبير والاتصال، ولذا يركز الدكتور في إعداد الدروس على الحوار التعليمي، لكي يتقن الطلاب اللغة العربية، نرى أكثر الدروس المتواجدة في الكتاب في صورة الحوار، وهي طريقة تساعد الطلاب على المهارة في اللغة المعنية.

هنا أقدم الدرس السادس عشر من الجزء الثالث في صورة حوار:

المدرس: يا عبد السلام، أهنتك بفوزك في مسابقة حفظ القرآن الكريم وتجويده.

عبد السلام: أشكرك يا دكتور، جزاك الله خيراً.

المدرس: يا مروان، وزّع هذه النسخ على الطلبة.

عبد السلام: ما هذا الكتاب الضخم الذي معك يا دكتور؟

المدرس: هذا معجم جامعي، إنه ذو فوائد متعددة، إنه يأتي بشرح واف للكلمات مع أمثلة كثيرة ويذكر المسائل النحوية، وكذلك يحوي صوراً ملونة لتوضيح معاني بعض الكلمات.

أحمد: في كم مجلد هو؟

المدرس: في مجلدين ضخمين؟

إبراهيم: من مؤلفه؟

المدرس: ألفه جماعة من علماء اللغة... أحضر حامد؟

حامد: هأنذا يا أستاذ.

المدرس: كثر غيابك هذه الأيام يا حامد.

حامد: جاء أبي إلى المدينة المنورة الأسبوع الماضي، فكنت مشغولاً باستقباله وخدمته وتوديعه.

المدرس: مهما يكن السبب فقد فاتك دروس مهمة.

عبد السلام: انشغل المكيف يا دكتور، فقد اشتدت الحرارة؟

المدرس: لا مانع.

يدخل المراقب:

المراقب: (بعد التحية) من أراد أن يشترك في مخيم الشباب فليسجل اسمه في مكثي.
(يخرج)

المدرس: لنسمع الحديث الشريف المسجل على الشريط (يشغل المسجل).

يا إبراهيم، لا تكلم زميلك وأنت تسمع... انتهى الحديث لنسمعه مرة أخرى...
(يوقف المسجل).... اقرأ هذا الحديث يا أسامة

أسامة: عن أبي هريرة رضي الله عنها قال: قبل النبي الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما وعند الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: من لا يرحم لا يرحم" (متفق عليه).

المدرس: أحسنت، ماذا فهمت من هذا الحديث يا أسامة؟

أسامة: فهمت منه أنّ تقبيل الأطفال أمر حسن، وأنه يدل على الشفة والرحمة.

المدرس: أحسنت، يا أحمد، ما معنى قول المحدثين (إن هذا حديث متفق عليه).

محمد: يا دكتور، أنا حديث عهد بالإسلام، أرجو أن تعلّمني كيف أصلي على الميت؟

المدرس: بكل سرور، تكبر وتقرأ سورة الفاتحة، ثم تكبر وتصلّي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم تكبر وتدعو للميت، ثم تكبر وتسلم.

محمد: جزاك الله خيرا يا دكتور.

أسامة: يا دكتور، في أي سورة قوله تعالى: وورث سليمان داؤد؟

المدرس: هي الآية السادسة عشر من سورة النمل.

أسامة: يا دكتور، أرجو أن تكتب لي أسماء بعض مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية.

المدرس: إن شاء... يا إخوان، قد حان وقت الظهر، ولما يؤذن، يبدو أن المؤذن

غير موجود فليخرج أحدكم إلى المصلى وليؤذن.¹

6- لا يكثر من بيان قواعد النحو والصرف: من دأب المؤلف أنه يأتي بكل درس تحت قواعد النحو والصرف؛ ولكنه لا يكثر من بيان قواعد النحو والصرف، بل يفوض هذه المسؤولية إلى المعلم، فيوصي للمعلم أن يوضح القواعد المتعلقة بالدرس قبل البدء والشروع في الدرس المعني به.

فيوضح ذلك في بداية مقدمة الجزء الثاني:

أما بعد فهذا الجزء الثاني من كتاب "دروس اللغة العربية لغير الناطقين بها"، وهو كتاب لتعليم اللغة العربية، ويعني بجميع جوانب اللغة كالنحو، والصرف والمفردات والأسلوب، فتراعي هذه العناصر كلها عند الشرح، ونرى أن يتبع المدرس الخطوات الآتية عند التدريس:

1- يمهّد للمسائل الرئيسية الواردة في الدرس من غير النظر في الكتاب.

2- يقرأ الدرس، وفي أثناء القراءة يشير إلى المسائل التي سبق أن شرحها، ويشرح المسائل الأخرى التي لم يتطرق إليها في التمهيد، ويوجه إلى الطلاب أسئلة للتأكد من فهمهم هذه المسائل.

¹ المرجع نفسه، 132/3.

3- يقوم مجموعات من الطلاب بتمثيل من الدرس.

4- ويشارك الطلاب في حل جميع التمارين شفويًا، ويحلونها خارج الفصل.¹

ولكن القواعد التي يأتي بها المؤلف في الدرس يسهل للطلاب فهمها عند ما يقوم بجلّ التدريبات والتمارين، حتى يتمكن من فهم تلك القاعدة مع تطبيقها تطبيقًا كاملاً، ولكن المؤلف يوضح القواعد عندما تَمَسُّ الحاجة ببيان القواعد: ولكنه لا يطيل الكلام في بيان القواعد، بل يكتفي ببيان القواعد المهمة مع بيان التعريف وذكر الأمثلة، فمثلاً يقوم ببيان بحث الإعراب والبناء، وخص الدرس الأول من الجزء الثالث في بيان القواعد من المعرب والمبني، وبينان المعرب والمبني من الأسماء، فقال: الأسماء كلها معربة ما عدا الفئات الآتية منها: الأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وأسماء الاستفهام، وبعض الظروف، وأسماء الأفعال، والأعداد المركبة، ثم أوضح علامات الإعراب الأصلية والفرعية، من الضمة والفتحة والكسرة، وعلامة النصب من الكسر في جمع المؤنث السالم: نحو خلق الله السماوات والأرض، وعلامة النصب من الفتحة في الممنوع من الصرف نحو: إلى فرعون، وإعراب الأسماء الخمسة: أبوك وأخوك، حموك، فوك، ذو، وعلامات الإعراب فيها، علامة الرفع الواو، وعلامة النصب الألف، وعلامة الجر الياء، نحو: أ جاء أبوك، أعرف أبك، أين سيارة أبيك؟ ثم بين الإعراب التقديري.²

7- تقديم المفردات في عدد محدود: من دأب المؤلف في هذا الكتاب أنه لا يقدم المفردات والألفاظ الجديدة إلا في عدد محدود، حتى لا يصعب على الطالب حفظ الألفاظ والمفردات والكلمات الكثيرة في وقت واحد، بل يهتم أن يقلل المفردات الجديدة، لئلا يصعب على الطالب حفظ الألفاظ والمفردات الجديدة، ويقوم ببيان تلك الألفاظ في نهاية الدرس حتى يحفظ الطالب تلك الألفاظ مع مراعاة أصواتها

¹ المرجع نفسه، 3/2.

² المرجع نفسه، 5/3.

وإعراؤها، مع بيان المفرد والجمع لها، يعني أنه يوفر الطالب البيئة السهلة للإتيقان والبراعة في اللغة العربية، بتقديم المفردات في عدد محدود حتى يحفظها بكل يسر وسهولة. فمثلاً أنه يأتي بالكلمات الجديدة في الدرس الثاني من الجزء الثاني:

الكلمات الجديدة:

ذكي (ج أذكيا) غني (ج أغنياء) خلق (ج: أخلاق)
مائة ألف روية (ج رويات) متزوج عزب (ج أعزاب) يهودي (ج يهود)
معجم (ج: معاجم) دولار (ج: دولارات) صفحة (ج: صفحات)
ناجح (ج: ناجحون) غال كم (ج أكمام).¹

خلاصة القول: إنّ هذا الكتاب يمتاز من بين الكتب للناطقين بغيرها لما أنه يحتوي على خصائص وميزات عديدة تميزه عن الكتب الأخرى في هذا الصدد، منها أنّ المؤلف يهتم كثيراً بالتدريج، ويعتني أنّ يعلم الطالب العربية بالتدريج خطوة خطوة، حتى يتمكن من الاستماع والكتابة والقراءة والإعادة والمراجعة والتكرار بالإتيقان والجودة في العربية، وكما يعني بتقديم الصور والمشاهد ليسهل للطالب فهم المراد من الدرس، كما يركز العناية بتقديم التدريبات الكثيرة ليتعزز عند الطالب المهارة والبراعة بإعادة الموضوع مراراً وتكراراً، وأنه يحاول في كتابه أن يدرّس العربية بالطريقة المباشرة، من غير دعم من لغة الأم للطالب، وهذه الطريقة تساعد الطالب على إتيقان العربية، كما يقدم الدكتور النصوص بصورة الحوارات، والحوارات تعين الطالب على حصول المعارف والاصطلاحات بالعربية. فهذا الكتاب كتاب جيد، متميز في موضوع تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها.

¹ المرجع نفسه، 11/2.

التجربة الشعرية

عند الإمام ابن أبي زيد القيرواني (مالك الصغير)

- د. سعيد أحمد حياة المُشرَّف¹

ملخص البحث

يتناول هذا البحث موضوعاً مبتكراً لم يتطرق- حسب علمي- إليه الباحثون من قبل، وهو دراسة التجربة الشعرية لدى الإمام الفقيه ابن أبي زيد القيرواني. وإنّ شعره -رَحِمَهُ اللهُ- جميل ومليء بقيم وتجارب متنوعة، كما أنه شعر مطبوع يخلو من الصنعة والتكلف، بيد أنّ الباحثين لم يلتفتوا إليه؛ وكأنّ لسان حالهم يقول بأنّ شعر العلماء لا يستحق العناية والاهتمام به أو تقديمه لشُداة العلم والباحثين؛ بحجة ضعفه أو خلوه من مقومات الشعر الرصين. ولعلمهم يستندون في رأيهم هذا إلى ما روي عن بعض أئمة اللغة العربية من أنّ باب الشعر هو الشرُّ...، وإذا دخل في باب الخير لأنّ، وأصبح ضعيفاً.

ولكن الأمر ليس كذلك بشكل عام؛ فهذا الحكم يكاد يكون قاسطاً، وخاصة بالنسبة لهذا الشعر الذي جادت به قريحة الإمام القيرواني؛ فهو في الواقع شعر انساب من على لسانه عن سليقة وحنينة وطبع شعري موزون وعاطفة جيّاشة، وتزيد في بهائه تلحم المعاني والأفكار التي استعان بها الشاعر لتسليط الضوء على الأحداث والتجارب التي واجهها. وقبل الدخول في صلب الموضوع خصصت المبحث الأول لتسليط الضوء على حياة القيرواني بإيجاز، ثمّ العصر الذي عاش فيه، واهتمامه باللغة العربية ومظاهرها، مع تلميح إلى علاقة الفقهاء بالشعر، ليأتي بعد ذلك المبحث الثاني

¹ عضو هيئة تدريس بكلية الدراسات الإسلامية واللغة العربية جامعة جيبورا، بدني.

مخصصاً بالحديث عن التجربة الشعرية لديه. وقد ذكرتُ فيه مفهوم التجربة الشعرية، أتبعته بدراسة بعض أهم عناصر التجربة ومقوماتها، مثل الصدق والواقعية، والعاطفة الشعرية بختلف أنواعها وشتى صورها.

مقدمة

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، بديع الأرض والسماوات، بثَّ فيهما ما يعمرها من الأناسي والأنام، وما يزينها ويضيئها من شمس ونجوم وأجرام، والصلاة والسلام على سيّد ولد آدم، وخير الأنام، رسولنا وحبيبنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه الكرام، نجوم الهدى في دياجير الظلام، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اقتدى بهديهم حتى نلتقى بهم في دار السلام، أما بعد:

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره: إنّ ابن أبي زيد القيرواني إمام نابغة، وعالم نبية، وفقه مجتهد، وأصولي رائد، ومحدث ثقة، ومفسّر مبدع، وعابد تقي، وناصح أمين، وشاعر ولغويّ أريب، وهو في ذات الوقت شجاع وجواد كريم، وقد جاهد في الله جهاداً كبيراً. فلا يستغرب أن يرزقه الله قبولاً بين الخلق، ويمنح لكتبه وعلومه رواجاً بين العلماء والفقهاء. ولا أدلّ على جلالته قدره في الفقه وعلو كعبه في العلم والمعرفة وتمتعه بالنضج الفكري وأنه فرّ عن فطنة وذكاء؛ من أنه ألف كتابه الشهير (الرسالة) وهو لم يتجاوز بعد العقد الثاني من عمره. ولقد لفت انتباهي من جملة علومه: شعره، وقد تم جمعه قريباً في ديوان، ما إن اطلعت عليه حتى أعجبت بصاحبه الشاعر الإمام وما حواه من زاد شعري وثراء فكري وغناء عاطفي، فأردت أن أتعرّف على التجارب التي كان وراء قرضه الشعر، خاصة التجارب التي وقفت وراء ذلك؛ ولأنّ شعر العلماء والفقهاء يكاد يكون مهماً في الكثير من الدراسات والأبحاث التي يتم إعدادها في أروقة الجامعات والمؤسسات الأكاديمية والبحثية، من هنا تبلورت لدي فكرة هذا الموضوع: (التجربة الشعرية لدى ابن أبي زيد القيرواني رَحِمَهُ اللهُ).

أهداف البحث: تهدف هذه الدراسة إلى ما يأتي:

- التعرف على بعض المقومات العلمية والثقافية في شخصية هذا الإمام الملقب بـ"مالك الصغير"؛ وكذا بعض المكونات والعناصر التي صاغت شخصيته رحمه الله تعالى.
- دراسة الجانب الفكري والشعري لديه.
- التعرف على التجارب الشعرية لدى ابن أبي زيد القيرواني من خلال شعره المجموع، وما إذا كانت تلك التجارب متنوعة ونابعة عن البواعث الحقيقية أم لا.
- الاطلاع الدقيق على الجانب العاطفي والوقوف بنفس طويل معه في هذه التجارب الشعرية التي أسهمت في إنتاج القصائد والمقطوعات التي تكون منها ديوانه المجموع.
- الرغبة في معرفة ما إذا كانت العاطفة التي تسري في عروق أشعاره مشبوبةً وصادقةً وبوتيرة دائمة أم لا؟
- الرغبة في التعرف على شيء من شعر العلماء والفقهاء الذين طالما اتهم شعرهم بالضعف وفقدانه لمقومات الديمومة والخلود.

دراسات سابقة في الموضوع: لا يوجد في موضوع دراسة النتاج الشعري للإمام القيرواني بحث مستقل حسب اطلاعي حتى الآن. أما الدراسات والبحوث عن شخصيته الفقهية والأصولية فهي كثيرة جداً، وهي ليست موضع دراستي إلا بقدر ما أستفيد منها في التعرف على حياته وطلبه للعلم، ثم جهوده في نشر عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، ومقاومته لأهل الزيغ والفتن. وإنما اكتفيت بديوانه المطبوع مستخلصاً هذه الدراسة منه فقط.

منهجية البحث: أما المنهج الذي استعنت في إعداده فهو المنهج التحليلي والاستنباطي، وما يعين على تطبيق هذين المنهجين ويكملهما بشكل صحيح، من منهج وصفي

- واستدلالي وتاريخي ونحو ذلك. وقد راعت أثناء إعداد الدراسة الأمور الآتية:
 - سيكون اعتمادي في دراسة الموضوع دراسة أدبية نقدية على ديوانه المطبوع فقط.
 - استخرجت المعلومات المرتبطة بالدراسة من المصادر الأصلية.
 - وضعت النص المقتبس بلفظه بين علامتي تنصيص "....."، وما كان مقتبساً بالمعنى أشرت إليه في الحاشية بكلمة: "انظر".
 - دَوَّنت اسم المرجع كاملاً، على النحو الآتي: اسم الكتاب، اسم المؤلف، دار النشر، بلد النشر، رقم الطبعة، عام النشر، رقم الصفحة.
 - قسمت الدراسة إلى مبحثين اثنين، يتضمن الأول منهما أربعة مطالب، والثاني ثلاثة، تليهما الخاتمة ثم فهرس المصادر والمراجع ثم الموضوعات، وقد سبقتهما مقدمة مستوفية أهم عناصرها، وفيما يلي تليحة إلى هيكلية الدراسة:
- المبحث الأول: تعريف بالإمام ابن أبي زيد القيرواني، وفيه أربعة مطالب.
- المبحث الثاني: التجربة الشعرية عند الإمام ابن أبي زيد القيرواني: وفيه ثلاثة مطالب.
- وبهذا تكون قد اكتملت المقدمة، واتضحت سبلها ومعالمها لأخلص بعد ذلك إلى الدراسة، وبالله التوفيق.

المبحث الأول

تعريف بالإمام ابن أبي زيد القيرواني

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مولده ونسبه ونشأته العلمية

هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني. والنفزي نسبة إلى قبيلة

نفزة الإفريقية.¹ وقيل بأنها منطقة في شمال تونس قرب منطقة "باجة" أو القيروان.² ومدينة القيروان أسسها الصحابي عقبة بن نافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بعيداً من الشواطئ التي يهددها البيزنطيون، وبعيداً من الجبال التي يتربص بها البربر وبها يتحصنون، وقد أراد عقبة أن تكون قاعدة للفتوحات الإسلامية.³

ولد الإمام ابن أبي زيد في القيروان سنة 310هـ.⁴ ونشأ وتربى على الصلاح والتقوى وطلب العلم، وكان ثرياً، جواداً كريماً، عالي الهمة،⁵ ذا برٍّ وصلة وإيثار وإحسان،⁶ يتعهد الطلاب والعلماء من ذوي العوز والحاجة، فينفق عليهم كمن لا يخشى الفقر.⁷ ذكر أن له ولدين: أبا بكر أحمد، وهو فقيه وقاض. وأما الآخر فهو أبو حفص عمر وهو أيضاً فقيه.⁸

- ¹ انظر: رسالة ابن أبي زيد القيرواني (مالك الصغير) (310-386هـ)، أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د ط، ص 7.
- ² انظر: شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني لأبي محمد صالح المسكوري من أول الكتاب إلى آخر "باب جامع في الصلاة"، محمد بن محمد بن إبراهيم فلاته، عام 1435-1436هـ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص 11-24.
- ³ آراء ابن أبي زيد القيرواني الفقهية من خلال كتابه (النوادر والزيادات) (نماذج من كتاب الصلاة)، فاروق صديق تلي، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الفقه، 2015م، جامعة المدينة العالمية ماليزيا، كلية العلوم الإسلامية، قسم الفقه، ص 13.
- ⁴ انظر: رسالة ابن أبي زيد القيرواني، الطهطاوي، ص 7.
- ⁵ انظر: كتاب عقيدة السلف مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة، أحمد بن مشرف الأحسائي، مراجعة بكر بن عبدالله أبو زيد، 1414هـ، ط 1، دار العاصمة، الرياض، ص 6-7.
- ⁶ انظر: سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق حسان عبد المنان، 2004م، د. ط، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ص 2389-2390.
- ⁷ رسالة ابن أبي زيد القيرواني، الطهطاوي، ص 13.
- ⁸ انظر: شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني لأبي محمد المسكوري، محمد بن محمد بن إبراهيم فلاته، 1435-1436هـ، ص 11-24.

أتقن الإمام القيرواني القرآن الكريم حفظاً وتلاوة قبل سنّ العاشرة،¹ ثم بدأ بطلب العلم، وتنقل بين حلقات الشيوخ،² كان كثير الحفظ والرواية، حتى برع في عدة علوم من فقه وعقيدة وحديث ونحو ولغة وشعر.³

كان المشايخ يحترمونه حتى جعلوه معلماً بينهم وهو ما زال دون سنّ العشرين، ومما يدلّ على نبوغه المبكر أنه ألّف كتابه (الرسالة) وهو في السابعة عشرة. ومن كتبه: النوادر والزيادات، ومختصر المدونة، وتهذيب العتبية، والجامع في السنن والآداب والمغازي، ورسالة في أصول التوحيد، وإعجاز القرآن.⁴ قال عنه الدباغ: كان -رحمه الله تعالى- متفنناً في علوم كثيرة، منها علوم القراءات والتفسير والحديث، والرجال، والفقه. وقال القاضي عياض: "كان إماماً المالكية في وقته، وقُدوتهم، وجامع مذهب مالك، وشارح أقواله، وكان واسع العلم، كثير الحفظ والرواية، فصيح اللسان، ذا بيان ومعرفة...".⁵

ومن أشهر شيوخ القيرواني: سعدون بن أحمد الخولاني، شيخ فقهاء القيروان، والإمام أبو بكر محمد بن محمد بن اللباد القيرواني، والإمام أبو الفضل العباس بن عيسى الممسي، وربيعة بن عطاء الله بن نوفل القطان، وأبو العباس عبد الله بن أحمد الأبياني التونسي، وأبو ميمونة دراس بن إسماعيل الجروي الفاسي وغيرهم.

¹ انظر: تقريب المعاني على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني في مذهب الإمام مالك، عبد المجيد بن إبراهيم الشرنوبلي الأزهرى، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 2018م، ط1، ص 2-4.

² انظر: عقيدة السلف مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة، أحمد بن مشرف الأحسائي، مراجعة بكر بن عبد الله أبو زيد، ص 6-7.

³ انظر: ديوان ابن أبي زيد القيرواني، جمع وتحقيق الدكتور عمار سعيد خادام بن طوق المري، 2018م، ط1، جمعية دار البر، الإمارات العربية المتحدة، ص 13-17، وص 24، 34، 37.

⁴ انظر: رسالة ابن أبي زيد القيرواني، الطهطاوي، ص: 10.

⁵ انظر: المصدر السابق، الطهطاوي، أحمد مصطفى، ص 9.

ويتحدث الشيخ محمد الفاضل بن عاشور عن ثقافة ابن أبي زيد؛ فيقول: "وكان اتجاهه إلى تفريع الفقه وتحقيقه وضبط مبادئه التقديمية، فعقد صلاته الفكرية منذ نشأته الأولى بمراكز الثقافة الفقهية وارتوى من منابعها؛ فكانت صلات أخذه وتخرجه على شيوخ إفريقية، وشيوخ الأندلس، وشيوخ فاس، وشيوخ مصر، فاجتمعت لديه بذلك نفائس الآثار وتلاقى في كنفه متباعد الأنظار.¹

وهؤلاء العلماء والفقهاء والمحدثون والأئمة أثروا في رفع مكانة الإمام القيرواني وصياغة شخصيته العلمية والثقافية والفكرية، حتى صار له تلاميذ يأتونه من كل حذب وصوب، ومن أشهرهم: أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد البيدي الحضرمي، أحد رواة "الرسالة"، وخلف بن أبي القاسم الأسدي المعروف بالبراذعي، صاحب "تهذيب المدونة" على كتاب شيخه القيرواني: "اختصار المدونة"، وأبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني القرطبي، صاحب "الهداية" في التفسير، وراوي "الرسالة" عن شيخه، وأبو بكر أحمد بن عبدالرحمن بن عبد الله الخولاني، الذي أصبح شيخ فقهاء القيروان في وقته.²

وبعد حياة حافلة توفي الإمام القيرواني -رَحِمَهُ اللهُ- سنة 386 هـ بمسقط رأسه، وورثاه الكثير من العلماء، وحزنوا على فقده.³

¹ انظر: ابن أبي زيد القيرواني، عقيدته وموقفه من الفرق ومقاومته للبدع، محي الدين سليمان إمام مديلي (رسالة دكتوراه) نوقشت 2001م جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص 176.

² انظر: رسالة ابن أبي زيد القيرواني، الطهطاوي، ص 8، وآراء ابن أبي زيد القيرواني الفقهية من خلال كتابه "النوادر والزيادات" (نماذج من كتاب الصلاة)، فاروق صديق تلي، 2015م، ص 19 و 20، وشرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني لأبي محمد صالح المسكوري، محمد بن محمد بن إبراهيم فلاتة، عام 1435 - 1436 هـ، ص 11-24.

³ انظر: سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، تحقيق حسان المنان، ص 2389، و 2390، وجمهرة تراجم الفقهاء المالكية، قاسم علي بن سعيد، دار البحوث للدراسات الإسلامية، دبي، ط 1، 1423 هـ، 711/1، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن

المطلب الثاني: لمحة إلى عصر الإمام القيرواني (الحالة السياسية والدينية والثقافية)

عاش الإمام -رَحِمَهُ اللهُ- في ظروف سياسية واجتماعية حرجة؛ فقد ظهرت في القرن الرابع الدولة الفاطمية، التي كانت تحارب أهل السنة، وتقوم بالاعتقالات التعسفية والإعدامات القسرية واستفزاز أهل السنة بكل السبل، مع التعذيب الجسدي والنفسي لهم، وخاصة العلماء¹.

وقد مارس مؤسس دولة العبيدين عبيد الله الشيعي² وابنه¹ الذي خلفه بعد وفاته

فرحون، برهان الدين اليعمري (ت 799هـ) تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، 133/1-135. وتراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1982م، 443/2-444.

هَذَا، وقد رثاه العديد من أدباء القيروان بمرث مشجعة وكثيرة. فمن قصيدة أبي الخواص الكفيف في رثائه:

هَذَا لِعَبْدِ اللَّهِ أَوَّلُ مَصْرَعٍ تَرَزَّا بِهِ الدُّنْيَا وَأَخَّرَ مَصْرَعٍ
كَادَتْ تَمِيدُ الْأَرْضُ خَاشِعَةَ الرَّبِّ وَتَمُورُ أَفْلاكُ النُّجُومِ الطَّلَعِ

وقال أبو علي بن سفيان في قصيدته:

غُصَّتْ بِجَفَاجِ الْأَرْضِ حَتَّى مَا تُرَى أَرْضٌ وَلَا عِلْمٌ وَلَا بَطْحَاءُ
مَا زِلْتُ تَقْدَمُ جَمْعَهُمْ هَرَبًا لَهُمْ فِي مَرَكِبٍ حَفَّتْ بِهِ النَّجَبَاءُ

(انظر القصائد في: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي، تحقيق سعيد أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالمملكة المغربية، ط1، 1981م، 221/6-222. ووردت مرثية زكريا بن يحيى بن علي الفقيه الشقراسي في كتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لعبد الرحمن بن محمد الأسدي الأنصاري، دار مطبعة السنة المحمدية، ط2، 110/3).

1 انظر: آراء ابن أبي زيد القيرواني الفقهية من خلال كتابه "النوادر والزيادات"، فاروق صديق تلي، ص 15.
2 عبيد الله الفاطمي: هو سعيد بن أحمد بن ميمون القداح، فارسي الأصل، ادعى أنه جعفري من آل البيت. ولد بالكوفة حوالي عام 260هـ، وتوفي بالمهديّة سنة 322هـ بعد 24 سنة من ولايته، فكتم ابنه أبو القاسم موت أبيه مدة؛ حتى يوطد ملكه، وحين تمّ له ذلك أعلن موته وأمر بالبكاء عليه. من ضلالاته أنه أبطل صلاة التراويح، وعوّض في أذان الصبح عبارة: الصلاة خير من النوم بعبارة: محمد وعلي خير البشر، وزاد في كلّ أذان: حيّ على خير العمل. ولقد عامل أهل السنة في إفريقيا بقسوة بالغة، وذبح وصلب الإمامين الفقيهين ابن هذيل وابن البردون. وحفيده المعز هو الذي استطاع

ضد أهل السنة أبشع الجرائم؛ حيث ادعى عبيد الله الشيعي النبوة، وأمر بقتل كل من لم يقر من العلماء البارزين بقتلهم، وكذلك منعوا دراسة بعض الفنون الشرعية، مثل أصول الفقه وما يتعلق بالعقائد، وقاموا بتحريم الفتوى بمذهب الإمام مالك، وكانوا يعاقبون على ذلك بالسجن أو الذبح.² ولما دخل عبد الله الشيعي إفريقية، ونزل "رقاده"، وقف فقهاء القيروان صفًا واحدًا لنصرة السنة، ورسوموا مواقف بطولية ضد العبيديين، وأفتوا بأنَّ (جهاد هؤلاء أفضل من جهاد الشرك).³

وواجه القيرواني كل ذلك الظلم والطغيان بالتحمل والصبر والتمسك بدين الله وشرعه، واتجه -رَحْمَةُ اللَّهِ- إلى طلب العلم بداخل البيوت. وحين انتهى حكم الدولة الفاطمية تنفس أهل السنة الصعداء، وذاع صيت الإمام.⁴ وكانت مدينة القيروان إذ ذاك قد

الاستيلاء على مصر فيما بعد. (انظر: سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، 141/15، والمقفى الكبير، تقي الدين المقرئ، (ت 845هـ)، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 558/4، 561، وأخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، لأبي عبد الله محمد بن علي بن حماد، تحقيق الدكتور التهامي نقرة والدكتور عبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص 23-27. وتاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب قسم من كتاب عيون الأخبار، إدريس عماد الدين الداعي، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1985، 260/1-280).
1 هو المدعو القائم بأمر الله أبو القاسم محمد، وقيل عبد الرحمن بن المهدي عبيد الله، ولد بسلمية في المحرم حوالي عام 280هـ، ورحل مع أبيه إلى المغرب، الذي عهد إليه من بعده. فلما مات أبوه، وفرغ من جميع ما يريده، وتمكن، أظهر موت أبيه، وتبع طريقة أبيه، مضت أيام ولايته كلها في الحروب والفتن، وكانت وفاته في شوال سنة 334هـ. (انظر: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، إدريس عماد الدين الداعي، ص 230 وما بعدها، واتعاض الخلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، دون معلومات النشر، ص 80-86).
2 انظر: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الدباغ الأسدي، (ت 696هـ)، تصحيح وتعليق إبراهيم شيوخ، 1968، ط 2، مكتبة الخانجي، مصر، 263/2-264، ومقال "من جرائم العبيديين في شمال أفريقيا"، منشور في صحيفة الراصد، العدد 11، جمادى الأولى 1425هـ.

http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=5239

³ معالم الإيمان، الأسدي، 273/2.

⁴ انظر: آراء ابن أبي زيد القيرواني الفقهية من خلال كتابه (النوادر والزيادات)، فاروق صديق تلي، ص 14.

أصبحت مركزاً للعلم والحضارة، ومقصداً للعلماء والفقهاء. وعمل الإمام القيرواني على نشر مذهب الإمام مالك؛ حتى لقب بـ"إمام المالكية"، و"مالك الصغير".¹

المطلب الثالث: عناية القيرواني باللغة وعلومها

لا شك في أنّ اللغة العربية لغة العلم والثقافة والحضارة، وهي أم اللغات؛ بل هي اللغة الفطرية (الافتراضية) المودعة في سائر أفراد الجنس البشري، وما زادها شرفاً أنّ الإسلام قد حفل بها فجعلها من الخالدين. فأصبح الاهتمام بها يعني اهتماماً بالدين، فإتقانها والتفقه فيها وسيلة مهمة لإحسان التفقه في الشريعة. وبما أنّ الفقه الإسلامي جزء رئيس من الشريعة الإسلامية فلا يمكن الاستهانة بظرفها؛² من هنا يلزم كل فقيه أن يتقن اللغة العربية. قال الإمام الزجاجة: فإن قيل: فما الفائدة في تعلم النحو؟ فالجواب: الفائدة فيه للوصول إلى التكلم بكلام العرب...، وتقويم كتاب الله عزّ وجلّ الذي هو أصل الدين والدنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النبي صلى الله عليه وآله وإقامة معانيها على الحقيقة؛ لأنه لا تفهم معانيها على صحة إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب.³ والذي لا يتقن اللغة فلا يحق له أن يسمى فقيهاً.⁴ ولذلك قال الإمام الشافعي -رحمه الله- عن اهتمامه بالعربية: "ما أردت بهذا إلا الاستعانة

¹ انظر: تقریب المعاني على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني في مذهب الإمام مالك، عبد المجيد بن إبراهيم الشرنوبلي الأزهری، دراسة وتقديم عادل عبدالمنعم أبو العباس، ص 2-4. ومقال "ابن أبي زيد القيرواني «مالك» الصغير"، عمار بن سعيد طوق المري، منشور في صحيفة البيان الإماراتية، بتاريخ 4 يوليو، عام 2016م، -2016-07-ramadan/ideas/2016-07-04-1.2673060 <https://www.albayan.ae/supplements/ramadan/ideas/2016-07-04-1.2673060>

² انظر: المرجع السابق، <http://annahda.in/2017/03/10>

³ الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجة، 1986م، ط5، دار النفائس، بيروت، ص95.

⁴ فوائح الرحوت، عبد العلي بن محمد الأنصاري الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 363/2، و"أهمية اللغة العربية لدراس الكتاب والسنة والمتأمل فيهما" عبد الله بن حمد الخثران، مقال منشور في (مجلة البيان، العدد [182]، شوال 1423هـ، ديسمبر 2002م) ص 66 .

على الفقه¹. فبرع فيها براعة عظيمة؛ حتى قال عنه الإمام الفقيه يونس بن عبد الأعلى²:
"كان الشافعي إذا أخذ في العربية قلت: بهذا أعلم، وإذا تكلم في الشعر، وإنشاده، لقلت: بهذا أعلم، وإذا تكلم في الفقه، لقلت: بهذا أعلم"³. وقال عمرو بن بحر الجاحظ: "نظرت في كتب هؤلاء النبعة الذين نبغوا في العلم فلم أر أحسن تأليفاً من المطلبي، كأن لسانه ينظم الدرر"⁴.
وكان الإمام ابن فارس يصرح بعلاقة الفقه باللغة كثيراً، ويعرض من يشتغل بالمسائل الفقهية دون التعمق في اللغة وقوانينها، وكتابه "فتيا فقيه العرب" صنفه لهذا الغرض الوحيد، ومن أقواله المشهورة فيه: "من قصر عليه عن اللغة وغولط غلط"⁵.

ويعتبر القيرواني أيضاً من الفقهاء الذين برعوا في اللغة العربية؛ وأتقنوا علومها، وشعره المجموع

¹ مناقب الإمام الشافعي وطبقات أصحابه، من كتاب تاريخ الإسلام للإمام أبي عبد الله الذهبي، انتقاء أبي بكر أحمد بن محمد ابن قاضي شُهبة، تحقيق عبدالعزيز حروفش، دار البشائر للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 1424هـ، ص 53، ومدى حاجة الفقيه إلى اللغة العربية، الشيخ عبدالله بن الشيخ المحفوظ بن بيه، منشور على الشبكة العنكبوتية، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2020.1.30، <http://binbayyah.net/arabic/archives/1283>

² الإمام أبو موسى يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة، الصديقي المصري الفقيه، أحد أصحاب الشافعي، والمكثرين من الرواية عنه والملازمة له، وكان كثير الورع متين الدين، وكان علامة في علم الأخبار والصحيح والسقيم، لم يشاركه في زمانه في هذا أحد، وهو شيخ الإمام المفسر ابن جرير الطبري رحمهم الله. (انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، 249/8 وما بعدها).

³ إرشاد الأريب في معرفة الأديب، ياقوت الحموي، 1991م، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 201/5.
⁴ مناقب الإمام الشافعي، الإمام البيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة إحياء التراث، القاهرة، ط1، 1970م، 260/1-261.

⁵ حلية الفقهاء، أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي (ت 395هـ)، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ط1، 1983م، ص 10. وكان كثير المناظرة في الفقه. وإذا وجد فقيهاً أو متكلماً أو نحوياً، كان يأمر أصحابه بسؤاله في مسائل في العلم الذي يعطاه، فإن وجده بارعاً جدلاً، جرّه في المجادلة إلى اللغة، فيغلبه بها، وكان يحث الفقهاء دائماً على معرفة اللغة، ويُلقي عليهم مسائل ذكرها في كتاب سماه "فتيا فقيه العرب"، ويُجلبهم بذلك، ليكون نخيلهم داعياً إلى حفظ اللغة. (انظر: نفس المصدر).

في ديوان أوضح شاهد على ذلك، كما أنّ له كتاباً في إعجاز القرآن الكريم، ومثل هذا الكتاب لا يقدم على تأليفه إلا من تمكن من ناصية العربية وسائر علومها. ولا شك أنّ منطق القيرواني في ذلك هو منطق الإمام الشافعي؛ من أنّ الفقيه حين يكون قصير الباع في العربية فإنّ ذلك سوف يؤثر سلباً على طريقة فهمه للنصوص الشرعية واستنباط الأحكام منها، وقد يقع في اللحن والأخطاء بأنواعها، وقد أدخل بعض العلماء ضعاف الإدراك في العربية في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "... مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ".¹ لأنّ ضعف اللغة العربية يؤثر سلباً على إصدار الحكم الشرعي وقد يكون خاطئاً. إضافة إلى أنّ ضعف العربية قد يلقي بالفقيه إلى التهلكة؛ بسبب القول على كلام الله وسنته.

المطلب الرابع: تلميحاً إلى علاقة الفقهاء بالشعر

لا شك أنّ أغلب الصحابة كانوا يحبون الشعر ويقرضونه كذلك، بل ويتناقشون فيه ويبدون فيه ملحظات تتم عن تذوقهم ونقدهم له وعظيم اهتمامهم واعتزازهم به. وباستعراض أشعارهم يتبين أنها كانت تعبر عن تجاربهم الذاتية والعاطفية والدينية والدعوية والاجتماعية والثقافية والسياسية وغير ذلك، كما نجد فيها مسحة واضحة للعلوم الشرعية والفقهية التي أتى بها الإسلام.

ثم ظهر في العقود التالية من بين العلماء والفقهاء شعراء كبار، لا يقل شعرهم في الروعة والجمال عن بعض شعراء العصور المتقدمة.² ومن هؤلاء الشعراء العالم الفقيه

¹ مقدمة صحيح مسلم، للإمام أبي الحسب مسلم الحجاج القشيري النيسابوري، بعناية نظر محمد الفارابي، ط1، 1427هـ، 2006م، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، رقم الحديث 3/ باب التحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

² وإنّ حكم بعض الأئمة على شعر الإسلاميين بأنه ضعيف. قال الإمام الأصمعي: "طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لأنّ؛ ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير... لأن شعره، وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول، مثل امرئ القيس وزهير والنابعة، من صفات الديار والرحل، والهجاء والمدح، والتشبيب بالنساء، وصفة الحمر والتحليل

عروة بن أذينة،¹ الذي غدا لا يعرف إلا بالشعر، حتى نسي الناس أنه من فقهاء العلماء. ولهذا العالم الفقيه الشاعر في رقيق الغزل شعريكاذ يتفوق به على كبار الشعراء، يقول في بعض أبياته المشهورة:²

إِنَّ التِّي زَعَمْتَ فُؤَادَكَ مَلَّهَا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا
يَبْضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاغَهَا بِلِبَاقَةٍ فَأَدَقَهَا وَأَجَلَّهَا
ومن أروع أبياته الحكيمة:³

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِسْرَافُ مِنْ خُلُقِي أَنَّ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْنِي لِمَنْقَصَةٍ وَغَفَّةٌ مِنْ قَوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي
إِنِّي لَأَنْطِقُ فِيمَا كَانَ مِنْ أَرَبِي وَأَكْثُرُ الصَّمْتِ فِيمَا لَيْسَ يَعْينِي
وكان الإمام مالك بن أنس - رَحِمَهُ اللَّهُ - يرتاح للشعر ويقرضه أحياناً ويرويه ويروي عنه،
ومما قاله في مدح القناعة والتحذير من الجشع والطمع:⁴

هِيَ الْقَنَاعَةُ لَا أَرْضَى بِهَا بَدَلًا فِيمَا النَّعِيمُ وَفِيهَا رَاحَةُ الْبَدَنِ
وَأَنْظُرْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا هَلْ فَازَ مِنْهَا بِغَيْرِ اللَّحْدِ وَالْكَفَنِ؟

والحروب، والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لأن". (الموشع في مآخذ العلماء على الشعراء، للإمام محمد بن عمران المرزباني (ت 384هـ)، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، ص 77، 78). ولكن ينبغي ألا يعمم هذا الحكم على جميع الشعر الذي قاله العلماء وأصحاب الأغراض النبيلة غير التي يعدونها من قبيل الشعر.

¹ هو عروة بن أذينة، وأذينة لقبه، واسمه يحيى بن مالك بن الحارث، أبو عامر، شاعر غزل مقدم من شعراء أهل المدينة، وهو معدود في الفقهاء والمحدثين، روى عنه الإمام مالك وعبيد الله بن عمر العدوي وغيرهما. (انظر: الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، دار الفكر، بيروت، ط2، 1330/18).

² انظر: شعر عروة بن أذينة، جمع وتحقيق يحيى الجبوري، الناشر مكتبة الأندلس، بغداد، ص 24.

³ المصدر السابق، ص 19.

⁴ انظر: كتاب: أوقات مليئة بالحنان مع النية الصالحة، جمع وترتيب: سمية السيد عثمان، الناشر: ص 83، د ت.

والإمام الشافعي -رَحْمَةُ اللَّهِ- من الشعراء المطبوعين، وهو القائل:¹
وَلَوْلَا الشَّعْرُ بِالْعُلَمَاءِ يَزِرِي لَكُنْتُ الْيَوْمَ أَشْعَرَ مِنْ لَبِيدٍ
ولعله في الشطر الأول يقصد ذلك النوع من الشعر الذي يتهتك فيه الشعراء ويتمجنون
ويبتدلون، واختياره للشاعر لبيد من بين بقية فحول الشعراء يشي بنزعة علمية وفقهية
لديه؛ فلا شك أن لبيدا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أصبح من العلماء الذين يعتزون بإسلامهم
وقرآنهم، وأمسك عن قول الشعر.

ومن أبرز هؤلاء الشعراء من العلماء الفقهاء الإمام الفقيه عبد الله بن المبارك رَحْمَةُ اللَّهِ، وله
شعر رائق وفائق قد تناقله الرواة، وسارت به الركبان، وذاع صيته الآفاق، مع أنه كان دائم
الجهاد في سبيل الله عز وجل بالسيف والسنان قبل القلم واللسان. ومن مشهور أبياته:²
وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا
وَبَاعُوا النَّفْسَ فَلَمْ يَرْبَحُوا وَلَمْ تَغْلُ فِي الْبَيْعِ أَثْمَانُهَا
وله مقطوعة جميلة وشهيرة كان وجهها من ساحة الجهاد إلى الفقيه الفضيل بن
عياض -رَحْمَةُ اللَّهِ-،³ الذي كان انقطع عن الدنيا، ولازم الحرمين متعبداً متبتلاً،

¹ ديوان الإمام الشافعي، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر مكتبات الكلية الأزهرية، الطبعة الثانية، 1985م، ص 73.

² ديوان الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك (ت 181هـ)، جمع وتحقيق ودراسة مجاهد بهجت، الناشر، مجلة البان، 1432هـ، ص 115.

³ الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر أبو علي التميمي اليربوعي الحراساني. ولد في سمرقند سنة 107هـ ونشأ بأبيورد، أحد أعلام أهل السنة في القرن الثاني الهجري، لقب بـ«عابد الحرمين». وكان -رَحْمَةُ اللَّهِ- شاطراً يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس. وكان سبب توبته أنه هم ذات ليلة بمعصية، فسمع تالياً يتلو "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ" قال: يارب قد آن. فرجع، فأواه الليل إلى خربة، فاذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل. وقال قوم: حتى نصبح؛ فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا. قال: ففكرت، وقلت: أنا أسعى بالليل في

يقول له فيها:¹

يَا عَابِدَ الْحَرَمَيْنِ لَوْ أَبْصَرْتَنَا لَعَلَّتْ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ تَلْعَبُ
مَنْ كَانَ يَخْضَبُ خَدَّهُ بِدُمُوعِهِ فَحُورُنَا بِدِمَائِنَا تَتَخَضَّبُ
رِيحُ الْعَبِيرِ لَكُمْ وَنَحْنُ عَبِيرُنَا رَجُ السَّنَابِكِ وَالْغُبَارُ الْأَطْيَبُ

ومن الفقهاء الشعراء الإمام أبو بكر محمد بن داود الظاهري (ت 297هـ) والإمام ابن حزم القرطبي (ت 456هـ) رحمهما الله؛ حيث ألّف الأول كتاب "الزهرة"، وآلّف الثاني كتاب "طوق الحمامة" وكلاهما ينحو منحى عاطفياً، ويمتلئ بالأشعار والنماذج الأدبية الرائقة. والعالم الفقيه المحدث الإمام الزهري (أبو بكر بن عبد الرحمن) له بيتان في النسيب، وهما من أروع وأبدع ما قيل فيه، يقول:²

وَلَمَّا تَزَلْنَا مَزْزَلًا طَلَّهُ النَّدَى أَنْيَقًا، وَبُسْتَانًا مِنَ النُّورِ حَالِيَا
أَجَدَّ لَنَا طِيبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ مُنَى، فَتَمَنَيْنَا فَكُنْتَ الْأَمَانِيَا
ومن أجمل أبيات الحب والحنين التي غدت زاداً لكل مكروب وحزين ما قاله العالم والصوفي المعروف أبو بكر الشبلي:³

المعاصي وقوم من المسلمين هاهنا يخافونني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع. اللهم، إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام. توفي سنة 187هـ. (انظر: طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، دار الكتب العلمية، ط 2003م، ص 22-27.)

¹ ديوان ابن المبارك، ص 47.

² شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي (ت 421هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1424هـ- 2003م، ص 925.

³ دلف بن جحدر الشبلي المالكي، تركي الأصل، كان والياً على بعض البلدان بطبرستان، وولي الحجابة للهوفق العباسي؛ وكان أبوه حاجب الحجاب ثم ترك الولاية، وعكف على العبادة، فاشتهر بالصلاح. له شعر جيد، سلك به مسالك المتصوفة، ونسبته إلى قرية (شبلة) من قرى ما وراء النهر، مولده بمدينة سامراء عام 247هـ، وتوفي ببغداد عام 334هـ. اشتهر بكنيته. (انظر مقدمة ديوان أبي بكر الشبلي،

رُبَّ وَرَقَاءٍ هَتُوفٍ فِي الضُّحَى ذَاتِ شَجْوٍ صَدَحَتْ فِي فَنَنِ
ذَكَرَتْ إِلْفًا وَدَهْرًا سَالِفًا فَبَكَتْ حُزْنًا فَهَاجَتْ حَزَنِي
فَبَكَائِي رُبَّمَا أَرْقَاهَا وَبُكَاهَا رُبَّمَا أَرْقَانِي
وَلَقَدْ تَشَكُّو فَمَا أَفْهَمُهَا وَلَقَدْ أَشْكُو فَمَا تَفْهَمُنِي
غَيْرَ أَنِّي بِالْجَوَى أَعْرِفُهَا وَهِيَ أَيْضًا بِالْجَوَى تَعْرِفُنِي

وقد بلغت هذه الأبيات من حسن السبك وجمال النسيج ودقة استخدام الكلمات وروعة التأثير بحيث لم يتمالك البلاغيون أنفسهم من الاعتراف بكل تلكم الخصائص الجمالية، ولا يكاد يخلو منها كتاب في فن البلاغة؛ فقد قال علماء البلاغة بأنه بعض الكلمات تحسن في موطن ثم تكون نابية مُسْتَكْرَهَةً في غيره، ككلمة "أيضاً" مثلاً، فقد عدّوها من ألفاظ العلماء، فلم تجر بها أقلامهم في شعر أو نثر حتى جاء هذا الشاعر، ووضّع "أيضاً" في مكان لا يتطّلب سواها ولا يتقبّل غيرها، وكان لها من الروعة والحسن في نفس الأديب ما يعجز عنها البيان.

ولعل هذه اللمحة تكفي لإعادة النظر في الفكرة التي تزعم أنّ الفقهاء على شطّ الشعر على شطّ آخر، وأنّ بينهما تنافراً أو تداخلاً، أو أنّ طبع الفقهاء يميل إلى جمود، وقرّحتهم إلى عقم وجفاف، بل الحقيقة أنّ الشعراء العلماء تطرقوا في أشعارهم إلى أغراض متنوعة ومجالات إنسانية وفكرية حساسة وقيمة، لا تختلف في جوهرها عما تناوله غيرهم من الشعراء من أغراض إنسانية وموضوعات فكرية عميقة، إضافة إلى أغراض نبيلة أخرى، مثل مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب والقيم الإسلامية، والمدح والثناء والبر والصلة والقصص الدينية والملاحم التاريخية. وقد تفردوا عن غيرهم بالمتون

جعفر بن يونس المشهور بدلف بن جحدر، جمع وتحقيق وتعليق الدكتور كامل مصطفى الشبيبي، ط1، 1967م، مطابع دار التضامن بغداد. وانظر الأبيات المذكورة في ص 75 من الديوان.

العلمية والمنظومات التعليمية وغير ذلك. يقول ابن سينا في فلسفة النفس:¹
هَبَطَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْحَلِّ الْأَرْفَعِ وَرَقَاءُ ذَاتُ تَعَزُّزٍ وَتَمَنُّعٍ
مُحْجُوبَةٌ عَنْ كُلِّ مُقَلَّةٍ عَارِفٍ وَهِيَ الَّتِي سَفَرَتْ وَلَمْ تَبْرِقْ
ولا يخفى أنَّ الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ من حفاظ الشعر ورواته وعلماؤه ونقادته، وهو
كذلك من أبرع الشعراء والنظام؛ ولقد بلغ عدد أبيات المنظومة النونية- فقط-
حوالي ستة آلاف بيت.

وما يميز أشعار العلماء أنها تأتي في أغلبها سهلة رقيقة رقيقة، لينة الحبك، محكمة
النسيج، جميلة المعاني، سهلة التراكيب، منسجمة اللفظ والمعنى، عذبة النظم وسلسة
التعبير، ولا تكلف فيها ولا مبالغات مملوثة، ولا معنى نشاز.
ويأتي في قائمة هؤلاء الشعراء الفقهاء والعلماء هذا الإمام العظيم الذي سأحدث عنه
في هذا البحث المتواضع، وهو الإمام ابن أبي زيد القيرواني، الملقب بمالك الصغير،
رحمه الله تعالى.

المبحث الثاني

التجربة الشعرية عند الإمام ابن أبي زيد القيرواني

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التجربة الشعرية

التجربة الشعرية هي "الصورة الكاملة النفسية أو الكونية، التي يصورها الشاعر حين

¹ طبيب مسلم، ولد في أوزبكستان عام ولد سنة 370 هـ، وتوفي في همدان سنة 427 هـ. كان شديد
الذكاء والحكمة، حفظ القرآن ولم يكن قد أتم العاشرة، كان محباً للترحال لطلب العلم، ألف الكثير من
الكتب في الطب والفلسفة والفلك والمنطق وغيرها، لقب قديماً بالشيخ الرئيس، ولقبه الغربيون بأبي
الطب الحديث وأمير الأطباء. (انظر: فيض الخاطر، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي، 2017م، 183/9).

يفكر في أمر من الأمور تفكيراً ينمُّ عن عميق شعوره وإحساسه. وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتي، وإخلاص فني، لا إلى مجرد مهارته في صياغة القول؛ ليعبث بالحقائق، أو يجاري شعور الآخرين لينال رضاهم".¹

ويتفق النقاد على ضرورة أن تكون معالم التجربة الشعرية واضحة، وأجزاؤها متميزة؛ بحيث يقود كل جزء فيها إلى صاحبه، ولكي تكون التجربة مكتملة يرون أن يكون مضمون القصيدة واحداً.²

والتجارب قد تكون ذاتية أو فكرية أو أسطورية أو اجتماعية أو تاريخية أو خيالية أو رمزية، وما إلى ذلك.³ ولها بواعث، مثل الطرب، والعجب، والطمع والرغبة، والشوق والغضب والشرب والرغبة، والحزن مشوباً بالخوف، وخوالج النفس وأمانيا، وغير ذلك.⁴

وإذا ألقينا نظرة على شعر الإمام ابن أبي زيد القيرواني -رَحِمَهُ اللهُ- وأخضعناه للمعايير السابقة وجدنا أنَّ بواعث معظم شعره هي: الحزن والخوف وخوالج النفس وأمانيا، والرغبة، والغضب ونحو ذلك. غير أنَّ شعره يمتاز بكونه نابعاً من التجارب الشخصية التي ذاق مرارها الشاعر في حياته، فتمخضت عن هذا الشعر الموجود بين أيدينا

¹ النقد الأدبي الحديث، الدكتور محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة، 1997م، ص 363.
² ينظر: في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1962م، ص 138.
³ ينظر: النقد التطبيقي والموازنات، الدكتور محمد الصادق عفيفي، مؤسسة الخالجي، 1398م، ص 114-75، وأصول النقد الأدبي، الدكتور طه مصطفى أبو كريمة، مكتبة لبنان، 1996م، ص 224-227.

⁴ ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، الطبعة الثانية، 1418هـ، 79-78/1، والعمدة في صناعة الشعر ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 463هـ)، تحقيق الدكتور النبوي عبدالواحد شعلان، مكتبة الخالجي، ط 1، 1420هـ، 195/1. ودويان الأستاذ عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، 5/1. وينظر أيضاً: أصول النقد الأدبي، الدكتور طه مصطفى أبو كريمة، ص 164.

اليوم ديواناً لطيفاً صغيراً في عده، غزيراً في معناه.¹

وسأتناول التجربة الشعرية لدى الإمام من خلال ثلاث نقاط مهمة، تعتبر روحاً لأية تجربة شعرية، وهي: صدق التجربة وواقعيتها، ونضجها واكتمالها ثم العاطفة الشعرية في هذه التجربة.

المطلب الثاني: الصدق والواقعية في تجربة الإمام القيرواني الشعرية

سلف في المبحث الأول أنّ التجارب الشعرية التي قاساها الشاعر هي تجارب ذاتية، وإن كانت لها روافاً أخرى رفدتها من مجالات الدين والخلق والعلم والتعليم والتربية أيضاً، إلا أنها تنطلق كلها من ذات الشاعر.

وإلقاء نظرة عجل على نتاجه الشعري يكشف لنا الصدق والواقعية - بأسمى درجاتهما - في تجربة الإمام، وبخاصة في شعره الرثائي، الذي يبتعد بطبعه عن الرياء أو التصنع والمداهنة والمحاباة.

وتجلى هذه السمات بوضوح في رثائه لشيخه أبي بكر ابن اللباد، رَحِمَهُ اللهُ،² ذلك العالم الفقيه الذي استفاد منه القيرواني في أول أيام فتوته ثم في شبابه، وأحبه وقدره وتقدير الولد لوالده، وقد ألفت هذه العلاقة الأبوية بظلالها الكثيفة على شعره فيه؛ فيبدو من القصيدة أن الشاعر لا يكاد يتمالك نفسه من شدة الحزن الذي عم سائرته، ولفّ كل شخصه. يقول الإمام مستهلاً قصيدته استهلالاً حزيناً، باكياً متفجعاً، وقد سرق الحادث عن عينه الرقاد، وغادره مبتلى الأرق والسهاد، موقداً في فؤاده جمرة ملتهبة غير منطفئة الأوار، وكأنّ قد انعقد بينه وبين السهر إخاء ومودة، فبييت - طوال الليل - يرعى بهم

¹ من جمع الدكتور عمار بن سعيد بن طوق المري، طبعة جمعية دار البر، دبي، 2015م، وهذه هي النسخة التي سوف أعتمد عليها في هذه الدراسة.

² شعر بني عامر، من الجاهلية حتى آخر العصر الأموي 132هـ، جمع وتحقيق ودراسة د. عبد الرحمن محمد الوصيفي، 221/2.

النجوم، وإن صوت تغريد الورقاء وزقزقة العصافير استحال لديه ندباً ونواحاً؛ وخاصة في أوقات الليل التي لا تنوح فيها هذه الورق على إلفها، أما وقد صاحت وباحت في جميع الليل فذاك دليل على أنّ الخطب حقاً جسيم لا يحتمل، وهذا ما هيج كوامن أشجانه أكثر، وزاد في كآبته وأحزانه؛ بيد أنّ تلكم الطيور من جانب آخر تسلي هذا المكلوم، وتعزيه مما هو فيه، عسى أن يخف عنه شيء من ذلك، يقول:¹

يَا مَنْ مُسْتَعَذِبٍ فِي لَيْلِهِ حَزْنًا! مُسْتَوْتِنٍ مِنْ بَقَايَا دَائِهِ وَطَنًا!
بَدَلْتُ بَعْدَ لَذِيذِ الْعَيْشِ فِي كَيْدِي جَمْرًا وَحَزْنًا نَفَى عَنْ مُقْلَتِي الْوَسَنًا!
وَبِثُّ لِلنَّجْمِ أَرْعَاهُ أَخَا سَهْرٍ وَالْوُرُقُ تَدُبُّ فِي تَغْرِيدِهَا سَكَا
فَهَيَّجَتْ سَقَمًا مِنْ قَلْبٍ مُكْتَنِبٍ وَبِثُّ أَسْعِدَهَا حِينًا وَتُسْعِدُنَا

ثم يوجه الشاعر إلى نفسه المكلومة تساؤلاً مغلفاً في ثوب الاستعارة وغلالة الاستغراب والإنكار، قائلاً ما لدوحة حياتي؛ إذ جف رطيب أفنانها، ونحرف نضيج ثمارها، فصرت أجني منها ثماراً مرة أو يابسة، بعد ما أمت طيبات الحياة ولذاتها تودعني الواحدة تلو الأخرى؟! مؤكداً ذلك بأن هذا القلب الجريح والأحشاء التي تنقد بداخلها النار- بدل أن تنبض إليها عروق تسقيها ماء-؛ خير شاهد على ذلك، يقول رَحِمَهُ اللهُ:²

مَا لِلذَّادَةِ قَدْ مَاتَتْ وَقَدْ جُنَيْتَ مَرَارَةَ الْعَيْشِ، وَاللَّذَاتُ تَهْجُرُنَا؟
وَالْقَلْبُ يَشْهَدُ عَنْ قَلْبِ الْكَيْبِ وَعَنْ جَمْرٍ بِأَحْشَائِهِ قَدْ أَوْقَدَتْ شَجْنَا
والإمام يحاول التصبر ويبتغي السلوان؛ فيأمر العيون المستبلة أن تجمد، وبالأحشاء المشتعلة أن تبرد؛ إذ ما كان كائناً قد كان، ولا فائدة من البكاء على لبن قد انسكب! ولكنه -رَحِمَهُ اللهُ- ما إن ينتهي من محاولة التعزي هذه حتى تعاوده نبرة

¹ ديوان شعره المطبوع، ص 53.

² المصدر السابق، ص 53.

الحزن ومشاعر محبة شيخه المنقوشة في قلبه من جديد، فكيف يخفيها أو يتغافل عنها؟ فلا عزاء إذن إلا أن يزيد في عصر شؤون عينيه؛ ويطالبها بصرف همها إلى هذا الفقيد الغالي فقط، ولتدعُ تذرّاف الدموع على دَمَنٍ قد عفت، أو طلل قد سوّته بالأرض ذيولُ الرياح؛ لأنّ خطب وفاة شيخه ابن اللباد حقاً جليل؛ إذ قد تعرّت برحيله جوامع العلم من زينتها، وخلت الغبراء من خيراتها، موجّهاً في ذات الوقت عتاباً رقيقاً إلى الزمان الذي لا يرحم أحداً، أو يميّز بين أحد، أو يُقيل نفسه أو إنساناً! معرباً عن استعدادة لتفدية شيخه بروحه؛ لأنّ العيش بعده بات باهت الألوان ذابل النضارة، هامت الحركة والنشاط، لا تكاد ترى فيها آثار الحياة، كيتامى فقد عائلها، وكأرض حبس ماطرّها، فانعدمت عناصر الحياة والاختضار فيهما، يقول:¹

قُلْ لِلْجُفُونِ وَلِلْأَحْشَاءِ إِذْ نُجِبَا لَا تَبْكِيَا طَلَلًا عَافٍ² وَلَا دِمْنَا
يَا عَيْنَ وَابْكِي لِمَنْ فِي فَقْدِهِ فَقِدْتُ جَوَامِعُ الْعِلْمِ وَالْخَيْرَاتِ إِذْ دُفِنَا
رَيْبُ الْحَوَادِثِ لَا تَرْتِي إِذَا طَرَقَتْ عَلَى قَبِيحٍ وَلَا تُبْقِي لَنَا حَسَنَا
لَهْفِي عَلَى مَيِّتٍ مَاتَتْ بِهِ سَبِيلُ الـ خَيْرَاتٍ قَدْ كَانَ أَحْيَا الدِّينَ وَالسُّنَنَا
نَفْسِي تَقِيكَ أَبَا بَكْرٍ وَلَوْ قُبِلَتْ فَدَتَكَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ إِلَيْكَ دَنَا
إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدَ الْأَرْضِ وَابِلَهَا فَنَحْنُ بَعْدَكَ نَلْقَى الضِّمِّمَ وَالْفِتْنَا
وَنَحْنُ بَعْدَكَ أَيَّتَامٌ بِغَيْرِ أَبٍ إِذْ غَيَّبَ التُّرْبُ عَنَّا وَجْهَكَ الْحَسَنَا

وإنّ الإمام ليُعلم في قرارة نفسه أنّ شيخه قد فارقه للأبد، فإلتفت - دأب الشعراء قديماً وحديثاً - إلى البقعة الجديدة التي استوطنها شيخه، فيدعو الله سبحانه أن

¹ المصدر السابق، ص 53.

² "عافٍ"، هكذا الرواية، وهو مقتضى الوزن، لكن الصحيح نحوياً: "عافياً" صفة لـ"طللاً".

يسقيها غيثاً يرّويها ويرّوي ما يحيط بها من بقاع، كدليل آخر على شدة محبته للشيخ وعظيم تعلقه به، مبرهنًا في نفس الوقت على أنّ تفجعه عليه ليس جُزافاً أو عن فراغ ولا فيه من مبالغة؛ لأنّ الحيز الذي كان يشغله الشيخ لا يمكن أحداً ملؤه قريباً أو بسهولة، وهنا يسرد عديداً جماً من مناقبه؛ فهو قد استتم الحسن ظاهراً وباطناً، في طهارة نفس، وصفاء روح، وقد كان راقياً إلى الله سبحانه، دانياً منه، ميمون النقيبة، صادقاً بالحق، لا يأخذه في ذلك لومة ولا رهبة، وهو الذي أشعل مشكاة الإيمان في بلد ابتلي ببعض الطوائف التي تنتمي إلى الإسلام وهي في حقيقتها معول هدم لمبناه الجميل، وهو صاحب بصيرة، وناصح أمين وحصن حصين لدين الله، ومكافح صادق عنه وعن أهله، ومؤمن مصابر قوي الإيمان، ماضي الشكيمة، راض بقضاء الله وقدره؛ لا تفت في عضده وعزيمته نوازل ولا توهنه محن ولا تناله بخور ابتلاءات، يقول:¹

أَلَا سَقَى اللَّهُ قَبْرًا فِيهِ أَعْظَمُهُ	غَيْثًا تُرَوِّى بِهِ الْأَرْضُ الَّتِي سَكَا
لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ قَبْرِ دُفِنْتُ بِهِ	وَحَبْدًا ذَلِكَ الْحُسْنُ الَّذِي دُفِنَا
وَحَبْدًا أَنْتَ مِنْ نَفْسٍ مُطَهَّرَةٍ	وَحَبْدًا أَنْتَ مِنْ رُوحٍ رَقَى فَدَنَى
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِذْ تَمَّتْ نَقِيَّتُهُ	وَقَامَ بِالْحَقِّ فِي الدُّنْيَا فَا وَهَنَا
حَتَّى اسْتَنَارَ بِهِ الْإِيمَانُ فِي بَلَدٍ	لَوْلَاهُ مَاتَ بِهِ الْإِيمَانُ وَانْدَفَنَا
مَنْ كَانَ فِي اللَّهِ قَدْ صَحَّتْ بَصِيرَتُهُ	وَقَامَ فِي مَوْقِفٍ قَدْ كَانَ أُعْجَزَنَا
وَجَادَ بِالنَّفْسِ عَنْ دِينِ الْإِلَهِ وَلَمْ	يَمَلْ كَمَا مَالَ مِنْ دَاجِي وَمَنْ رَكَا
قَدْ كَانَ يَعْتَزُّ بِالرَّحْمَنِ إِذْ قَصَدُوا	لِذَلِكَ بِهَوَانِ السَّجْنِ إِذْ سُبْنَا
كَمْ مَحْنَةٍ طَرَقَتْهُ فِي الْإِلَهِ فَلَمْ	يَجِدْ لِذَلِكَ إِذْ فِي رَبِّهِ امْتَحِنَا

¹ ديوان شعره المطبوع، ص 55-56 .

بَلْ كَانَ حِصْنًا لِلدِّينِ اللَّهُ يَنْصُرُهُ وَيَحْتَمِي غَضَبًا لِلَّهِ إِذْ فُتِنَا
إِنْ صَالَ فِي اللَّهِ لَمْ يَرْهَبْ عَوَازِلَهُ وَلَا مَلَامَةً مَنْ فِي قَوْلِهِ طُعِنَا
ويُشهد الإمامُ اللهَ سبحانه في حق شيخه المبجل على أن الصدقَ والصفاءَ سيماهُ،
والعلمَ ونشره وحب الدين والاعتزاز بمعالمه هجَّيرَاهُ، مؤكداً أنه لا يمكن أحداً أن يكون
عوضاً عن الفقيد في القدوة والمكنة العلمية والسعة المعرفية والشفقة والحكمة
والبصيرة والتقوى والأدب وإيجاد حلول لمشكلات تعجز عن حلها فطاحل؛ فكيف
إذن، يا ترى، يجد عزاءً إلى فؤاد الإمام القيرواني سبيلاً؟ يقول:¹

الصِّدْقُ حَلِيَّتُهُ وَالْعِلْمُ خَلَّتُهُ وَالِدَيْنِ رُبَّتُهُ وَاللَّهُ شَاهِدُنَا
تَاللَّهِ لَا قَرَّتَ الْعَيْنَانِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ بِمَثَلِ أَبِي بَكْرٍ يَكُونُ لَنَا
كَيْفَ الْعَزَا بَعْدَ شَيْخِ الْمُسْلِمِينَ نَعَمْ وَهُوَ الْإِمَامُ الَّذِي قَدْ كَانَ قُدْوَتَنَا
قَدْ زَيْدَ الْحَقِّ تَبَيَّانًا وَأَوْصَحَهُ وَبَعْدَ جَهْلٍ بِنَا قَدْ كَانَ بَصَرَنَا
أَبْ لَأَصْغَرَنَا كَفُلْ لَأَكْبَرَنَا وَفِي النَّوَازِلِ مَلْجَانَا وَمَفْزَعُنَا
يَا مَنْ هُوَ الْعِلْمُ الْمَشْهُورُ مَنْظَرُهُ وَمَنْ تَأَدَّبَ بِالتَّقْوَى وَأَدَبَنَا
أَبْدَى لَنَا سُبُلًا فِي الْعِلْمِ شَافِيَةٌ وَمَشْرَبًا عَذْبَتْ مِنْهُ مَشَارِبُنَا
يَا مَفْزَعًا فِي جَمِيعِ النَّائِبَاتِ، أَلَا مِنْ بَعْدِ فَقْدِكَ قَدْ سُدَّتْ مَسَالِكُنَا
ولا شك أنَّ تعداد مناقب الفقيد ومآثره والخسائر التي مني بها الدين والمسلمون من
بعده يعد من أمارات الصدق والواقعية في التجربة في الصميم.

ويسيح بالقيرواني خياله مرة أخرى إلى بيت شيخه الجديد: القبر؛ فيعاتبه على ما ابتلع
في بطنه من جبال العلم وما استخفى فيه من شمس الهدى والضيء التي تنير الكون،
معتبراً حال الغابرين بعده أكثر توجعاً ومدعاةً للشفقة؛ أفلا كان حرياً بالقبر إذاً أن

¹ المصدر السابق، ص 57 .

يرحم حالهم ويرثيها إن لم يرث الفقيده ويبيك له؟! يقول:¹
حَوَيْتَ يَا قَبْرُ، أَجْبَالَ الْعُلُومِ وَقَدْ أَطْفَأْتَ عَنَّا سِرَاجًا كَانَ نَوْرَنَا
يَا قَبْرُ، إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرِثِي لِمَيْتِهِ أَلَا رَثَيْتَ لَنَا إِذْ عَنْهُ تُبْعِدُنَا؟!
ويكرر تعزية نفسه مرة أخرى، تتمثل تلك المرة بتخيل ما قد صار إليه الشيخ من الحسنى
وجنات النعيم، دار الراحة الأبدية ومستقر الرحمة السرمدية، متكئاً على الأرائك، وبين
حورها العين، داعياً الله سبحانه بأن يجمعه مع رسوله وآله وصحابه الكرام ممن أحبهم
طوال حياته، وتحمل فيهم كل أنواع الأذى والإهانة والتعذيب، يقول:²

نَعَمْ، وَيَا أَيُّهَا الْمَقْبُورُ فِي جَدَثٍ وَمَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَثْوَابِهِ كَفَنَّا
بَدَلْتِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَعِيشَتِهَا بِجَنَّةِ الْخُلْدِ لَا تَلْقَى بِهَا الْحِنَا
عَلَى الْأَرَائِكِ فِي مُلْكٍ عَلَى فُرْشٍ مَعَ قَاصِرَاتٍ بِدَارِ الْخُلْدِ قَدْ أَمِنَا
وَأَجْمَعُهُ يَا رَبِّ مَعَ قَوْمٍ أَحَبَّهُمْ حُبًّا لِرُوحِهِمْ لَمْ يَطْلُبْ لَهُ ثَمَنًا
فهذه الأبيات لا شك في أنها نابعة عن إحساس صادق وحقيقي، وتعبر عن تجربة
واقعية مرَّ بها الشاعر، تتمثل في وفاة شيخه ابن اللباد، الذي كان له - في تعليمه
وتربيته - وافر فضل وسابغ نعمة وامتنان في رقبة الإمام القيرواني رحمهم الله جميعاً.
وهكذا جاءت التجربة في هذه الأبيات متسمة بالصدق والواقعية، والحديث عن حدث
واحد، بعيداً عن مقدمات أو موضوعات جانبية غريبة. وإن الموضوعات التي بدت جانبية
هي في الحقيقة تكتمل ببعضها؛ لتحت لنا هذه القصيدة الجميلة والطويلة في غرض الرثاء.
وأرى أنه لا يلزم لبيان الحالة النفسية التي يمرُّ بها الشاعر أن تأتي التجربة منظومةً في
أبيات كثيرة، ولكن الأبيات المعدادة قد تقوم مقام المطولة إذا ما جاءت معبرةً

¹ المصدر السابق، ص 60.

² المصدر السابق، ص 60.

عن تجربة صادقة، يكون قد لمسها الشاعر بإحساسه المرهف، وذوقه السليم. فما بالنا وقد أسهب القيرواني في رثاء شيخه وأطال؟

ومن تلك النماذج التي تدل على صدق تجربة الشاعر ما رثى به شيخاً آخر له، وهو الإمام أبو بكر الممسي الذي وافاه الأجل شهيداً في الحرب في نفس العام 333 هـ هو الآخر. وهذا الذي جعل الإمام القيرواني عرضة للأحزان وموثلاً لتكالب الموموم عليه.

وهذه القصيدة وإن جاءت أقصر من الأولى من حيث العدد، غير أنها ملكت معظم المعاني والموضوعات التي تناولها الشاعر في القصيدة السابقة. والعاطفة فيها لا تقل لوعة وصدقاً وتأثيراً عن العاطفة التي رأيناها تسري في عروق القصيدة السابقة الطويلة.

والمرثي هنا فارق محبيه مقتولاً في سبيل الله عز وجل، طائته يد الغدر والحق من بعض المنتسبين إلى الإسلام. وهول الفاجعة كان متوقفاً جداً أن يستهل القيرواني مرثيته في أستاذة القتل بالإشارة إلى هذا السبب المفجع؛ لأنه هو الذي جثم على صدره حشرات وآهات لا تفارقه. وهو يؤكد أن شيخه قضى ناصراً لدين الله مجاهداً في سبيله، شجاعاً مقداماً، متمنياً الشهادة، فشرى نفسه بما عند الله سبحانه من جنات النعيم والخور العين، فربح بيعه كما ربح ذات يوم بيع صهيب بن سنان الرومي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.¹ يقول:²

يَا نَاصِرًا لِلدِّينِ، قُتِّ مُسَارِعًا وَبَذَلْتَ نَفْسَكَ مُخْلِصًا وَمُرِيدًا
وَذَيَّبْتَ عَنِ دِينِ الْإِلَهِ مُجَاهِدًا وَابْتَعْتَ بَيْعًا رَاحًا وَمُحْمودًا
عَهْدِي بِهِ بَيْنَ الْأَسِنَّةِ لَمْ يَكُنْ اللَّهُ - عِنْدَ لِقَا الْعَدُوِّ - كُنُودًا

¹ حين أسلم صهيب الرومي قالت له قريش: أئمتنا صُغولاً حقيراً، فكثُر مَالُكَ عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثُمَّ تَرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ بِمَالِكَ وَنَفْسِكَ، وَاللَّهِ، لَا يَكُونُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ صَهيبٌ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي أَنْتُمْ سَبِيلِي؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: رَجَعَ صَهيبٌ. (انظر: فقه السيرة، محمد الغزالي، خرج أحاديثه الإمام محمد بن ناصر الدين الألباني، دار الكتب الحديثة، ط6، 1965م، ص 166.)

² ديوان شعره المطبوع، ص 63.

حَتَّى تَخَيَّرَهُ الْجَلِيلُ لِذَا رِهِ وَأَنَالَهُ حُورًا بِهَا وَخُلُودًا
ولشدة وقع فاجعة موت أستاذه على نفسه يلجأ القيرواني- على عادة الشعراء- إلى
إشراك طير القماري في أحزانه، ولكنه هنا يستدرك أمرًا، كان فاته- فيما يظهر- في
رثائه لشيخه ابن اللباد، وهو أن القمرية ليست دائمًا رمزًا للحنن والبكاء، وإنما هي
رمز كذلك لتغاريده الفرحة وأهازيج الطرب وترانيم السرور. ومهما يك من أمرها فإن
الشاعر يتعهد بأن حزنه إثر فوات شيخه الممسي لن ينتهي، يقول:¹

فَعَلَيْكَ أَبَيَّ يَا ابْنَ عَيْسَى مَا بَكَتْ قُرْبَى أَوْ غَرَّدَتْ تَغْرِيدًا
والأمر الجامع بينه وبين الحماسة أن كليهما ضعيف، وكلُّ قد وقع في أسر الحزن جرأً
فقد من كان يحبه ويأنس إليه، والشاعر بهذا الربط والامتزاج بين حاله وحال
الحماسة الثكلي استطاع أن ينقل لنا ما يعتلج بداخل نفسه الضعيفة من أوجاع، وما
يختلج فيها من مشاعر حزينة، وبالفعل تعاضدت جميع الأبيات على نقل تجربته المرة
إلى السامعين، وحملهم على مشاركته في مأساته.

ثم يعرج الشاعر- في لوعة وألم- على شيء مما كان يتصف المراثي به من خصال جميلة
ومناقب حميدة وشمائل كريمة، مثل التدين والتعبد لله سبحانه، وما بناه من مفاخر وخلفه
من مآثر، وما ارتقى من درجاتٍ علا، لا يطمح إلى مثلها كثير من الناس، أو لا يمكنهم
الجمع بينها وبين حياتهم العلمية وحياتهم الخاصة، أما شيخه الممسي فقد عاش مجاهدًا في
سبيل ربه، ذابًا عن دينه بالقلم واللسان، ناشرًا له بكل ما أوتي من قوة وبيان، يقول:²

يَا لَوْعَةً طَرَقَتْ فُؤَادِي إِذْ أَتَى نَاجٍ بِفَقْدِكَ إِذْ فُقِدَتْ شَهِيدًا
كَانَتْ حَيَاتُكَ طَاعَةً وَعِبَادَةً فَسَعِدَتْ فِي الْحَيَا وَمَتَّ سَعِيدًا
لِلَّهِ مَنْ شَهِدَتْ لَهُ أَحْوَالُهُ وَعَلَتْ مَنَاقِبُهُ فَعَاشَ حَمِيدًا

¹ المصدر السابق، ص 64.

² المصدر السابق، ص 64.

وَبَنَى الْمَفَاخِرَ وَامْتَطَى دَرَجَاتِهَا حَتَّى ارْتَقَى مَا كَانَ مِنْهُ بَعِيداً
يَا قُرَّةً، لِلنَّاطِرِينَ وَعِصْمَةً لِلْمُسْلِمِينَ وَعُدَّةً وَعَدِيداً
ثم يتطرق القيرواني إلى الحديث عن جوانب تفوقه وتميزه ونبوغه، مؤكداً أنَّ شيخه
المسي -رَحِمَهُ اللَّهُ- كان آية في فقه العلم وأصوله وفروعه، ورمزاً في دقة الفهم واستنباط
المسائل العويصة لحلِّ المعضلات النازلة، وقد أصلح الله به ما وهى من أركان الشرع
الحكيم؛ فعم فيضه الأقربين والأبعدين من طلاب العلم وعلماء الشرع، يقول:¹

يَا فَاتِقَ الرَّتَقِ الْخَفِيِّ بَعْلِهِ وَمُبَيِّنًا لِلْمُشْكَلَاتِ مُفِيداً
جَمَعْتَ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَنَقِيبَةٍ وَحَوَيْتَ عِلْماً طَارِفاً وَتَلِيداً
ذَلَّتْ صِعَابُ الْعِلْمِ إِذْ بَاشَرْتَهُ هَدَّيْتُ مِنْ مَعْسُورِهِ مَعْقُوداً
وَبَرَعْتَ بَيْنَ أَصُولِهِ وَفُرُوعِهِ فَقَهَرْتَ مَا قَدْ كَانَ مِنْهُ عَنِيداً
لَمَّا وَهَتْ أَرْكَانُهُ وَتَضَعَّضَتْ بَاشَرْتَ ذُرُوتَهُ فَعَادَ حَمِيداً
فَابْنَتْهُ وَنَبَشَتْهُ وَفَتَّقَتْهُ لِلصَّادِرِينَ وَمَنْ أَتَاكَ مُفِيداً

ثم يتحدث القيرواني عن جمع من الصفات والشمائل العلمية والعقلية والدينية وغير
ذلك مما كان يتحلى به شيخه المسي، مرّكزاً على ما يرتبط منها بالجانب التعبدى في
شخصه الكريم، من تقوى وورع وطهارة وصوم وطول تهجد، وسداد رأي منذ عمر
الصبا، والعلم والفضل، والخوف وخشية الله، والاستقامة على الطريق المستقيم ونحو
ذلك، مؤكداً أنه لا يكاد يوجد له نظير في كل ذلك في زمانه، وعندئذ فإنَّ حَسَدَهُ
حاسدٌ في كل تلك الخصال فلن يكون شيخه ظالماً ولا ملوماً، يقول:²

يَا أَيُّهَا الْمَحْسُودُ فِي أَخْلَاقِهِ وَفِعَالِهِ لَا تُتْ فِيكَ حُسُوداً

¹ المصدر السابق، ص 65-66 .

² المصدر السابق، ص 66-67 .

يَا طَاهِرَ الْأَخْلَاقِ يَا كَهْلَ الصَّبَا وَالْمُسْتَفَادُ لِرَأْيِهِ التَّسْدِيدَا
أَفْدِيكَ مِنْ وَرَجٍ عَلِيمٍ فَاضِلٍ لَكَ فِي الْوَرَى مَا إِنَّ رَأَيْتُ عَدِيدًا¹
يَبْكِي إِذَا غَسَقَ الدَّجَى بِمَدَامِجٍ قَدْ خَدَّتْ خَدَّهُ أَخْذُودَا
طُولُ التَّهَجُّدِ وَالصِّيَامُ شِعَارُهُ وَعَنْ الطَّرِيقِ فَمَا تَرَاهُ يَحِيدًا²
وتبدو التجربة في أوج الصدق وقمة الواقعية في هذه الأبيات التي يؤكد فيها الشاعر
أسفه الشديد وحزنه العميق على الفقيد، حتى إنه ليستبعد التعزي والسلوان؛ اللهم إلا
إذا كان قلبه من حديد، وهو مستيقن من أنَّ التأوهات والتفجعات هذه ليست
تُجديه نفعاً، لكنه لا يملك غير ذلك من سبل التصبر أو التسلي، فيُخيل إليه أنَّ
رحيله قد أَرَفَ هو الآخر، يقول: ³

أَسْفِي عَلَيْكَ! أَقُولُ وَآ أَسْفِي! وَهَلْ يَسْلُوكَ قَلْبٌ لَا يَكُونُ حَديدًا؟
أَهَا عَلَيْكَ! وَلَيْسَ ذَاكَ بِنَافِعِي وَأَرَى الْبَقَا مِنِّي وَمِنْكَ بَعِيدَا
ولكنه - مثل سواه من المفجوعين - يُحاول في الأخير أن يجد له متاع سلوان،
وذلك في إهراق العبرات التي يفترض فيها أنها ستطفئ ناراً تتلفظ داخل أحشائه،
ولكن الواقع المرير والغريب، هو غير ما يؤمّله الشاعر؛ حيث إنَّ المدامع - بدل ما
تُطفئ للهب - تزيده اشتعالاً واحتراقاً، أي إنَّ الدموع باتت وقوداً للنار، في مفارقة
عجيبة! مؤكداً أنه لن يستطيع السلوان ولا العزاء فيه، ثم يهدي له باقات السلام التي
سيصل أجزها إليه، يقول: ⁴

إِنْ فَاتَنِي نَظَرٌ إِلَيْكَ فَلَمْ يَفُتْ ذِكْرٌ يَحُلُّ مِنْ السُّلُو عُقُودَا

¹ "عديداً": هكذا الرواية، ولعلها: "نديداً".

² "يحيدا": هكذا في الديوان المحقق، وليس لنصب هذا المضارع وجهٌ.

³ ديوان شعره المطبوع، ص 67 .

⁴ المصدر السابق، ص 67-68 .

وَمَدَامُ تَسْقِي وَتُطْفِئُ بِالْحَشَا نَارًا إِذَا طُفِئَتْ تَزِيدُ وَقُودًا
فَعَلَيْكَ - لَا أَسْلُو - السَّلَامُ وَقَدْ أَرَى ذِكْرَكَ أَنْ خَلَقَ الْجَدِيدَ جَدِيدًا
وَالْيَكْ أَهْدِي بِالسَّلَامِ تَحِيَّةً أَهَدْتُ مَنَافِعَنَا إِلَيْكَ سُعُودًا
والشاعر في الأخير يستسلم لحق اليقين؛ فيحث نفسه على الصبر الجميل الذي أمر به
المولى سبحانه، وأن أجر الصبر والصابرين عند الله - الصبور والشكور - عظيم، كما أن
لديه للشاكرين أجرًا مزيدًا، يقول:¹

صَبْرًا كَمَا أَمَرَ الْجَلِيلُ فَعِنْدَهُ عِوَضُ الْمُصَابِ بِصَبْرِهِ مَوْجُودًا
وَعَدَ الصَّبُورَ بِصَبْرِهِ أَجْرًا كَمَا وَعَدَ الشَّاكُورَ تَطَوُّلاً وَمَزِيدًا
والقصيدة بكل تفاصيلها وطول نفسها آية في الصدق والواقعية في تجربة الشاعر، وقوتها
واكتمالها وعاطفته المشبوبة كذلك؛ فالحماس الذي نراه يفيض من جميع جوانب
القصيدة يدل على أنها نابعة عن أعماق نفسه، وعن قناعة تامة وأريحية قل لها نظير.

وهكذا تتضح معالم التجربة الصادقة وأمارات الواقعية في هذه القصيدة؛ حيث
أفضى الشاعر إلينا بما اعتمل في نفسه من أفكار وأحاسيس وانفعالات كما شعر بها،
لجاءت على السجية والحقيقة بدون اللجوء إلى تصنع أو تكلف أو مبالغات فارغة.

فهاتان القصيدتان بكل أبياتهما نابعتان عن تجربة صادقة، وأبياتهما تصوير صادق لما
اعتمل في نفس الشاعر الفتي من لوعات وأحاسيس مرهفة تجاه شيوخه. وإن من
أصدق البراهين على صدقه في قلقه على نفسه هو افتتاح القصيدتين بأسلوب النداء،
الذي يشي بما في داخله من حرقة وتبارج قلق وموجات اضطراب وألم نفسي عميق،
يكاد ينفلق له القلب، وتتقطع به نياطه. وهو ما زال في أمس حاجة إلى رعايتهم
وتعهدهم له؛ ليقضي منهم لباناته من العلم والمعرفة.

¹ المصدر السابق، ص 68 .

ومن تلك البراهين أيضاً تذكر الشاعر- في غير ما مرة- أيام احتفائهما به تربية وتعليماً، وكذا اهتمامهما به وبشؤون المسلمين عامة، وسعيهما الدؤوب في مصلحتهم ورفع شأنهم في الدنيا، وكأن الشاعر يريد بذلك أو يتنى على الله سبحانه أنه مدّ في آجالهما قليلاً؛ لكي يكافئهما- الشاعرُ تليدهما النجيب- والمسلمون الإحسانَ بالإحسان، والتضحية بالتضحية! ولكنهما آثراً الانتقال إلى دار النعيم التي طالما انتظرتهم فيها الحور العين وأنواع المتاع.

وهكذا جاءت هذه القصيدة معبرة عن معاناة حقيقية، وقد استجاشت نفوسنا، واستثارت مشاعرنا، وجعلتنا نشارك الشاعر في لوعاته، وفي النهاية نحسُّ كأننا أصحاب هذه التجربة.

هذا، وفي النماذج السابقة نلاحظ قرب الشاعر والتصاقه بموضوعه وعدم تفرّيعه موضوعات جانبية من موضوعه الأساس، وهذا من أقوى الأدلة على أن الصدق في تجاربه الشعرية ماثلاً في أتم صورة وأكمل وجهٍ.

ومن آيات صدق تلك التجارب أيضاً قدرة هذا الشاعر الفقيه على نقلها نقلاً فنياً للآخرين بنجاح، حيث يولد في نفوسنا الأحاسيس والمشاعر التي لا تختلف كثيراً عن مشاعر أصحاب التجربة الحقيقيين وأحاسيسهم.

أما من حيث ملاءمة الصياغة للتجربة فقد استطاع تقريباً- في ضوء النماذج السابقة- أن يوفّي التجربة حقّها من الصياغة والبيان، وأن ينظرَ في جزئيات تجربته، ويستوفيَ معظمها، بينما اقتصر في بعض شعره على لحظة خاطفة، ولحظة عابرة، وكأن الموقف لم يساعده على التأمل في جوانب التجربة، فجاء التعبير مقتضباً في أبياتٍ قليلةٍ.

ومن أوضح الشواهد على ذلك ما قاله في الدفاع عن إمامه الإمام الهمام مالك بن أنس -رحمه الله تعالى- حين بلغه نيل بعض المتعلمين منه؛ حيث افتتح القطعة

بأسلوب لا يخلو من نوع من السخرية والتهكم بذلك المتعلم، فيعتبره كأنما يهيم بمجازة النجوم رفعة وضياء، أو الجبال الراسيات علواً وثباتاً، ويعظه بذات النبرة أن لا يهيم الصخرة ليناطحها؛ لأن ذلك ليس من شيم الذرات، كما أنه ليس بضائر الصخور ولو مرّت قرونٌ على المناطحة، وهذا المتعلم بهذا التجاسر على الأئمة والعلماء إنما يضير نفسه، وليس ببالغ أبداً إلى ما تُمنّيه نفسه، فبينما كما بينه وبين النجم الثاقب، يقول:¹

تَخَطَّيْتَ خَفَضَ نُجُومِ السَّمَاءِ وَهَذَا هُوَ الْأَمَلُ الْكَاذِبُ
تَرُومُ إِمَامَ الْهُدَى مَالِكًا وَذَاكَ هُوَ الْجَبَلُ الرَّاسِبُ
فَمَا أَثَرَ الذَّرِّ فِي صَخْرَةٍ وَمَجْهُودُهُ قَائِمٌ رَاتِبُ
يَدُونِ مَنَالِكَ مِنْ مَالِكٍ فَدُونَكَ هَذَا الرَّجَا الْخَائِبُ
وَإِنَّكَ مِنْ دُونِ مَا رُمَتْهُ بَعِيدٌ كَمَا بَعْدَ الثَّاقِبِ

وكما هو واضح فإن الشاعر أنشأ هذه المقطوعة على بحر المتقارب، وهو بحر راقص، ونغمته هي نغمة سريعة تصلح للاستهزاء والسخرية كما تصلح أيضاً لأهازيج الطرب والسرور، وفي هذا الصنيع دليل على أن الإمام القيرواني -رحمه الله تعالى- كان ضليعاً بدلالات البحور وإيماءاتها نحو الأغراض التي تُستعمل فيها، بحسب من يرى علاقة بين البحور والأغراض التي تستعمل فيها.²

المطلب الثالث: العاطفة في تجربة الإمام ابن أبي زيد القيرواني

لا شك أن "العاطفة" تعتبر من أهم أجزاء التجربة الشعرية؛³ ولم تغب هذه السمة

¹ المصدر السابق، ص 43 .

² انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٦٣هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط 5، 1401هـ - 1981م، 186/1-188.

³ ينظر: النقد التطبيقي والموازنات، الدكتور محمد الصادق عفيفي، مؤسسة الخانجي، 1398م، ص 75-114، وأصول النقد الأدبي، الدكتور طه مصطفى أبو كريمة، مكتبة لبنان، 1996م، ص 224-227.

عن أذهان القدامى من النقاد، وقد وردت لديهم بأسماء مختلفة، مثل دواعي الشعر وبواعثه وقواعده ونحو ذلك.¹ وتعدد مسميات الشيء دليل على أهميته.² والعاطفة هي التي تمنح الشعر قيمته الحقيقية، وتهدب أفكار الشاعر، وتضفي عليها طابعاً خاصاً يحس القارئ بمذاقه الخاص.³ وهي التي تميز بين الشعر الصادق والشعر الزائف.

وإذا قرأنا شعر الإمام القيرواني -رَحِمَهُ اللهُ- وأنعمنا فيه النظر وجدنا أن العاطفة تتجلى فيه واضحةً وبيّنةً بجميع جوانبها، سواء من ناحية الصبغة العامة، أو من ناحية خصائصها ودرجاتها، وما إذا كانت ظهرت بشكلٍ واحدٍ، أو بألوانٍ متعدّدةٍ، وما إذا كانت هناك عواطف أخرى قد ظهرت إلى جانب هذه العاطفة الرئيسية أم لا.

فغني عن القول أن عاطفة الحزن والوجوم والقلق هي التي تلفُّ شعره الذي رثى به شيوخه، ولأن ظهرت معها عواطف أخرى فهي انعكاسات لها. وإن معظم التماذج التي مرّت بنا خير دليل على ذلك؛ فالناظر في تلكم الأبيات يجدها غامرة بعاطفة صادقة، ومشحونة بألم عميق.

ومن أمارات صدق العاطفة وجيشانها في هذا الشعر اعتبار الشاعر نفسه شبيحاً هامداً، لا جسداً تتحرك به الروح، وقد أذهب موت شيوخه ملذاته ونضارة عيشه، فلا طعم له من بعدهما بل ولا بقاء، بله عن راحة بال! يقول وهو يرثي شيخه ابن اللباد:⁴

¹ ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، ط2، 1418هـ، 78/1، والعمدة لابن رشيق، 186/1 وما بعدها، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966م، ص 11.

² ينظر: النقد الأدبي، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 1387هـ-1967م، ص 38.

³ رثاء الأبناء في الشعر العربي، إلى نهاية القرن الخامس الهجري، د. مخيمر صالح موسى، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ص 58.

⁴ ديوان شعره المطبوع، ص 58.

يَا مَنْ بِهِ كُنْتُ فِي الْأَحْيَاءِ ذَا جَلَدٍ لَمْ يَبْقِ مُوتُكَ لِي رُوحًا وَلَا بَدَنًا
ويقول في شيخه الممسي:¹

أَهَّا عَلَيْكَ! وَلَيْسَ ذَاكَ بِنَافِعِي وَأَرَى الْبَقَا مِنِّي وَمِنْكَ بَعِيدَا
ومنها أيضًا تفاعله مع نواح قرية في الليل فقدت أنيسها أو- ربما- بعض صغارها،
وعقد حوار نفسي بينهما، ذلك التفاعل الذي نراه من خلاله شجيًا، مؤرقًا، متهاكًا
على إثر فراق من يحبه. وإن نار الأسى والحزن ظلت تقدح وتضطرم في أحشائه من
جاء ذلك. وهذا التمازج والاندماج بينه وبين القمرية ضاعف عاطفته الحزينة، وهو
تفاعل من طرف واحد، ولكن إسقاط الشاعر صفات العاقل عليها جعله يتخيل أنها
تستجيب له، وتشاركه فيما يشعر به، يقول:²

وَبِتْ لِلنَّجْمِ أَرْعَاهُ أَخَا سَهْرٍ وَالْوُرُقُ تَدُبُّ فِي تَغْرِيدِهَا سَكَا
فَهَيَّجَتْ سَقَمًا مِنْ قَلْبٍ مُكْتَنِبٍ وَبِتْ أَسْعِدْهَا حِينًا وَتُسْعِدُنَا
وتأتي الدفقة العاطفية الأخيرة حين يشخص حالته البالغة في السوء بأنه يعيش ميتًا،
إذ قد صرعه فراق شيخه، ويخاطب القبر بأساليب مختلفة.³

أَلَا سَقَى اللَّهُ قَبْرًا فِيهِ أَعْظُمُهُ غِيثًا تَرَوَى بِهِ الْأَرْضُ الَّتِي سَكَا
لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ قَبْرِ دُفِنَتْ بِهِ وَحَبَدَا ذَلِكَ الْحُسْنُ الَّذِي دُفِنَا
حَوَيْتَ يَا قَبْرُ، أَجْبَالَ الْعُلُومِ وَقَدْ أَطْفَأَتْ عَنَّا سِرَاجًا كَانَ نُورَنَا
يَا قَبْرُ، إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرِثِي لِمَيْتِهِ أَلَا رَثِيَتْ لَنَا إِذْ عَنْهُ تَبْعِدُنَا!
وهكذا نجح الشاعر في إثارة عواطفنا، وإشراكنا في محنته خطوة خطوة. ولا شك أن

¹ المصدر السابق، ص 67 .

² المصدر السابق، ص 52 .

³ المصدر السابق، ص 55، 60 .

هذا الصديق نابغ من مخنته الواقعية ومعاناته الحقيقية. وهذا هو المراد بصدق العاطفة "أن تنبعث عن سببٍ صحيح، غير زائفٍ، ولا مصطنع، حتى تكون عميقة تهبُّ للأدب قيمه الخالدة".¹

كما أنَّ العاطفة في هذه الأبيات تتسم بالثبات والديمومة، فإننا كلما أعدنا قراءتها أثارت فينا نفس المشاعر والعواطف التي أثارها في المرة الأولى، إضافةً إلى أنها انتظمت الأبيات كاملةً، ولا نجد أوارها يخبو أو يخفُّ في ثنايا القصيدة في موضعٍ دون آخر، وذلك لأنَّ باعث الشعر عنده ليس أمراً طارئاً، يجعله يخضع لحماس آنيٍّ، ويوشك أن يختفي أو يضمحل بعد لحظات.

ويتجلى هذا الثبات أيضاً في مقدار الشوق والأثر الذي تتركه في القارئ، وتدفعه إلى الانتباه لكل كلمة فيها، ويجعل وجدانه متيقظاً ومتوثباً.

وهذه العاطفة وثباتها لا يخصان شعره الرثائي وحسب، بل يتجلى ذلك أيضاً في مطولته في مدح الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التي تتسم بنفس هذه الخصيصة في أوضح صورة وأجلى هيئة، وإن جاءت متوشحة الهدوء والوقار. يقول، بعد أن سرد شيئاً من السمائل التي يتجلى بها نبيها محمد بن عبد الله - صلوات ربي وسلامه عليه - مخاطباً الأمة المحمدية، وحثاً إياها على العلم والعمل:²

يَا أُمَّةَ السَّيِّدِ الْمُخْتَارِ إِنَّكُمْ	لَأُمَّةٌ شَرَفَتْ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ
وَأَرْبَعُونَ سِوَاكُمْ يَدْخُلُونَ إِلَى	جَنَاتِ رَبِّهِمْ مِنْ سَائِرِ الْمَلَلِ
وَالْحَوْضِ قَدْ خَصَّهُ رَبُّ السَّمَاءِ بِهِ	وَمَاؤُهُ كَوَثْرُ يَشْفِي مِنَ الْعِلَلِ
وَالْأَنْبِيَاءُ غَدًا فِي الْحَشْرِ تَتَّبِعُهُ	تَحْتَ اللِّوَاءِ الَّذِي أَعْطَاهُ فِي الْأَزَلِ

¹ أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة، القاهرة، ط 8، 1973م، ص 190.

² ديوان شعره المطبوع، ص 32-33.

وإنَّ العاطفة في شعره الرثائي تتصف بالقوة أيضاً، ويمثل ذلك في قلق الشاعر واضطرابه الشديد إثر فراق شيوخه. وقد ظهر ذلك في مختلف أساليبه، مثل أسلوب النداء الذي بثه في جميع مفصل قصائده الرثائية، يقول مثلاً في مستهل رثائه لشيخه ابن اللباد:¹

يَا مَنْ لِمُسْتَعْدِبٍ فِي لَيْلِهِ حَزْنًا! مُسْتَوِطِنٍ مِنْ بَقَايَا دَائِهِ وَطَنًا!
وما إنَّ يخبو جذوة هذا النداء وأواره حتى يتبعه بنداء آخر، يقول في البيت الثامن والحادي عشر:²

يَا عَيْنُ وَأَبْكِي لِمَنْ فِي فَقْدِهِ فَقْدَتِ جَوَامِعُ الْعِلْمِ وَالْخَيْرَاتُ إِذْ دُفِنَا
يَا طُولَ شَوْقِي إِلَى مَنْ غَابَ مَنْظَرُهُ وَذِكْرُهُ فِي جَوَى الْأَحْشَاءِ قَدْ سَكَّنَا
ثم يكرر ذلك في أبيات عديدة من آخر القصيدة، مظهرًا حرف النداء غالبًا، وحاذفًا له أحيانًا، مما يعم عن اضطراب وقلق شديدين في نفسه، يقول:³

يَا مَنْ هُوَ الْعِلْمُ الْمَشْهُورُ مَنْظَرُهُ وَمَنْ تَأَدَّبَ بِالتَّقْوَى وَأَدَبَنَا
يَا مَفْزَعًا فِي جَمِيعِ النَّائِبَاتِ إِلَّا مِنْ بَعْدِ فَقْدِكَ قَدْ سُدَّتْ مَسَالِكُنَا
يَا مَنْ بِهِ كُنْتُ فِي الْأَحْيَاءِ ذَا جَلَدٍ لَمْ يَبْقِ مَوْتُكَ لِي رُوحًا وَلَا بَدَنًا
وَمَنْ يُفْرِجُ أَحْزَانِي إِذَا طَرَقَتْ وَمَنْ بِهِ اللَّهُ أَهْدَانَا وَأَرْشَدَنَا
وَمَنْ يَكْشِفُ الظُّلُمَاءُ إِنْ نَزَلَتْ وَمَنْ يَدْعُوهُ الرَّحْمَنُ يَنْفَعُنَا
أَبْكِي لِمَنْ نَطَقَتْ عَنْهُ مَفَاخِرُهُ وَاللَّهُ فِيهِ مَعَالِي الْخَيْرِ أَشْهَدُنَا
حَوَيْتَ يَا قَبْرُ، أَجْبَالَ الْعُلُومِ وَقَدْ أَطْفَأْتَ عَنَّا سِرَاجًا كَانَ نَوْرَنَا
يَا قَبْرُ، إِنْ لَمْ تَكُنْ تَرِثِي لِمَيْتِهِ إِلَّا رَثِيَتْ لَنَا إِذْ عَنْهُ تُبْعِدُنَا!

¹ المصدر السابق، ص 53 .

² المصدر السابق، ص 53، و 54 .

³ المصدر السابق، ص 57، و 58-60 .

وبهذا الأسلوب - أسلوب النداء - الشجي والمؤثر سيني الشاعر قصيدته، متضرعاً إلى الله سبحانه بأن يجمع شيخه مع حبيبه الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وصحابته البررة الكرام - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - قائلًا:¹

وَاجْمَعُهُ، يَا رَبِّ، مَعَ قَوْمٍ أَحَبَّهُمْ حُبًّا لِرُوحِكَ لَمْ يَطْلُبْ لَهُ ثَمَنًا
ولا شك أن النداء في الشعر الرثائي يكشف ويثني بنفسية حزينة وكثيرة.... الخ
ومما يدل على شدة العاطفة وقوتها حلفه بالله سبحانه بأن عيونه لن تقر بعد وفاة
شيخه ابن اللباد رَحِمَهُ اللَّهُ، يقول:²

تَاللَّهِ، لَا قَرَّتْ الْعَيْنَانِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ بِمِثْلِ أَبِي بَكْرٍ يَكُونُ لَنَا
بل إنه يستنكر العزاء ويستبعده، قائلًا:³

كَيْفَ الْعَزَا بَعْدَ شَيْخِ الْمُسْلِمِينَ؟ نَعَمْ وَهُوَ الْإِمَامُ الَّذِي قَدْ كَانَ قُدُوتَنَا
ومن أمارات القوة في العاطفة أن يلتمس الشاعر معادلاً يسقط عليه أحزانه وأشجانه.
وقد وجده في صورة تلك القمرية التي سمعها تغرد ليلاً، وهي في واقع إحساسه لا
تغرد، وإنما كانت تندب الراحة التي قد ماتت من جراء موت أليفها. فالشاعر لشدة
تأثره بالموقف يتخيلها نائمةً باكيةً مثله؛ حيث صادف ذلك حاجةً في نفسه. يقول:⁴

بَدَلْتُ بَعْدَ لَذِيذِ الْعَيْشِ فِي كَيْدِي جَمْرًا وَحُزْنًا نَفَى عَنْ مُقْلَتِي الْوَسْنَ!
وَبِتَّ لِلنَّجْمِ أَرْعَاهُ أَخَا سَهْرٍ وَالْوُرُقُ تَدُبُّ فِي تَغْرِيدِهَا سَكَاً
فَهَيَّجَتْ سَقَمًا مِنْ قَلْبٍ مُكْتَنَبٍ وَبِتَّ أَسْعِدُهَا حِينًا وَتُسْعِدُنَا

¹ المصدر السابق، ص 60.

² المصدر السابق، ص 57.

³ المصدر السابق، ص 57.

⁴ المصدر السابق، ص 52.

فالعاطفة هنا كما لا يخفى قوية وجياشة، تتجلى في الأثر العميق الذي تركه فينا، ومن خلال ما تستمدّه عواطفنا من قوةٍ جديدةٍ، مصدرها وجدان الشاعر صاحب التجربة والمعاناة.

هذا، وقد انتظمت هذه القصائد الرثائية عاطفةً عامةً واحدةً، هي عاطفة الحزن، والوجوم، والكآبة والأسى، كما مرّت الإشارة إلى ذلك، ولكن تشوبها أحياناً عواطف أخرى أيضاً، لكي تمده بوقود؛ فتستمرّ العاطفة العامة والرئيسة في دفعها وفيضانها، مثل عاطفة عتب الموت والشكوى منه أو من الدهر، خاصة إذا كان هدفُ سهامه هم أهل العلم والفقه والعقل والبصيرة من الناس. فجاءت منسجمةً مع طبيعة شعره، متناغمة معه؛ حيث إنها لا تتسبّب في تشتت عاطفي، ولكن تؤكد العاطفة الرئيسية، وتغذيها وتقويها، وتجعل الشاعر يحيط بأبعاد الحدث من جميع جوانبه.

فإذا كان الموت هو السبب المباشر في التفريق بينه وبين أحبابه، والقبر- سببا آخر- فيه بمواراتهم وتغييبهم عن نواظره فطبيعي جداً أن يكون للموت وحدثان الدهر والقبر من لومه وعتبه وغضبه نصيب، تشوبه مشاعر من التذمر والشكوى والالتماس والوقوف عاجزاً أمام سطوة الموت وحدثان الدهر، يقول:¹

رَيْبُ الْحَوَادِثِ لَا تَرْتِي إِذَا طَرَقَتْ	عَلَى قَبِيحٍ وَلَا تُبْقِي لَنَا حَسَنًا
وَالْمَوْتُ لَا بُدَّ يَغْشَى الْخَلْقَ كُلَّهُمْ	لَكِنْ بِأَهْلِ الثَّقَى وَالْعِلْمِ يَفْجَعُنَا
لَوْ كُنْتُ تَقْبَلُ مِنَّا عَنْهُمْ عِوَضًا	لَكَانَ مِنْكَ نُفَادِيهِمْ بِأَنْفُسِنَا
يَا مَوْتُ، لَمْ تَزَلِ الْآيَّامُ مُخْبِرَةً	عَمَّا صَنَعْتَ وَرَيْبُ الْحَادِثَاتِ بِنَا
نَفْسِي تَقِيكَ أَبَا بَكْرٍ وَلَوْ قُبِلَتْ	فَدَتُّكَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهِ إِلَيْكَ دَنَا
حَوَيْتَ يَا قَبْرُ، أَجْبَالَ الْعُلُومِ وَقَدْ	أَطْفَأْتَ عَنَّا سِرَاجًا كَانَ نَوْرَنَا

¹ المصدر السابق، ص 53-54 و60.

يَا قَبْرُ، إِنَّ لَمْ تَكُنْ تَرِثِي لِمَيْتِهِ أَلَا رَثَيْتَ لَنَا إِذْ عَنْهُ تَبْعِدُنَا؟
والمفارقة أن الشاعر ليس يكتفي بلوم القبر وتوجيه العتب إليه، بل إنه يغطه أحياناً،
لأنه ظفر برميم شيخه، ويدعوه لنزول الغيث والتبرد أخرى، يقول:¹

أَلَا سَقَى اللَّهُ قَبْرًا فِيهِ أَعْظَمُهُ غَيْثًا تُرَوَّى بِهِ الْأَرْضُ الَّتِي سَكَا
لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ قَبْرِ دُفِنَتْ بِهِ وَحَبْدًا ذَلِكَ الْحُسْنُ الَّذِي دُفِنَا
ولما بلغه عن بعض الأشخاص نياله من الإمام مالك -رحمه الله تعالى- ثارت ثائرتة
واشتعلت غيرته على إمامه، فقال معنفًا ومستنكرًا وعاتبًا على ذلك الشخص على
صنيعه الخائب ووهمه الزائف وأمله الكاذب:²

تَخَطَّيْتَ خَفَضَ نُجُومِ السَّمَاءِ وَهَذَا هُوَ الْأَمَلُ الْكَاذِبُ
تَرُومُ إِمَامَ الْهُدَى مَالِكًا وَذَلِكَ هُوَ الْجَبَلُ الرَّاسِبُ
فَمَا أَثَرَ الذَّرِّ فِي صَخْرَةٍ وَمَجْهُودُهُ قَائِمٌ رَاتِبُ
يَدُونِ مَنَالِكَ مِنْ مَالِكٍ فَدُونَكَ هَذَا الرَّجَا الْخَائِبُ
وَأَنْكَ مِنْ دُونِ مَا رُمَتْهُ بَعِيدٌ كَمَا بَعْدَ الثَّاقِبُ

ولا بد أن تظهر لدى الشاعر عاطفة البغض والكراهية- أيضًا- لبعض الأشخاص
الذين حاكوا مكائد ودسائس ضد شيخه أدت به إلى أن يقع في غياهب السجن،
ولا نعدم- في ذات الوقت- فيها مسحة من عاطفة الإباء، والترفع، وعزة النفس،
والافتخار أيضًا، يقول:³

قَدْ كَانَ يَعْتَزُّ بِالرَّحْمَنِ إِذْ قَصَدُوا لِذَلِكَ بِهَوَانِ السِّجْنِ إِذْ سُبِنَا

¹ المصدر السابق، ص 55.

² المصدر السابق، ص 43.

³ المصدر السابق، ص 56.

كَمْ مَحَنَةٍ طَرَقَتْهُ فِي الْإِلَهِ فَلَمْ يَجِدْ لِدَلِّكَ إِذْ فِي رَبِّهِ امْتَحِنًا
بَلْ كَانَ حِصْنًا لِلدِّينِ اللَّهُ يَنْصُرُهُ وَيَحْتَمِي غَضَبًا لِلَّهِ إِذْ فُتِنَا
إِنْ صَالَ فِي اللَّهِ لَمْ يَرْهَبْ عَوَازِلَهُ وَلَا مَلَامَةً مِنْ فِي قَوْلِهِ طُعِنَا
ويقول وهو يعرض بأولئك الأشخاص الذين نصبوا له العداء وحسدوه، ملجأ إلى
خصالهم التي تقف من أخلاق الشيخ على شطِّ معاكس، فإذا كان الشيخ ابن اللباد
يتزين بالصدق والصفاء وغزارة العلم وصحة المعرفة واستقامة التدين، مع مراقبة الله
وتقواه والبلوغ مرتبة الإمامة والتجديد والاجتهاد، نفصومه وحساده على العكس
من كل تلك المناقب والصفات، يقول:¹

الصِّدْقُ حِلِيَّتُهُ وَالْعِلْمُ خَلَّتُهُ وَالِدَيْنُ رُبَّتُهُ وَاللَّهُ شَاهِدُنَا
كَيْفَ الْعَزَا بَعْدَ شَيْخِ الْمُسْلِمِينَ نَعَمْ وَهُوَ الْإِمَامُ الَّذِي قَدْ كَانَ قُدُوتُنَا
قَدْ زَيْدَ الْحَقِّ تَبْيَانًا وَأَوْضَحَهُ وَبَعْدَ جَهْلٍ بِنَا قَدْ كَانَ بَصَرُنَا
أَبُّ لَأَصْغَرِنَا كَفْلٌ لَأَكْبَرِنَا وَفِي النَّوَازِلِ مَلْجَانَا وَمَفْزَعُنَا
يَا مَنْ هُوَ الْعِلْمُ الْمَشْهُورُ مَنْظَرُهُ وَمَنْ تَأَدَّبَ بِالتَّقْوَى وَأَدَبَنَا

وفي هذه الأجواء المكفهرة والمبلدة بغيوم الهموم والغموم جراء فقدان هامات العلم
ورحيل أساطين المعرفة وتهدم كهوف الإسلام والمسلمين لا يرتاح المؤمن إلا ببلجوثه
إلى جناب الله تعالى، ومن هنا فكثيراً ما تظهر في هذا الشعر العاطفة الدينية والرضا
والتسليم بقضاء الله وقدره سبحانه وتعالى، وبث الدعوات الطيبة إلى الميت مقبوراً في
جدته، يقول مثلاً:²

أَلَا سَقَى اللَّهُ قَبْرًا فِيهِ أَعْظَمُهُ غَيْثًا تُرَوَّى بِهِ الْأَرْضُ الَّتِي سَكَّنَا

¹ المصدر السابق، ص 57.

² المصدر السابق، ص 55، و60.

لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ قَبْرِ دُفْنَتْ بِهِ
نَعَمْ، وَيَا أَيُّهَا الْمَقْبُورُ فِي جَدَثٍ
بَدَلْتِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَعِشْتِهَا
عَلَى الْأَرَائِكِ فِي مُلْكٍ عَلَى فُرْشٍ
وَأَجْمَعُهُ يَا رَبِّ مَعَ قَوْمٍ أَحَبُّهُمْ
ويقول في رثاء شيخه الممسي رَحْمَةُ اللَّهِ: ¹

فَعَلَيْكَ لَا أَسْأَلُ السَّلَامَ وَقَدْ أَرَى
وَالْيَكِ أَهْدِي بِالسَّلَامِ تَحِيَّةً
صَبْرًا كَمَا أَمَرَ الْجَلِيلُ فَعِنْدَهُ
وَعَدَ الصَّبُورَ بِصَبْرِهِ أَجْرًا كَمَا
ولأنت أحياء من مُجَبَّةٍ عذراء، تقطن جانب الكسر
وكثيراً ما نجد هذه العاطفة الدينية الخالصة تظهر في أواخر القصائد، حيث مقامُ
الدعاء للمفارقين، وكأنه يختتم القصيدة ويودّعها هي الأخرى مضمناً هذه الدعوات،
بل قد تستأثر العاطفةُ الدينيةُ بعض قصائده برمتها، كما نلاحظ ذلك بوضوح في
قصيدة الشفاعة، التي هي أوضح برهان على حبه لنبيه ورسوله محمد بن عبد الله
صلوات ربي وسلامه عليه، يقول في بعض أبياته: ²

أَنْتُمْ ثَمَانُونَ صَفًّا تَدْخُلُونَ غَدًا
وَأَرْبَعُونَ سِوَاكُمْ يَدْخُلُونَ إِلَى
وَالْحَوْضُ قَدْ خَصَّهُ رَبُّ السَّمَاءِ بِهِ
جَنَّاتٍ عَدَنٍ وَمِنْكُمْ صَالِحٌ وَوَلِيٌّ
جَنَّاتٍ رَبِّهِمْ مِنْ سَائِرِ الْعَالِي
وَمَاؤُهُ كَوَثْرُ يَشْفِي مَنْ الْعَلَلِ

¹ المصدر السابق، ص 68.

² المصدر السابق، ص 32-33.

وَالْأَنْبِيَاءُ غَدًا فِي الْحَشْرِ تَتَّبَعُهُ تَحْتَ اللِّوَاءِ الَّتِي أَعْطَاهُ فِي الْأَزَلِ
مَدَحْتُ خَيْرَ الْوَرَى أَرْجُو شَفَاعَتَهُ مِنْ خَالَتِي جَلَّ عَنْ شِبْهِهِ وَعَنْ مَثَلِ
كما نلاحظ في شعره غلبة عاطفة الحب في الله والنصح له سبحانه، ولدينه، وذلك من خلال توجيه النصائح القيمة إلى طلبة العلوم الشرعية وحثهم على الجِد والاجتهاد في التحصيل والطلب. وهذا واضح جداً في قصيدته التي قالها في بيان فضل العلم والحث عليه بتعداد فضائله ومحاسنه، وتكريره صورة الجهل وتقييح عواقبه. يقول في بعضها:¹

إِنِّي لَأَمْنَحُ نُصْحِي ثُمَّ أَبْذُلُهُ لِمَنْ بَغَى نَفْعَهُ عَنِّي وَيَقْبَلُهُ
يَا مَنْ يَرُوحُ وَيَعْدُو فِي مَطَالِبِهِ فَطَلَبَ فَأَتَتْ لَوْ أَنَّكَ نَائِلُهُ
الْعُمُرُ يَذْهَبُ وَالْأَمَالُ قَائِمَةٌ فَانْظُرْ لِعِزِّكَ فِيمَا أَنْتَ شَاغِلُهُ
تَسْعَى لِأَمْرٍ وَلَمْ تُؤْمَرْ بِمَطْلَبِهِ جَهْلًا وَتَتْرُكُ مَفْرُوضًا وَتَهْمِلُهُ
الْمَالُ يَفْنَى وَلِلذَّاتِ النُّفُوسُ مَعَا وَالْعِلْمُ يُعْقِبُ خَيْرًا لَا نَفَادَ لَهُ
وَالْعِلْمُ أَشْرَفُ مَكْسُوبٍ نَفَرَتْ بِهِ وَالْجَهْلُ أَشْأَمُ مَصْحُوبٍ تَوَاصَلُهُ
فَارْغَبْ أَخِي إِلَى ذِي الْمُلْكِ مُفْتَقِرًا فَعَلَّهُ وَاهِبٌ مَا أَنْتَ سَائِلُهُ
والعاطفة هنا- كما لا يخفى- هادئة، ومع ذلك تركت في النفس أثراً جميلاً. وهذا

¹ المصدر السابق، ص 37-38، و40. ويُنحِلُ إلَيَّ مِنْ شَكْلِ "فراقية ابن زريق" البغدادي (ت 430هـ) المعروفة أنه اطلع على قصيدة الإمام القيرواني هذه أثناء رحلته المضنية إلى الأندلس التي باغته أجله فيها، يقول ابن زريق في مطلع عينيته التي أوردتها كتاب الوافي بالوفيات، صلاح الصفدي (صلاح الدين خليل أيبك بن عبد الله ت 852هـ)، تحقيق هلبوت ريتز، دار النشر، فرانك، 1381هـ، ص: 112):

لَا تَعْدِلِيهِ فَإِنَّ الْعَدَلَ يُوَلِّعُهُ قَدْ قَلَبَ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ
جَاوَزَتْ فِي لَوْمِهِ حَدًّا أَضَرَّ بِهِ مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتُ أَنَّ الْيَوْمَ يَنْفَعُهُ
فَاسْتَعْمِلِي الرِّفْقَ فِي تَأْيِيهِ بَدَلًا مِنْ عَدْلِهِ فَهُوَ مُضْنَى الْقَلْبِ مُوجَعُهُ

يدل على أنه ليس من الضروري ولا اللازم أن تكون العاطفة مشبوبة أو بألفاظ عنيفة؛ لكي تؤثر في القارئ أو المستمع، فرب عاطفة هادئة تعمل من الأثر ما قد لا تعمله العاطفة المشبوبة.

ومن بين العواطف التي ظهرت بجلاء في هذا الشعر عاطفة المديح والثناء والاستعطاف والاعتذار ونحو ذلك، وهي تظهر بوضوح في شعره الرثائي، ولكنها ظهرت بوضوح أكبر وكثافة في "قصيدة الشفاعة" التي خص فيها الرسول الكريم محمد بن عبد الله - صلوات ربي وسلامه عليه - بالمديح الجميل والثناء العاطر، كما رأينا فيما مضى من النماذج.

- وبعد، فإن تنوع هذه العواطف في هذا الشعر قد أمدّه بوفرة من الشعور، وقدرة على تصوير اختلاف الطبائع والأحاسيس. وهذا زاده جمالاً، وأضفى عليه لمسات من البهاء والرواء.
- الخاتمة: بعد تطوافة سريعة حول شعر الإمام ابن أبي زيد القيرواني ودراسته من ناحية التجربة الشعرية أخرج بالتأني: الآتية:
- لا يوجد في موضوع دراسة النتائج الشعري للإمام القيرواني بحث مستقل حتى الآن حسب اطلاعي.
- إنَّ ابن أبي زيد القيرواني عالم نبيه، وفقه مجتهد، وإمام نابغة، وأصولي رائد، ومحدث ثقة، ومفسر مبدع، وعابد تقى، وناصح أمين، وشاعر ولغوي أريب، وهو في ذات الوقت شجاع وجواد كريم.
- نشأ الإمام القيرواني وتربّى على الصلاح والتقوى وطلب العلم، وكان ثرياً ذا برّ وصلة وإيثار وإحسان.
- أتقن الإمام القيرواني القرآن الكريم حفظاً وتلاوة قبل سن العاشرة، وكان

كثير الحفظ والرواية.

- تصدى للإمامة وهو مازال دون سن العشرين، وفي نفس هذه الفترة ألف كتابه (الرسالة)، وله كتب كثيرة غيرها، من أبرزها وأهمها: كتاب إيجاز القرآن الكريم.
- عاش الإمام -رَحْمَةُ اللَّهِ- في ظروف سياسية واجتماعية حرجة؛ خاصة أيام الدولة الفاطمية، التي حاربت أهل السنة بضراوة.
- من أسباب تفوق الإمام في الجانب اللغوي أنه كان يعتقد اعتقاداً جازماً أنَّ العلاقة بين الفقه واللغة بحيث لا يمكن التفقه في الشريعة بمعزل عنها، ودون التعمق في اللغة وقوانينها.
- أغلب شعر العلماء والفقهاء يعبر عن تجاربهم الذاتية والدينية والتعليمية والدعوية والإصلاحية، إضافة إلى شيء من التجارب العاطفية والاجتماعية والثقافية والسياسية وغيرها.
- وقد ظهر من بين العلماء والفقهاء من لا يقل شعرهم عن بعض شعراء العصور المتقدمة روعةً وجمالاً.
- فيما يتعلق بالتجربة الشعرية عند الإمام ابن أبي زيد فقد كانت معالمها واضحة، وأجزاؤها متميزة؛ بحيث قاد كل جزء فيها إلى صاحبه، كما أنَّ مضمون التجربة كان واحداً.
- وإنَّ بواعث معظم شعر الإمام هي الحزن والخوف وخوارج النفس وأمانيتها، والرغبة، والغضب ونحو ذلك. غير أنَّ شعره يمتاز بكونه نابعاً من التجارب الشخصية التي ذاق مرارتها -رَحْمَةُ اللَّهِ- في حياته.
- كانت لتجاربه روافد أخرى أثَّرت في مجالات الدين والخلق والعلم والتعليم والتربية أيضاً، إلا أنها تنطلق كلها من ذات الشاعر.

- ومن أهم سمات التجربة لديه الصدق والواقعية بأسمى درجاتهما، وبخاصة في شعره الرثائي، الذي يبتعد بطبعه عن الرياء أو التصنع والمداهنة والحجاجة. وهناك ملاحح عديدة تدلنا على هذه الحقيقة، منها حديثه عن حدث واحد، بعيداً عن مقدمات أو موضوعات جانبية غريبة. وإن الموضوعات التي بدت جانبيةً هي في الحقيقة تكتمل ببعضها؛ لتنتح لنا في النهاية هذه القصائد الشعرية، خاصة في غرض الرثاء.
- ومن آيات صدق تلك التجارب أيضاً قدرة هذا الشاعر الفقيه على نقلها نقلاً فنياً للآخرين بنجاح، حيث يولد في نفوسنا الأحاسيس والمشاعر التي لا تختلف كثيراً عن مشاعر أصحاب التجربة الحقيقيين وأحاسيسهم.
- ومن حيث ملاءمة الصياغة للتجربة فقد استطاع الشاعر - تقريباً - أن يوفّي التجربة حقّها من الصياغة والبيان، وأن ينظر في جزئيات تجربته، ويستوفي معظمها، بينما اقتصر في بعض شعره على لمحة خاطفة، ولحظة عابرة، وكأنّ الموقف لم يساعده على التأمل في جوانب التجربة، فجاء التعبير مقتضباً في أبيات قليلة.
- أرى أنه لا يلزم لبيان الحالة النفسية التي يمرّ بها الشاعر أن تأتي التجربة منظومةً في أبيات كثيرة، ولكن أبياتاً معدودةً قد تقوم مقام المطولة إذا ما جاءت معبرةً عن تجربة صادقة، يكون قد لمسها الشاعر بإحساسه المرهف، وذوقه السليم.
- وفيما يتعلق بالعاطفة في شعر الإمام القيرواني فنجد أنّ العاطفة تتجلى فيه واضحةً وبيّنةً بجميع جوانبها، سواء من ناحية الصبغة العامة، أو من ناحية خصائصها ودرجاتها.
- وإنّ عاطفة الحزن والوجوم والقلق هي التي تلفّ شعره الذي رثى به شيوخه، ولئن ظهرت معها عواطف أخرى فهي في الواقع انعكاسات لها.

- ومن أمارات صدق العاطفة وجيشانها في هذا الشعر اعتبارُ الشاعر نفسه شبحاً هامداً، لا جسداً تتحرك به الروح، ولقد أذهب موت شيوخه ملذاته وكَدَّر عليه نضارة عيشه، فلا طعم له من بعدهما بل ولا بقاء، بله عن راحة بال!
- ومنها أيضاً تفاعله مع نواح قرية في الليل فقدت أنيسها أو -ربما- بعض صغارها، وعقد حوارٍ نفسي بينهما، ذلك التفاعل الذي نراه من خلاله شجياً، مؤرقاً، متهاكاً على إثر فراق من يحبه.
- ومما ضاعف عاطفته الحزينة التمازج والاندماج بينه وبين القمرية، وهو تفاعل من طرفٍ واحدٍ، ولكن إسقاط الشاعر صفات العاقل عليها جعله يتخيل أنها تستجيب له، وتشاركه فيما يشعر به.
- ومما يقوي عاطفته تصويره حالته بأنه يعيش ميتاً، إذ قد صرعه فراق شيخه، وكذلك مخاطبته القبور بأساليب مختلفة.
- ومن صدق العاطفة أنّ الشاعر أثار عواطفنا وأشركنا في محنته خطوةً خطوةً. ولا شك أنّ هذا الصدق نابعٌ من محنته الواقعية ومعاناته الحقيقية.
- كما أنّ العاطفة في شعره اتسمت بالثبات والديمومة، فكلمنا أعدنا قراءته أثار فينا نفس المشاعر والعواطف التي أثارها في المرة الأولى، إضافةً إلى أنها انتظمت الأبيات كاملةً، ولا نجد أوارها يخبو أو يخفُّ في ثنایا القصيدة في موضعٍ دون آخر. ويتجلى هذا الثبات أيضاً في مقدار الشوق والأثر الذي تتركه في القارئ، وتدفعه إلى الانتباه لكل كلمة فيها، ويجعل وجدانه متيقظاً ومتوثباً.
- وإنّ العاطفة في شعره الرثائي تنصف بالقوة أيضاً، ويتمثل ذلك في قلق الشاعر واضطرابه الشديد إثر فراق شيوخه. ومن ملامحها أسلوب النداء الذي تكرر كثيراً في شعره. ومنها أيضاً حلفه بالله سبحانه بأن عيونه لن تقر بعد المفقودين،

بل ويستنكر العزاء ويستبعده بعدهم. ومن أمارات القوة في العاطفة كذلك أن يلتمس الشاعر معادلاً يسقط عليه أحزانه وأشجانه. وقد وجده في صورة تلك القمرية التي سمعها تغرد ليلاً، وهي في واقع إحساسه لا تغرد، وإنما كانت تندب الراحة التي قد ماتت من جراء موت أليفها.

- هناك عواطف عديدة أخرى- غير العامة- قد شابت وصاحبت هذا الشعر؛ وذلك لكي تمده بوقود؛ فتستمر العاطفة الرئيسة في دفعها وفيضانها، مثل عاطفة عتب الموت والشكوى منه أو من الدهر، خاصة إذا كان هدف سهامه هم أهل العلم والفقه وذوي العقل والبصيرة من الناس. فجاءت منسجمة مع طبيعة شعره.
- ولا بد أن تظهر لدى الشاعر عاطفة البغض والكراهية- أيضاً- لبعض الأشخاص الذين حاكوا مكائد ودسائس ضد شيوخه، ما أدى بهم إلى أن يقبعوا في غياهب السجون، ولا نعدم فيها مسحة من عاطفة الإباء والترفع وعزة النفس والافتخار أيضاً.
- وفي أجواء مكفهرة وملبدة بغيوم الهموم والغموم- كالتي عاشها الإمام القيرواني جراء فقدان هامات العلم ورحيل أساطين المعرفة وتهدم كهوف الإسلام والمسلمين- لا يرتاح المؤمن إلا بلجوئه إلى جناب الله تعالى، ومن هنا فكثيراً ما تظهر في هذا الشعر العاطفة الدينية والرضا والتسليم بقضاء الله وقدره سبحانه وتعالى، وإهداء الدعوات الطيبة إلى المعنيين.
- كما نلاحظ في شعره غلبة عاطفة الحب في الله والنصح له سبحانه ولدينه، وذلك من خلال توجيه النصائح القيمة إلى طلبة العلوم الشرعية وحثهم على الجد والاجتهاد في التحصيل والطلب.
- وكثيراً ما تتسم عاطفته بالهدوء، لكنها تترك في النفس أثراً جميلاً. وهذا يدل

على أنه ليس من الضروري أن تكون العاطفة مشبوبة أو بألفاظ عنيفة؛ لكي تؤثر في القارئ أو المستمع، فرب عاطفة هادئة تعمل من الأثر ما قد لا تعمله العاطفة المشبوبة.

- ومن بين العواطف التي ظهرت بجلاء في هذا الشعر عاطفة المديح والثناء والاستعطاف والاعتذار ونحو ذلك، وهي تظهر بوضوح في شعره الرثائي، ولكنها ظهرت بوضوح وأكثر كثافة في "قصيدة الشفاعة" التي خص فيها الرسول الكريم محمد بن عبد الله - صلوات ربي وسلامه عليه - بالمديح الجميل والثناء العاطر. وإن تنوع هذه العواطف في هذا الشعر قد أمدّه بوفرة من الشعور، وقدرة على تصوير اختلاف الطبائع والأحاسيس. وهذا زاده جمالاً، وأضفى عليه لمسات من البهاء والرواء.

فهرس المصادر والمراجع

1. ابن أبي زيد القيرواني، عقيدته وموقفه من الفرق ومقاومته للبدع، محي الدين سليمان إمام مديلي (رسالة دكتوراه) نوقشت 2001م جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
2. اتعاظ الخنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، دون معلومات النشر.
3. أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، أبو عبدالله محمد بن علي بن حماد، تحقيق الدكتور التهامي نقرة والدكتور عبدالحليم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
4. آراء ابن أبي زيد القيرواني الفقهية من خلال كتابه (النوادر والزيادات) (نماذج من كتاب الصلاة)، فاروق صديق تلي، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الفقه، 2015م، جامعة المدينة العالمية ماليزيا، كلية العلوم الإسلامية، قسم الفقه.
5. إرشاد الأريب في معرفة الأديب، الحموي، ياقوت، 1991م، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
6. أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة، القاهرة، الطبعة الثامنة، 1973م.
7. أصول النقد الأدبي، الدكتور طه مصطفى أبو كريشة، مكتبة لبنان، 1996م.
8. الأغاني، لأبي الفرج الأصبهاني، دار الفكر، بيروت، ط2.
9. أوقات مليئة بالحسنات مع النية الصالحة، جمع وترتيب: سمية السيد عثمان، د. ت.
10. الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، 1986م، ط5، دار النفائس في بيروت.
11. تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب قسم من كتاب عيون الأخبار، عماد الدين الداعي إدريس، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985م.

12. تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1982م.
13. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي، تحقيق سعيد أحمد أعراب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالمملكة المغربية، ط1، 1981م.
14. تقريب المعاني على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني في مذهب الإمام مالك، عبد المجيد بن إبراهيم الشرنوبلي الأزهرى، دراسة وتقديم عادل عبد المنعم أبو العباس مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط1، 2018م.
15. الجامع الصحيح، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري نسخة المكتبة الشاملة.
16. جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، قاسم علي سعيد، دار البحوث للدراسات الإسلامية، دبي، ط1، 1423هـ.
17. حلية الفقهاء، أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني الرازي (ت 395هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ط1، 1983م.
18. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون، برهان الدين اليعمرى (ت 799هـ) تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
19. ديوان أبي بكر الشبلي، جعفر بن يونس المشهور بدلف بن جحدر، جمع وتحقيق وتعليق الدكتور كامل مصطفى الشبلي، مطابع دار التضامن بغداد، ط1، 1967م.
20. ديوان الأستاذ عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية.
21. ديوان الإمام الشافعي، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر مكتبات الكلية الأزهرية، ط2، 1985م.
22. ديوان الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك (ت 181هـ)، جمع وتحقيق ودراسة مجاهد مصطفى بهجت، الناشر، مجلة البيان 1432هـ.

23. ديوان شعر ابن أبي زيد القيرواني، جمع وتحقيق الدكتور عمار سعيد خادم بن طوق المري، جمعية دار البر، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2018م
24. رثاء الأبناء في الشعر العربي، إلى نهاية القرن الخامس الهجري، د. مخيمر صالح موسى، مكتبة المنار، الزرقاء، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1.
25. الرسالة لابن أبي زيد القيرواني (مالك الصغير) (310-386هـ)، أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دون رقم الطبعة.
26. سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان. 2004م، د. ط.
27. شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، تأليف أبي علي أحمد بن محمد المرزوقي (ت 421هـ) دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1424هـ- 2003م.
28. شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني لأبي محمد صالح المسكوري من أول الكتاب إلى آخر "باب جامع في الصلاة"، محمد بن محمد بن إبراهيم فلاتة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، عام 1435- 1436هـ.
29. شعر بني عامر، من الجاهلية حتى آخر العصر الأموي 132هـ، جمع وتحقيق ودراسة د. عبد الرحمن محمد الوصيفي.
30. شعر عروة بن أذينة، جمع وتحقيق يحيى الجبوري، الناشر مكتبة الأندلس، بغداد.
31. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، ط2، 1418هـ.
32. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسيم مسلم الحجاج القشيري النيسابوري، بعناية نظر محمد الفارياي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1427هـ، 2006م
33. طبقات الصوفية، أبو عبد الرحمن السلمي، دار الكتب العلمية، 2003م.
34. عقيدة السلف مقدمة ابن أبي زيد القيرواني لكتابه الرسالة، 1414هـ، أحمد بن مشرف الأحسائي، مراجعة بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط1

35. العمدة في صناعة الشعر ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 463هـ)، تحقيق الدكتور النبوي عبدالواحد شعلان، مكتبة الخانجي، ط1، 1420هـ.
36. فقه السيرة، محمد الغزالي، خرج أحاديثه الإمام محمد بن ناصر الدين الألباني، دار الكتب الحديثة، ط6، 1965م.
37. فوائح الرحمت، عبد العلي بن محمد الأنصاري الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
38. في النقد الأدبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1962م.
39. فيض الخاطر، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي، 2017م.
40. معالم الإيمان في معرفة أهل القبروان، أبو زيد، عبدالرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي الدباغ (ت 696هـ)، تصحيح وتعليق إبراهيم شُبوح، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1968م.
41. المقفى الكبير، تقي الدين المقرئزي، (ت 845هـ)، المحقق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان.
42. مناقب الإمام الشافعي وطبقات أصحابه من تاريخ الإسلام للحافظ أبي عبد الله الذهبي، المؤلف: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهيبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شبهة (ت 851هـ) تحقيق عبد العزيز فياض حروفش، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1424هـ.
43. مناقب الإمام الشافعي، الإمام البيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة إحياء التراث، القاهرة، ط1، 1970م.
44. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، 1966م.
45. الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، للإمام محمد بن عمران المرزباني (ت 384هـ)،

- تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
46. النقد الأدبي الحديث، الدكتور محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للطباعة، 1997م.
47. النقد الأدبي، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1387هـ-1967م.
48. النقد التطبيقي والموازات، الدكتور محمد الصادق عفيفي، مؤسسة الخانجي، 1398م.
49. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل أيبك الصفدي (ت 852هـ)، تحقيق هلبوت ريتز، دار النشر، فرانز، 1381هـ.
50. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت.
51. المجلات العلمية والصحف:
52. صحيفة البيان الإماراتية، مقال "ابن أبي زيد القيرواني «مالك» الصغير"، عمار بن سعيد طوق المري، المنشور بتاريخ 4 يوليو، عام 2016م،
<https://www.albayan.ae/supplements/ramadan/ideas/2016-07-04-1.2673060>
53. صحيفة الراصد، مقال "من جرائم العيديين في شمال أفريقيا"، العدد 11، جمادى الأولى 1425هـ.
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=5239
54. مجلة البيان، العدد [182]، شوال 1423هـ، ديسمبر 2002م، أهمية اللغة العربية لدراس الكتاب والسنة والمتأمل فيهما، عبدالله بن حمد الخثران.
55. مدى حاجة الفقيه إلى اللغة العربية، الشيخ عبدالله بن الشيخ المحفوظ بن يه، دت، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2020.1.30، 1283، <http://binbayyah.net/arabic/archives/1283>

بين فلسفين، هندي وروسي

- د. هيفاء شاكري¹

تمهيد: تمرّ علينا في مسيرة الحياة شخصيات تكون مختلفة عن النهج العام للمجتمع، فتميز بأفكارها وأصولها وطريقة معيشتها الخاصة، وفي كثير من الأحيان نراها غريبة التصرفات، مبادئهم التي يعيشون عليها تجعلنا نتساءل: "كيف يمكن المضي في الحياة هكذا؟". ولكن هناك من الأفراد مَنْ أثبت أنه يمكن العيش وقضاء الحياة بالتمسك بالمبادئ والأصول التي يؤمنون بها، طبعاً بغض النظر عن صحتها أو عدمها، وكذلك بغض النظر عن مدى مطابقتها بأصول الأديان. وخلال بحثي عن الرسائل المتبادلة بين الشخصيات المعروفة، لفتت نظري الرسائل المتبادلة بين الزعيم الهندي غاندي والأديب الروسي ليو تولستوي. وهذه المقالة التي تتحدث عن هذه الرسائل وزمن كتابتها ومحتواها هي الحلقة الخامسة من سلسلة أدب الرسائل التي تتناول رسائل الشخصيات المعروفة وربما غير المعروفة بحكم كون الرسائل هي المصدر الأقرب إلى القلوب والنفوس وبالتالي الأصح لمعرفة فكر وأحوال كاتبها.

التعريف بالشخصيتين:

(1) غاندي: ولد موهن داس كرم شاند غاندي يوم 2 أكتوبر 1869م في غوجارات، شمال غربي الهند. وترعرع في أسرة غنية محافظة. وذات مكانة اقتصادية واجتماعية، مرتبطة بالعمل السياسي، فكانت والدته أيضاً ممن لهم دراية بالعمل السياسي. وكانت شديدة التدين تعلم منها الأخلاق الهندوسية. وكانت أسرته تلتزم بالمعتقدات الدينية الصارمة تخضع للتقاليد الاجتماعية وتزوج في عمر الثالثة عشر بفتاة تسمى كستوربا.

¹ مشارك في التحرير وأستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة المالية الإسلامية، نيو دلهي

وكان قبل ذلك قد دخل المدرسة الابتدائية في راجكوت بولاية غوجرات في السابعة من عمره، ثم انتقل إلى مدرسة أخرى في الضاحية. ولما بلغ الثانية عشرة ذهب إلى المدرسة الثانوية. واستفاد من المنحة الدراسية كذلك. اجتاز امتحان القبول في الجامعة عام 1887م، والتحق بمركز أحمد آباد. ثم توجه إلى إنجلترا لاستكمال دراسته في القانون عام 1888م وقد عاهد أسرته بعدم شرب الخمر أو أكل اللحم أو العلاقات مع النساء. وخلال ثلاث سنوات حصل على شهادة البكالوريوس من جامعة لندن وأصبح عضواً في نقابة المحامين. وبدأ ممارسة المحاماة في مدينة بومباي (ممباي)، ولكنه واجه مشاكل مادية فانتقل للعمل في جنوب أفريقيا مع المحامين الآخرين، وقد منع هناك من ركوب القطار بسبب لون بشرته، وكانت هذه نقطة تحول في حياته فانتقل إلى العمل السياسي وبقي في جنوب أفريقيا للدفاع عن الهنود وتحقيق المساواة والدعوة إلى حقوق الإنسان. رفع صوته ضد القانون الذي يمنع الهنود من التصويت، حتى أقنع الإنجليز بالتراجع عن قرار المنع. وبذلك ذاع صيته وأسّس مؤتمر ناتال الهندي وأصبح للهنود صوت سياسي في جنوب أفريقيا. وعندما عاد إلى الهند 1915م كانت شهرته قد سبقته وأصبح معروفاً بدعوته إلى السلام والتسامح. وكان يندد بالقوانين الاستعمارية الإنجليزية ويخطط للاستقلال. دعا كذلك إلى تقديم الحل لمشاكل الفلاحين وإنهاء التمييز الطبقي في المجتمع الهندي. ومن ضمن الحركات التي قادها حركة العصيان المدني عام 1922م، وتنظيم مسيرة الملح 1930م لمطالبة إسقاط ضريبة الملح عن الهنود، فخرج الناس متبعين خطا غاندي مشياً على الأقدام من أحمد آباد إلى منطقة داندي. شارك في حركة عصيان أخرى عام 1940م للحصول على استقلال الهند. تعرّض للاعتقال والسجن عدة مرات. وبعد استقلال الهند وتقسيمها إلى دولتين الهند وباكستان اندلعت في الطرفين نيران الصراع الديني والطائفي، فأضرب عن الطعام لدعوة الناس إلى وقف

العنف. ولمواقفه هذه اعتبره البعض خائناً للفكر الهندوسي واغتيل على يد ناثورام غودسي في 30 يناير عام 1948م.

من أهم الأفكار السياسية التي تبناها غاندي محاربة العنف واختيار السلام والتسامح، وأن كل شيء يمكن الوصول إليه دون استخدام السلاح والالتزام بالسلم، وهو سمي بـ(أهنسا) أي اللاعنف. فاستخدم لذلك أساليب مختلفة مما سبق ذكره من الاحتجاج السلمي والامتناع عن الطعام والحركة المقاومة السلمية والمقاطعة وعدم التعاون وغيرها من الأساليب التي استخدمها للضغط على الاستعمار الإنجليزي للتمهيد لطريق الاستقلال. وكان لا يؤمن بفصل الدين عن الدولة، إنما كان يدعو إلى مبادئ تشمل الأصول الدينية والسياسية والاقتصادية. وعدم استخدام العنف إلا نكيار أخير تماماً إذا فشلت جميع المحاولات.

وتحتفل الأمم المتحدة منذ عام 2007م باليوم العالمي لنبد العنف وذلك في ذكرى ميلاده الذي يصادف 2 أكتوبر من كل عام.

(2) تولستوي: ولد الكونت ليف نيكولايفيتش تولستوي في 28 أغسطس 1828م، في قرية ياسنايا بوليانا، بولاية تولا جنوب موسكو، حين كانت روسيا إمبراطورية. وكانت أمه من عائلة غنية ذات حسب ونسب ولكنها توفيت حين بلغ الثالثة من عمره. فربته امرأة من قريباته تدعى تاتيانا. وبعد وفاة الأب ربته أخته في منطقة قازان التي بدأ فيها دراسة اللغتين العربية والتركية ولكنه عاد إلى قريته دون الحصول على الشهادة الجامعية، وسكن إقطاعيته الواسعة لينقطع للمطالعة والكتابة والتفكير. قرّر بعد ذلك أن يلتحق بالجيش الروسي بتشجيع من أخيه. ولكنه ترك حياة الجيش ومارس الكتابة والتفكير وأصدر عدة روايات منها: "الطفولة" و"الصبا" و"الشباب"، ثم أصدر "القوزاق" وهي القصص التي تحكي مشاهداته وإعجابه في منطقة القوقاز الروسية. كان يعرف أهمية التعليم وخاصة للفقراء والفلاحين، لذلك زار عدة دول في أوروبا،

منها سويسرا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا، لكي يشاهد بنفسه أساليب التعليم المتبعة في هذه الدول، ومن ثم ينقلها لبلاده ويرفع من مستوى الطبقات الدنيا. وأنشأ في قريته مدرسة كان ينفق عليها من ماله الخاص، ويعلم فيها بنفسه أولاد الفلاحين، ويدربهم على الكتابة وخاصة كتابة القصص وينشرها في المجلة التي أصدرها.

تزوج الكونتيسة صوفيا بيرس، التي أحبته واعتنت بأطفاله الذين بلغ عددهم 13 طفلاً. وكان تولستوي يدعو للسلام، وهو الذي قال "الشر لا يُدفع بالشر"، وكان دائماً ينتقد الحكومة ورجال الدين المسيحي لأنهم يهددون سلامة المجتمع الإنساني سواء بأقوالهم أو سياساتهم الداعية إلى التفرقة والحروب. حتى أدى إلى طرده من الكنيسة الأرثوذكسية الروسية عام 1901م، وقد عارض المفاهيم الدينية المسيحية مثل الثالوث وكون المسيح ابن الله، والروح الخالدة ومفاهيم أخرى، واعتبرها منافية للدين المسيحي الصحيح، حتى أنه ألّف نسخته المصححة من الأناجيل. أما من ناحية الاهتمامات الأخرى فقد كان شغوفاً بالثقافات الشرقية وقد سبق الذكر بأنه حاول تعلم اللغة العربية واللغة التركية. وألّف كذلك كتاباً سماه "حكم النبي محمد" دافع فيه عن الإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم ضد اتهامات الجمعيات التبشيرية في روسيا. ويذكر أنه كانت بينه وبين الشيخ محمد عبده مراسلات تناقش قضايا مختلفة، وربما نتطرق إليها فيما بعد خلال هذه السلسلة.

ومن أهم مؤلفاته: الحرب والسلام، أنا كارنينا، البعث، الحاج مراد، اعتراف، موت إيفان، والكتاب الذي سبق ذكره حكم النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

توفي في 20 نوفمبر 1910م بعد إصابته بالتهاب رئوي وقد بلغ 82 عاماً.

بداية المراسلات بينهما: بدأت المراسلات بين غاندي وتولستوي برسالة كتبها له غاندي في 1 أكتوبر 1909م أي قبل عام تقريباً من وفاة تولستوي، أما آخر رسالة فقد كتبها تولستوي بتاريخ 7 سبتمبر 1910م أي قبل وفاته بشهرين تقريباً. وكما نرى

فإنَّ الفترة التي استغرقتها المراسلة بينهما قصيرة جداً وخاصة بالنظر إلى الزمن الذي كانت تأخذه الرسالة في الوصول إلى الطرف الآخر في تلك السنوات إلا أننا نجد في رسائلهما القليلة فكراً فلسفياً عميقاً اتفقا فيه في أحيان واختلفا كذلك. وكان غاندي من الذين تأثروا بفكر تولستوي وقد ذكر ذلك في سيرته الذاتية.

وعندما قرأ غاندي "رسالة إلى هندوسي"، أو التي يمكن أن نقول عنها "رسالة إلى هندي" لتولستوي، تأثر بها واستأذن المفكر الروسي بأن تطبع منها عشرون ألف نسخة للتوزيع. وكانت هذه الرسالة قد أرسلها تولستوي إلى بعض المناضلين الذين كانوا يكافحون ضد الاستعمار البريطاني في الهند، وكانوا يرأسونه.

ونجد أنَّ رسائلهما كانت تحمل الكثير من التقدير والاحترام لفكر ومبادئ بعضهما البعض والمحبة المتبادلة إضافة إلى مناقشة القضايا التي تهمهما.

وقد رجعنا في مقالتنا هذه إلى كُتابين:

الأول: "دولة الحب، مراسلات تولستوي وغاندي" والذي أعده وقام بترجمة الرسائل بين غاندي وتولستوي أحمد صلاح الدين. وقد طبع الكتاب من دار الرافدين للنشر والتوزيع في بيروت وبغداد 2019م. وهو يحتوي على:

4 رسائل كتبها غاندي لتولستوي

ورسالة كتبها جيرمان كالينباخ¹ لتولستوي

3 رسائل لتولستوي كتبها إلى غاندي

رسالتان من تولستوي إلى تشيرتاكوف²

رسالة من تشيرتاكوف مترجم رسالة تولستوي، الذي بدوره خاطب غاندي

¹ وصديق غاندي وصاحب مزرعة تولستوي

² صديق تولستوي وأثري روسي

وكالينباخ في رسالة مستقلة غير تلك المترجمة.

نص "رسالة إلى هندوسي" لتولستوي الذي كان السبب في كتابة غاندي لأول رسالة لتولستوي.

المقدمة التي كتبها غاندي عند نشر الرسالة المذكورة

مقال لليو تروتسكي¹ الذي كتبه بمناسبة عيد ميلاد تولستوي الثمانين ونشر لأول مرة باللغة الألمانية في مجلة داينوتسايت، والنسخة الروسية نشرت في المجلد رقم 20 من أعمال تروتسكي 1926م، ونشرت الترجمة الإنجليزية في مجلة فورث إنترنشيونال في مايو 1951م بعنوان "تولستوي الشاعر والمتمرد".²

نعي ليو تولستوي المنشور بجريدة الرأي الهندية³ Indian Opinion بتاريخ 26 نوفمبر 1910م.

وبجانب ذلك نعي غاندي من قبل جواهر لال نهرو وألبرت أينشتاين، وجورج برناردشو، ومارتن لوثر كنج ورايندرا ناث طاغور.

الثاني: Mahatma Gandhi and Leo Tolstoy Letters

وهو باللغة الإنجليزية من إعداد وتقديم وتدقيق ب. سرينواسن مورتى، وتمهيد وتصدير من فرجينيا هارت رنغر. طبع من لونغ ييش بليكيشنس. الولايات المتحدة، بترتيبات من نوجيون ترست، أحمد آباد، الهند، 1987م.

وعدد الرسائل وترتيبها هو مشابه لما وجدناه في النسخة العربية لأحمد صلاح الدين. ولكن لا توجد فيها رسائل كالينباخ وتشيرتاكوف، ونجد جزئين من مقال غاندي

¹ ثوري ومثقف ماركسي

² دولة الحب، ص 77

³ جريدة أسسها غاندي وصدر العدد الأول منها 4 يونيو 1903م

عن "مزرعة تولستوي" Tolstoy Farm والتي أنشأها غاندي في جنوب أفريقيا وسياتي ذكرها مفصلاً.

ونجد كذلك نعي تولستوي المنشور في الرأي الهندية.

الرسائل التي سبق ذكرها تناقش عدداً من الموضوعات التي يمكن أن نذكرها على حدة: الوضع في جنوب إفريقيا: كتب غاندي في رسالته لتولستوي بتاريخ 1 أكتوبر 1909م عن الوضع في ترانسفال،¹ حيث تعرض الهنود فيها للعنصرية والإهانة بسبب اللون والأصول العرقية، وقد فرضت عليهم القوانين التعسفية والضرائب التي عارضها غاندي ومعه الجالية الهندية هناك. ولكن البعض منهم وهم النصف تقريباً قرروا الاستسلام للقانون المخزي، بينما أثر النصف الآخر وبلغ عددهم 2500 شخص الاستسلام للسجن. وبلغت مدة السجن من أربعة أيام إلى ستة أشهر أغلبها مع الأشغال الشاقة. وقد ذهب غاندي بصحبة صديق له إلى لندن لمناقشة الأوضاع مع المسؤولين البريطانيين ومحاولة إقناعهم بالتخلي عن القرارات التعسفية.

وفي نفس الرسالة يشير غاندي إلى رسالة تولستوي "رسالة إلى هندوسي" وأخبره بأن صديقاً له قرّر طبع عشرين ألف نسخة منها على نفقته ومن ثم توزيعها، بعد الترجمة. ولكنه يبيّن له أنه لا جدوى من فعل ذلك إذا لم يحصل على الخطاب الأصلي الذي كتبه تولستوي بيده حتى يتأكد من محتوياتها، ولذلك أرسل غاندي صورة من النسخة التي كانت لديه. وسأل تولستوي أن يخبره إن كانت النسخة لخطابه بالفعل، وأن يضيف إليها أشياء أخرى إن كان يرغب بذلك.

الحديث عن بعض الكتب: إشارة إلى الاقتباسات التي دونها تولستوي باسم "كريشنا" طلب منه غاندي أن يرسل له عنوان الكتاب الذي أخذ منه هذه الاقتباسات، وردّ

¹ مقاطعة سابقة في شمال شرق جنوب أفريقيا

عليه تولستوي بأنّ عنوان الكتاب سيرسل إليه من موسكو. وكان هذا الكتاب هو "شري كرشنا" لبريماناند بهارتي.

ونجد ذكرًا للكتاب أرسله غاندي لتولستوي وهو يتعلق بحياة غاندي والصراع الذي يخوضه، وقد كتبه أحد أصدقائه الإنجليز المتواجد في جنوب أفريقيا، ويذكر كذلك السبب وراء إرسال الكتاب وهو أنه يرغب في مشاركة فعالة وتعاطف من قبل تولستوي. ويظهر أنّ هذا الكتاب هو كتاب جوزيف دوك M.K. Gandhi: An

Indian Patriot in South Africa

أما الكتاب الآخر الذي نجده مذكورًا في رسالة غاندي المؤرخة 4 أبريل 1910م فيذكره غاندي بـ "كتيب موجز" حيث تعرّض الكتاب الأصلي للمصادرة من قبل حكومة الاحتلال في الهند، لذلك قام بكتابة موجز في عجلة من الأمر، وطلب منه نقدًا ورأيًا عن الكتاب. ونعرف اسم الكتاب من خلال رسالة تولستوي لغاندي بتاريخ 8 مايو 1910م حيث يخبره بأنه تسلم رسالته وكتابه "الحكم الذاتي للهند"، وكذلك في رسالته لتشيرتاكوف في 22 أبريل 1910م، حيث يذكر له أنه قرأ الكتاب الذي أرسله له غاندي وهو "الحكم الذاتي للهند" الممنوع من قبل السلطات البريطانية. وتذكر تدوينات ماكوفيتسكي¹ ثناء تولستوي على الكتاب بأنه كتاب رائع إلى أقصى حد بمثابة تقييم عميق من وجهة نظر رجل دين للحضارة الأوروبية بأكملها.

ومن كتب تولستوي نجد ذكر كتاب "اعترافاتي"، فيذكر غاندي في رسالة إلى تولستوي بتاريخ 15 أغسطس 1910م بأنّ صديقه السيد كالينباخ تأثر كثيرًا بهذا الكتاب، وأنه لمس قلب وعقل السيد كالينباخ بشكل عميق جدًا. وأنه مرّ بأغلب التجارب المذكورة بدقة في هذا الكتاب. وكان الكتاب دافعًا حقيقيًا للمضي قدمًا في

¹ رفيق تولستوي في أيامه الثلاثة الأخيرة وأديب روسي

سبيل تحقيق المبادئ التي كان تولستوي يدعو إليها لجعلها واقعاً ملموساً في العالم أجمع. كما كان هذا الكتاب هو السبب وراء تسمية المزرعة التي اشتراها كالينباخ وبدأ فيها غاندي تجربته عن السلام واللاعنف باسم "مزرعة تولستوي".

تقدير من الطرفين: بالرغم من قصر مدة العلاقة بين غاندي وتولستوي والتي استمرت لسنة واحدة تقريباً، وانتهت بسبب وفاة تولستوي إلا أنهما ارتبطا في علاقة يحيط بها التقدير والاحترام المتبادل، فقد ذيل غاندي رسائله بكلمات تعبر عن احترامه لشخصية تولستوي ومبادئه رغم بعض الخلافات. فرسائله مخاطبته بـ"سيدي"، "سيدي العزيز" وتحمل توقيع "مع كامل احترامي للأبد، خادمك المطيع"، "المخلص"، وبالمقابل بادله تولستوي التقدير بمخاطبته بـ"صديقي العزيز"، و"تحياي الأخوية، ويسرني تواصلتي الشخصي معك"، "الصديق والأخ".

كذلك نجد أنهما كانا يقدران جهود بعضهما في سبيل الحرية وتحقيق المبادئ الإنسانية، فيكتب تولستوي عند استلام كتاب غاندي "Indian Home Rule":

"I have read your book with great interest, because I think the question you have therein dealt with is important not only for Indians, but for the whole of mankind".¹

"I happen to know you through that biography which gripped me..."²

فالقضية التي كان يعمل غاندي من أجلها مهمة للعالم أجمع في رأي تولستوي وهو معجب جداً بشخصية غاندي وعمله.

وقد ذكر غاندي في أكثر من موضع بأنه ومن بين كل معاصريه تأثر بشكل كبير وعميق بثلاث شخصيات: رايشاند باي من خلال التواصل المباشر، وتولستوي من

¹ Mahatma Gandhi and Leo Tolstoy Letters, B. Srinivasa Murthy, pg. 33

² نفس المصدر

خلال كتابه "مملكة الله في داخلك"، وروسكين من خلال كتابه "حتى آخر رجل".

وكان غاندي قد قرأ حوالي ثلاثين كتاباً عندما كان في السجن في عام 1909م من بينها العديد من كتب تولستوي التي تركت أثراً عميقاً في فكره. حيث وجد أن نبذ القوة أفضل وسيلة للمعارضة، وقد تشابهت هذه الفكرة الروسية مع فكرة الأهنسا والتي تعني أيضاً نبذ العنف ومواجهة الظلم بالمعارضة السلبية.

خلاف في الرأي: يقول غاندي: "إن الاختلافات في الرأي لا ينبغي أبداً أن تعني العداء، إذا حدث ذلك، يجب أن أكون أنا وزوجتي عدوين لدودين، لا أعرف شخصين في هذا العالم ليس بينهما اختلاف في الرأي".

فبالرغم من تطابق كثير من أفكارهما إلا أنهما اختلفا في مواضع عديدة، منها رفض تولستوي لفكرة التجسيد الروحي Reincarnation والتي كان غاندي يؤمن بها لأنها كانت من معتقداته الدينية.

يقول غاندي بالإشارة إلى ما كتبه تولستوي عن نبذ الخرافات والتفاهات التي تسيطر على عقول الناس باسم الدين: "أتجراً بأن أعرض اقتراحاً في الفقرة الختامية، يبدو أنك تحاول أن تصرف القارئ عن الإيمان بإعادة تجسد الروح في كائن جديد، لا أدري (لو سمحت لي بذكر هذا)، هل درست الأمر جيداً؟ ففكرة إعادة التجسد من الأفكار التي يقدرها الملايين من أبناء الهند، والصين أيضاً بالتأكيد. وربما مع قول العديد أن الأمر يرجع للخبرة، ولم يعد يخص قبول الأوساط الأكاديمية، فهذه الفكرة تشرح على نحو منطقي العديد من ألغاز الحياة".¹

ويذكر أنه "ليس على المرء أن يقبل كل ما يقوله تولستوي، فبعد من الحقائق التي ذكرها تفتقد الدقة".²

¹ دولة الحب، ص 45

² نفس المصدر، ص 61

ولكنه يعترف بأن طريقة تولستوي في عرض الحقيقة القديمة قوية ومتجددة، منطقها لا يضاهي، وهو يسعى إلى ممارسة ما يبشر به، وهو مخلص وصادق وهو يوجب الإصغاء.

مزرعة تولستوي: قام كالينباخ صديق غاندي بشراء مزرعة بالقرب من جوهانسبرغ من عمدة المدينة، ثم منحها رسمياً في 30 من مايو 1910م لأتباع غاندي الذي اعترف بجميل صديقه حيث أنه قرب المسافة بين الشرق والغرب في شكل صداقة حقيقية. وقام بتسميتها "مزرعة تولستوي" بعد التشاور مع غاندي، وكانت نموذجاً للمعيشة الجماعية وكان الهدف من إنشائها هو تجربة أفكار السلام واللاعنف والاعتماد على النفس عملياً. وكانت على أرض مساحتها 1100 فدان، وكان فيها ما يقرب من 1000 شجرة من أشجار الفواكه، أما المياه فكانت توفرها الآبار والمنابع. وبالرغم من وجود سقيفة ومنزل متداعٍ يحتوي على أربع غرف فالجوّ الجميل والفضاء المفتوح وفرا للسكان في المزرعة حياة بسيطة، وكانت تضم ما يتراوح بين 70 إلى 80 من السكان. 40 شاباً، و2 أو 3 رجال مسنين و5 نساء و20 إلى 30 طفلاً، وكانت المزرعة كعالم صغير يقوم كل فرد بعمله وإدراك ذاته، وأن يمارس كل ما يقوم به بالهمة والصدق والعزيمة. وكان أفراد المزرعة يقومون بالزراعة والاعتناء بالمزروعات والنباتات في الفضاء الواسع الرحب، ويقوم الكبار والصغار بالواجبات الزراعية الأخرى مثل: القطف، وتقليم الأغصان وتنظيف الغابة. وكان الصيد ممنوعاً حيث كان غاندي يؤمن بالأهتسا أي عدم العنف، ولكنه أمر مرة بقتل ثعبان حيث كانت الظروف غير مناسبة للسلم مع الزواحف حيث هي علاقة فيها القليل من الحب والكثير من الخوف. كما كان غاندي يقوم بتجربة العلاج الطبيعي في المزرعة بواسطة التربة والماء وكذلك كان يستخدم على المرضى في المزرعة العلاج المائي، واتباع نظام غذائي محدد والإقلاع عن التدخين وكحادات طينية باردة وكميات منظمة من الموز وزيت الزيتون وعصير البرتقال.

وفي غضون ستة أشهر من بدء المزرعة قام السكان ببناء ثلاثة مبانٍ حيث خصّص مبنى واحداً للسيدات، ومبنى للرجال، كما وجدت أماكن الغسيل والطبخ وقسم الخياطة ومكاتب وأماكن العمل ومدرسة. كان كتدريب لجميع مَنْ تواجد بالمزرعة للمهمة الكبيرة التي كانت تنتظرهم في الهند. ولكن كان من رأي غاندي أنّ تدريباً كهذا سيأتي بنتائج أفضل لو ضمّ أطفالاً صغاراً بدل الأشخاص الراشدين.

آراء عن الحب والسلام والعنف: نجد في رسائل كلا المفكرين دفاعاً عن الأفكار التي كانا يؤمنان بها، فقد كان تولستوي من الأشخاص الذين يدعون إلى رفض الخدمة العسكرية التي كانت تدعو إليها السلطات الروسية وذلك لرفضه نظرية الحرب والعنف. فكتب في رسالته لغاندي المؤرخة 7 أكتوبر 1909م: "إنه صراع بين الوداعة والوحشية، بين التواضع والحب من جانب، والغرور والعنف من الجهة الأخرى. مما يجعل شعورنا به هادراً أكثر من أي وقت مضى، خاصة في ظل الصراعات الحادة بين الواجبات الدينية وقوانين الدولة، التي يعبر عنها ذلك الرفض التابع من الضمير لتأدية الخدمة العسكرية".¹

وفي رسالته لتشيرتاكوف يصف غاندي بأنه: "مفكر هندي ومحارب ضد الاحتلال الإنجليزي، يقاتل غاندي من خلال المقاومة السلمية، إنه قريب منا، مني".² وكانت المقاومة السلمية في نظر تولستوي ليست إلا مبدء الحب الصافي الذي لا يشوّهه تفسير مزيف، كأن الحب هو التطلع إلى التوحد والتضامن مع أرواح أخرى. فالحب عنده هو القانون الأسمى الفريد للحياة الإنسانية.

أما غاندي فقد تحدّث كذلك عن المقاومة السلمية وإيمانه وأصحابه بها بالرغم من استمرار الصراع وعدم علمه بموعد انتهائه، وأنّ المقاومة السلمية يمكن أن تنجح

¹ نفس المصدر، ص 47

² نفس المصدر ص 50

وستفعل. وكان غاندي وأصحابه متفائلين بأنّ القوة الوحشية ستسقط حتماً، لأنهم صامدون أمام الصعوبات بالرغم من اعتقاد الحكومة الراضخ بأنهم سيعجزون عن تحمل العناء المتواصل.

واقترح غاندي في إحدى رسائله أنه لو أجريت مسابقة عامة في سبيل كتابة مقال عن أخلاق وفعالية المقاومة السلمية، فإنها ستؤدي إلى رواج الحركة ودفع الناس نحو التفكير. وكان ذلك بالطبع سعيًا منه للترويج لفكرة اللاعنف التي كان يؤمن بها.

تبادل الآراء عن الهند واستقلالها: كتب غاندي في رسالته الأولى لتولستوي عن كفاحه والهنود الموجودين في جنوب أفريقيا ضد السلطات الإنجليزية، ورفض القوانين المخزية التي أجبروا على الخضوع لها. وفي رسالة أخرى يصف صراعه وصراع مؤيديه بأنهم لا يحاولون تحقيق أيّ منفعة شخصية في نهاية الأمر، وأنه ليس على علم بصراع يشبه ما يقومون به. حيث عانى 50% العناء الشديد ووضعا تحت طائلة القضاء والمحاكمة من أجل المبدأ. ولكنه لم يستطع أن يقوم بالدعاية له كما كان يجب، ويظهر من عبارات غاندي أنّ تولستوي رأي أن تكون الدعاية على نطاق واسع، قدر ما تيسر ذلك. ثم التمس غاندي من تولستوي أن يستخدم قوة تأثيره بأيّ شكل من الأشكال والتي يراها مناسبة للترويج لحركته إذا كتب لها النجاح. وأنّ هذا سيصبح نموذجاً وقوة للملايين في الهند والبشر في أجزاء أخرى من العالم حيث يتعرض الناس للاضطهاد.

وكان تولستوي مهتماً بالقضية الهندية والدليل على ذلك مراسلته للمناهضين الهنود ضد الحكم البريطاني قبل مراسلته لغاندي. ورسالته "رسالة إلى هندوسي" تحمل الكثير من الإرشادات والمبادئ التي أراد تولستوي للهنود أن يعرفوها ويدركوا من خلالها أهمية معرفتهم للذات واعتمادهم على أنفسهم. وكان يستغرب من أمر شركة أن تسيطر على دولة عظيمة. يقول: "تقولون إنّ الإنجليز استعبدوا الهنود، وأخضعوهم، ذلك لأنّ الهنود لم يقاوموا بحزم كافٍ ولم يقابلوا القوة بالقوة. ولكن الأمر على النقيض من

ذلك تماماً. إذا كان البريطانيون قد استعبدوا الشعب الهندي فهذا يرجع إلى إقرار الهنود.... استعبدت شركة تجارية شعباً يضمّ مئتي مليون. أخبر رجلاً لا يعاني من سطوة الخرافات بهذا، سيعجز عن استيعاب دلالة تلك الكلمات. ماذا يعني أنّ ثلاثين ألف رجل، ليسوا أقوياء ولكنهم بالأحرى ضعفاء، حمقى، أخضعوا مئتي مليون من البشر الأقوياء، الأذكاء المحبين للحرية؟! ألا توضح الأرقام أنّ البريطانيين لم يستعبدوا الهنود، بل الهنود هم الذين استسلموا للعبودية بأنفسهم".¹

التناقض في المجتمع: تحدّث تولستوي عن التناقض الموجود في المجتمع في السلوكيات والظروف التي يتعرض لها أفراد المجتمع الواحد، فن يؤمن من الناس بنعمة الحب يمنح الشرعية لنظام حياتي قائم على العنف، بل ولتعذيب بعض الناس لآخرين وقتلهم أيضاً. يقول تولستوي: "عاش الناس لزمن طويل هذا التناقض الواضح دون أن يلقوا له بالاً، ولكن جاء زمان عندما صار هذا التناقض جلياً أكثر وأكثر أمام أعين المفكرين من مختلف البلاد. والحقيقة القديمة البسيطة القائلة أنه من فطرة البشر أن يحبّ بعضهم بعضاً، وأن يقدّم كلّ منهم يد العون للآخر، وليس أن يعدّز بعضهم بعضاً، بل ويقتله، صارت أكثر وضوحاً".²

ويرى تولستوي أنّ ادعاء الحق الإلهي للحكام والسلاطين والأمراء والملوك، تلاشي شيئاً فشيئاً، فالجميع يدرك الآن أنّ إخضاع إرادتهم للآخرين، واستعبادهم من قبل بشر مثلهم تماماً، والذين يطلبون منهم القيام بأعمال تتناقض مع مصالحهم ومع مشاعرهم الأخلاقية، من واجبهم أن يتحرروا من الخضوع لها. واستغل الانتهازيون كذلك والذين يتجمعون حول الحكام هؤلاء الناس تحت ستار الحكم، وعند ضعف خدعة السلطة الخارقة، اخترع هؤلاء خدعة جديدة لكي يبقوا الناس في دائرة

¹ نفس المصدر، ص 70-71

² نفس المصدر، ص 67

العبودية لعدد محدود من الناس. وكان غاندي كذلك يحارب هذا التناقض الكبير الموجود بين الحاكم والمحكوم، ولم تكن حركاته التحررية ومقاومته السلبية إلا صورا من إنكار الخضوع الدليل لحكام لا يختلفون عن المحكومين في شيء ولكن في لون البشرة والانتماء العرقي.

وهكذا نستنتج من خلال قراءتنا للرسائل المتبادلة بين غاندي وتولستوي أنّ كلاّ منهما كان داعياً للسلام والمحبة ويكره العنف والحرب. وأنهما حاولا من خلال كتابتهما وأفكارهما الدعوة إلى هذه المبادئ التي كانا يؤمنان بها. وعانيا في سبيل تحقيقها الكثير من الصعاب. ولم تكن كتابتهما وادعائهما مجرد حبر على ورق، إنما قدّما لذلك نماذج حية بدءا بنفسيهما، فجندهما يتركان حياة الرغد والرفاهية ويلزمان نفسيهما بالبساطة وشظف العيش مما نتج عنه الكثير من المعاناة لهما سواء على المستوى الشخصي أو الاجتماعي.

ومهما اختلفنا مع مبادئهما التي قدّماها سواء من الناحية الدينية أو الاجتماعية أو الفلسفية إلا أنّ الحاجة ماسّة لدراسة هذا الفكر العميق والأسباب التي جعلتهما يؤمنان بهذه المبادئ دون غيرها. وفي ظل الظروف التي يمر بها العالم من الناحية السياسية الاجتماعية وتطوّر العلم أو سيطرة وهيمنة القوى المادية على الفكر الجدي العميق، من الضروري جداً أن ننظر إلى مبادئهما من منظور جديد وزاوية منفردة ونستنتج منها ما فيه صلاح الوطن والعالم والبشرية جمعاء، لأنّ هذا هو الهدف الذي كان في النهاية نصب أعين كثير من المفكرين ومنهم غاندي وتولستوي.

مدرسة العلوم بعلي كره تاريخها وأثرها في المجتمع

- د. غياث الإسلام الصديقي¹

عنوان الكتاب: مدرسة العلوم بعلي كره تاريخها وأثرها في المجتمع

اسم الكاتب: البروفيسور ظفر الإسلام الإصلاحي

اسم المترجم: د. محمد شفاء الرحمن المدني

مراجعة: د. هيفاء شاكري

عدد الصفحات: 238

الناشر: مركزي بليكيشنز، نيو دلهي

سنة النشر: 2023م

تمهيد: جامعة علي كره الإسلامية من أهم الجامعات الهندية التي لعبت دوراً ملهوساً في النهضة التعليمية في الهند، ولها خدمات رائعة في مسانرة الركب الحضاري، وجهود مكثفة في تثقيف الشعب الهندي، وتمكينه من خدمة المجتمع والوطن في مجالات متنوعة على نطاق واسع. كانت الجامعة في بدايتها مدرسة اسمها "مدرسة العلوم" الذي عُنون به هذا الكتاب.

المؤلف في سطور: البروفيسور ظفر الإسلام الإصلاحي من كبار أساتذة جامعة علي كره الإسلامية حيث اشتغل أستاذاً لقسم الدراسات الإسلامية منذ 1984م، ورئيساً له من 2008 إلى 2011م. أكمل الدراسات الدينية في مدرسة الإصلاح، سرائ

¹ محاضر ضيف للغة العربية بالكلية الطبية الآورفيدية اليونانية التابعة لجامعة دلهي.

مير، أعظم كره، وحصل على شهادتي "فاضل أدب" و"البكالوريوس" من جامعة لكناؤ، وأكمل الماجستير والإيم. فل، والدكتوراه من جامعة علي كره الإسلامية. وبالإضافة إلى ذلك هو عضو من أعضاء الهيئة التنفيذية لدار المصنفين (أكاديمية شبلي)، أعظم كره، وسكرتير لمؤسسة علوم القرآن بعلي كره، وله مساهمة ملحوظة في الدراسات الإسلامية والتاريخية ([Zafarul Islam Islahi - Wikipedia](https://en.wikipedia.org/wiki/Zafarul_Islam_Islahi)) ومن إنجازاته العلمية هذا الكتاب الذي أعرضه عليكم، آلفه باللغة الأردوية.

مترجم الكتاب: أما المترجم الذي نقله إلى اللغة العربية فهو الدكتور محمد شفاء الرحمن المدني. حصل على شهادة الفضيحة عام 1998م من الجامعة الأثرية دار الحديث، مؤنات بنجن، أترابرايش. واشتغل مدرساً في مركز السلام التعليمي في مديرية صاحب غنج حوالي أربع سنوات. وحالفته السعادة إذ وجد فرصة للدراسة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فحصل منها على شهادة البكالوريوس عام 2006م، وعمل مترجماً وداعية في قسم الجاليات والدعوة والإرشاد بمركز تمر في محافظة السليل بالمملكة العربية السعودية لعدة سنوات. وحصل على شهادة الماجستير من جامعة مولانا آزاد الوطنية الأردوية وشهادة الدكتوراه من الجامعة المالية الإسلامية عام 2023م. والآن هو مدرس بالجامعة الإسلامية سنابل بنيودلهي.

المراجعة في سطور: قامت بمراجعة هذه الترجمة الدكتورة هيفاء شاكري، وهي أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة المالية الإسلامية بنيودلهي منذ عام 2011م. بدأت حياتها العملية من مدرسة أم رومان بمكة المكرمة كمدرسة للقرآن واللغة العربية منذ 1996م وعملت فيها حتى 1999م ثم عيّنت كمدرسة للغة العربية في مدرسة سفارة المملكة السعودية العربية في الهند منذ 2006م وعملت فيها حتى 2011م. خلال هذه الفترة تم اختيارها كمدرسة ضيف في قسم اللغة العربية

وآدابها بالجامعة المليية الإسلامية بنيو دلهي منذ شهر نوفمبر 2008م حتى 2011م. وبعد ذلك عُيِّنَتْ كأستاذة مساعدة في القسم. ولها عدة مؤلفات ومقالات وترجمات بما فيها: رسالتها للدكتوراه بعنوان "باحثة البادية أدبية ومصلحة لشؤون المرأة"، والتي صدرت عن روز ورد بوكس. وقد فازت الدكتورة بجائزة رئيس جمهورية الهند لخدمتها للغة العربية عام 2015م. [مقال د. أورانك زيب الأعظمي: [الدكتورة هيفاء شاكري تنال جائزة رئيس الجمهورية \(alukah.net\)](#)]

أصل الكتاب وهدفه: كتب المؤلف عدة مقالات باللغة الأردوية حول تاريخ جامعة علي كره الإسلامية، تم نشرها في المجلات والجرائد والرسائل المختلفة وخصوصاً في مجلة "تهذيب الأخلاق" (الشهرية الأردوية)، ثم حاول المؤلف مزيداً من التحسين مرتباً إياها في شكل كتاب من حيث المواد والمراجع بعد المراجعة والتدقيق، تم نشره باسم "مدرسة العلوم علي كره اور اس كے اولین نقوش".

يهدف الكتاب إلى تعريف هذه المدرسة وتاريخها، وتدشينها وأول نشاطاتها، والأفكار التعليمية لمؤسسها السير سيد أحمد خان، والخدمات الخالدة الذكر له في ترويج التعليم، والمساعي الجميلة لرفقائه المخلصين في تأسيس المدرسة.

محتويات الكتاب: يبتدئ الكتاب بالتقديم في أربع صفحات بقلم الكاتب المصري الدكتور محمد حسن الباشا، وعلى حد تعبيره: "كان ظهور السير سيد علي مسرح الأحداث في الهند خلال تلك الظروف العصيبة التي تمر بها البلاد، بمثابة نقطة تحول، لاسيما أنه كان من طليعة الشخصيات التي طوّرت وروجت التعليم خاصة التعليم المصري بالهند، حيث جعل المسلمين الهنود هدفه الخاص للسعي في هذا المضمار بكل عزيمة وهمة عالية ومثابرة دائمة". كما ركّز الدكتور على أهمية الكتاب قائلاً: "هذا المؤلف منهل عذب ومن أغنى الدراسات التاريخية والحضارية لوعائه الغزير بأوفر المعلومات وأدقها". (مدرسة العلوم بعلي كره، ص 7)

وأتبع ذلك "بين يدي الكتاب" بقلم المترجم في ثلاث صفحات ألقى فيها الضوء على تاريخ جامعة علي كره الإسلامية ومراحل تطورها من مدرسة إلى جامعة. كما ذكر خلفية ترجمة الكتاب أنه قام بنقله إلى اللغة العربية بتشجيع قوي من مشرفه الكريم الدكتور أورنك زيب الأعظمي أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة المليية الإسلامية، نيودلهي، ونشرت الترجمة في حلقات عديدة في "مجلة الهند"، وهذا أول كتاب قام بتعريبه ليستفيد منه القارئ العربي، ويطلع على ما حرر المؤلف من تاريخ وتطور هذه المدرسة العظيمة. وسماه بـ "مدرسة العلوم بعلي كره، تاريخها وأثرها في المجتمع". (المرجع نفسه، ص 10)

وإن كان هذا العنوان لا ينطبق تماماً على مواد الكتاب إذ أنه لا يلقي ضوءاً على أثر جامعة علي كره الإسلامية في المجتمع، بل يشتمل على معلومات غزيرة عن تاريخها وجهود مؤسسها ونشاطاتها في بدايتها.

ثم مقدمة الكتاب بقلم المؤلف في سبع صفحات، تطرق فيها إلى بيان خلفية تأسيس المدرسة فأوضح أنّ السير سيد روجّ التعليم ونشره، ولا سيما التعليم العصري مركزاً لمهامه في البيئات القائمة، والظروف الحرجة، وأوقف له كل شيء من أوقاته الثمينة، وقدراته العقلية، وقواه الجسدية، ووسائله الأخرى. (المرجع نفسه، ص 13) وتناول موضوع فكرة التعليم عند السير سيد وأهدافه وراء ذلك، فيقدم مقتبساً من رسالة له، جاء فيه "يجب أن تقام مدرسة واحدة على الأقل في كل مديرية تتحقق بها المقاصد والأهداف بأنواعها المختلفة، إن أراد أحد من المسلمين أن يكون عالماً ومحدثاً وفقهياً فيتيسر له فيها مجال لتحقيق آمانياته وطموحاته، وإن أراد أحد منهم أن يكون عالماً في الرياضيات فيحقق أهدافه فيها أيضاً، وإن أراد أحد منهم أن يكون ماهراً في اللغة الإنجليزية وعلومها، وأراد الحصول على المناصب الحكومية العالية فيمكن له أن يفعل، فإذا وجدت مثل هذه الفرص والمجالات فحينئذ تتوقع تربية المسلمين، ورفقيهم الديني والدنيوي". (المرجع نفسه، ص 24-25)

بعد المقدمة يشتمل الكتاب على سبعة أبواب كما يلي:

الباب الأول: تصور التعليم والتربية عند السير سيد.

الباب الثاني: أسباب اختيار مدينة علي كره لتأسيس مدرسة العلوم (من خلال كتابات السير سيد).

الباب الثالث: الجلسة الافتتاحية لمدرسة العلوم - جوانب مهمة.

الباب الرابع: الاجتماع الافتتاحي لمدرسة العلوم، وخطاب السير سيد الساحر.

الباب الخامس: أحوال مدرسة العلوم ونشاطاتها في الأشهر الستة الأولى.

الباب السادس: الشيخ محمد كريم رئيس الجلسة الافتتاحية لمدرسة العلوم.

الباب السابع: السيد سيدنس أول رئيس المدرسين لمدرسة العلوم.

وعقب ذلك ثلاثة ملاحق كالآتي:

الملحق الأول: قصائد التهنئة ومنظومات التاريخ التي تتعلق بافتتاح مدرسة العلوم. وفيه يقدم الكتاب قصائد العديد من الشعراء بمناسبة افتتاح المدرسة، بمن فيهم الشيخ ألطاف حسين الحلي، وشاه علي أحمد؛ شيخ الزاوية الشاه أبوالمعالى الأبيتي، والمنشي صفدر حسين، المشرف على محكمة الأحوال في غورخفور، والشيخ محمد هاشم من حيدرآباد. (المرجع نفسه، ص 187-194)

الملحق الثاني: قائمة بأعضاء اللجنة الإدارية والتعليمية الأوائل لمدرسة العلوم في علي كره. وجاءت فيه تفاصيل اللجان المختلفة وأسماء سبعة وخمسين عضواً لها. (المرجع نفسه، ص 195-208)

الملحق الثالث: فهرس المؤلفات عن السير سيد، ومدرسة العلوم، وأصدقاء السير سيد، وأساتذة الكلية، وذلك حسب ترتيب سنة الطباعة، وجاء فيه ذكر كتابين، وتسع وثلاثين مقالة، وكلها باللغة الأوردية، ومعظمها منشورة في مجلة "فكر ونظر"، ومجلة

"تهذيب الأخلاق" الصادرتين عن مدينة علي كره. (المرجع نفسه، ص 209-225) وفي ختام الكتاب قائمة المصادر والمراجع، والتي تحتوي على أكثر من خمسين مصدراً ومرجعاً أردوياً وعريبياً وإنكليزياً بما فيها الكتب والرسائل، والسجلات، والتقارير، والوثائق، والمقالات. وهي تشتمل على عشر صفحات.

تصور التعليم عند السير سيد: ومما لا شك فيه أنّ السير سيد أحمد خان (1817-1898م) من أعظم رجال الهند الذين تفكروا في وضع المسلمين، وسعوا لتعميم العلم الحديث فيهم. وذكر المؤلف أنّ أبرز جانب من جوانب تصورات التعليم عنده أنه ربط التعليم بهدف كبير، وهو إزالة الأزمة السياسية والاجتماعية، والحصول على التقدم الاجتماعي والثقافي. (المرجع نفسه، ص 21) وفي رأيه علاج تخلف أيّ شعب هو الاهتمام بترويج التعليم ونشره لهم، والعناية بشتى العلوم والفنون كما جاء في خطابه:

"إذا ضعفت قوة الإنسان وطاقته، واختلت عن الاعتدال والوسطية فيعاني من الأمراض العديدة والمضادة. فهذا هو حال القوم إذا لحقهم التخلف والانحلال فلا يتخلفوا عن شيء فقط، بل يتخلفوا عن كلّ شيء من الدين، والأخلاق، والتعليم، والصدق، والأمانة، والتطور، والدولة، والوقار، ويحتاج من يسعى إلى الإصلاح والمعالجة، فيعالج ماذا ويترك ماذا؟ دلّهم داغ داغ شد، پنبه کجا کجا نهم (ترجمة: ولقد امتلأ القلب بالقروح ففي أيّ مكان منه أضع الضماد) ولكن يظهر عند التأمل أنه لا يوجد له علاج إلا التعليم والتربية". (المرجع نفسه، ص 22)

موقفه من تعليم اللغة العربية: كان السير سيد مولعاً باللغة الإنكليزية ويعتبرها لغة الرقي والازدهار. ويتبرهن ذلك من اهتمامه بها في مؤسسته التعليمية، ورغم ذلك لا تقل أهمية اللغة العربية عنده، بل كان يعدّ تعليمها من ضروريات المسلمين الأساسية كما يظهر من بيانه الآتي: "ومع ذلك من الضروري أن نعرف اللغة العربية أيضاً بغض النظر أنها لغة المسلمين، وهي لغة رفيعة المستوى تستحق التقدير، ولا يمكن فصلها عن نطاق اللغات

العلمية ولا تخرج عن ضروريات المسلمين وحاجاتهم. وأيضاً يجب علينا أن نحليهم بالتعليم الديني سواء كانت بدرجات أولية أو وسطى أو عليا، لأن الإسلام هو الذي وحد بين الشعوب المختلفة، إذا لم نهتم به لضاعت قوميتنا". (المرجع نفسه، ص 26)

إنه كان يريد إنشاء مدرسة تتصف بالتركيز الخاص على اللغة الإنجليزية بصفة لغة التدريس لجميع العلوم والفنون، وتهتم بتدريسها باللغة الأوردية أيضاً حسب رغبة الدارسين، وفيها ركن خاص باللغتين العربية والفارسية وعلومهما، يدرس فيه الطلاب بعد التخرج في العلوم العصرية. (المرجع نفسه، ص 27)

انتخاب مدينة علي كره للتأسيس: يتحدث الكتاب عن أسباب اختيار مدينة علي كره لتأسيس مدرسة العلوم في ضوء كتابات السير سيد. يتضح منها أنه اهتم اهتماماً بالغاً باختيار أحسن مكان لمؤسسته التعليمية قدر المستطاع، فتشاور الناس بصفة عامة وأهل الرأي بصفة خاصة، وحاول أن يطلع على آرائهم، فقابلهم وراسلهم ولم يزل يجتهد لذلك إلى أن يقرر أن مدينة علي كره أهم مكان لتأسيس مدرسته من أجل عدة أوجه؛ بما فيها: ملائمة واعتدال الجو، ومناسبة الموقع وسهولة التنقلات من المدينة وإليها، وتواجد أهل الخير والمساعدة والمواسين المرجوون في ضواحي المدينة، وتواجد الموقع وسط المناطق المعروفة لترويج العلوم القديمة، ووقوع المدينة في المنطقة التي يتواجد فيها ناطقو اللغة الأردوية، وتواجد المكتب الرئيسي للجمعية العلمية (Scientific Society) فيها. (المرجع نفسه، ص 59-60)

من خلال دراسة الكتاب نطلع على أن جهود السير سيد في لفت انتباه الناس إلى التعليم كانت قد بدأت منذ زمن بعيد إلى أن تأسست بسعيه مدارس ابتدائية بما فيها مدرسة مرادآباد سنة 1859م، ومدرسة غازي فور سنة 1864م. (المرجع نفسه، ص 93) وتكللت جهوده بالنجاح في تأسيس في مدرسة العلوم للمسلمين، فانهقد حفل افتتاح تعليمها الابتدائي في 24 مايو 1875م، وذلك برئاسة الشيخ محمد كريم

بهادر نائب جابي الضرائب ورئيس مجلس إدارة المدرسة، في علي كره بالقصر الذي اشترته لجنة المدرسة ليكون مبنى لها. (المرجع نفسه، ص 82)

أساتذة المدرسة: من أجل تحقيق أهداف مدرسة العلوم، التزم السير سيد بتوظيف أساتذة فيها كانوا أصحاب الكفاءات العالية ومتميزين في تخصصاتهم، وعلى رأسهم السيد سيدنس، والعلامة شبلي النعماني، وجان جاكرواتي. خصّص المؤلف باباً كاملاً للسيد سيدنس، جاء فيه تفصيل خدماته للمدرسة بالإضافة إلى أوضاعها آنذاك. يذكر المؤلف أنه تخرج في جامعة أكسفورد، واشتهر عمومًا بلقب "صاحب بهادر" وعيّن رئيساً للمدرسين في مدرسة العلوم بناء على توصية من ديغتون (Deighton) عميد كلية آغره، براتب قدره 400 روبية شهرياً، وتولّى منصبه في 28 يونيو عام 1875م. وقام بمسؤوليته أحسن قيام بتوجيه لجنة الإدارة، وبمساعدة أعضاء هيئة التدريس، وكان يسعى لتطوير المدرسة بكل الطرق. وكانت نتيجة حسن تنظيمه أنه عيّن أول عميد للكلية عندما تشكلت مدرسة العلوم في الكلية بعد تأسيسها بسنتين تقريباً في يناير عام 1877م. ومن هذا المنطلق كان السيد سيدنس قد تميز تميزاً خاصاً بأنه كان أول رئيس للمدرسين في مدرسة العلوم، وأول عميد للكلية المحمدية للعلوم الشرقية (M.A.O.College). (المرجع نفسه، ص 164-165)

النظام التربوي: يناقش المؤلف مختلف مجالات الكلية بما فيها: تربية الطلاب الخلقية والثقافية، فيذكر أنّ السير سيد أحمد خان كان يهتم بتربية الطلاب مع تعليمهم اهتماماً خاصاً، وكان يعتبرهما ضرورياً لحياتهم الناجحة، فالقواعد التي وضعت لطلاب السكن آنذاك بعضها كما يلي:

- المحافظة على الصلوات الخمس.
- نظام تناول الطعام في المطعم معاً.
- يمنع الذهاب إلى غرف الآخرين من الساعة السابعة مساءً إلى الساعة السابعة صباحاً.

- عدم الخروج من حرم الكلية دون إذن خطي من مشرف السكن (ولكن يوم الجمعة كان قد استثنى إلى الساعة الثالثة من هذا النظام).
- تسجيل حضور الطلاب يومياً ثلاث مرات على الأقل في الأوقات المختلفة.
- كان يكره السير سيد انتهاك هذه الضوابط، كما يريد من جميع مسؤولي الكلية، وهيئة التدريس أن يجتهدوا في تربية الطلاب وتعزيز الانضباط فيهم. (المرجع نفسه، ص171-172)

الاهتمام بالرياضة: لا يخفى على من له إلمام بمجال التربية أنّ الرياضة لها مكانة مهمة في تنشيط الذهن وتوفير الصحة، فلذا كان السير سيد يشجع الطلاب في هذا المجال. ويتعرض المؤلف لذلك قائلاً: "وقامت الكلية المحمدية والعلوم الشرقية بالنشاطات في مضمار الرياضة والألعاب من أول دور تأسيسها، وتم افتتاح مباراة الكريكت برعاية السير سيد في شهر فبراير سنة 1878م، وعيّن أستاذ الرياضيات رام شانكارا ميشرا قائداً لفريق الكلية"... (المرجع نفسه، ص174-175) وتأسس نادي الكريكت منظماً في سنة 1881م... وكان أول قائد لنادي فريق الكريكت الذي تم تعيينه هو محمد رفيق، وانعقدت أول مباراة لفريق الكلية مع المدرسة الثانوية الحكومية في مدينة مرادآباد.

مزايا الكتاب: إنه حافل بتفاصيل وثائقية دمجها يراع المؤلف بأسلوب علمي رصين. قد اهتم المؤلف بذكر التفاصيل الدقيقة عن مدرسة العلوم فأورد سبعة أسماء للأساتذة الأوائل فيها وتاريخ تعيينهم مع ذكر رواتبهم، وألقى ضوءاً على بداية التعليم الابتدائي فيها، وتوفير التسهيلات للطلاب، وتقسيم الفصول والصفوف، وتوضيح وسيلة التعليم، وعدد الطلاب خلال السنة الأولى فيها، وأوقات الدراسة، وتنظيم السكن في المدرسة، والرقابة الدينية والأخلاقية للطلاب، ونظم المكافآت للطلاب الموهوبين والمساعدات المالية للطلاب كما ذكر عشرة أسماء للمبتكرين، ونظام المنح الدراسية للطلاب، وعددها، والمبلغ المحدد لها

وضوابط تنفيذها، وحالة الطلاب في الاختبار، والاهتمام بصحتهم.

ومما يزداد الكتاب في قيمته العلمية أن تم تأليفه باستفادة من المصادر القديمة الأساسية، وبعضها كانت متوفرة في زمن السير سيد، بما فيها: أعداد مختلفة لعلي كره انسٹی ٹیوٹ گزٹ (جريدة معهد علي كره)، ومجموعة المحاضرات المنشورة في لاهور عام 1890م، وتقارير أعضاء لجنة خزانة البضاعة لتأسيس مدرسة العلوم للمسلمين، المنعقدة في 1873م و1874م و1875م.

الخاتمة: يبدو من قراءة الكتاب أنّ المؤلف بذل قصارى جهوده في جمع المعلومات المهمة عن جامعة علي كره الإسلامية، فصار الكتاب سبباً تاريخياً لمؤسسة تعليمية عظيمة، ويزود قارئه بأدق التفاصيل عن تراث شاخ. ومن خلال دراسته يطلع القارئ على أفكار السير سيد التعليمية والتربوية وزملائه المخلصين الذين ساعدوه في تأسيس مؤسسة عليية تطورت وازدهرت إلى أن صارت أول جامعة عصرية في مدينة آكره. كما يتعرف على ميزات هذه المدينة بحيث اعتدال الجو، ومناسبة الموقع وسهولة التنقلات منها وإليها، وتواجد أهل الخير والمساعدة في ضواحيها، وتواجد الموقع وسط المناطق المعروفة لترويج العلوم والمعارف. ولا شك أنّ البروفيسور ظفر الإسلام الإصلاحي قدّم بهذا التأليف إضافة قيمة إلى المكتبة العلمية والثقافية. ونظراً لأهميته قام الدكتور شفاء الرحمن المدني بنقله من اللغة الأوردية إلى اللغة العربية الفصحى، فتوسع نطاق نفع الكتاب من الشعب الهندي إلى المجتمع العالمي، وأصبح مفيداً أكثر مما كان قبل.

نهى المترجم الفاضل على هذا الإنجاز العلمي، ونرجو أن ينال الكتاب قبولاً وإعجاباً لدى الأوساط العلمية والأكاديمية، وندعو الله العليّ القدير أن يوفق المترجم مزيداً من خدمة لغة القرآن والسنة، ولغة الحضارة والعلوم، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

مقالات الأستاذ بدر الدين الحافظ

جمع وتقديم: د. محمد شفاء الرحمن المدني¹

[هو بدر الدين الحافظ بن قر الدين بن شمس الدين، ولد في 1935م بمدينة "كسولي"، مديرية "أنباله"، ولاية بنجاب (هماجل برديش حالياً)، بدأ بقراءة القرآن الكريم في المسجد الذي يقع في مدينة "كسولي" على يدي المقرئ الحافظ فتح إمام المسجد، وتعلّم اللغة الأردية وقرأ سلسلة القصص القرآنية باللغة الأردية فأثرت هذه الكتب في شخصيته. ثم التحق بالمدرسة القاسمية بمدينة مرادآباد، وأكمل فيها حفظ القرآن الكريم في عام 1947م. ثم التحق بالجامعة المليّة الإسلامية، ودرس هناك الابتدائية والثانوية إلى أن حصل على درجة البكالوريوس منها في اللغة العربية. وكذلك حصل على الماجستير في نفس اللغة من جامعة علي كره الإسلامية، والدكتوراه من جامعة دلهي. وفي الفترة من 1956م إلى 1992م قام بتدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية في مدرسة الجامعة المليّة الإسلامية وفي قسمها للغة العربية. وفي وقت لاحق عُيّن أستاذاً في قسم اللغة العربية بجامعة بنارس الهندوسية (ولاية أوتارا براديش)، وتقاعد كرئيس القسم في عام 1995م. ثم أصبح مدرساً خفياً في معهد التخصص في اللغة العربية بذاكر نغر (نيو دلهي). وكان قد برع في كلّ من اللغة الأردية والفارسية والعربية. وفي أغسطس 1996م، منحته حكومة الهند وسام رئيس الجمهورية المرموق على خدماته للغة العربية. توفي البروفيسور بدر الدين في 3 يناير 2024م. له مؤلفات عديدة كلّها باللغة الأردية، ومنها: إسلامي معلومات (أربعة أجزاء، 1968-1972م) وچند مصري ناول اور افسانہ (1987م) وتوفيق الحكيم (1988م) ونجيب محفوظ اپنی نگارشات کی آئینہ مین (1989م) وصديق أكبر (1998م)، وكذا له ترجمات أردوية لـ"عبقريّة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ" و"عبقريّة عمر رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ" و"عبقريّة عثمان رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ" و"عبقريّة علي رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ" و"عبقريّة عائشة رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا" كما له سيرة ذاتية بعنوان "يادوں کی نگري" طبعت في 2003م.

¹ مدرّس الجامعة الإسلامية سنابل، نيودلهي

وإذ لم يؤلف كتاباً بالعربية كما لم يكتب مقالات بها إلا قليلاً نادراً فوددنا أن ننشر في هذا العدد للمجلة بعض مقالاته العربية الثلاث التي كتبها بمختلف المناسبات ومن ثم نُشرت في مختلف المجموعات والمجلات وذلك ليعرف القارئ مدى قدرته على الكتابة بالعربية. وأما أسلوبه الأردوي فيكفينا مقتبس تالٍ من سيرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (ص 8):

"عربوں کی نگاہ عورت کی طرف بس ایسی ہی تھی جسے ایک فطری اور سرسری نگاہ کھا جائے اور اس سرسری نگاہ سے ہماری مراد یہ ہے کہ جس میں شرعی حدود یا پابندی کا اندرونی احساس کارفرمانہ تھا، ہاں اتنی بات ضرور ہے کہ اس میں وقت اور سماج سے ہم آہنگی تھی جس میں بوقت ضرورت تبدیلی بھی ہوتی رہی۔ اسی لئے عربوں نے جاہلیت کے پہلے دور میں کبھی بھی عورت کو ملعون نہیں قرار دیا کیونکہ یہ جو سلسلہ قرون اولیٰ سے شروع ہوا اور بڑھتا ہوا قرون وسطیٰ تک پہنچا اسے آدم و حوا کی اس خطا کا خمیازہ کہا جاتا ہے"۔

المقالة الأولى¹

الخط العربي وتاريخه

إنّ السؤال الأول في هذا المجال هو بداية الخط العربي وتطورها عبر العصور فلا نجد جوابه في القرون الأولى باليقين بتحديد الوقت والزمن إلا ما اعتمدت المصادر العربية عليها هي أنّ أصل الحرف العربي يرجع إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لقوله تعالى: "وَعَلَّمَ آدَمَ

¹ المراجع المذكورة في نهاية هذه المقالة هي:

- 1- إبراهيم ضمرة: الخط العربي جذوره وتطوره، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط3، 1988م
- 2- الشيخ أحمد الإسكندري والشيخ مصطفى عناني: الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، دار المعارف، مصر، ط16
- 3- الدكتور خالد حامدي: عربي زبان وأدب، إيك تاريخي مطالعة، إدارة شهادت حق، جامعة ناغار، نيو دہی، 1986م.
- 4- المولوی احترام الدین أحمد شاغل عثمانی: صحیفہ خوشنویسان، ترقی اردو بیورو، نیو دہی، 1987م.

الْأَسْمَاءُ كُلُّهَا"¹ وهكذا يقول ابن النديم في المقالة الأولى لفهرسته أَنَّ الخط العربي أمر توقيني من الله عَزَّوَجَلَّ، عرفه آدم قبل موته بثلاثمائة سنة وكتبه على الطوب ثم أطبخه في النار ودفنه وبعده لما كان ما أصاب الأرض من طوفان نوح عَلَيْهِ السَّلَام ونجاة عدد من الرجال وجد كل قوم هذه النقوش على الطوب المدفونة وقرروها رسماً للخط العربي. وكان إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَام قد وجد كتاب العرب أو النحت العربي والذي يعتبر أبو العرب المستعربة التي منها قریش وهو أول من تكلم بالعربية. وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: أول من خطَّ بالقلم بعد آدم عَلَيْهِ السَّلَام هو إدريس عَلَيْهِ السَّلَام، نجد تأييد هذا القول من أرزنك جين كما ذكره المولى احترام الدين في كتابه "صحيفه خوشنویسان".

وهناك من الروايات ما يشير إلى أصل الهجاء في حروف اللغة العربية، وأخذه عن الخط السرياني وهذا ما يؤكده البلاذري (م279هـ) الذي يروي عن ابن عباس قوله عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن الشرقي القطامي أَنَّ ثلاثة من طي اجتمعوا في بقعة وهم مرارة بن مرة، وأسلم بن سدره، وعامر بن جدرة قاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية فتعلم قوم من أهل الأنبار، ثم تعلم عن هؤلاء نفر من أهل الحيرة وكان بشير بن عبد الملك الكندي يأتي الحيرة فتعلم الخط العربي من أهلها ثم أتى إلى مكة في بعض شأنه قرأه سفيان بن أمية، وأبو قيس بن عبد مناف يكتب فسألاه أن يعلمهما الهجاء ثم أتى بشير، وأبو قيس الطائف في تجارة يصحبهما غيلان بن سلمة الثقافي فقد تعلم الخط منهما، وتعلم الخط عنه نفر منهم ثم رحل إلى الشام فتعلم الخط أناس منهم هناك. وكان ممن تعلم من بشير بن عبد الملك الكندي من الرجال عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، ومعاوية بن أبي سفيان، وتعلمت من النساء الشفاء بنت عبد الله العدوية وهي

¹ سورة البقرة: 31.

التي علّمت حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين بأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهناك رواية أكثر جمعاً لحروف العربية، تقول إنّ أوّل مَنْ اقترح وألّف بين حروف الخط العربي ستة أشخاص من طسم في جزيرة العرب كانوا نزلاء عند عدنان بن آذر، وكانت أسمائهم (أبجد هوز حطي، كلهن، سعنص، قرشت)، فوضعوا الكتابة والخط على أسمائهم، فلما وجدوا في الألفاظ حروفاً ليست من أسمائهم ألحقوها بها، وسمّوها الروادف وهي (ث خ ذ ض ظ غ) وكانوا من رؤساء قبيلتهم ماتوا في عبد نبينا شعيب عَلَيْهِ السَّلَام، ثم انتقل عنهم إلى الأنبار (أي العراق) واتصل بأهل الجزيرة ونشأ في العرب ولم ينتشر كل الانتشار.

وأضاف بعض الرواة أنّ أولاد إسماعيل نفسياً ونظراً وتيماء ودومة ووضعوا كتاباً واحداً وجعلوا سطرّاً واحداً موصول الردف كلها غير متفرق، ثم فرقه نبت وهم يسع وقبذار وجعلوا الأشباه والنظائر، وتوجد هذه الروايات في مصدر أردني. هذه أشهر الروايات التي تناولت بداية الخط العربي لكن يجد الاختلاف واضحاً للتعريف بعدد أحرف اللغة العربية ومعرفة أصل الفصل والوصول بينهما. إلا أنّ هناك رأياً آخر أظنه أكثر واقعية، وهو أنّ الخطوط في الدنيا كانت تحتوي على أربعة فروع، وهي الأمهات لهذه الأصناف المختلفة من الحروف في العالم كما تأتي أدناه:

الأول- الخط المسماري- المستعمل في بابل وآشور وما حولها.

الثاني- الخط الحيثي- المستعمل في الشام وانقرض كلاهما؛ لأنّ خطأ آخر حلّ محلّهما لكونه أسهل استعمالاً وأكثر واقعية.

الثالث- الخط الصيني- وهو الخط المستعمل في جنوب شرقي آسيا، وقد تفرّع منه أنواع مختلفة مازالت مستعملة إلى العصر الحاضر.

الرابع- الخط المصري- وهو الخط الذي انتشر في البلدان المجاورة نتيجة اختلاط

الأمم بالحضارة المصرية، ومن فروعه الخط الفينقي الأكثر سهولة، والأوسع انتشاراً في آسيا، وأفريقيا، وأوروبا، والخط المصري هو الخط الذي يهمننا من بين الفروع الأربعة تلك. وقد اعتبره حفني بك ناصيف أول حلقة من

سلسلة الخط العربي، وقسمه إلى ثلاثة أنواع:

- (1) الخط المصري- (هير وغليف) وهو الذي كان خاصاً بالكهان وخدمة الدين ولا يعرفه غيرهم، وأطلق عليه الباحثون اسم (الاندورا).
- (2) خط الخاصة- وأطلق عليه اسم (هير أطيقي) وخط عمال الدواوين وكُتاب الدولة.
- (3) خط العامة- ويسمى (ديموطيقي) وخط الكتّاب من الشعب، وهو أبسط الأصناف الثلاثة.

والحلقة الثانية من سلسلة الخط العربي الفينقي نسبة إلى فينيقيا، وهي أرض كنعان بمحاذاة لبنان، وكما هو معروف عن اشتغال الفينقيين بالتجارة بالأمم المجاورة، وكان نتيجة مخالطتهم للمصريين أن تعلموا حروف كتاباتهم، ثم وضعوا لأنفسهم حروفاً خالية من التعقيد لاستعمالها في المراسلات التجارية، وقد أخذوا من حروف المصريين خمسة عشر حرفاً مع تعديل قليل. وقد أثبت ذلك الأثري الشهير ماسبر، وفي كتابه "تاريخ المشرق" وأضاف الكنعانيون باقي الحروف فكونوا كتابة سهلة اشتهرت بوساطتهم في آسيا، وأوروبا ووضعوا للحروف أسماء تشبه مسمياتها الأصلية فوصلت عن طريق التجارة إلى ممالك اليمن والآراميين في الجنوب والشمال من الجزيرة العربية.

هذه أشهر الروايات التي تناولت بداية الخط العربي والتي تنوعت في مصادرها المختلفة.

الكتابة عبر العصور: مرّت الكتابة منذ أقدم العصور في أطوار متدرجة غير أنه ليس باستطاعة أحد من الناس أن يتعرف على أول من بدأ بالخط أو الصورة التي تمت بها الكتابة. وبعد دراسة الآثار التي عثر عليها المنقبون وجد أنّ الكتابة تطوّرت بمرّ أطوار

مختلفة متدرجة عبر عصور موعلة في القدم، وكان تطور الكتابة في عدة مراحل هي على النحو التالي:

- 1- الطور الصوري: وهذا الطور يعتبر أول المراحل الذي شهد رسم الأفكار خارج إطار الدماغ، حيث التعبير عن الأفكار بالصور.
 - 2- الطور الرمزي: وهو طور متطور حيث أصبح المرء يعبر عن معانٍ مختلفة من خلال الصور مثلاً وضع اليد في الفم لإظهار الجوع، أو رسم الشمس للنهار وبذلك أصلح على هذه الصور بهذه الرسوم المختلفة فأصبحت رمزاً لهذه المعاني كما نرى اليوم.
 - 3- الطور الصوتي: في هذا الطور تقدم الإنسان حيث لجأ الكاتب إلى استخدام صور الأشياء يتألف منها هجاء الصوت الأول لاسم الصورة ولفظها. أي أنّ صورة الكلب ترمز إلى حرف الكاف، وصورة الغزال ترمز إلى حرف الغين على نحو ما يقرأ الصغار اليوم في المدارس، أ للأسد، وب للبقرة.
- وهكذا كانت هذه الاطوار نتيجة طبيعية لتقدم الحضارات واتساع المعارف فأصبحت حاجة الناس ماسة إلى تعبير نظام الكتابة وابتكار علامات جديدة تساعد على اكتساب المكتسبات الجديدة، وأول من حاولوا ابتداع مثل هذه العلامات هم السومريون.
- ولعل أقدم أنواع الخطوط وجوداً على هذه البسيطة، والتي لم يصل الإنسان بعد إلى معرفة أسبقها تعود إلى أنواع أربعة عشر عليها العلماء مؤرخة للحضارات مدونة لوجود الإنسان وتاريخ حياته. والأنواع الأربعة ذكرناها آنفاً وهي:

- 1- الخط المسماري
- 2- الخط الحيثي
- 3- الخط الصيني
- 4- الخط الهير وغيلفي

غير أنّ الخط الذي يهمنّا في هذا البحث والذي يعتبر الجذر الأول للخط العربي ورسم حروفه المتدرجة عنه هو الخط الهير وغليني المصري بأنواعه الثلاثة التي مر ذكرها وهذه الأنواع من الهير وغليني المصري تعتبر البداية الحقيقية لجذر الخط العربي، وأول حلقة من سلسلة وجوده وتدوينه.

ولطرق الخط يقال أنّ المصريين اخترعوا علامات عديدة لإظهار أفكارهم قبل خمسة عشر ألف قرن من ميلاد المسيح بخط صوري من الإنسان والحيوان مثلاً لإظهار الحب حاماً، وللعداوة حية، وللحرب أسد، وللصلح شاةً وغزاةً، وللسرور رجلاً راقصاً، أو امرأة مطربة، وللجاسوسية ذئباً وأخذوا للقلم سيفاً صغيراً، وللقرباس حجراً وهكذا صور أخرى أخذت لإظهار الحاجات التجارية والحربية، ومازالت هذه الطريقة عبر القرون بين أهالي مصر وآسيا حتى سُمّي واشتهر هذا الخط باسم هير وغليني. وتطورت هذه الأشكال حتى سُمّيت بأسماء عديدة وهي: هير وتيتي، فينيقي آرامي، سطرنجي ونبطي.

والمهم أنه أصبح للعرب خط يكتبون به وإن تعددت الطرق، وانتقل الخط إلى الحجاز عن طريق الرحلات التجارية التي كان يقوم بها قريش إلى الشمال والجنوب. والمصادر القديمة تؤكد أنّ خط عرب الشمال خلاصته ما انتهى إليه الخط النبطي من تطورات رحل رحلته الأخيرة إلى الحجاز في خواتيم القرن السادس الميلادي، وهو القرن الذي نجد صورة الخط على ما نراه في هذه النقوش جميعاً وما كتب بعده مما وصل إلينا من أوراق البردي وما تؤيده رواية ابن النديم بقوله "إنّ خط المدينة كان أنواعاً المدور والمثلث والتم الذي جمع بين النوعين، فالعرب في جاهليتهم كانوا يكتبون ثلاثة قرون على الأقل قبل الإسلام وقد أصبحت معرفة الجاهلية بالكتابة معرفة قديمة أمراً يقينياً.

وهكذا فقد لازمت الكتابة الإسلام منذ فجر الدعوة الإسلامية بكتابة ما نزل من

آيات الذكر الحكيم وما بعث به الرسول الكريم من رسائل إلى ملوك ورؤساء الأمم المجاورة والفاظ المتمعن في رسائل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجد رسم الحروف العربية واضحاً يئناً له هويته الخاصة الواضحة من ترتيب أسطر الرسالة وحروفها.

وذكر المسعودي أنّ زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يكتب إلى الملوك ويجب بحضرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان يترجم للنبي بالفارسية، والرومية، والقبطية، والحبشية، وتعلم ذلك بالمدينة عن أهل الألسنة وأنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل زيدا أتحسن السريانية فإنها تأتيني كتب؟ قلت لا، قال فتعلمها. قال زيد فتعلمتها في تسعة عشر يوماً.

وإذا علمنا كتابة الوحي الكرام الذين كانوا يكتبون بين يدي الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغ عددهم أكثر من أربعين رجلاً. عرفنا أنّ العرب لم يكونوا غافلين في مكة والمدينة خاصة عن تعلم الكتابة وممارستها والعمل بها.

ويبدو التطور الذي طرأ على الخط العربي واضحاً من عصر صدر الإسلام إلى العصر الأموي، وهذا يظهر من خلال التجويد في كتابة القرآن الكريم فصبّ الكتاب كل ملكاتهم على الخط الكوفي الذي وصل بأنواعه إلى ما يقرب من سبعين نوعاً وكانت المدن تتنافس في الإبداع حتى سميت أنواع الخطوط التي تعنى به فهناك الحيري والكوفي والعصيري والواسطي والمدني والمكي والقرطاجي والقيرواني، لا أعرف ما هو المستعمل الآن وما هو المتروك منها.

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يطلب من كتابة الوحي أن يكتبوا الآيات فهم يكتبون بالخط المكي أو الحيري، وكذلك في الرسائل ترسل إلى رؤساء وملوك الدول من قبل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك العهد. وإنّ إهمال النقطة كان أمراً شائعاً في الكتابة في العهد الجاهلي والعهد الإسلامي قرونًا متوالية. ولقد عدّ بعضهم

الأعجام والتنقيط لا يليق في الكتب والرسائل لأنه يدل على أنّ الكاتب يشوهم فيمن يكتب إليه الجهل وسوء الفهم لكن لما انتشر الإسلام إلى العجم واعتنق العجميون الإسلام الذين لا يعرفون العربية أحس أبو الأسود الدؤلي الأديب الشهير والتلميذ الخاص لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الغلط الفاحش في تلاوة القرآن الكريم لبعض العجميين فأراد أن يقرر العلامات لألفاظ القرآن الكريم، وكانت تلك العلامات المنقوطة للصوت الإعرابي لا لتمييز الحروف. وجرى هذا العمل بعد خمسين سنة من الهجرة، ولم يزل حتى القرن الأول، وقيل إنّ الحجاج بن يوسف اقترح العلامات الإعرابية أو أضاف على العلامات المنقوطة الموجودة من قبل. ومن أهم ما اخترعه دماغ الإنسان هو الحاسب الآلي الذي أصبح دماً سائلاً في شرايين الدول لتنميتها العلمية والاقتصادية والثقافية فقد بلغ أكثر من ثلاثمئة خط من الخطوط العربية تستعملها البلدان العربية. لطباعة الصحف والجرائد، ولكنها معظمها تعتبر رسماً وليس خطأ. فيما يلي بعض نماذج أهم الخطوط المستعملة في هذه الأيام¹.

الخط الكوفي	بسم الله الرحمن الرحيم
خط الثلث	بسم الله الرحمن الرحيم
خط النسخ	بسم الله الرحمن الرحيم
خط الأندلس	بسم الله الرحمن الرحيم
خط الرقعة	بسم الله الرحمن الرحيم
خط الديواني	بسم الله الرحمن الرحيم
خط التعليق	بسم الله الرحمن الرحيم

¹ مع الشكر لمجلة المجمع العلمي الهندي (عدد 2001-2002م للمجلد الثاني والعشرين)، ص 17-22

الإنسانية عند معروف الرصافي

ما هو مفهوم الإنسانية وتكريم البشرية وتفضيلها بين سائر خلق الله عزَّوجلَّ؟ هذا هو السؤال الأول الذي يأتي أمامنا حينما نأخذ في اعتباراتنا أفكار أدباء الألسنة وزعماء الأمم حول هذا الموضوع ونتفكر فيها، فبكوننا مسلمين نجد هذا الإعلان في القرآن الكريم منذ أكثر من أربع عشرة مئة سنة كما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾¹ وكما جاء "أن الإنسان خليفة الله في الأرض"، وكذا عندما نتوقف لحظة على خطبة "حجة الوداع" من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنجد قوله عَلَيْهِ السَّلَام: "لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى".² فهذا هو نداء الإسلام الذي يدل على كل ما يقترب في أذهاننا من سمو بالحياة البشرية، وهذا هو إعلان شامل يزيد الإنسان وخاصة المسلمين كرامةً وفضلاً اجتماعياً وعقلياً وروحياً؛ لأنَّ الإسلام لما جاء كان الاسترقاق راسخاً ومتأصلاً في جميع الأمم، فدعا إلى تحرير العبيد وتخليصهم من ذل الرق والهوان.

لكن عبر العصور لما كثرت أغراض السلطة وأهداف السياسة رغم أحكام الإسلام راحت الإنسانية ضحايا مطامع السلاطين والجبابرة والأغنياء والمستبدين فتراهم يكثر من إضرار الإنسانية بأشكال مختلفة؛ وذلك لأنَّ قوافلها ضلَّت طريقها فاضطرت إلى دفع ثمن هذا الضلال بنحر أبنائها على مذبح الحروب، وسفك دماءهم.

¹ سورة الإسراء: 70.

² أخرجه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني في مسنده، مؤسسة قرطبة، القاهرة، مصر، 411/5، رقم (23536).

ومما نجد في أنفس بعض الزعماء في بلاد كبيرة من نزعات الأنانية ما يغرى بعض الأمم أن تكون لها بقاع الأرض من دون أخواتها وجيرانها، فهذه فكرة باطلة لا تلائم بقاء الإنسانية، بل يجب أن يكون هناك ارتباط بالحقيقة الملموسة وتقصد بها فكرة الرحمة بالضعيف ومؤساة العاجز الفقير ورفع مستوى الضعفاء بالأمراء.

فهذه هي الفكرة التي تثير كل من يحملها على محاولة تنمية الحياة البشرية فيريدون أن يعمّ الناس اتجاه دفع الضرر عن الإنسانية، وأن يتعاطفوا فيما بينهم تعاطف الأخ مع أخيه وأن يحدثوا الوحدة في صفوفهم كجسد واحد حتى يتألم الكل عندما يرون الآخر متألماً وأن يتنافسوا في إحقاق التعاون بين البعض والآخر.

أما الشعراء الذين عاشوا قبل العصر الحديث لا يحملون هذه الفكرة، بل كانوا يتفكرون في أنفسهم ويقرضون الشعر بشأنهم وبشأن الطبقة العليا من الحكام والأمراء، ويمدحونهم عبر قصائدهم ليكسبوا من الرزق ما يفي بأغراضهم من المآكل والملابس وما إلى ذلك، ولكن اعتداء القوى الاستعمارية تسبّب في تحول تلك النزعات والفكرات إلى الأخرى في العصر الحديث حيث أصبح الشعراء يدرسون شؤون الشعب، ويتأملون طرق تقديمه وتنميته، ويصوغون الشعر حول المواضيع المرتبطة بالأوضاع العامة، ومن جهة أخرى يرفعون أصواتهم ضد الاستعمار الجائر. وبدأت أقدارهم تنهمر بدموع الطبقة التي تعيش عيشة فقر، وكّد وبؤس لينجحوا في جذب انتباه أولي الأمر والأغنياء إلى الفقراء والبائسين من خلال أبياتهم، فن شعراء العصر الحديث الذين فضّلوا هذه الفكرة وأدوا خدمة الإنسانية كان الشاعر العراقي معروف الرصافي.

والآن سؤال آخر من أن شاعرنا معروف الرصافي لماذا لجأ إلى هذه الفكرة وإلى الكتابة حول موضوع الإنسانية؟ لما شهد العالم الحربين العظيمتين الأولى والثانية، وواجهت الشعوب البريئة في كل مكان عواقبها الخطيرة فتأثر بذلك كل من كان له شعور من الشعراء والأدباء في مصر، وسوريا، والعراق وغير ذلك، وتألموا

واضطربوا وأدمعت عيونهم دماً تحول إلى نظم ونثر فانطبعت صورة ذلك الدمار الشامل والتداعيات المترتبة عليه، والفكرات الناتجة عنه على أذهان الأدباء والشعراء المهجريين كما عكس الروائيون المصريون صورة باهرة لتلك الحروب والأوضاع التي تابعتها وأثرها في رواياتهم، فباقي قلب الشاعر العراقي معروف الرصافي إلا وتأثر بذلك تأثراً بالغاً، وشاهد الشعب يبكي ويتعرض له الذل والهوان فسأهمه في همومه وأحزانه وبكاء معه.

وكان شاعرنا الرصافي حساساً شديداً الحساسية، رقيق الشعور فكاد لا يترك منظراً مؤثراً منكوداً أو منكوباً إلا رسمه بقلبه رسماً حزيناً يبعث الشجا والأسى في النفس، وكان يعرف كيف يصف ما انطوى عليه قلب المكروب من أفكار وآلام، كما يعرض الشاعر إحساسه في قصيدة الأرملة المرضعة من خير الأدلة:

لقيتها ليتني ما كنت ألقاها تمشى وقد أثقل الإملاق ممشاها
أتوا بها رثة والرجل حافية والدمع تذرفه في الخد عيناها
بكت من الفقر فاحمرت مدامعها واصفر كالورس من جوع محياها
مات الذي كان يحميها ويسعدها فالدهر من بعده بالفقر أشقاها
ك تمشى وتحمل باليسرى وليدتها حملا على الصدر مدعوماً بيناها
تقول يارب لا تترك بلا لبن هذى الرضاعة وارحمي وإياها¹
وحين ننظر شاعرنا الرصافي في أفكاره تفصيلاً نجد لها ماثلة من جوانب عديدة حيث يدعو دعوة واسعة إلى التعاطف الإنساني والبر بالفقراء والمعوزين، وأيضاً فإنه يدعو إلى التخلي عن كل ما يشين أخلاق قومه وعقوله، ولأجل ذلك يشير دائماً بالعلم وإنشاء المعاهد والمدارس ويدعو إلى إعطاء المرأة حقوقها، فهو يريد أن يزيل كل

¹ ديوان الرصافي، ص 208.

الحواجز التي تعوق شعبه عن النهوض والوقوف على قدميه بين شعوب العالم. وإن الرصافي لا يعيش لنفسه، وإنما يعيش لموطنه، وقد يمتدّ بصره إلى مثل عليا فيعيش للإنسانية كلها، ويلحق بحيط أوسع يتصل فيه بالناس ممن حوله وممن بعيدون عنه، كما يرى أنّ الحياة ليست شيئاً بدون الحرية الكريمة، فيقول:

إذا لم يعيش حراً بموطنه الفتى نسّم الفتى ميتاً وموطنه قبراً
أحريتني أني اتخذتك قبلة أوجه وجهي كلّ يوم لها عشر¹
وما كان شيء يؤذي نفس الرصافي مثل الفقر والعوز، وأن يشبع الغني، ويلبس
الاستبرق والحريز، ويجوع الفقير، ويعرى وإن لبس لم يلبس إلا ثوباً خلقاً ممزقاً،
وما شبع الغني وثيابه إلا في عرق الفقير ومن جهده وكده وكفاحه، يقول:

أرى كلّ ذي فقر لدى كلّ ذي غنى أجيراً له مستخدماً في عقاره
ولم يعطه إلا اليسير وإنما على كده قامت صروح يساره²
وكثيراً ما اقترن الفقر في ذهن الرصافي بالسقام والأمراض، وهو يرى الأول سبباً
للثاني مؤهلاً له، معداً للنزول في أوصابه وأوجاعه، وقصيدته "الفقر والسقام" من أروع
الأمثلة، وفيها يحكي قصة رجلٍ مُعسرٍ يسمّى بشيراً يعمل أجيراً، ويكسب لنفسه قوتاً
يسيراً، شاكراً لربه، راجياً حسن المآب. يقول الرصافي موجهاً إلى الأغنياء:

أيها الأغنياء كم قد ظلمتم نعم الله حيث ما إن رحمتم
سهر البائسون جوعاً وغمم بهناء من بعد ما قد طعمتم
من طعام منوع وشراب

كم بذلتم أموالكم في الملاهي وركبتم بها متون السفاه

¹ المصدر نفسه، ص 52.

² المصدر نفسه، ص 37.

وبخلتم منها بحق الإله أيها المؤسسون بعض انتباه
أفتدرون أنكم في تباب¹

قصارى القول أنّ الرصافي درس أوضاع عصره، وشعر بأنه لا يمكن إصلاح المجتمع، ولا يزال اتجاه عدم العدالة سيبقى حتى يسترعى الشعب عناياته إلى التعليم والثقافة، ويتزع بذور الكراهية التي يزرعها اللون والنسب والدين، وينتهي استغلال الأغنياء الشعب البائس الفقير، وتتطوي قلوبهم على إلفه وودّه.
فهذه هي الأفكار التي تترشح من أبيات الرصافي كان يودّ أن يتم تعميمها وتطبيقها في المجتمعات كلها.²

المقالة الثالثة

المرأة في يقظة الفكر

الهجوم الذي قام به نابليون على مصر، والاحتلال الإنجليزي تركا أثراً كبيراً في حضارة مصر القديمة وشؤونها الاجتماعية وفي اللغة العربية على وجه الأخص، كما أنّ تواجد الفرنسيين والإنجليز في الأرض العربية وتعاملهم مع الشعب العربي أبعده إلى حد كبير عن القيم والحضارة والثقافة المتوارثة.

غير أنّ العواقب التي نتجت عن الحربين العالميتين الأولى والثانية كانت وخيمة جداً فأقضت مضاجع الشعراء العرب، ورجال الصحافة، والكّتاب على حد سواء، كما أثارت فيهم حماسة عواطف الود عن الوطن والشعور باندراس اللغة والحضارة

¹ المصدر نفسه، ص 102.

² مع الشكر لـ "النزعات الجديد في الشعر العربي الحديث" (مجموعة مقالات الندوة القومية التي عقدها قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة علي كره الإسلامية، علي كره، في 11-12، مارس، 2004م)، ص 34-39

وأذكت فيهم روح المكافأة والمقابلة. يمكن العثور على أمثلة ذلك من خلال النظم والنثر الذي تم قرضه أو كتابته في ذلك الحين.

فأقدم هنا الأديب الأريب الأستاذ توفيق الحكيم ككاتب وصحافي، وأعرض عليكم عدة نماذج مقتبسة من كتابه "يقظة الفكر" الذي ألفه عام 1946م عقب الحرب العالمية الثانية، فالنماذج تتركز على إصلاح اللغة وترشيد المجتمع. إليكم موضوع من كتابه سماه بالممسوخات، فيكتب فيه:

"سمعت ذات يوم سيدة مصرية تأمر طفلها بتحية رجل من الأسرة قائلة: سلم على أونكل" ثم استرسلت في الحديث قائلة: "تانت روحية مسافرة يوم السبت.

فعجبت لذلك وقلت في نفسي، "أونكل" كلمة إنجليزية معناها "عمي" و "تانت" كلمة فرنسية معناها "عمتي" والعم والعمة كلمتان موجودتان في لغتنا العربية والحمد لله. فما هي ضرورة الاستعارة والاقتراض؟ وما هو الداعي إلى الشحاذة والسؤال؟ حتى يوم يغنيننا الله عن لغة أجنبية نأبى إلا أن نمدّ لها يد الذل. لماذا نتمسح بكل ما هو أجنبي دون أن نشعر بخجل أو إذلال.

تحدثت بعد ذلك إلى صديق فقال: ليت الأمر اقتصر على ما ذكرت، هنالك نوع من السيدات المصريات والفتيات، نصف حديثن فيما بينهن بالفرنسية أو الإنجليزية بلا ضرورة ولا مقتضى، سوى ما قام في ذهنهن من وهم بأنّ هذا دليل المرأة الراقية. يا للعجب! أما زالت في بلادنا هذه العقلية؟ دليل المرأة الراقية أن تلوك في فمها بضعة ألفاظ أجنبية بلا داع.

ألم ينبه أحدٌ بعدُ سيّداتنا وفتياتنا إلى أنّ هذا بالذات دليل المرأة التافهة، فهي التي في حاجة إلى مساحيق الكلمات الأفرنجية السطحية تلتطخ بها حديثاً لتخفي تفاهة شخصيتها؟ أيتها المصرية اعلمي أنّ الزمن قد تغير... ذلك الزمن الذي كنا نشعر فيه أننا ديدان وأنّ الأجانب هم الناس يوم كنا ننظر إلى كل ما يصدر عنا كأنه الحطة

والابتدال.... حتى مزاينا التاريخية التقليدية كنا نستهن بها، وحتى مبادئه ومفاسده التي ينجل منها كما نحن نحترمها ونكبر من شأنها. كان يكفي أن يهبط بلادنا أفاق ذو لكنة أفرنجية، لتفتح له أبواب الرزق والتقدير والتبجيل. ما من أمة في الدهر فعلت فعلنا: وضعت باختيارها على ظهورها البرادع ليمتطيها كل من يحمل جواز سفر أجنبياً! الآن ونحن نريد أن نطرح من فوق ظهورنا البرادع، وأن تظهر أرضنا من الاحتلال الأجنبي، وأن تظهر للعالم أنّ لنا شخصية وقومية، يجب على المرأة المصرية أن تفهم أنّ عليها في ذلك واجباً لا بد أن تؤديه: يجب أن تكون لها هي شخصية وقومية حتى يكون لأطفالها وهم مصر الغد شخصيتهم وقوميتهم، احترمي أيتها المرأة بلادك، وأنشي أولادك على احترام لغة بلادهم".

على ذلك فإنّ الأمر لا يتعلق باللغة الأجنبية فقط وإنما أصبحت ملابسنا وماكلنا تمثل الأجانب. وأما نحن فنرسل أطفالنا وأولادنا إلى مطاعمهم، ونذهب بأنفسنا إليها ونحب أن تناول فيها الأطعمة الأجنبية فالبوادر تشير إلى أنّ لغتنا وحضارتنا وتاريخنا لن تبقى وسن فقد وسوف ننسى كل ما لدينا من احترام أرضنا ووطننا الغالي بسبب التأثير السريع بالأجانب إلا أنّ المعالجة تتوقف على يقظة المرأة المصرية وعقليتها؛ لأنّ "عقلية الأم توحد عقلية الأمة".

بعد ذلك كتب المؤلف مقالاً وجيزاً بعنوان "المرأة بعد 2000م سنة" واستعرض فيه تقدّم المرأة قرناً بعد قرن بحيث أنّ المرأة ستنال المساواة بالرجل في كل المجالات إلا أنها تدخل بالتالي في زمن تظهر فيها آنذاك عواطف المرأة ويزداد الحنين إلى الحياة المنزلية فتعود إلى منهجها السابق. في هذا المقال ينقد المصنف تقدّم المرأة الحالي، ورغبتها في المساواة بالرجل ويعقب عليه بالأدلة والبراهين، فيقول:

"حاولت ذات مرة أن أدرك من خلال النجوم ما أحرزته المرأة من تطور ونهضة وألقيت عليها نظرة دقيقة عميقة ففهمت أنّ المرأة تتساوى الرجل عام 2000م في جميع

الحقوق سواء كانت سياسية أو اجتماعية وتشغل مناصب كلها من رئاسة الوزراء، والوزارات الأخرى وتظفر بمرتبة الرئاسة في كافة الأحزاب.

في سنة 2100م، تعين المرأة قاضية في المحاكم العليا لاستيفاء حقوقها، وتوَلَّى مناصب عالية أخرى.

في سنة 2200م، تتقلب المرأة في مراتب مختلفة وتحتلّ المراكز العليا في القوات البرية والبحرية والجوية وتستخدم جميع الأنواع من الأسلحة الحربية وتقود الطائرة وتستطيع أن تطلق القنابل والصواريخ.

في سنة 2400م تحي الفروق تماماً بين الرجال والنساء في الوظائف جمعاء ولا يبقى التمييز بين ملابسهما وشعرهما ويختفي الفرق أيضاً في الخدمات العسكرية والألعاب بأمرها وتفقد المرأة رشاقة بدنّها وخلابتها.

في القرن الخامس والعشرين ينقص النسل الإنساني نقصاً مروّعاً؛ لأنّ الرجل لا يجد في المرأة ما يغريه بالاقتراب منها، ويعتبر سحر المرأة وفتنتها من الأساطير القديمة.

في القرن السادس والعشرين، فجأة تبرز امرأة وهي تترك شعرها مسترسلاً على كتفها فيعجب بها جميع الرجال والنساء ويتبعونها حتى يستلزم الأمر بأن يعينها رجال ونساء البوليس على إنقاذها من الزحام.

نتيجة لذلك يعم إرسال الشعر على الكتفين في النساء عام 2700م، وتعود المرأة تلبس ملابسها الخاصة.

وفي سنة 2750م يتسبب ذلك في تبدل الأحوال بشكل محير حيث تظهر العلاقات الغرامية بين الرجال والنساء، وتترتب على هذه المودة والغرامة الطبيعية نتائج حسنة فترفض النساء أعمال الرجال.

في القرن الثامن والعشرين تزداد عواطف الأمومة في النساء ويبلغن فيها غاية الجنون

يفضلن حياة البيت على الوظائف في الجيش والبوليس والقضاء وإلى ذلك. في سنة 2900م تعني المرأة بإخفاء بدنّها اعتناءً بالغاً وتنتشر موضة لبس البراقع وتحب النساء المكوث في المنزل حتى يسود الدنيا نظام الحجاب التام في سنة 3946م. ولم أَرِدْ أنْ أمضي في مطالعة الغيب ومشاهدة سنة 3946 خشية أن أتعرض لسخط أحزابنا النسائية المناهية بالتقدم والتحرر والتجدد وفضّلت أن أعود في الحال إلى سنة 1946م حتى لا أتهم بالرجعية والتأخر والجمود".

إلى هذا فإنّ المصنف قد كتب عموداً يرتبط بالشؤون العائلية، هل هي سعيدة أو شقية؟ ومن تعود إليه المسؤولية عنها، الرجل أو المرأة؟

إجابة على هذا السؤال يمكن أن يقال بالإيجاز إنّ الأسرة "شركة مساهمة وأفرادها مساهمون فيها ومن واجب كل فرد أن يقوم بأداء مسؤوليته فإن نقص فيه أو تهاون عنه تفشل الشركة وتفلس. غير أننا إذا ركّزنا عنايتنا على البيت فحسب وجدنا أنّ المرأة هي المديرية المقيمة التي تدير أموره وتدير شؤونها. فحقاً المرأة هي مركز البيت.

وأكثر من ذلك المرأة في البيت مثل الروح في الجسم. من المسؤول عن شقاء الجسم وعن هناء الجسم؟ أليست هي الروح التي تحلّ فيه؟

إلا أنّ السؤال يطرح نفسه: ما هي وظيفة الرجل في هذا الجسم. وما هي مرتبته فيه، فالجواب أنّ الرجل في هذا الجسم هو الرأس.... الرأس المفكر الذي يعرب كيف يحتال على الرزق وكيف يأتي بالتقود، ولكنه لا يعرف كيف يوحى بهناء أو شقاء.. تلك مهمة الروح.. كل شعور أو إحساس تنعم به الجسم أو يشقى هو من إحياء الروح.. كذلك كل نعيم أو حُجْم يحلّ في البيت هو من وحي المرأة¹.

¹ مع الشكر لـ"النزعات الجديدة في النثر الأدبي العربي بعد الحرب العالمية الثانية" (مجموعة مقالات الندوة القومية التي عقدها قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة علي كره الإسلامية، علي كره، في 14-15، مارس، 2005م)، ص 126-130

المؤتمر الدولي بالصيغة الهجينة حول:

تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: آفاق، رؤى وتطلعات بين الواقع والمأمول¹

عقده منتدى خريجي مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال
نهر، نيودلهي في يومي 25-26 نوفمبر 2023م

إعداد: د. محمد أجمل¹

نظراً لزيادة أهمية اللغة العربية في القرن الواحد والعشرين الميلادي وانتشارها في جميع
أقطار العالم وبصورة خاصة في الهند النامية الحديثة وتعزيز علاقاتها بالبلدان العربية شعباً
واقتصاداً وعلماً وثقافة على وجه الخصوص بالملكة العربية السعودية وفي خضم رؤيتي
2030 للمملكة و2047 للهند العملاقة على التوالي، أقام منتدى خريجي مركز الدراسات
العربية بجامعة جواهر لال نهر، نيودلهي مؤتمراً دولياً بعنوان "تعليم اللغة العربية لغير الناطقين
بها: آفاق، رؤى وتطلعات بين الواقع والمأمول" في 25 و26 نوفمبر 2023م.

ومما لا ريب فيه أنّ اللغة العربية لغة معروفة بحيويتها حيث بقيت حية منذ أكثر من
1400 سنة، بينما اندرست أخواتها من اللغات السامية، وذلك لأسباب منها أنّ
القرآن نزل بها، وأنّ العربية لغة منطقة جغرافية تحمل أهمية استراتيجية من ناحية
الاقتصاد والتجارة والثقافة، وأنها كانت سيدة اللغات في العالم كونها حاضنة للعلوم

¹ أستاذ مساعد، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جواهر لال نهر - نيودلهي

والمعارف، وأنها اليوم ضمن اللغات الرسمية الست لهيئة الأمم المتحدة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، تعتبر اللغة العربية إحدى اللغات العويصة في العالم بسبب صعوبة قواعدها وتنوع مخارج ألفاظها وتعدد دلالات مفرداتها، ولذلك فإن تعلّمها لغير الناطقين بها لا يخلو من تحديات وإشكاليات يجب حلّها من خلال تبني التقنيات الحديثة التي أفرزتها التكنولوجيا الحديثة ووسائل تعليم اللغات الحديثة التي يتم اعتمادها لتسهيل طرق التعليم اللغة العربية كلغة أجنبية، وبدأت تحظى باهتمام الناس بها، وتفيد تقارير صادرة عن مجامع اللغوية العربية أنّ هناك إقبالاً متزايداً على تعلّم اللغة العربية حول العالم. وأما في بلادنا الهند فالإقبال غير معهود لتعلم اللغة العربية على مختلف المستويات.

وقد قام مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهر لال نهرو بدور باهر في تخرّيج كوادر من الطلبة والباحثين المتميزين منذ أن تأسّس المركز في مطلع السبعينيات من القرن الماضي، ويتبوأ خريجو القسم الآن مراكز بارزة في مختلف المؤسسات العلمية والمعاهد الحكومية والخاصة والشركات العالمية وبالتالي فيقومون بخدمة العلم والثقافة والفكر والمجتمع.

اتهمز منتدى خريجي مركز الدراسات العربية والإفريقية الفرصة لأنّ يناقش موضوع تعليم اللغة العربية في الجامعات الهندية، ولاسيما في المركز، مع خريجي المركز ويبحث في أبعاده المختلفة للكشف عن آفاقه ورؤاه من أجل إزالة مواضع الضعف وتعزيز مواضع القوة وجعل تعليم اللغة العربية أكثر فائدة للطلبة والطالبات، فهذا عصر التواصل الإلكتروني، ومن خلال التواصل مع بعضنا البعض وتبادل الآراء ووجهات النظر يمكننا إضاءة الكثير من الجوانب المظلمة، وذلك من خلال هذا المؤتمر الدولي حول عنوان: "تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: آفاق، رؤى وتطلعات بين الواقع والمأمول".

استغرق المؤتمر يومين، اليوم الخامس والعشرين والسادس والعشرين من شهر نوفمبر 2023م، بدأت فعاليات المؤتمر اليوم الخامس والعشرين بعقد حفلة افتتاحية ترأسها

الدكتور خالد بن يوسف برقاي، الملحق الثقافي لسفارة المملكة العربية السعودية في نيودلهي، ونسّقها البروفيسور قطب الدين، من مركز الدراسات العربية والإفريقية.

استهلّ الحفلة رئيس المركز البروفيسور مجيب الرحمن بكلمات الترحيب والشكر حيث رحّب بجميع الضيوف وقدمّ الشكر إلى جميع المتخرجين الذي ساهموا في عقد المؤتمر. وقدمّ الدكتور محمد أجمل، مدير المؤتمر كلمات التعريف بالمؤتمر، وألقى الضوء على أهمية هذه المناسبة وأبعادها وأكدّ على أنّ هذا ليس مؤتمراً فحسب بل هذا نشاط منتدى خريجي مركز الدراسات العربية والإفريقية وأتمنى أن يسعى المنتدى لترويج اللغة العربية دائماً. وقال رئيس قسم اللغة العربية الأسبق الأستاذ الدكتور زبير أحمد الفاروقي إنّ هناك طرقاً مختلفة لتعليم اللغة غير الأصلية، والتي تتغير حسب الزمان والمكان والطلاب، ولكن النقطة المهمة في جميعها هو أن يكون لدى المعلم القدرة اللغوية. وألقى الملحق الثقافي لسفارة المملكة العربية السعودية الدكتور خالد بن يوسف البرقاي كلمة الرئاسة، وسلّط الضوء على أهمية اللغة العربية، ومدى انتشارها، وركّز الحديث على دور المملكة العربية السعودية في ترويج اللغة العربية في جميع أنحاء العالم، وأشار إلى أنّ مراكز تعليم اللغة العربية التابعة للمملكة العربية السعودية تعمل في شتى البلاد على ترويج اللغة العربية وآدابها. وألقى الخطاب الرئيسي خبير علم اللغة الدكتور ساري حمود الذي قال: سهلت التكنولوجيا الحديثة تعلم اللغة العربية والحوار أكبر وسيلة لتعلم اللغة.

وقال البروفيسور الدكتور حبيب الله خان الرئيس السابق لقسم اللغة العربية بالجامعة المليّة الإسلامية إنّ تعليم اللغة العربية في الهند يجري في الجامعات، وهناك أيضاً آلاف من المدارس الإسلامية منتشرة في جميع أنحاء البلاد والتي تسعى وراء تعليم اللغة العربية، والحاجة ماسّة إلى العمل بجديّة أكبر على ذلك. وكذلك أبدى مدير المدرسة العراقية في نيودلهي الدكتور صادق ضاهر الذهب انطباعاته أيضاً. وبهذه المناسبة تمّ تدشين العديد من كتب خريجي المركز وهي فيما يلي:

1. الغزال الناكر للجميل والقصص الأخرى- الترجمة العربية لقصص الدكتور جميل جالبي المكتوبة باللغة الأردية للأطفال. ترجمها إلى العربية الدكتور محمد أجمل الأستاذ المساعد بالمركز.
 2. ومسلوب الكرامة للدكتور محسن عتيق.
 3. قوارير مكسورة وهي مجموعة قصصية كتبها معراج عالم،
 4. وإذاعة عموم الهند ودورها في ترويج الصحافة العربية للدكتور محمود عاصم.
- وفي نهاية الحفلة شكر رئيس المركز السابق الأستاذ الدكتور رضوان الرحمن جميع المشاركين. وانتهت الحفلة الافتتاحية.
- ثم أقيمت ستّ جلسات أكاديمية قدّم فيها الباحثون أوراقهم العلمية. فعقدت الجلسات الأكاديمية الست في قاعتين بترتيب متوازي في قاعتين مختلفتين وذلك عن طريق حضوري واقتراضي مما تأتي تفاصيلها في السطور التالية.
- أقيمت الجلسة الأكاديمية المتوازية الأولى في القاعة الأولى، بعنوان "تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: آفاق ورؤى وتطلعات بين الواقع والمأمول" يوم السبت بتاريخ 25 نوفمبر 2023م بين الساعة 11:30 صباحاً و01:00 ظهراً، ترأسها البروفيسور زبير أحمد الفاروقي، ونسّقها الدكتور قمر شعبان الندوي، أستاذ مساعد، جامعة باناراس الهندوسية بفاراناسي. وقُدّمت خمس أوراق بحثية في هذه الجلسة مما يلي:

الرقم المتسلسل	المشارك/ة	المعهد/الكلية /الجامعة	عنوان المقال
1	أمين إبراهيم احمد جاویش	الباحث في قسم اللغة العربية بجامعة عين	فاعلية برنامج على التكامل الحسي لتنمية المهارات اللغوية لدى التلاميذ

		شمس، الجيزة مصر.	المدجين ذوي الشلل الدماغي
2	حفظ الرحمن	المذيع والمترجم في حرم مكة المكرمة	دور المدارس الإسلامية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها
3	د. محمد البيشاوي	عميد معهد اللغة العربية بالأردن.	الامتحان الموحد للغة العربية للناطقين بغيرها
4	حبيب الله	الباحث في مركز الدراسات العربية الإفريقية، جيه اين يو	ف. عبد الرحيم معلما للغة العربية لغير الناطقين بها
5	د. محمد سليم	الأستاذ المشارك، جامعة إنديرا غاندي الوطنية، نيودلهي.	قضايا وتجارب في تعليم اللغة العربية عن بُعد جامعة إنديرا غاندي الوطنية المفتوحة بنيو دلهي أتمودجاً.

أقيمت الجلسة الأكاديمية المتوازية الثانية بالصيغة الهجينة في القاعة الثانية، يوم السبت بتاريخ 25 نوفمبر 2023م بين الساعة 11:30 صباحاً و01:00 ظهراً، ترأسها الدكتور ساري حمو، المستشار الإعلامي والخبير النفسي، نيودلهي، ونسقها الدكتور

أصغر محمود، أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية (جامعة دلهي)، وقُدمت ثلاث أوراق بحثية في هذه الجلسة مما يلي:

رقم المتسلسل	المشارك/ة	المعهد/الكلية/الجامعة	عنوان المقال
1	تبريز احمد	الباحث في قسم الدراسات لغرب آسيا، الجامعة المليية الإسلامية.	ندوة العلماء تختار لغة عربية كبديل ثقافي عربي للثقافة الإنجليزية.
2	محمد سنان كنييت	الباحث في جامعة دار الهدى الإسلامية كيرالا	طريق التدرج من الأعلى كمنهج مؤثر لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها
3	د. محمد منظر عالم الأستاذ المساعد	جامعة غلام شاه بادشاه، راجوري، جامو وكشمير.	دور النحو في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها

أقيمت الجلسة الأكاديمية المتوازية الثالثة بالصيغة الهجينة في القاعة الأولى، يوم

السبت بتاريخ 25 نوفمبر 2023م بين الساعة 2:30 ظهراً و03:30 عصراً، ترأسها البروفيسور نعيم الحسن، رئيس قسم اللغة العربية، جامعة دلهي سابقاً، ونسّقها الدكتور محمد قاسم عادل، أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية لكلية ذاكر حسين دلهي، وقُدّمت خمس أوراق بحثية في هذه الجلسة مما يلي:

الرقم المتسلسل	المشارك/ة	المعهد/الكلية/الجامعة	عنوان المقال
1	الدكتور قمر شعبان الندوي، الأستاذ المساعد،	جامعة باناراس الهندوسية،	طرق تعليم اللغة العربية الراجئة في الهند بين التنظير والتطبيق: دراسة نقدية
2	د. شهاب م.	الباحث في جامعة كاليكوت، كيرالا.	تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: تحديات وحلول
3	الدكتور عظمت الله الندوي محاضر ضيف،	قسم اللغة العربية، الجامعة المليية الإسلامية، نيودلهي	تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها في ضوء كتب الهنود الإنجليزية: اللغة العربية الحديثة والترجمة للأستاذ نسيم

أختر الندوي			
4	محمد شبلي سي	الباحث في جامعة دار الهدى	جامعة دار الهدى الإسلامية وجهودها لتعزيز اللغة العربية في الهند
5	د. / محمد أسلم أ. ك. الأستاذ المساعد	كلية كيه. تي. ايم. ملابورم، كيرالا	مجلس التعليم الوطني لجمعية العلماء؛ تجربة حديثة في الدراسات الإسلامية العليا واللغة العربية في ولاية كيرالا الهندية

أقيمت الجلسة الأكاديمية المتوازية الرابعة بالصيغة الهجينة في القاعة الثانية، يوم السبت بتاريخ 25 نوفمبر 2023م بين الساعة 2:30 ظهراً و03:30 عصراً، ترأسها الدكتور محمد سليم، أستاذ مشارك بمدرسة اللغات الأجنبية، جامعة إنديرا غاندي الوطنية المفتوحة، ونسقتها الدكتورة زر نغار، أستاذ مساعد بالمركز، وقُدمت خمس أوراق بحثية في هذه الجلسة مما يلي:

رقم المتسلسل	المشارك/ة	المعهد/الكلية/الجامعة	عنوان المقال
1	قمر الإسلام	الباحث في مركز الدراسات العربية	واقع تعليم اللغة العربية لغير

الناطقين بها في مدارس بنغال الغربية الحكومية: مشاكل وحلول	الإفريقية، جيه اين يو		
دور المؤسسات التعليمية الإسلامية في تعليم اللغة العربية في مدينة حيدرآباد جامعة الحرمين الشريفين العربية والإنجليزية الإسلامية أ نموذجاً	الباحث والمترجم الحر نيودلهي	د عبد الحكيم	2
أثر اللغة	الباحث في مركز	شهيد الإسلام	3

		الدراسات العربية الإفريقية، جيه اين يو	العربية على اللغة البنجالية: مشاكل وحلول.
4	أحسن هلال	الباحث في مركز الدراسات العربية الإفريقية، جيه اين يو	الوسائط الحديثة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها
5	الدكتور قاسم عادل	الأستاذ المشارك، كلية ذاكر حسين، دلهي	اللغة العربية في الهند بين الواقع والمأمول

أقيمت الجلسة الأكاديمية المتوازية الخامسة بالصيغة الهجينة في القاعة الأولى، يوم السبت بتاريخ 25 نوفمبر 2023م بين الساعة 3:45 عصراً و 05:00 مساءً، ترأسها الدكتور خورشيد إمام، أستاذ مساعد بالمركز، ونسّقها الدكتور محمد أكرم نواز، أستاذ مساعد بالمركز، وقُدّمت خمس أوراق بحثية في هذه الجلسة مما يلي:

الرقم المتسلسل	المشارك ة/	المعهد/الكلية/الجامعة	عنوان المقال
1	محمد معشوق	الباحث في قسم اللغة العربية، الجامعة	دور مدارس و كليات الاسلامية في تعليم لغة

العربية لغير الناطقين بها	العالية، كولكاتا		
أحدث أساليب التدريب لتعليم اللغات الأجنبية وواقع تدريس اللغة العربية في الهند	المترجم الحر، نيودلهي	د. محمد عيسى	2
الدراسات العربية في المدارس الإسلامية في شمال الهند	الباحث في مركز الدراسات العربية الإفريقية، جيه اين يو.	شميم أحمد	3
Methods of teaching Arabic Language in India - Universities and Madrasas in a comparative way.	المترجم الحر، نيودلهي	د. محمود عاصم	4
قراءة نقدية عن تعليم اللغة العربية في المدارس الحكومية في كيرالا	الباحث في مركز الدراسات العربية والإفريقية، جيه اين يو.	محمد شفيق	5

أقيمت الجلسة الأكاديمية المتوازية السادسة بالصيغة الهجينة في القاعة الثانية، يوم السبت بتاريخ 25 نوفمبر 2023م بين الساعة 3:45 عصراً و05:00 مساءً، ترأسها الدكتور محمد قطب الدين، الأستاذ بالمركز، ونسقها الدكتور أختار عالم، أستاذ مساعد بالمركز، وقدمت خمس أوراق بحثية في هذه الجلسة مما يلي:

رقم المتسلسل	المشارك/ة	المعهد/الكلية/الجامعة	عنوان المقالة
1	محمد باسل	الباحث، في كيرالا	دور المدارس الإسلامية في تعليم اللغة العربية في الهند- ولاية كيرالا نموذجاً
2	عبد الرؤوف توتي	الباحث في كيرالا	"تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بين الواقع والمأمول مدارس كيرالا نموذجاً"
3	د. رضوان الحق الأستاذ المساعد،	قسم اللغة العربية، الجامعة العالية، كولكاتنا.	تعليم اللغة العربية في جامعات غرب البنغال: الجامعة العالية نموذجاً
4	د. كي. ايم. إيه. أحمد زبير، الأستاذ المشارك	قسم اللغة العربية، نيو كوليج، تشيناي	الوسائط الحديثة في تعليم اللغة العربية وآدابها في المعاهد العليا في ولاية تاميل نادو.

5	دكتورة عائشة شهناز فاطمة، الاستاذة المؤقتة	بجامعة خواجة معين الدين الجسني، لكاؤ.	المدارس الإسلامية للبنات في مدينة لكاؤ ودورها في تعليم اللغة العربية
---	---	--	--

وانعقدت الصباح التالي بتاريخ 26 نوفمبر 2023م حفلة التكريم بين الساعة 10 صباحاً والساعة 12:00 ظهراً، التي ترأسها البروفيسور عبد الماجد قاضي، رئيس قسم اللغة العربية سابقاً بالجامعة الملكية الإسلامية، نيودلهي، بينما نسّقها رئيس المركز البروفيسور مجيب الرحمن الذي ألقى نظرة عابرة خلال كلماته على نشأة المركز الذي مرّ بمراحل عديدة حتى أصبح مركز الدراسات العربية والإفريقية، كما أبرز الأسباب التي دفعته إلى تكريم خريجي المركز المتميزين، وأعلن إنشاء منتدى خريجي المركز.

فتم تكريم ثلاثة عشر من خريجي المركز اللذين يشتغلون بخدمة اللغة العربية كمعلمين في جامعات مختلفة وهم فيما يلي:

1. البروفيسور حبيب الله خان، 2. البروفيسور رضوان الرحمن، 3. البروفيسور مجيب الرحمن، 4. البروفيسور مسعود عالم الفلاح، 5. البروفيسور عبيد الرحمن الطيب، 6. البروفيسور محمد قطب الدين، 7. البروفيسور أشفاق أحمد، 8. البروفيسور نسيم أختار، 9. د. أورنك زيب الأعظمي، 10. د. محمد سليم، 10. د. صهيب عالم، 11. د. خورشيد إمام، 12. د. قرشعبان.

ثم ألقى البروفيسور عبد الماجد قاضي خطابه الرئاسي، وأشاد بهذه المبادرة الجميلة، ثم ألقى البروفيسور حبيب الله خان كلماته، وانتهت حفلة التكريم.

وتلتها خمس جلسات أكاديمية قدّم فيها الباحثون أوراقهم العلمية؛ فأقيمت الجلسة

الأكاديمية المتوازية السابعة بالصيغة الهجينة في القاعة الأولى، يوم الأحد بتاريخ 26 نوفمبر 2023م بين الساعة 12:15 ظهراً و 02:15 ظهراً، ترأسها البروفيسور حبيب الله خان، رئيس قسم اللغة العربية سابقاً بالجامعة المالية الإسلامية، نيودلهي، ونسّقها الدكتور أورنك زيب الأعظمي، مدير مجلة الهند والأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية بالجامعة المالية الإسلامية (نيودلهي)، وقُدّمت ست أوراق بحثية في هذه الجلسة مما يلي:

رقم المتسلسل	المشارك/ة	المعهد/الكلية/الجامعة	عنوان المقال
1	السيد عبد الله	الباحث في مركز الدراسات العربية والإفريقية، جيه اين يو	طرق تدريس اللغة العربية في المدارس الإسلامية بغرب البنغال
2	السيد محمد صفوان	الباحث في جامعة كاليكوت	النهج اللغوي: طريق ميسر لتعليم العربية لغير الناطقين بها
3	د. طفيل أحمد	المستشار اللغوي، جامعة إنديرا غاندي الوطنية، نيودلهي	تحديات تعليم اللغة العربية للمبتدئين في الهند (اون لائن)

4	السيد محمد إرشاد	الباحث في مركز الدراسات العربية والإفريقية، جيه إن يو	دور المدارس الإسلامية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها
5	السيد نور عالم،	المذيع مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية	دور العلاقات الدبلوماسية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها
6	الدكتور أورنك زيب الأعظمي	الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، الجامعة المالية الإسلامية، نيودلهي	كتاب "التطبيق البلاغي" للناطقين بغير العربية للدكتور السيد عزت السيد أبو الوفاء، دراسة تحليلية

وأقيمت الجلسة الأكاديمية المتوازية الثامنة بالصيغة الهجينة في القاعة الثانية، يوم الأحد بتاريخ 26 نوفمبر 2023م بين الساعة 12:15 ظهراً و 02:15 ظهراً، ترأسها البروفيسور نسيم أختر، رئيس قسم اللغة العربية، الجامعة المالية الإسلامية، نيودلهي، ونسّقها الدكتور عبد القدوس، الأستاذ المشارك، جامعة مولانا آزاد الوطنية، رحاب لكناؤ، وقُدّمت خمس أوراق بحثية في هذه الجلسة مما يلي:

رقم المتسلسل	المشاركة	المعهد/الكلية/الجامعة	عنوان المقال
1	السيد محمد زيد خان	الباحث في مركز الدراسات العربية والإفريقية، جيه اين يو.	منهج مدرسة الإصلاح في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بين الواقع والمأمول
2	السيد أبو الكلام آزاد	الباحث في مركز الدراسات العربية والإفريقية، جيه اين يو.	تحديات أمام متعلمي اللغة العربية لغير الناطقين بها في الهند.
3	السيد نعيم اختر	الباحث في مركز الدراسات العربية والإفريقية، جيه اين يو.	عقبات وحلول لغوية للناطقين بغير العربية.

4	الدكتور أختار عالم، الأستاذ المساعد، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جيه اين يو	المقارنة بين المناهج الحديثة والأساليب التقليدية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها: دراسة نقدية
5	د. محفوظ الرحمن الأستاذ لمساعد، قسم اللغة العربية، الجامعة المليية الإسلامية، نيودلهي	الشيخ عبدالحمد الفري رحمه الله وأسلوبه في تعليم اللغة العربية

أقيمت الجلسة الأكاديمية المتوازية التاسعة بالصيغة المجدنة في القاعة لأولى، يوم الأحد بتاريخ 26 نوفمبر 2023م بعد وقفة الغداء والاستراحة بين الساعة 02:30 ظهراً و03:30 عصرًا، ترأسها البروفيسور عبيد الرحمن طيب، الأستاذ بالمركز، ونسّقها الدكتور محمد سليم، الأستاذ المشارك، مدرسة اللغات الأجنبية، جامعة إنديرا غاندي الوطنية المفتوحة نيودلهي، وقُدّمت أربع أوراق بحثية في هذه الجلسة مما يلي:

رقم المتسلسل	المشارك/ة	المعهد/الكلية/الجامعة	عنوان المقال
1	د. محمد مهتاب عالم	مركز الدراسات العربية	Problems of Teaching

Arabic language to non native speakers	والإفريقية،		
واقع تعليم اللغة العربية في الهند	الباحثة، قسم اللغة العربية والفارسي، جامعة إله آباد	الآنسة زينب شمس	2
الأدوات الحديثة واستخدامها في تعليم اللغة العربية بين الواقع والمأمول	الباحث في مركز الدراسات العربية والإفريقية، جيه اين يو	السيد أنصار أحمد	3
إرشادُ الهيمنان من بني العُجَمانِ إلى حب وتملُّك ابنةِ عَدَنان	جامعة جميرا، دبي، الإمارات العربية المتحدة	د سعيد أحمد حيات الأستاذ المساعد	4

أقيمت الجلسة الأكاديمية المتوازية العاشرة بالصيغة الهجينة في القاعة الثانية، يوم الأحد بتاريخ 26 نوفمبر 2023م بعد وقفة الغداء والاستراحة بين الساعة 02:30 ظهراً

و03:30 عصرًا، ترأسها الدكتور عبد القدوس، الأستاذ المشارك، جامعة مولانا آزاد الوطنية، رحاب لكناؤ، ونسّقها الدكتور غياث الدين الصديقي، محاضر ضيف، كلية أجمل خان للطب، نيودلهي، وقُدّمت ثلاث أوراق بحثية في هذه الجلسة مما يلي:

الرقم المتسلسل	المشارك/ة	المعهد/الكلية/الجامعة	عنوان المقال
1	محمد مراس	الباحث، في كيرالا.	Arabic Teaching Pedagogy in South Indian Schools: Challenges and Reflections
2	رسل أمين الباحث، ملا بورام، كيرالا.		دور المدارس الإسلامية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها
3	د. هارون الرشيد الأستاذ المساعد،	الجامعة الإسلامية الحكومية الشمالية بميدان - إندونيسيا	الوسائل الحديثة واستخدامها في

تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بالجامعة الإسلامية الحكومية سومطرة الشمالية بميدان- إندونيسيا			
--	--	--	--

أقيمت الجلسة الأكاديمية المتوازية الحادية عشر بالصيغة المجدبة في القاعة الأولى، يوم الأحد بتاريخ 26 نوفمبر 2023م بين الساعة 03:30 ظهراً و04:30 عصرًا، ترأسها البروفيسور رضوان الرحمن، رئيس مركز الدراسات العربية والإفريقية سابقًا، ونسّقها الدكتور مجيب أختري، الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، جامعة دلهي، وقُدمت ثلاث أوراق بحثية في هذه الجلسة مما يلي:

الرقم المتسلسل	المشارك/ة	عنوان المقال	العنوان
1	د. صديقة جابر محاضرة	قسم اللغة العربية والفارسية، جامعة الله آباد،	The Use of " Technology to Enhance Learning of

Arabic Language for Non-native "Speakers"	أوترا براديش	ضيف،	
تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها في الهند	مركز الدراسات العربية والإفريقية، جيه. إن. يو.	السيد آصف أقبال	3
تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الهند: دراسة نقدية	سفارة ليبيا في نيودلهي	د. فريد أحمد	4

وعقدت الجلسة الختامية حضورياً في الساعة 5:00 مساءً وترأس الجلسة البروفيسور أشفاق أحمد الندوي، رئيس قسم اللغة العربية، جامعة باناراس الهندوسية، فاراناسي، أوترا براديش، وشارك معه المنصة كلٌّ من البروفيسور رضوان الرحمن، والبروفيسور مجيب الرحمن والدكتور مجيب أختر والدكتور قمر شعبان الندوي، وأدار الجلسة كلٌّ من البروفيسور مجيب الرحمن والدكتور محمد أجمل، مدير المؤتمر وشارك فيها عدد لا يستهان به من الأساتذة والباحثين والطلاب وخريجي المركز والأكاديميين الآخرين من الجامعات الهندية المختلفة. وبهذه المناسبة، أعرب الدكتور قمر شعبان الندوي عن انطباعاته تجاه هذا المؤتمر الدولي الذي نظم بالصيغة الهجينة وهنا القائلين عليه على نجاحه الباهر.

وقبل اختتام المؤتمر رسمياً، تم توزيع شهادات المشاركة والتقديم إلى مقدّمي الأوراق البحثية، ثم قدّم مدير المؤتمر الدكتور محمد أجمل أسمى معاني الشكر والامتنان إلى الضيوف والأساتذة والطلبة والباحثين والحضور الكرام على مشاركتهم الفعالة وبحوثهم القيمة، كذلك أرسل مدير المؤتمر أسمى آيات الثناء والتقدير إلى جميع رؤساء الجلسات ومنسقيها والمشاركين والباحثين والمتطوعين اللذين ساعدوا في إجراء فعاليات المؤتمر. وفضلاً عن ذلك، لعب بعض الباحثين والمتحمسين في المركز وأمثالهم السيد محمد معراج عالم والسيد محمد شريف والسيد أحمد حسين والسيد أحسن هلال والسيد شهيد الإسلام والسيد عبد الله دوراً فعالاً في إنجاح هذا المؤتمر الدولي حيث بذل كلّ منهم قصارى جهودهم في تنسيق وإدارة الأعمال التنظيمية والفنية. وأخيراً انتهت الجلسة الختامية بكلمات رئيس المركز البروفيسور مجيب الرحمن.

التقريظ على تفسير "فتح البيان في مقاصد القرآن"

للنواب صديق حسن خان البوفالي

- العلامة فيض الحسن السهارنفوري¹

ما سمعنا بمثل "فتح البيان"	في المباني ولا في المعاني
فعانيه عين عذب فرات	ومبانيه جنة من جنان
لا ولا ثم لا ولا مثل شيء	منه شيء من الكبار المتان
من رأى مثله رآه وأتى	مثله عزّ مثله في زماني
انظرون فيه فانظرون فيه تنظر	فيه ما ليس في الحسان السمان
يا لها من جميلة ذات حسن	تتمّاه ناعمات غوان
أ تحبّ الحسان حبّاً شديداً	بعدها ويك من محبّ مدان
كلّ ما فيه نضرة وسرور	للذي بات عنده في مكان
حسبه أنه على كلّ قال	كاشف عن لطائف القرآن
إن وضعناه فوق سبع شداد	جاز إذ حلّ فيه سبع المثاني
أمره بين غني عن المد	ح وقد جلّ مدحه عن بيان
يكشف العضلات سهلاً يسيراً	فكأن حلّها ذوات البنان

¹ العلامة فيض الحسن السهارنفوري (1816-1887م) علامة الهند للغة العربية وآدابها، له مؤلفات جليلة منها "رياض الفيض" (شرح المعلقات السبع) و"الفيضي" (شرح ديوان الحماسة) و"فيض القاموس" و"التحفة الصديقية" وله ثلاثة دواوين بثلاث لغات الأردوية والعربية والفارسية.

مرتع مؤتق ومرعى مريع	غائه كل صيب هتان
منهل حوله القلوب الصوادي	منظر دونه العيون الرواني
إنه فانظروه أو فاسمعوه	لذة للعيون والآذان
بيت حسن من المعاني منيف	كل بكر به وكل عوان
لم أزره وكيف زورة بيت	فيه شيء يقول لي لن تراني
لن ترى فيه من فتور ونقص	ولمن أسس البنا خير بان
كيف يُلَفَى له نظير ولما	يلف فيما مضى لبانيه ثان
بيته المجد وهو قصر مشيد	ذو سمو ورائخ البنيان
خير قوم بنوا بيوت المعالي	ثم هم عامروا بلاد الأمانى
هاشمي له مكارم قوم	لم يكن مثلهم بعيد ودان
بلغوا المجد والعلى بنفوس	ماجدات وأوجه غرّان
آل زهراء ثم آل عليّ	أكرم الناس أشجع الشجعان
ذاك نخر ودونه كل نخر	نالاه من علا من الفتیان
يخلق الأمر في فؤاد رحيب	ثم يمضي فيه كسيف يمان
وجنى المجد بعد نضج وينع	غير جان ويا له من جان
لذة في نواظر الناس طراً	رحمة في ضمائر الأقران
في حسود وهم على ما أصابوا	في صغار وذلة وهوان
لا يبالي بشاخات رواسٍ	من علوّ له على كل شأن
ثم لله درّه من كريم	سلّ من حرّة حسان رزان
فيه عزّ كأنه ذلّ عزّ	نخشوع ورحمة وحنان

ذو خضوع كأنه ذو صغار ذو وقار كأنه ذو توان
 كيف لا وهو حقّ عرق كريم عنده الفقر والغنى سيّان
 لم تغيّره نعمة وثناء أ سواء لديه باقٍ وفان
 في اسمه مبدآن صدق وحسن وكلا المبدأين للخير بان
 يعرف المرء حيث كان ولا يغ حمض عنه وإن بعيد المكان
 عارف بالعلی مكن أمين مستعان وحبّ من مستعان
 فاضل كلّ فضله فضل ربّي لا يدانيه ربّ فضل مدان
 كلّ فضل له وما كان فضل لم يكن فيه شهرة ويدان
 كاتب ذو يد وأيد يداه كجوادين أرسلًا في رهان
 بارك الله فيه ما هبّت الريح ح صباح الندى على الأغصان
 صانه الله من شرور الدواهي ومضى في كلاءة وأمان
 ذا دعاء له بخير ولا يذ هب ما كان من صميم الجنان¹

¹ فتح البيان في مقاصد القرآن، 372/10-374